وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الاضطرابات الاجتماعية والاضطهاد الديني في مصر الرومانية (30 ق.م- 313 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

من إعداد الطالبة:
هاجر كتفي الشريف

تحت إشراف:
د. بنت النبي مقدم

لجنة المناقشة:

أ.د/ محمد الهادي حارش	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	رئيسا
د/ بنت النبي مقدم	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مشرفا ومقررا
د/ نادية يفصح	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	عضوا
د/ سعيدة أويحي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	عضوا
د/ مالية بصال	جامعة تيبازة	عضوا
د/ سمير العيداني	جامعة مسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شـكر وتقـدير

الشكر أولا لله سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام،

ورسم لنا طريق الصواب وأنار لنا بنوره ظلام الجهل

وأعاننا بفضله على إنجاز هذا العمل.

فاللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

أتقدم أولا بجزيل الشكر إلى:

الأستاذ الفاضلة: "مقدم بنت النبي"، التي أتاحت لي فرصة العمل معها

كما أتقدم بجزيل الشكر والاعتزاز إلى زملائي وأساتذة قسم التاريخ بجامعة

الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله وعمال المكتبات.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

وأرجو من المولى عزوجل أن يبارك في عملي،

ويجعله خالصا لوجهه الكريم ونافعا لطلبة العلم.

مقدمة

مقدمة

كان ظهور روما كقوة عسكرية حدثا تاريخيا غيّر ملامح الخريطة الجيوسياسية لحوض البحر المتوسط، خاصة مع أهدافها التوسعية ورغبتها في السيطرة على ظروفها الداخلية المتمثلة في الصراع الحزبي الروماني، وقد كان الضعف الذي وصل إليه أواخر الملوك البطالمة في مصر تأثيره على وقائع الأحداث ونتائجها، حيث أصبح استقرار الحكم البطلمي مرتبطا بإرضاء روما، التي استغلت النزاعات الأسرية حول العرش لصالحها، وبطبيعة الحال سيؤدي ذلك إلى احتلال مصر، التي كانت آخر بلد أُحتِلَّ من طرف الرومان عندما انتصر "أوكتافيوس أغسطس" في موقعة أكتيوم عام 30 ق.م، هذا العام الذي يؤرخ ببداية الفترة الرومانية في مصر ونهاية العصر الهيلينستي الذي استمر ما يقرب ثلاثة قرون.

وتعد الفترة الرومانية مرحلة مهمة في تاريخ مصر على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، حيث شهدت عدة تغيرات أثناء الاحتلال الروماني، الذي حاول السيطرة على مصر من خلال إدخال العديد من الإصلاحات والنظم العسكرية والإدارية المختلفة، وذلك بسبب أهميتها الاقتصادية والسياسية وموقعها الاستراتيجي.

وبناء على ذلك جاء عنوان الأطروحة كالتالي:

" الاضطرابـــات الاجتماعية والاضطهـــاد الديني في مصر الرومانية 30 ق.م- 313 م".

مع التركيز على الفترة الممتدة من بدء الاحتلال الروماني لمصر عام 30 ق.م إلى غاية عام 313 م، وهو التاريخ الذي أُصدر فيه «مرسوم ميلان» الذي ينص على إنهاء الاضطهاد وإعلان التسامح الديني.

وبناء على ذلك قسمنا دراستنا للموضوع إلى جانبين رئيسيين مترابطين، باعتبار أن الدين والمجتمع دائما ما يكملان ويخدمان بعضهما فدرسنا أولا الاضطرابات الاجتماعية، حيث تميزت الأوضاع في مصر خلال العصر الروماني بكثرة الصراعات والاضطرابات الاجتماعية خاصة بين اليهود والإغريق، والتي تأججت وتحولت إلى معارك ميزت العصر الروماني عن باقي العصور.

أما الجانب الثاني الذي درسناه في الموضوع هو الاضطهاد الديني للمسيحيين، حيث نجد أن الصراع في مصر لم يعد نزاعا كما كان بين اليهود والإغريق فقط بل شهد ظاهرة جديدة تمثلت في النزاع بين المسيحيين والوثنيين، فظهور المسيحية يعتبر من أهم الأحداث التي كان لها تأثيرها على سير العلاقات والحياة بكل مظاهرها، إضافة إلى تأثير الظروف الدينية والفكرية التي كانت سائدة بالعاصمة الإسكندرية.

وأما سبب اختياري للموضوع وأهميته لكونه جزء من مجال اهتماماتي المتعلقة ب" المجتمعات" و" والأديان"، إضافة إلى كونه جدير بالبحث والدراسة، خاصة وأنه يسلط الضوء على العوامل المتحكمة في العلاقات بين الشعوب ويُعرّفنا على كيفية التعامل مع المجتمعات المتباينة الأجناس والديانات والثقافات، وتأثير التفكير الجمعي المتوارث عبر الأجيال في تسيير هذه العلاقات، والتي مازلنا نلمسها بوقتنا الحاضر في الصراع الدولي بين الشعوب، ناهيك عن رغبتي في التعرف على تاريخ الاضطهاد المسيحي والأسباب الكامنة وراءه ومناقشة السياسية التي اتبعها الرومان في مواجهة المسيحية.

وبالتالي تبرز أهمية الموضوع وأهدافه بالأساس في التعرف على الجوانب التي ميزت مصر أثناء الفترة الرومانية ومحاولة عرض وتفسير كل الأحداث التاريخية التي كان لها ارتباطاً وثيقاً بمختلف التغيرات الهامة بالمجالين الاجتماعي والديني، ولذلك سيتمحور الغرض من هذه الدراسة بمحاولة الإحاطة قدر الإمكان بالأحوال الاجتماعية والدينية في تلك الفترة، وأن نُبيّن المراحل الهامة منها ونحلل العوامل المؤثرة فيها، بداية بالاضطرابات الاجتماعية ووصولاً إلى تطور الأحداث الدينية.

كما تهدف دراستنا كذلك إلى تتبع مراحل الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون من الأباطرة الرومان نتيجة اعتناقهم المسيحية، والبحث عن الأسباب الكامنة وراء الاضطهاد، لنركز على الأحداث من الناحية التاريخية التي يمكن تحليلها، بداية من فترة اضطهاد الإمبراطور نيرون عام 64 م إلى غاية عهد الإمبراطور قسطنطين الأول.

وقد ركزنا على مجال مدينة الإسكندرية بالذات لأنها تميزت عن غيرها من مدن مصر بمميزات عدة، حيث تعتبر مركزا تجاريا وفكريا وعلميا بمعاهدها سواء الوثنية أو المسيحية، بالإضافة إلى أن معظم الاضطرابات الاجتماعية وقعت فيها، باعتبارها مدينة متنوعة من حيث السكان، كما أن المسيحية بلغت فيها من القوة والشأن.

أما المنهج المعتمد فهو المنهج التاريخي، الذي يمزج بين الوصف من خلال رصد وتتبع الأحداث التاريخية، والتحليل قصد الوصول إلى تفسيرها والبحث عن الأسباب والعوامل المتحكمة في قيام الاضطرابات والاضطهادات وتبيان آثارها.

وبناء على ما سبق نجد أنفسنا أمام الإشكالية التالية:

فيما تمثلت الاضطرابات الاجتماعية بمصر وماهي مراحل الاضطهاد الديني للمسيحيين خلال الحكم الروماني ؟.

ومن هذه الإشكالية الأساسية تتفرع عدة تساؤلات أخرى من أهمها:

- **ماهي الإجراءات الرومانية للسيطرة على مصر وتنظيمها؟ وهل كانت ولاية رومانية كباقي المقاطعات أم اختصت بتدابير ونظم خاصة؟.**
- **كيف كانت العلاقة بين مختلف عناصر المجتمع المصري؟ وما أثرها على سير الحياة والأحداث في مصر؟**
- **ما سبب الاضطرابات الاجتماعية والصراعات المتتالية بين اليهود والإسكندريين ؟ وما هي السياسة التي اتبعها الرومان لإنهاء هذه الاضطرابات؟ وهل تمكنوا من السيطرة على مجتمع متصارع ومتنوع الأعراق ؟ .**
- **ما هو السبب الحقيقي للثورات الجامحة لليهود والمصريين في عصري تراجانوس وماركوس أوريليوس؟ وما هي نتائجها وآثارها ؟**
- **كيف دخلت المسيحية إلى مصر وكيف انتشرت بها؟ وما موقف السلطة الرومانية اتجاهها؟**
- **ما سبب اضطهاد السلطة الرومانية للمسيحيين عامة وفي مصر بوجه خاص؟ هل كان الغرض من الاضطهاد هو أن يكون إجراءا مضادا للمسيحية أم أن الدافع وراءه كان سياسيا؟.**
- **ماهي الدوافع إلى إصدار مرسوم ميلان وإنهاء الاضطهاد؟. وفيما تكمن آثار ونتائج سياسة الاضطهاد على المجتمع المسيحي وعلى الدولة؟.**

ولدراسة الموضوع قمت بوضع خطة متكونة من مقدمة ومدخل وخمسة فصول أساسية، وذلك للإجابة على التساؤلات المطروحة، والوصول للأهداف المرجوة والخروج بنتائج.

سأتطرق في **المدخل** إلى أوضاع مصر قبل الحكم الروماني وأثناءه، حيث تحولت مصر من حكم البطالمة إلى ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية عام 30 ق.م، وكانت المعركة التي حسمت مصيرها هي معركة أكتيوم البحرية، وهذه المعركة لا تمثل في الواقع إلا مرحلة أخيرة من مراحل تطور العلاقات بين روما ومصر، وتتبع أدوارها المختلفة بسرد مختصر وعرض سريع لتطور العلاقات، والتي أدت في الأخير لضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية؛ ثم تطرقت إلى وضع مصر أثناء الحكم الروماني، وذلك لمعرفة نظم الحكم والإصلاحات التي أدخلت إليها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية وكذلك الإدارية.

أما **الفصل الأول** فخصصته "**للأوضاع الاجتماعية في مصر في ظل الاحتلال الروماني**"، حيث سأدرس فيه الفئات والعناصر الاجتماعية وطبقاتهم مع التركيز على سكان مدينة الإسكندرية لما وقع فيها من أحداث وفتن، حيث تشكّل شعبها من أجناس عدة من مصريين وإغريق ورومان ويهود، تباينت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، كما سنتطرق إلى الجنود الرومان لكونهم الأغلبية الرومانية الموجودة في مصر ويمثلون العنصر الحاكم، وسنلقي نظرة أيضا على حقوق المواطنة والمجالس والبوليتوميا التي عن طريقها ينظمون شؤونهم ويمارسون دينهم بحرية، ثم بحثنا في العلاقات بين الإسكندريين واليهود، التي نتجت عنها العديد من الصراعات والمعارك خلال فترات متتالية من حكم الأباطرة، وذلك بذكر أهم الأسباب والعوامل المحركة لهذه الاضطرابات .

وحاولت في **الفصل الثاني** دراسة "**القلاقل الاجتماعية ورد فعل السلطات الرومانية**"، حيث تطرقت إلى بداية الاضطرابات الاجتماعية بين السكان، وماهي سياسة الحكومة الرومانية في مواجهة هذه الاضطرابات، وخاصة في مدينة الاسكندرية لكثرة القلاقل فيها والصراع التقليدي بين الإغريق واليهود بداية من عام 38 م إلى 41 م ثم سنة 66 م، ناهيك عن ثورة اليهود الكبرى ما بين 115-117 م، والتي ألحقت بمصر دمارا هائلا في عهد الإمبراطور تراجانوس وهادريانوس، بالإضافة إلى ثورات المصريين عام 172 م نتيجة السياسة الرومانية المنتهجة، كما سنتعرض لآثار هذه الثورات ونتائجها.

وركزنا في **الفصل الثالث** على "**الأوضاع الدينية في مصر تحت الحكم الروماني**"، سواء ما يتعلق بالعبادة الوثنية وعبادة الإمبراطور أو ببداية المسيحية ومقدمات ظهورها في مصر والعوامل التي ساهمت في انتشارها، وكذلك سنتطرق إلى إنشاء الكنائس والمدرسة اللاهوتية التي كان لها دور في التعليم ونشر المسيحية إلى أن تطورت إلى معهد علمي للدراسات اللاهوتية، كما تطرقت إلى البرديات المكتشفة في مصر التي تدل على وجود مجتمع مسيحي، دون أن ننسى أسباب الاضطهاد الديني الروماني للمسيحيين.

وبالنسبة "**لحركة الاضطهاد الروماني للمسيحيين في مصر**" ففصلنا أحداثها **بالفصل الرابع**، حيث يعتبر الاضطهاد من الأحداث الدينية المهمة التي شهدها ذلك العصر، ويعرف أن المسيحية شهدت في بداياتها الأولى اضطهادا شديدا، لأن الحكومة الرومانية نظرت إلى المسيحيين باعتبارهم فئة تهدد أوضاع الإمبراطورية وكيانها، وهو ما دفعني لدراسة مختلف مراحل الاضطهاد وأشدها على المسيحيين والكنيسة، وحاولت تحليل مختلف مراسيم الأباطرة، وموقف السلطة الرومانية اتجاهها منذ

ظهورها إلى غاية عهد قسطنطين الأول.

وفيما يخص **الفصل الخامس** فتحدثت فيه عن "**آثار الاضطهاد الروماني والاعتراف بالمسيحية**"، وحاولت استخلاص النتائج المترتبة عن الاضطهاد على المسيحيين والكنيسة، والمتمثلة في زيادة قوة المسيحية وانتشارها وظهور حركة الرهبنة والأديرة التي اشتهرت بها مصر، وكذلك تطرقت إلى سياسة الإمبراطور قسطنطين الأول اتجاه المسيحية، وأثرها على الكنيسة والدولة؛ هذا وسنعمل في هذا الفصل على إبراز مصير الكنيسة بعد الاعتراف بالمسيحية، ومدى قدرتها على حل مشاكلها التي ساهمت في زيادة الخلافات المذهبية التي انطلقت من الإسكندرية.

ولإنجاز هذه الدراسة وتحليلها تحليلا موضوعيا علميا، بغية الوصول للأهداف المرجوة والحصول على النتائج المتوخاة، سأعتمد على مجموعة من المصادر الوثائقية، الأدبية والمراجع من أهمها:

1) المصادر الوثائقية:

عثر في مصر على عدد كبير من **أوراق البردي** ، وتعتبر مصدرا مهما لدراسة الأحوال والأوضاع الاجتماعية والدينية لمصر، وقد كونت صورة لا بأس بها عن سكان مصر في الفترة الرومانية، ساهمت في سد الثغرات المعلوماتية وما كان غامضا في المصادر الأدبية، حيث أنه ظهر منذ القرن الثاني الميلادي في مصر كتابات مسيحية على جانب كبير من الأهمية، فقد حفظت لنا أوراق البردي نصوصا من الأناجيل والكتابات المسيحية المبكرة، ولكن للأسف تعذر علينا الاعتماد عليها مباشرة بل نقلا عن مؤرخين مصريين، الذين قاموا باستقصاء واستقراء المعلومات التي بها، حيث أصبح هناك علم حديث متخصص هو "علم البردي" (Papyrology)، وقد استفدنا من رسالة كلوديوس للإسكندريين سواء ما يتعلق بالاضطرابات الاجتماعية أو بتتبع بداية التبشير بالمسيحية، وتعتبر من الوثائق الرومانية الرسمية المتعلقة بمصر وبدايات المسيحية بها.

2) المصادر الأدبية:

لا مفر من الحديث عن الفترة الرومانية في مصر إلا من خلال كتابات المؤرخين المعاصرين للأحداث أو اللاحقين، من مؤرخين ومفكرين وآباء الكنيسة، مع ضرورة الاحتياط في التعامل مع هذه الكتابات وفهم السياق والدوافع لدى كل طرف من الأطراف، ومن أهم مصادرنا التي اعتمدنا عليها في النقاط الرئيسية لدراستنا:

أ) الكتاب السابع عشر "**Geographie**" للجغرافي الإغريقي "**سترابون**"، فقد عاش في فترة حكمي الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس وتيبريوس، إلا أن كتابته هي نوع من الجغرافية التاريخية، حيث يعتبر كتابه من أهم المصادر لتلك الحقبة، وكان مطلعا على الأحوال والتغيرات التي أقيمت مع ميلاد الإمبراطورية، وكان قد حضر إلى مصر حوالي 24 ق.م وأقام بها أربع سنوات، ويعتبر وصفه لمصر ولمدينة الإسكندرية بالذات من أهم مصادر معلوماتنا عن الأوضاع فيها بتلك الفترة، وبالتالي نرى أهمية كتاب سترابون كمصدر تاريخي للفترة الأولى من قيام الإمبراطورية الرومانية، فأفادنا أكثر في المدخل في تنظيمات أوكتافيوس أغسطس في مصر في الجانب العسكري والاقتصادي، كما له الفضل في نقل بعض أعمال المؤرخ "**بوليبيوس**" الذي زار الإسكندرية أواخر العهد البطلمي وأعطى لنا تقسيما لسكانها.

ب) كتاب تاريخ اليهود "**Antiquités Judaique**" وضد أبيون"**Contre Apion**" للمؤرخ اليهودي "**فلافيوس يوسيفيوس**"، الذي كُتب في النصف الثاني من القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي، ولكن اهتمامه كان منصبا على اليهود وتراثهم، فتحدث كثيرا عن تاريخهم وحياتهم المختلفة في الإسكندرية، فاستعنت به في الفصل الثاني حول الاضطرابات الاجتماعية وثورات اليهود، وتعتبر الأجزاء الأخيرة من كتابه حرب اليهود من المصادر التي تلقي الضوء على العلاقة بين اليهود والرومان، وعلى الرغم من تحيزه إلى بني قومه إلا أن مؤلفاته ذات قيمة تاريخية.

ج) كتاب ضد فلاكوس "**Contre Flaccus**" والمعنون أيضاً من قبل بعض المترجمين بالعناية الإلهية "**de la Providence**"، وكتاب مفوضية جايوس أو الفضائل "**Légation a Caïus ou Des Vertus**"، للفيلسوف اليهودي الإسكندري "**فيلون**"، الذي يعد أكبر ممثل للمفكرين اليهود، وهو من أهم مصادرنا حول الاضطرابات الاجتماعية في الإسكندرية التي اندلعت في عهد كاليجولا، وذلك باعتباره شاهد عيان وأحد سكان المدينة ، وقد وصف لنا بالتفصيل معاناة اليهود من ظلم وتعذيب من طرف الإغريق، وقد تحدّث عن السفارة التي أرسلها اليهود إلى روما باعتباره كان هو على رأسها.

د) أما من أهم مصادرنا عن الاضطهاد والمسيحية، الأسقف "**يوسيبيوس القيصري**" أسقف قيصرية بفلسطين، الذي يستحق شرف كونه المؤرخ الأول للكنيسة، فلقد كان أول من طور لاهوت التاريخ السياسي، ومن أهم أعماله "**التاريخ الكنسي**" **The Ecclesiastical History** "، حيث يؤرخ بالتفصيل للتاريخ المتشابك للكنيسة المسيحية والدولة الرومانية، ولكن من السهل أن نفترض أن المصادر المسيحية كانت دائما مع الطرف المتلقي للقمع والاضطهاد، فقد جعل هذا الاضطهاد موضوعا

رئيسيا في تاريخه الكنسي؛ بالإضافة إلى كتابه حياة قسطنطين "**Life of Constantine**"، الذي اعتمدنا عليه في الفصل الخامس، خاصة وأنه تحدث عن إجراءات قسطنطين في الاعتراف بالديانة المسيحية، وإرجاع ممتلكات الكنيسة وحقوق المسيحيين، وتكمن أهمية كتابات يوسيبيوس في كونه كان مقربا من الإمبراطور قسطنطين الأول.

3) المراجع :

أ. كتاب "**اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان**" للكاتب "**مصطفى كمال عبد العليم**"، يعد الكتاب الوحيد المتخصص في تاريخ اليهود بمصر في العهد الروماني، هذا الكتاب قيّم جدا، استفدت منه كثيرا خاصة في الفصل الأول والثاني،وقد تحدث بشيء من التفصيل عن يهود الإسكندرية ومصر وأوضاعهم، ومختلف مظاهر حياة جاليتهم وتنظيمها الداخلي وعن حقوق المواطنة بتفاصيلها، كما شرح بالتفصيل صراعهم مع الإغريق في اضطرابات متتالية، وثورتهم الكبرى ضد الرومان.

ب. كتاب "**الشرق الأدنى في العصرين الهيلينستي والروماني**" للكاتب "**أبو اليسر فرح**"، اعتمدنا عليه بكثرة في المدخل والفصل الأول والثاني، خاصة فيما يتعلق بالبدايات الأولى للاحتلال الروماني وإجراءات الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس لإحكام السيطرة على مصر، إضافة إلى نظام الحكم والتنظيمات التي أدخلت عليها من ناحية إدارة السلطة المركزية والإدارة المحلية وأهم الوظائف التي تساعد الحاكم في إدارة الولاية، والسياسة المالية والاقتصادية للرومان، وكذا في ما يخص الطبقات الاجتماعية في مصر، والضرائب المختلفة التي فرضت على السكان، وكذا في الاضطرابات ونتائج ثورة اليهود الكبرى.

ج. كتاب "**الإسكندرية القديمة التاريخ والحضارة** " للكاتب "**أحمد غانم حافظ أحمد**"، رجعنا إليه لكثرة معلوماته عن الطبقات الاجتماعية في مصر وتصنيفها من ناحية المكانة والامتيازات، وخاصة طبقة الرومان والإسكندريين والإغريق والمصريين، كما أنه فصَل في الصراع بين اليهود والإغريق بالإسكندرية عام 38 م، وهو ما ساعدنا في التعرف على الأحداث والقدرة على تحليلها.

د. كتاب "**الحياة في مصر في العصر الروماني 30 ق.م– 284 م**" للكاتب "**نافتالي لويس**"، وتعود أهميته لاعتماده بكثرة على الوثائق البردية، فيسّر لنا مهمة الحصول على معلومات عن الجنود الرومان في مصر، وتفاصيل مهمة عن المهن والنظام الضريبي، فاستعنت به في التعرف على بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية ونظام الزواج في المجتمع المصري وضوابطه، وكذا عن الحياة الاقتصادية والدينية للسكان التي كانت غير متوفرة بالمراجع الأخرى، وكذا عن ثورة الرعاة المصريين عام 172 م .

هـ. كتاب "**مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**" للكاتب "**أحمد علي عبد اللطيف**"، تحصلت منه على معلومات عن السفارتين الإسكندرية واليهودية إلى الإمبراطور كاليجولا عام 40 م، وكذلك عن الاضطرابات التي حدثت في عهد الإمبراطور كلوديوس عام 41 م، واستفدنا منه بتحليله لخطاب كلوديوس للإسكندريين، وكذلك ما أورده عن الاضطرابات التي حدثت عام 66 م، وعن ثورة اليهود الكبرى عام 115 م.

و. كتاب "**تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية– القبطية–**" للكاتبة "**ليلى عبد الجواد اسماعيل**"، وقد استندنت عليه في دراسة البدايات الأولى للمسيحية بمصر وعواملها وطرق انتشارها، وعن أول اضطهاد رسمي للمسيحيين في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس عام 202 م، وحول مرسوم ميلان عام 313 م.

ز. كتاب "**جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية**" للكاتب "**محمد السيد محمد عبد الغني**"، تحدّث عن المسيحية في مصر بتحليله الوثائق البردية، ولذلك حاولنا التركيز عليه في الفصل الرابع حين تناولنا الجدل بين مفكري المسيحية وبراءات الولاء والشهادات المزورة، ومشكلة الارتداد في عهدي ديكيوس ودقلديانوس.

ح. كتاب دليل أكسفورد لمصر الرومانية – الهوية في مصر الرومانية "**The Oxford Handbook of Roman Egypt-Identity in Roman Egypt**" للكاتبة كاتلين فاندورب "**Vandorpe Katelijn**"، أخذنا منه الكثير مما يتعلق بالسكان سواء كانوا مصريين أو مواطنين رومان وإسكندريين، وكذلك عن اليهود وكيفية الحصول على المواطنة الرومانية.

ط. كتاب الشتات المتوسطي من ألكسندر إلى تراجان " **Mediterranean diaspora from Alexander To Trajan** " للكاتب جون مارتن غارلي باركلي "**John M.G. Barclay** "، أفادنا خاصة في الفصل الثاني، وما يخص فئة اليهود في الاسكندرية وصراعهم مع الإغريق عام 38 م، ومختلف الأحداث المتعلقة بهم، وكذا ما تضمنته رسالة كلوديوس لليهود.

إضافة إلى مراجع أخرى هامة في موضوع الدراسة، ومقالات متخصصة درست مختلف جوانب الموضوع بدقة، اعتمدنا عليها بشكل متفاوت وساهمت بإثراء الموضوع، وساعدتنا في فهم وتتبع مختلف جوانب الدراسة.

وكأي باحث يقوم بالبحث العلمي أن يمر بصعوبات تعترضه، ومن أهمها عدم تمكننا من الحصول على بعض المراجع المتخصصة في الموضوع سواء باللغة العربية أو الأجنبية وهي غير متوفرة إلكترونيا، ولا حتى بعض الدراسات السابقة التي درست الموضوع والموجودة بمصر وبالإسكندرية لكونها غير منشورة.

كما أن دراسة أي مجتمع ما ليس بالأمر السهل والميسور والذي يتطلب دراسته الكثير من الأبحاث والدراسات والإحصاءات التي تفيد في دراسة أية مجتمع، كما أن تاريخ مصر في العهد الروماني سواء ما تعلق بالمجتمع أو المسيحيين يتطلب العودة إلى الوثائق البردية والإنجيلية التي اكتشف العديد منها في مصر، والتي تعتبر مادة وثائقية مهمة تعكس صورة عن الأوضاع بتفاصيلها بعيدا عن الجانب الرسمي، ولكن تكمن الصعوبة في هذه الوثائق أولا في اللغة فهي مكتوبة باللغتين الإغريقية أو اللاتينية، وثانياً أن هذه الوثائق غير متاحة للجميع وبعضها موزّع في بلدان أخرى غير مصر.

مدخل:

الاحتلال الروماني لمصر وضعها للإمبراطورية الرومانية

أولا: مصر ولاية رومانيـــــــة.

ثانيا: نظـــــام الحكم والإدارة.

ثالثا: تنظيم ولايـــــــة مصر.

أصبحت مصر ولاية ضمن مجال الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك بعد سلسلة من الظروف والمراحل التي أثرت على سير الأحداث ووقائعها، والتي كان من نتائجها هو الاحتلال الروماني لمصر، لذلك سندرس ضمن هذا الجزء من الدراسة على مراحل العلاقات الرومانية والمصرية والظروف التي كانت قبل الاحتلال، ومن ثم ندرس مصر كولاية رومانية والتنظيمات التي أدخلت عليها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

أولا: مصر ولاية رومانية:

1. الظروف والمقدمات:

إن دراسات ظروف ومقدمات الاحتلال الروماني لمصر يستلزم منا العودة إلى ذكر الوقائع والأحداث التي كانت في مصر قبيل هذه الفترة-أي فترة الحكم البطلمي-[1]، وتتبع العلاقات التي كانت بين روما ومملكة البطالمة التي سنذكرها في إطار محدد ومختصر، ولذلك يمكن القول أن هذه العلاقات مرت بثلاثة مراحل:

أ. المرحلة الأولى:

ترجع العلاقات الأولى بين مصر وروما الأولى إلى القرن الثالث قبل الميلاد في عهد الملك بطلميوس الثاني، حيث أرسل بعثة إلى روما عام 273 ق.م، ثم تلتها بعثة من روما إلى الإسكندرية، وقد أدى هذا التبادل الدبلوماسي إلى إقامة علاقات ودية بينهما[2].

---

[1] **البطالمة**: هي أسرة مقدونية حكمت مصر، فبعد وفاة الإسكندر الأكبر تقرر في مؤتمر بابل تقسيم ولايات الإمبراطورية بين كبار قادة الجيش ليقوموا بإدارتها، فكانت مصر من نصيب بطلميوس بن لاجوس (323-284 ق.م)، الذي كان ينتمي لإحدى العائلات المقدونية النبيلة ومن أصدقاء الإسكندر الأكبر المقربين، فدعم مكانته في مصر وأسس مملكة البطالمة، وتكونت سلالته من 15 ملكا جميعهم حملوا اسم بطليموس، وكان مقر الحكم العائلة المالكة في الإسكندرية، ومن أهم الخصائص التي تُميّز البطالمة عن الممالك الأخرى في العصور القديمة هي أن الملكة كان لها موقع مهم للغاية في تمثيل السلالة، فنجد من القرن الثاني قبل الميلاد حكم بعض الملكات لمفردهن كما هو الحال في: كليوباترا الثانية، كليوباترا الثالثة وكليوباترا السابعة، وانتهى تاريخ الأسرة في 30 ق.م وأصبحت مصر مقاطعة رومانية. أنظر:

أبو اليسر فرح، **الشرق الأدنى في العصرين الهيلينستي والروماني**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت، ص ص44، 45؛

Stefan Pfeiffer, **The Ptolemies: Hellenistic Kingship in Egypt**, 2016, https://www.oxfordhandbooks.com

[2] Bernard Legras, **Les Romains en Égypte, de Ptolémée XII à Vespasien** , Pallas, Vol 96, 2014, p2.

وكانت روما آنذاك قد انتهت من سيطرتها على شبه الجزيرة الإيطالية ودخلت قواتها "تارنتم" (Tarentum)- تارنتو حاليا- ، ومما لا شك فيه أن هناك اعتبارات سياسية واقتصادية دفعت الطرفين لإقامة علاقات بينهما، ومع بدايات القرن الثاني قبل الميلاد ازدادت العلاقات التجارية أكثر بين مصر وروما، بحيث كان يوجد الكثير من التجار الرومان بالإسكندرية[1]، ويذكر ريتشارد ويستال[2] (Richard Westall) أنه لا تزال هناك إشكالية حول سبب بدء العلاقات الدبلوماسية التي أدت إلى أول تحالف بين الرومان والملك بطليموس الثاني، وبالطبع أنه كان للطرفين دوافع خاصة غير متطابقة، ولكن ما يهم هو أنهما كانا ينظران لعلاقة الصداقة أنه ستجلب فائدة لكليهما.

ويذكر تيتوس ليفيوس[3] أن العلاقات الطيبة بينهما بدأت بإرسال الرومان إلى بطلميوس الخامس بعثة من ثلاثة سفراء: كلوديوس نيرون (C.Claudius Néron) وأميليوس ليبدوس (M. Aemilius Lépidus) وسومبرونيوس توديتانوس (P. Sempronius Tuditanus) وإعلانهم هزيمة القرطاجيين، معربين عن شكرهم له عن موقفه في الحرب آملين أن يبقى وفيا لهم في حربهم ضد فيليب الخامس.

وتعبيرا عن حسن نواياه قام بطلميوس الخامس بإرسال بعثة إلى روما، وبأنه على استعداد لتلبية طلب أثينا في معونتها ضد تهديدات ملك مقدونيا فيليب الخامس إذا ما وافق الرومان على ذلك[4].

واستمرت العلاقات بعد ذلك بين مصر وروما، لكن لم تتعد حدودها التجارية الضيقة حتى انتهت روما من حروبها مع قرطاج، ومنذ عهد بطلميوس الخامس أخذت هذه العلاقات تتخذ مظهرا جديدا[5]، وبدأت توجه اهتمامها في التدخل في الشؤون المصرية المتعلقة بدعم مصر لردع السلوكات التوسعية والعسكرية عن أطماع حكام سوريا[6] في ممتلكات مصر، والسيطرة على النصف الشرقي للبحر

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص234، 235.

[2] Richard Westall, **Rome and ptolemaic Egypt: initial contacts**, Aegyptiaca et coptica. studi in onore di sergio pernigotti, publishers of British archaeological reports, England, 2011, p356.

[3] Tite Live, **Œuvres de Tite-Live Histoire Romaine**, Collection des auteurs latins sous la direction de M. Nisard, Tome II, Firmin Didot, Paris, 1869, XXXI, II, 2-4.

[4] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص236.

[5] Richard Alston, **Soldier and society in roman Egypt: a social history**, Routledge, London, 2002, p10.

[6] تم عقد اتفاقية للتحالف بين فيليب الخامس ملك مقدونيا وأنتيوخوس الأكبر ملك سلوقيا لاقتسام ممتلكات مصر الخارجية فيما بينهما، وفتحت الأحداث السياسية والحربية التي تمخضت آخر الأمر عن إذلال مقدونيا ثم سلوقيا أقوى دولتين في العالم الهيلينستي عندئذ وانتصار روما، وكان ذلك سببا في وضع مصر ثالث هذه الدول قوة تحت الحماية الرومانية، وأصبحت تتدخل في شؤونها في

المتوسط، ووجدت روما نفسها مدفوعة في سبيل المحافظة على قوتها الجديدة إلى التدخل لوضع حد لنشاط هؤلاء الحكام، ونتيجة لهذا بدأت مصر تعرف روما لا كنظير لها يقف معها على قدم المساواة ولكن كقوة كبرى في المنطقة[1].

ب. المرحلة الثانية:

انتقلت في هذه المرحلة العلاقة بين مصر وروما إلى مرحلة جديدة، ونصّب الرومان أنفسهم أوصياء على مصر وبدأو يتدخلون في شؤونها الداخلية، وساعدهم على ذلك ظروفها الغير المستقرة والصراعات التي كانت بين أبناء البيت المالك، فقد صارت روما هي الملاذ الذي يحتمي به الملوك كلما واجهتهم مشكلة، فوجد الرومان في ذلك فرصة لإضعاف مملكة البطالمة وتقسيمها بين الإخوة المتصارعين أو الوقوف إلى جانب أحدهم في الوصول إلى العرش[2].

زاد الاهتمام الروماني بمصر وبدأ الساسة الرومان يتوجهون إلى الإسكندرية في زيارات ظاهرها تقوية أواصر الصداقة بين البلدين وباطنها التعرف على أحوال مصر الداخلية، فقد شهد عام 140- 139 ق.م وصول بعثة رومانية على رأسها القائد سكيبيو أيميليانوس الثاني(Scipio Aemilianus)، وخلافا لقواعد البروتوكول سارع الملك بطلميوس الثامن لاستقبال القائد الروماني في الميناء، لأنه كان يعول على الرومان في البقاء على العرش وبفضل ما صارت عليه مكانتهم في مصر[3].

إن الزيارة التي قام بها سكيبيو إلى مصر لم تكن لمجرد حل النزاع الأسري البطلمي، ولكنها كانت جزءا من جولة كلفه بها مجلس الشيوخ ليتفقد أحوال الممالك الواقعة شرق البحر المتوسط، فعاين الإسكندرية بمينائها ومنارتها، بل أبحر إلى النيل حتى منف ورأى الحقول الغنية بالمحصول، مما ساعده على

عهد الملكين فليوميتور وإيواجتيس الثاني. أنظر: عاصم أحمد حسين، **نشأة المسألة المصرية في السياسة الرومانية 80–51 ق.م**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الأول، 1951، ص2.

[1] لطفي عبد الوهاب يحي، **دراسات في العصر الهيلينستي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص221.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص237، 238، ولمعرفة التفاصيل حول الصراع بين أمراء البطالمة حول العرش والتدخل الروماني أنظر: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص223-225؛

Monica Aneni, **Politics of the ptolemaic dynasty**, a new journal of African studies, VoL 12, 2016, pp156-165

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص241.

معرفة القيمة الاقتصادية لمصر وكيف يمكن أن تصبح موردا هاما من موارد الإمبراطورية الرومانية[1].

وقد أظهر الرومان الانبهار المتنامي بمصر والنيل وآلهتها، ونختار مثالا على ذلك فسيفساء النيل الشهيرة من براينيستي (باليسترينا الحديثة Palestrina، إيطاليا)، والتي يعود تاريخها عادة إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، تصور منظرا رائعا لمصر خلال فيضان النيل السنوي، زينت في أرضية قاعة كبيرة مفعمة بالحيوية في هذه المدينة، ويتم ترتيب مشاهدها المتعددة التي تشير إلى حركة بين الشمال والجنوب أعلى النيل من الإسكندرية إلى إثيوبيا[2] [أنظر: **الصورة رقم 1**] [3] .

تواصلت زيارات الساسة الرومان لمصر ويبدو لنا ذلك واضحا من نص بردية يرجع تاريخها إلى عام 112 ق.م، تتضمن رسالة بعث بها أحد كبار الموظفين في الإسكندرية إلى أحد مرؤوسيه في مديرية أرسينوي – الفيوم–، يخبره فيها بوصول أحد أعضاء مجلس الشيوخ، ويطلب منه إعداد استقبال يليق بمكانته[4]. ويبدو أن هذه الزيارات هي التي أدت إلى معرفة الرومان بثروات مصر، وزادت من رغبتهم في الاستيلاء عليها بحجة التدخل في شؤونها الداخلية، وقد ساعدهم في ذلك اضطراب الأحوال بها[5].

---

[1] لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص225، 226.

[2] De Mary T. Boatwright, **Peoples of the Roman world**, Cambridge University Press, The United States of America, 2012, pp106, 107.

[3] يحتفظ المتحف الأثري الوطني بإيطاليا بهذه القطعة المتميزة عن البقية: هي فسيفساء قديمة تصور مشهدا حيا لنهر النيل، ويُعتقد أنها من إنتاج حرفيين إسكندريين، وهي من بين أروع فسيفساء العصر الهيلنستي المتأخر، يبلغ قياس الفسيفساء 20 × 13 قدما تقريبا (6 × 4 أمتار)، وتصور الفسيفساء مشهدا نيليا مغمورا بالمياه تسكنه الحيوانات الحقيقية والخيالية، والكهنة الذين يؤدون الطقوس في معابدهم الرائعة، وقد يمثل المشهد بأكمله خريطة حية للنيل،حيث يتدفق من مرتفعات إثيوبيا إلى الدلتا في البحر المتوسط.

كما تشمل مشاهد الجنود الإغريق بعضهم بالقرب من المعبد والبعض الآخر في وليمة أخرى، في الوسط تظهر المعابد المصرية، أحدها أمام مسلتين والآخر بين حصن، بعيدا (أي إلى الجنوب) تصبح المشاهد أكثر خيالا، مع أبي الهول ووحيد القرن والفهود وغيرها من الحيوانات والمناظر الطبيعية غير العادية، بما في ذلك الأقزام يقاتلون الرافعات، النيل في الفيضان يوحد الجميع ويقدم وفرة، في الوسط السفلي يصور معبد كبير شبيه بالقلعة على الطراز المصري مرفوعا على منصة، ويحيط بمدخله المركزي برجان كبيران من الصخور المميزة للمعابد المصرية، وأمام كل منهما تمثالان قد يمثلان أوزوريس وذراعيه متقاطعان على صدره، تحتوي التماثيل على رؤوسها أوراق اللوتس التي ترمز إلى التجدد، على مسافة أبعد يوجد صيادون على طول النيل بحيوانات برية وخيالية مختلفة. أنظر:

Nile Mosaic of Palestrina, https://www.atlasobscura.com/places/nile-mosaic-of-palestrina;
De Mary T. Boatwright, op.cit, pp107-109.

[4] البردية: **P.Tebt.33** نقلا عن أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص 241; Bernard Legras, op.cit, p4

[5] يبدو أن البطالمة الأواخر افتقروا إلى ما يسمى بالقيادة الفعالة، فسياسة القوة أن يعتبر الملك مصلحة بلاده أكبر بكثير من مصالح الممالك المجاورة، فالدولة التي تمارس موقفا دفاعيا وليس موقفا هجوميا كان الميل إلى إسقاطها من قبل الأمة التي تدير الاستراتيجيات الهجومية والدفاعية، فعندما مارس ملوك البطالمة الأوائل استراتيجية الدفاع والهجوم كانت النتائج واضحة فكانت مصر مزدهرة وامتدت

الصورة رقم 1: منظر عام لفسيفساء النيل

Nile Mosaic of Palestrina, https://www.atlasobscura.com/places/nile-mosaic-of-palestrina

ج. المرحلة الثالثة:

لقد ميز هذه الفترة من التدخل الروماني في شؤون مصر عدد من العوامل التي لم تظهر خلال المرحلة السابقة، أول هذه العوامل هو أن الأحداث في مصر بدأت تؤثر بشكل واضح في السياسة الرومانية وتستغل من طرف الأحزاب المتصارعة على الحكم داخل روما، فكل طرف يحاول الاستيلاء عليها، فبعد زيادة نفوذ القادة العسكريين أصبح توسيع حدود الإمبراطورية والمحافظة عليها مرتبطا بكفاءة

حدودها وأصبحت قوة يحسب لها حساب في تلك الفترة، فما شهدناه هو التدهور التدريجي لمصر الناجم عن الاقتتال الداخلي والقتل المستمر لأفراد الأسرة وذلك من أجل السلطة، وسياسة الاغتيال أضعفت وأفسدت مصر وجعلتها ضعيفة بحيث أصبحت روما تحكما في شؤونها. أنظر: Monica Aneni, op.cit, p166 ؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص243.

هؤلاء القادة[1].

نتيجة لذلك أصبحت مصر تلعب دورًا مهمًا في الصراع الحزبي في روما، ففي عام 65 ق.م تقدم الرقيب كراسوس بمشروع يقضي بفرض ضريبة سنوية على مصر، بحجة أن ملكها لم يتبع وصية الملك السابق الذي أوصى بالمملكة للرومان، ولكن هذا المشروع لم ينجح بسبب معارضة الخطيب شيشرون الذي كانت له علاقة جيدة مع القائد بومبي، ورأى أن نجاح كراسوس في تمرير هذا القانون يعد انتصارا للحزب الديموقراطي المضاد لبومبي، وفي العام التالي قدم الرقيب كراسوس كذلك إلى أحد نقباء العامة مشروعا، يقضي بضم مصر إلى الممتلكات الرومانية ولكن كان مصيره مثل سابقه، وكان من الطبيعي في ظل هذه الظروف أن يدرك هؤلاء القادة قيمة كفاءتهم الحربية في مجال مد النفوذ السياسي لروما، وأصبح ضم دولة مثل مصر إلى ولايات الإمبراطورية عملا يحقق المجد العسكري للقائد الذي يقوم به، كما يؤدي إلى التفوق السياسي له وللحزب الذي ينتمي إليه، كما أن ثروة مصر ومواردها ستصبح دعامة اقتصادية للحزب الذي سيستولي عليها[2].

وقد كانت هذه الفترة في عهد الملك بطلميوس الثاني عشر، الذي حصل على الاعتراف الروماني "صديق الشعب الروماني وحليفه"[3]، ولم يكد يمر عام على صدور هذا القرار حتى استولت روما سنة 58 ق.م على جزيرة قبرص، مما أدى إلى تحقيق الدولة الرومانية مكاسب كبيرة من ضم الجزيرة التي كانت آخر ما تبقى لمصر من ممتلكاتها الخارجية[4].

أثار موقف بطلميوس الثاني عشر المتخاذل شعب الإسكندرية، الذين سئموا استنزافه لأموالهم لإرضاء الرومان، فثاروا عليه فهرب الملك وتوجه إلى روما لطلب إعادته إلى العرش، وزاد الصراع الحزبي حول قضية إعادته إلى ملكه، كان من الممكن أن تصبح مصر ولاية رومانية منذ ذلك الحين بعد أن دخلت القوات الرومانية إلى الإسكندرية لإعادة الملك إلى العرش، ولكن الصراع بين الأحزاب الرومانية

---

[1] لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص226، 227.

[2] نفس المرجع، ص227؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص244.

[3] Bowman Alane k, **Egypt after The Pharaohs 332 bc 642 from Alexandre to The Arabe conquest**, library of congress catalloguing in publication data, United States of America, 1989, p33.

[4] Richard Westall, **The Loan to Ptolemy XII, 59-48 BCE,** Ricerche di Egittologiae di Antichità Copte, Vol 12, 2010, p28 ;

أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص245.

هو الذي أدى إلى تأخير هذه الخطوة، فكانت الفترة ما بين عام 55-51 ق.م من أصعب الفترات التي مرت بها مصر، وصار الرومان يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة في شؤونها، وفي عام 51 ق.م توفي بطلميوس الثاني عشر تاركا وصية أن تخلفه العرش أكبر بناته[1] **كليوباترا السابعة**[2] وأيضا إلى ابنه الأصغر بطليموس الثالث عشر والبالغ من العمر الثالثة عشر من العمر وأن يتزوج الاثنان، وقد كان والد كليوباترا قد أشركها في الحكم قبل وفاته عام 51 ق.م، ويلاحظ استئثارها بالحكم في البداية فوضعت صورتها منفردة على التماثيل والنقود، ثم ما انقلب الصراع على العرش بين كليوباترا وأخيها [3] عام 50 ق.م، حتى أنه تمت إشاعة أنها تسعى لقتل أخيها وتنفرد بالحكم مخالفة وصية والدها، مما أثار رجال الجيش ضدها ومحاربة أخيها تحت تأثير وزيره بوثينوس، الذي رفض أن تشارك كليوباترا إلى جانبه، وبتأثير كل من الوزير وشعب الإسكندرية قام بطليموس الثالث عشر بطردها من الإسكندرية[4].

ظهر على الساحة يوليوس قيصر للفصل في حل هذه الأزمة ما بين الأخوين والحضور شخصيا إلى الإسكندرية، بصفته قائد معين من طرف روما والمكلف بتنفيذ وصية الملك، وقد طلب من الرومان مراعاة هذه الوصية[5]، واستطاعت كليوباترا أن تستميله لجانبها، أما رجال القصر فقد استغلوا نفور شعب الإسكندرية من الرومان فأخذوا في تحريضهم ضد قيصر[6]، وقد تدهورت العلاقات بين كليوباترا وشقيقها بسرعة وبلغت ذروتها في حرب مفتوحة خلال الصراع المعروف باسم حرب الإسكندرية[7]،

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص245-247.

[2] **كليوباترا السابعة**: هي- الملكة الأكثر شهرة بين ملوك وملكات البطالمة، لدورها التاريخي المتفرد كآخر الحكام وما أعقبه من السيطرة الرومانية، ولدت عام 69 ق.م واشتركت مع أخيها الأصغر في الحكم، ثم فرت إلى سوريا لتعبئ جيشا هناك لتستعيد به العرش، وهناك قابلت "يوليوس قيصر"، ثم قتلت أخوها الأصغر مسموما إلى أن انتصر "أنطونيوس" وأتباعه فقدمت له الطاعة، وقد حظيت بمكانة كبيرة في الثقافة الشعبية العالمية بما كتب عنها من كتابات ومعالجات درامية ومسرحية. أنظر: محمود محمد كحيلة، **كليوباترا البطلمية في الثقافة العالمية**، دورية كان التاريخية، السنة الثانية، العدد 4، 2009، ص14.

[3] ابراهيم نصحي، **تاريخ الرومان (133-44 ق.م)**، ج2، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب،القاهرة، ص1973، ص642.

[4] جمال السيد أبو الوفا، **صورة كليوباترا في الأدب اللاتيني**، حوليات آداب عين شمس، العدد 4، المجلد 45، القاهرة، 2017، ص405.

[5] أحمد فيصل دلول اللهيبي، **الحكومة الثلاثية الأولى في بلاد الرومان دراسة تاريخية (59- 44 ق.م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير آداب في التاريخ القديم، جامعة بغداد، 2015، ص ص145، 146 ;

Richard Westall, op.cit, p25.

[6] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص247-249.

[7] ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط4، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ص305-308.

والذي انتهى في 47 ق.م بانتصار الملكة التي تزوجت بعدها بأخيها الأصغر سنا بطلميوس الرابع عشر[1].

بعد اغتيال يوليوس قيصر أصبح مصير مصر معلقا بما يحدث على الساحة السياسية في روما، التي شهدت حربا أهلية بين أنصار يوليوس قيصر وأنصار النظام الجمهوري، وقد تولى ماركوس أنطونيوس زعامة رجال قيصر، ولم يلبث أن شاركه القيادة أوكتافيوس ابن يوليوس قيصر بالتبني، ثم توترت العلاقات بينهما بسبب تحالف أنطونيوس وتقربه إلى كليوباترا[2].

بدأ أوكتافيوس بتحريض الرومان ضد أنطونيوس وأنه مجرد ألعوبة في يد هذه الملكة، وساهم ذلك في كراهية الرومان اتجاهها، وإشاعة نبوءة بأن روما سوف تسقط على يد ملكة، فتمكن أوكتافيوس من إصدار قرار يقضي بتجريده من كل سلطاته[3]، واندلعت الحرب أخيرا في 31 ق.م وأبحرت كليوباترا وأنطونيوس مع 500 سفينة وأكثر من 75000 رجل، واجتمعت القوتان في أكتيوم على الساحل الغربي لليونان، وستكون هذه آخر معركة بحرية كبيرة في تاريخ روما[4].

قضى الطرفان أشهرا في مواجهة بعضهما في لقاءات غير حاسمة، وكان الأسطول الذي نشره أوكتافيوس أكثر عددا من أسطول أنطونيوس، وبالتالي لم يكن لدى أنطونيوس أي أمل في الانتصار، فكان أن بادرت كليوباترا بالانسحاب التي وضعت المصالح المصرية أولا واختارت الفرار وأنقذت أسطولها، عندما بدت أن الأمور بدأت تسير بشكل غير جيد، لكن قرار أنطونيوس المتهور باتباعها كان خطأ، وسرعان ما استسلمت قوات أنطونيوس أمام أوكتافيوس الذي تمكن من إحراز النصر

---

(1) Van Wijlick Hendrikus, Antonius Margar, **Rome and Near Eastern kingdoms and principalities, 44-31 BC : A study of political relations during civil war**, for the qualification of doctor of philosophy ,Durham Theses, Durham University, 2013, p79.

(2) توترت العلاقات بين القائدين بإعلان أنطونيوس الزواج من كليوباترا وهو كان متزوجا بأخته أوكتافيا، واعترافه بأبنائها كأبناء شرعيين له، وزاد في تحديه لأوكتافيوس حين أعلن أن قيصرون ابن كليوباترا هو ابن شرعي ليوليوس قيصر، وبعد انتصاره في أرمينيا في عام 34 ق.م خالف العرف العام، الذي يقضي بإقامة مهرجان النصر في روما واحتفل في الإسكندرية واصفا كليوباترا بأنها الملكة أم الملوك. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص87؛

Violane Vanoyeke, **Les Ptolémées derniers Pharaons d'Egypt: d'Alexandre à Cléopatre**, éd Tallandier, Paris, 1998, pp311, 315.

(3) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص252، 253؛ De Mary T. Boatwright, op.cit, p114

(4) James Maynard, **The Light of Alexandria**, First Edition, Keen New Hampshire, USA, 2005, p133.

في موقعة أكتيوم عام 30 ق.م[1] .

أصبح الطريق إلى الإسكندرية ممهدا أمام أوكتافيوس الذي قسم قواته إلى قسمين: القسم الأول تحت قيادة كورنيليوس جالوس (Cornilius Gallus)، أما القسم الثاني فقد تولى قيادته بنفسه، وتقدم القسم الأول لدخول مصر من الغرب فاستولى على مدينة برايتونيون (مرسى مطروح حاليا)، وفي الوقت ذاته تقدم أوكتافيوس من الشرق فاستولى على بيلوزيون وتقدم نحو الإسكندرية، وفضلت كليوباترا الانتحار على أن يؤخذوها في موكب النصر إلى روما، وبموت آخر حكام البطالمة سقطت هذه المملكة بيد الرومان وتحولت مصر إلى ولاية رومانية[2] .

2. احتلال الرومان لمصر:

بحلول عام 30 ق.م أصبحت مصر ولاية رومانية بعد انهزامها في الحرب على يد القائد الروماني جايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس وهو أول إمبراطور روماني [أنظر: **الصورة رقم 2**]، والذي سجل في منشوره السياسي المعروف تاريخيا ب "**نقش أنقرة**" [3] أنه ضم مصر إلى إمبراطورية الشعب الروماني: "Aegyptum Imperio Populi Romani Adieci".[4]

بدأت مصر تكتب في السجلات الرسمية، نذكر من ذلك ما دونه أوكتافيوس أغسطس في وثيقته، وشرح معالم السياسة التي سينتهجها، ولخص فيها أعماله المجيدة في أوقات السلم والحرب، كما ذكر حروبه المختلفة ومن بينها حربه ضد كليوباترا، وكذا الشعوب والأجناس التي أخضعها، وأسهب في ذكر

---

(1) Carsten Hjort Lange, **The Battle of Actium: A reconsideration**, Classical Quarterly, 61/2, 2011, pp608-611.

(2) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص88؛

Plutarque, **Les Vies des hommes illustres : Vie d'Antoine,** Tome Quatrieme, Trad Alexis Pierron, Charpentier libraire éditeurs, Paris, 1853, XCIV.

(3) أحمد غانم حافظ أحمد، **عن الإسكندرية القديمة التاريخ والحضارة**، قدم له محمد السيد عبد الغني، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، 2013، ص95.

(4) هذا الاقتباس مأخوذ من الفقرة 27 في وثيقة أوكتافيوس التي يشار إليها ب (Res Gestae Divi Augusti)، ونص الوثيقة الكامل موجود على باب نصب أغسطس التذكاري المقام بروما، وعثر على النص كاملا أيضا في نسخة موجودة بأنقرة بتركيا، والتي كانت عاصمة إحدى الولايات الرومانية. وتوجد فقرات هذه الوثيقة مترجمة في كتاب عبد اللطيف أحمد علي. أنظر: أنظر: نفس المرجع؛ عبد اللطيف أحمد علي، **الإمبراطورية الرومانية**، كزيديه اخوان، بيروت، 1974، ص ص193-201.

الصورة رقم 2: الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس.

Jodie Martyndale-Howard, **Augustus Caesar and god, varying images of the first roman emperor**, Fresh perspectives on graeco-roman visual culture, proceedings of an international conference at Humboldt-Universität, Berlin, 2013, p79.

الألقاب[1] والوظائف التي تقلدها، ولم يغفل ما أحرزه من انتصارات في مصر، ولكن لم نحض منه إلا بإشارة عابرة ومقتضبة عن احتفاله بالنصر، لتخليد ذكرى ضمها إلى ممتلكات الشعب الروماني، وذكرها بشكل عام ضمن انتصاراته الأخرى[2] حين قال:

---

[1] أسهب أوكتافيوس أغسطس في ذكر الألقاب والوظائف المدينة والعسكرية والدينية التي أسبغت عليه تارة من مجلس الشيوخ الروماني أو من مجالس العامة منذ مطلع شبابه، وكانت من باب التكريم البحت وبعضها من واقع سلك الوظائف الروماني، فلقب بأب الوطن، ووكلت إليه رعاية الأخلاق العامة والعمل على محاربة الفساد، وإعادة عادات الأجداد التي توارثها الرومان. أنظر: زكي علي، **تاريخ مصر البطلمية بين المد في عهد الملوك الثلاثة الأولين والجزر في عهد كليوباترا السابعة**، د.ت، ص412.

[2] المرجع نفسه، ص ص410-412.

"وقد خضت حروبا أهلية وخارجية برا وبحرا في كافة أنحاء العالم كمنتصر عن المواطنين الذين طلب العفو"[1]، "وقد احتفلت بانتصاري مرتين في موكب صغير، وثلاث مرات في مواكب النصر الثلاثة الكبيرة[2]، التي أقيمت في ثلاثة أيام متتالية 13، 14، 15 من شهر أغسطس سنة 29 ق.م".

كما يقول سويتونيوس[3]:

"واحتفل بثلاث انتصارات منتظمة لانتصاراته في دالماتيا، في أكتيوم وفي الإسكندرية، كل ذلك في ثلاثة أيام متتالية".

في اليوم الأول من شهر أغسطس[4] عام 30 ق.م دخل أوكتافيوس الإسكندرية، وأصدر مجلس الشيوخ قرارا باعتبار هذا اليوم عيدا وطنيا، وتم سك عملة بهذه المناسبة كتب عليها عبارة: "**Aegypto Capta**" أي تم الاستيلاء على مصر[5].

وقد سكت هذه العملة في 28 ق.م بإيطاليا وشرق البحر الأبيض المتوسط، على وجهها يظهر أوكتافيوس كأول امبراطور وعلى الوجه الآخر صورة تمساح[6] ونقش اجيبتوكابتا "**Aegypto Capta**"،

---

[1] الإشارة هنا إلى عفوه عن أعدائه بعد معركة أكتيوم، ومن أجل ذلك منح عام 27 ق.م إكليلا من الغار لإبقائه على حياة المواطنين، ومع هذا فإنه لم يتردد في استعمال القسوة مع خصومه. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص195.

[2] كان موكب النصر الكبير يدخل فيه القائد إلى روما راكبا عربة حربية تجرها أربعة جياد، ثم يتجه فيه القائد إلى معبد جوبيتر فوق الكابيتول، ويقدم القرابين للإله، وكان السناتو هو الذي يمنح للقائد حق دخول روما وفق قواعد معينة، وكان يضم الموكب الحكام وأعضاء مجلس الشيوخ ونافخي البوق وغنائم المعركة وثيرانا قربانا، وكبار الأسرى وهم مقيدين بالأغلال ثم الحراس والقائد المنتصر، الذي كان يلبس كزي الملوك ويمسك بغصن الغار وصولجان وإكليل على رأسه، ويطلى وجهه باللون الأحمر، وأولاده يرافقونه في عربة النصر وجنود يهتفون من خلف عربته بالنصر. أنظر: نفس المرجع، ص ص197، 198.

[3] C. Suetonius Tranquillus, **The lives of the twelve Caesars**, English translation, publishing editor. J. Eugene Reed. Alexander Thomson, Gebbie & Co Philadelphia, 1889, XXII, 2.

[4] لم يكن شهر أغسطس قد سمي بهذا الاسم بعد، بل كان يعرف بالشهر السادس (Sextilis) وفقا للتقويم الروماني الذي تبدأ فيه السنة من شهر مارس، وقد أطلق عليه فيما بعد اسم أغسطس تكريما لأوكتافيوس الذي منح هذا اللقب (Augustus) عام 27 ق.م أي معناه المعظم. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص257؛

Noeĭ Desverges, Léon Renier, Edouard Carteron, **Complemẽnt de l'encyclopeédie moderne : dictionnaire abregée des sciences, des lettres, des arts, de l'industrie, de l'agriculture et du commerce**, tome 1, Firmin Didot Frères, Fils et Die, Paris, 1858, p170.

[5] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص257.

[6] لابد أن التماسيح كانت غريبة ومخيفة بالنسبة لشعوب العالم القديم، بالنسبة للرومان كان التمساح مألوفا أكثر كرمز لمصر، وظهوره على العملات الرومانية كان فيه إشارة إلى تلك المقاطعة.أنظر:

David Vagi, **Crocodiles on Roman coins most familiar as the emblem of the province of Egypt :** https://www.coinworld.com

[أنظر: **الصورة رقم 3**]، وقد تم إصدارها بعد أن هزم أوكتافيوس قوات كليوباترا السابعة وعزز سلطته في العالم الروماني[1].

الصورة رقم 3: عملة فضية بها نقيشة تبين استيلاء أوكتافيوس على مصر.

David Vagi, op.cit, https://www.coinworld.com

وخلافا لما كان متبعا فقد منع أوكتافيوس جنوده من نهب المدينة احتراما لمؤسسها الإسكندر الأكبر[2] المدفون فيها، وألقى على الإسكندريين خطبة تحدث فيها عن تقديره للحضارة الإغريقية، وكذلك عفوه عنهم وطلب منهم أن يرى جثمان الإسكندر الأكبر[3].

أما مقابر ملوك البطالمة فقد رفض زيارتها وأجاب أنه يرغب في رؤية ملوك وليس مجرد أموات، كما رفض

---

[1] David Vagi, op.cit, https://www.coinworld.com

[2] كان تأسيس مدينة الإسكندرية ناتجا عن حملة الإسكندر الأكبر على الشرق، حيث وصل إلى مصر أواخر نوفمبر 332 ق.م، ووضع أساسها على بعد بضعة أميال غربي النيل الكانوبي في 25 من شهر طوبة عام 331 ق.م، والذي يوافق 7 أفريل، ثم بدأ إصلاح التقويم المصري الذي أدخله يوليوس قيصر وطبقه أغسطس عام 30 ق.م، وأصبح يوافق 20 جانفي 331 ق.م. أنظر: محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص43.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص96؛ De Mary T. Boatwright, op.cit, p120

زيارة المعبود **العجل أبيس**[1]، وقال أنه يعبد آلهة وليس مجرد حيوانات[2].

وكتعقيب على ذلك يتبين أن رفض أوكتافيوس زيارة قبور ملوك البطالمة يعكس في نظر أبو اليسر فرح[3] كراهيته الشديدة للبيت البطلمي، وخاصة لآخر حكام هذا البيت كليوباترا السابعة، أما في نظر أحمد غانم حافظ أحمد[4] فإن ذلك يتعدى مجرد الكره، لأن أوكتافيوس في نظره شخصية عملية وتصرفاته ذات مغزى أكثر بعدا، فزيارته لمقبرة الإسكندر الأكبر دون بقية خلفائه إنما هو أمر يحمل نوعا من الدعاية السياسية، وكأنه يقول أنه انتصر على المنتصر الأعظم الذي كان صاحب الإمبراطورية، وأنه لا يقابل سوى المنتصرين أحياء كانوا أو أمواتا، أما رفضه زيارة مقابر ملوك البطالمة والمعبود "العجل أبيس" كلها إشارات موجهة في نظره إلى الإسكندريين وأنهم لم يعودوا مواطنين في دويلة مستقلة وهي الإسكندرية، لذلك فمن منطلق معرفته بطبيعتهم وضع فرقة عسكرية كاملة في حي نيكروبوليس (Necropolis) بالقرب من المدينة.

وفي نظرنا أن سياسة أوكتافيوس في مصر تتسم بالمعاملة الحسنة باعتبارها دولة تاريخية ومهمة جدا لروما اقتصاديا، فقد قام بالعفو عن الإسكندريين وعامل مدينتهم بإجلال باعتبارها المدينة التي بناها الإسكندر الأكبر ويوجد بها رفاته، وقام بزيارة مقبرته باعتباره قائدا حقق إنجازات كبرى ويعتبر قدوة بالنسبة للقادة الرومان، وبخصوص الإسكندريين لم يخف نظرته لملوكهم ورفضه زيارة قبورهم، وذلك من منطلق أنه أصبح الحاكم والإمبراطور الحالي الذي يحكم مصر، وليتخلى الإسكندريون عن نظرتهم أنهم يملكون الإسكندرية ويفتخرون بها، وبعلمه كذلك بطباعهم وقيامهم بأعمال الشغب ضد ملوكهم، وبالتالي لا تكون لهم كامل الحرية في التصرف في مدينتهم والخروج عن الحاكم الجديد.

---

[1] **العجل أبيس**: هو من الحيوانات التي قدسها المصريون وكان يرمز إليه بالقوة الجسدية والتفوق في النسل، ومن شروطه أن يكون أسود اللون مرقطا بدوائر بيضاء على جبهته وعنقه وظهره، وكان مركز عبادته في منف لذلك ارتبط بإلهها الكبير "بتاح" الذي كان على هيئة بشرية، وقد رفعه الكهنة إلى مرتبة الإله الخالق واكتسب شهرة واسعة ومكانة مرموقة بين الآلهة بل اعتبر إلها للأرض كلها، كما ارتبط أبيس "بأزوريس" ملك الموتى. أنظر: سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، دار العربي للنشر والتوزيع، 2002، ص ص525، 526.

[2] Dion Cassius, **Histoire Romaine**, traduite en français par E. Gros, tome septième, Librairie de Fermin Didot Frères, Fils et C^ie^, Imprimeurs de l'Institut, 1865, Paris, LI, 16.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص257.

[4] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص96، 97.

قام أوكتافيوس بوضع فرقة ثانية في وسط البلاد بالقرب من مدينة منف، وفرقة ثالثة بالقرب من طيبة التي كانت مهدا لثورات المصريين ضد البطالمة، كما وضع كتائب عند المواقع المهمة مثل سويني – أسوان الحالية– على حدود مصر الجنوبية، وبعض المراكز التجارية مثل كوبتوس – قفط الحالية– ومديرية أرسينوي–الفيوم حاليا–، وكذلك في موانئ البحر الأحمر، ولا بد أن المراكز الحدودية مثل بيلوزيون في الشرق وبرايتونيون في الغرب كان يوجد بها قوات لتأمينها[1] .

وكان في نظ أوكتافيوس أن غزو مصر يستكمل بالسيطرة الاقتصادية، لذلك أمر بإرسال حملة إلى بلاد العرب، فكانت تحظى الحملة العربية[2] بأهمية في سياسته، والسبب في ذلك هو اقتصادي بالدرجة الأولى، لأجل تأمين الموانئ المصرية والصحراء العربية والنيل إلى الطريق التجاري الذي يعبر البحر الإريتيري[3].

لم تكن مهمة تأمين مصر هي المشكلة الوحيدة التي واجهت أوكتافيوس، ولكن المهمة الأصعب هي إصلاح مرافق البلاد التي لحقتها الفوضى أواخر حكم البطالمة، لذلك فإنه قام بوضع نظام إداري محكم لتسيير البلاد، وبعد أن فرغ من تنظيم مصر عاد إلى روما، وفي الجلسة التي عقدها مجلس الشيوخ يوم 13 جانفي 27 ق.م ألقى أوكتافيوس خطبة مؤثرة أعلن فيها تنازله على كافة السلطات الاستثنائية وغير الاستثنائية التي منحها له مجلس الشيوخ خلال الحرب ضد كليوباترا، وأنه يضع نفسه في خدمة الشعب الروماني[4].

منح أوكتافيوس سلطة **الإمبريوم العسكري**[5](Imperium)، وهي سلطة تتيح له الحق في قيادة

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص259.

[2] بعد أن أصبحت مصر ولاية رومانية حرص الإمبراطور أوكتافيوس على بذل أقصى جهد لتأمين طرق التجارة الشرقية، التي كان يسيطر عليها العرب، فأمر حاكمه بتحضير حملة إلى بلاد العرب (اليمن)، فحشد الحاكم جيشا قوامه 10 آلاف جندي، وأرسل ملك الأنباط " عبادة الثالث" ألفا من جنوده للمشاركة في الحملة وعلى رأسهم وزيره "سيلاريوس" لإرشاد القوات الرومانية، استغرقت الحملة 6 أشهر حتى وصلت إلى سبأ وتم حصار مأرب، ولعدم توفر إمدادات المياه والغذاء فك الحصار عليها ففشلت الحملة وتم العودة إلى مصر. أنظر: نفس المرجع، ص ص267، 268.

[3] Lesquier Jean, **l'Armée romaine d'Égypte d'Auguste à Dioclétien**, le Caire imprimerie de l'institut français d'archéologie orientale, 1918, p9.

[4] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص259، 260.

[5] **الإمبريوم العسكري**: وهي السلطة التي تخول لأوكتافيوس قيادة الجيوش بهدف إدارة الولايات التي كان لايزال يصعب تحقيق السلام

القوات العسكرية، وكذلك مُنح لقب أغسطس ولقب إمبراطور الذي يعني القائد المنتصر، ولم يعد هناك منصب يتسع كافة السلطات، فقاده دهاؤه السياسي إلى ابتكار منصب جديد، فأطلق على نفسه لقب المواطن الأول (Princeps)، ومنح المزيد من السلطات حتى يحكم سيطرته على روما[1].

3. مصر ولاية متميزة:

تم تقسيم ولايات الإمبراطورية الرومانية بمقتضى الاتفاق الذي تم بين أوكتافيوس ومجلس الشيوخ، فأعطي لمجلس الشيوخ الحق في إدارة الولايات التي استقرت تحت الحكم الروماني، وهي الولايات التي عرفت باسم "الولايات السناتورية"، أما الولايات التي كانت تتطلب حزما في إدارتها أو تلك التي تتمتع بأهمية خاصة فقد كانت خاضعة لإدارة الإمبراطور، إلا أنه كان يمنح لنفسه الحق في التدخل في الولايات السناتورية إذا ما تطلب الأمر ذلك، وذلك بموجب سلطة الإمبريوم الأعلى (Imperium Maius) التي كان يتمتع بها، وهي سلطة تعلو على سلطة حكام الولايات، مثلما حدث عندما تدخل في ولايتي كريت وقورينة في عام 27 ق.م، [2]. والسؤال الذي يطرح ماهو موضع مصر في ذلك؟.

ثار جدل بين الباحثين حول هذا الأمر، حيث اعتبر البعض أن مصر لم تكن ولاية بالمعنى المألوف، بل كانت ملكية خاصة بالإمبراطور، وذلك حسب ما ورد في الوثيقة المشهورة التي تحتوي على ما قام به أوكتافيوس أغسطس من إنجازات، والتي ذكرناها سابقا والمعروفة باسم " أعمال المؤله" [3] أغسطس" (Res Gestae Divi Augusti)[4]، فقد ذكر مصر في هذا النص دون أن يقرنها بكلمة

فيها كإسبانيا وغالة وسوريا ومصر، وقد منحت له لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد، ولم يكن لديه حق استخدام هذه السلطة في الولايات السناتورية لكنه كان يتدخل في شؤون إداراتها عن طريق السلطة المدنية، وبهذه السلطة استطاع أن يركز السلطة العسكرية في يده أيضا، وهناك سلطة الإمبريوم الأعلى التي تمكنه من وضع حكام الولايات الرومانية الأخرى تحت تصرفه، وقد حرص أوكتافيوس على ألا يسلم هذه السلطة على الإطلاق. أنظر: العمري عبد النور، **سياسة روما الاقتصادية في مصر ما بين القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الرابع ميلادي (27 ق.م– 306م) والنتائج المترتبة عنها**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2009/ 2010، ص33.

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص260، 261.

[2] نفس المرجع.

[3] لقد وافق مجلس الشيوخ أن يرفع يوليوس قيصر إلى مصاف الآلهة، ومن هنا فإن أوكتافيوس أغسطس كان يوصف بابن الإله (Divi Filius) . أنظر: نفس المرجع.

[4] P.A. Brunt, J.M. Moore, **Res Gestae Divi Augusti . the achievements of the divine Augustus.**

نقلا عن: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص261.

(Provencia)، فقال: " **لقد أضفت مصر إلى ممتلكات الشعب الروماني** " (Aegyptum Imperio Populi Romani Adieci).

بينما جاء ذكر أرمينيا مقرونة بكلمة ولاية، كما أن النصوص الرسمية في عصر أوكتافيوس لم تصف مصر بكلمة ولاية[1]، في حين نجد ديون كاسيوس يذكر مصر من بين الولايات التي آلت إلى حكم أوكتافيوس إلى جانب سوريا وفينيقيا وقبرص[2].

ويرى فريق آخر من الباحثين أن مصر كانت ولاية عادية ويستندون إلى النص ذاته، ويرون أن النص واضح لا غموض فيه " **لقد ضممت مصر إلى سلطان الشعب الروماني**"، ولم يقل أنه ضمها إلى ممتلكاته الخاصة، والدليل أن مصر كانت ولاية رومانية عادية وأنها كانت تستغل لصالح الشعب الروماني، وأن دخلها لم يكن يدخل إلى الخزانة الشخصية للإمبراطور بل كان يدخل إلى خزانة الدولة الرومانية[3]، ويدعمون رأيهم بالكثير من النصوص القديمة التي وردت فيها مصر مقرونة بكلمة ولاية[4].

إن الأسباب التي أدت إلى إثارة الجدل حول وضع مصر في الإمبراطورية الرومانية، هو تلك النظم التي اختص بها أوكتافيوس أغسطس عن سائر الولايات، ومن المعروف أن التي كانت تتبع مجلس الشيوخ كان يتولى إدارتها حكام يتم اختيارهم في الغالب من بين القناصل السابقين، ويحمل حاكم الولاية لقب "قنصل سابق"(Pro Consul)، أما الولايات التي تتبع الإمبراطور كان حاكمها يعتبر مندوبا (Legatus) عن الإمبراطور، وكان يطلق عليه في بعض الأحيان مندوب أغسطس (Legatus Augusti)[5]

وهناك من يرى أن مصر كانت ولاية ولكنها من طراز فريد في الإمبراطورية وصاحب هذا الرأي المؤرخ آيدرس بل[6] حيث يقول:

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص261.

[2] Dion Cassius, LIII, 12.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص262.

[4] - C. Suetonius Tranquillus, **Divus Augustus**, XVIII,4 ;

- Tacite, **Œuvres Complètes**, avec la Traduction en Française, Publiée sous la direction DE.M.NISARD, CHez Firmin Didot Frères, Fils et C[ie] Libraires, Paris, 1869, I, 11.

[5] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص262.

[6] آيدرس بل، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي "دراسة في انتشار الحضارة الهيلينية واضمحلالها"**، نقلة إلى العربية وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص ص90-92.

" وبمقتضى التسوية التي تمت عام 27 ق.م كانت حكومة الإمبراطورية الرومانية من حيث الشكل– إن جاز لنا أن نستعمل مصطلحا شائعا اليوم– حكومة ثنائية، فلم يكن أغسطس إمبراطورا مطلق السلطة، وإنما كان بمثابة المواطن الأول في جمهورية حرة (Princeps Civitatis) ، وقد وزعت السلطة في الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ أو السناتو... هكذا كان النظام من حيث الشكل، ولكن جوهره كان مختلفا عن ذلك بعض الاختلاف، وليس من الدقة في شيء أن يقال كما يردد بعض الباحثين إن الولايات التي كانت تتطلب وجود حاميات عسكرية بها هي التي خصصت للإمبراطور، بينما خصصت للسناتو التي لم تتطلب ذلك، فقد سمعنا عن حكام الولايات السناتورية[1] يتولون قيادة الجيوش، وكان أغسطس يتمتع فوق ذلك بسلطة أكبر وأعلى (Maius imperium) من سواها كانت تخوله الاعتراض على أي سلطة أخرى في كافة أرجاء الإمبراطورية والتدخل أحيانا في شؤون الولايات السناتورية...ومهما يكن من شيء فقد كان على أغسطس لكي يحتفظ برضاء الجماهير أن يحقق شرطين وهما: ...الأمن الداخلي وضمان وصول المؤونة بانتظام إلى إيطاليا والعاصمة، وكان أهم مستودعين للغلال في الإمبراطورية هما إفريقيه ومصر، وكانت إفريقيه ولاية سناتورية، فقد استتب فيها الأمن منذ أمد بعيد ولا تتطلب وجود حامية عسكرية ضخمة فيها وأما مصر التي لم تفتحها روما إلا في وقت متأخر، والتي اشتهر شعبها بالميل إلى الشغب فكانت بحاجة إلى حامية قوية، لذلك وضع فيها أغسطس ما لا يقل عن ثلاث فرق رومانية...".

وبالتالي فأوكتافيوس أغسطس لم يجعل مصر ولاية مثل غيرها من الولايات الرومانية، وإنما جعلها ولاية من طراز فريد وأحاطها بنظام خاص، ووضع من الضمانات ما يكفل له دوام حكمها والمحافظة عليها فسن قوانين الحكم، ما جنبها الأخطار وأبعد عنها ذوي الأطماع، واقتصر اختيار الحكام والولاة عليها من طبقة الفرسان[2] الرومان، وحرم على طبقة مجلس الشيوخ وأعضاء البيت المالك في روما أن

---

[1] سلطة الأمبريوم هي التي خولت له ذلك، وكانت تسمى بروقنصلية (Proconsulaire) لأنه كان يمارسها بوصفه بروقنصلا أي حاكما على عدد من الولايات، ومن ثم فإنها كانت سلطة عسكرية لا تمارس إلا خارج روما، وكان نواب أغسطس من حكام الولايات التابعة له يحكمون بتفويض منه، وأما السلطة المدنية التي مارسها أغسطس فكانت السلطة التربيونية التي خولت له عام 23 ق.م بعد أن تنازل عن ترشيح نفسه للقنصلية نهائيا، وهذه السلطة منسوبة إلى كلمة "تريبون" أي نقيب العامة، حيث أن أغسطس منح سلطة نقيب عام 23 ق.م عوضا عن السلطة القنصلية، وبهاتين السلطتين: البروقنصلية العليا والتربيونية ضمن أغسطس السيطرة على الجيش من ناحية وعلى الشعب من ناحية أخرى. أنظر: آيدرس بل، المرجع السابق، ص91.

[2] لم يول أوكتافيوس أغسطس واحدا من طبقة مجلس الشيوخ لأنه لم يكن يثق بأفراد هذه الطبقة، الذين غدروا بيوليوس قيصر واغتالوه على الرغم من أنه كان كريما معهم وعفا عنهم بعد انتصاره في فارسالوس، وكان ينوي وضع البعض منهم في مراكز قيادته في الدولة، لذلك فإن أوكتافيوس عين على مصر حاكما من طبقة الفرسان.

تطأ أقدامهم أرض مصر بقصد زيارتها دون أن يحصلوا على إذن خاص منه بذلك[1]، خشية أن يغتنم أحد طموح هذه الولاية التي هي مفتاح البر والبحر ويسبب المجاعة لإيطاليا[2].

وقد وصف لنا ديون كاسيوس النظام الذي اتبعه أوكتافيوس في مصر بقوله[3]:

" من تلك اللحظة جعل مصر تدفع الجزية ووضع على رأس الحكومة كارنيليوس غالوس، ونظرا إلى ضخامة عدد سكانها سواء في المدن أو الأقاليم وحدّة طباعهم، وكذا وفرة القمح وثرائها فإنه منع السفر إلى مصر دون إذن منه...".

هذه الرؤية للمؤرخ ديون كاسيوس هي في الحقيقة تتلخص في أهمية مصر الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لروما، وتبرز أيضا وضع مصر في الإمبراطورية الرومانية، فقد جعلها أوكتافيوس أغسطس في وضع خاص أشبه ما يكون بالملكية الشخصية للإمبراطور[4].

يرجع الاهتمام الشديد الذي أولاه أوكتافيوس أغسطس لمصر لعدة أسباب وأولها السبب الاقتصادي، فقد كانت مصر تمد روما بثلث احتياجاتها السنوية من الغلال، وكان يخشى أن يتولى إدارتها أحد القادة الطموحين فيحاول الاستقلال بها[5].

ونظرا لأن مصر كانت بعيدة للوصول إليها بسبب ظروف الملاحة، فقد كان يخشى أن يتمكن أي رجل من رجال مجلس الشيوخ أن يسيطر عليها بعد أن يكتسب ولاء الجنود له بحكم حقهم في قيادة

وقد كانت طبقة الفرسان طبقة اجتماعية لا عسكرية كما يفهم من اسمها، وكانت تلي طبقة السناتو من حيث المركز والثروة، وكان الالتحاق بها مشروطا بامتلاك نصاب مالي لا يقل عن 400 ألف سستريوس، وقد تألفت في عصر الجمهورية من رجال المال والأعمال كملتزمي جباية الضرائب والصيارفة والتجار والمتعهدين، وبدأت تنافس طبقة السناتو منذ أيام جايوس جراكوس (122 ق.م)، وبقيام الإمبراطورية ازداد اعتماد الأباطرة على رجال طبقة الفرسان واستعانوا بهم في الديوان الإمبراطوري أو في قيادة الأساطيل. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص262؛ العمري عبد النور، المرجع السابق، ص34؛

(1) زكي علي، **كليوباترة سيرتها وحكم التاريخ عليها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لجنة البيان العربي، مصر، د.ت، ص156 ;

Piganiol, André, **Le statut Augustéen de l'Egypte et sa destruction**, Zeitschrift: museum helveticum, revue suisse pour l'étude de l'antiquité classique, Vol 10, 1953, pp197, 198.

(2) Tacite, **Annales**, II, 59.

(3) Dion Cassius, LI, 17.

(4) قديم الطيب، **التغيرات الاقتصادية في مصر الرومانية من نهاية القرن الأول ق.م إلى القرن الرابع ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة الجزائر 2، 2010/ 2011، ص88.

(5) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص263.

الجيوش، مما سيكون له عواقب بحرمان روما من مصدر هام للغلال، من أجل هذا قام أوكتافيوس أغسطس بإبعاد هذه الطبقة عنها وعين حاكم من طبقة الفرسان، وظلت هذه القواعد متبعة وصارت من أسرار دعم السيادة الإمبراطورية (Arcna Imperii)، وقد أثبت التاريخ بُعد نظره التي وضعها لحكمه، حيث استطاع الامبراطور فسباسيانوس الوصول لعرش الإمبراطورية بعد استيلائه على مصر عام 79 م[1].

وهناك سبب آخر إضافة إلى خوفه من طبقة مجلس الشيوخ من زيارتها، هو أن الزيارات الكثيرة التي يقوم بها ذوي المكانة الرفيعة التي يعد الحاكم في مرتبة أدنى منهم، قد يؤدي إلى إحراج الحاكم وإضعاف مكانته بين مرؤوسيه، لذلك حرص أوكتافيوس أغسطس على تأمين ولاية مصر، فوضع فيها قوات كبيرة العدد، كما وضع على رأس هذه الولاية كما ذكرنا ممن يضمن ولاءهم من طبقة الفرسان، وأعطاه لقبا وهو لقب حاكم (Praefectus)، فكان اللقب الرسمي هو حاكم مصر (Praefectus Aegypti)[2].

وحسما للجدل الذي أثير حول وضع مصر في الإمبراطورية الرومانية، وما إذا كانت ولاية عادية أم أنها من أملاك الإمبراطور، فإن مصر كانت ولاية رومانية مثل باقي الولايات الأخرى، وكان دخلها يذهب إلى خزانة الدولة العامة وليس لخزانة الإمبراطور الشخصية، ولكن نظرا لأهميتها الكبيرة فإنه عهد إلى الإمبراطور بأن يقوم بتعيين من يقوم بإدارتها باعتباره المواطن الأول في الدولة، ولأنه بدوره كان يدرك مدى أهميتها، لذلك اختصها بنظم خاصة فأصبحت ولاية رومانية متميزة[3].

---

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص103؛

Martin Goodman and others, **The Roman World, 44 BC-AD 180**, Psychology Press, London , New York, 1997, p266.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص263.

[3] آيدرس بل، المرجع السابق، ص90؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص263، 264.

ثانيا: نظام الحكم والإدارة:

1. السلطة المركزية:

ظل أوكتافيوس أغسطس يحكم لمدة 41 عاما في الإمبراطورية الرومانية، وقام بالعديد من الإصلاحات الدستورية والاجتماعية في روما والمقاطعات الرومانية على حد سواء، وذلك يميز أوكتافيوس من حرصه على إحياء تقاليد الأسلاف، وفيما يخص التنظيم الإداري فقد كانت مصر ذات طابع مركزي، وهي في الواقع ما أكسبها طابع الولاية الرومانية[1].

ورث الرومان عن البطالمة جهازا إداريا كبيرا، إلا أن هذا الجهاز كان قد تفشى فيه الفساد، وقد عمل الرومان على إصلاحه وإدخال تعديلات تلائم أهداف الحكم الجديد، ليأتي الحاكم على قمة الإدارة العسكرية والمدنية، ويستمد سلطاته من كونه ممثل الإمبراطور [2].

وبالنسبة لسكان مصر كان الحاكم في نظرهم يحتل مرتبة الملك، وهي الحقيقة التي ذكرها كل من سترابون وتاسيتوس اللذين قالا أن مصر حكمها رجال بمنزلة الملوك[3]، فكان الحاكم يحكم مصر بصفته ممثلا للإمبراطور، ويتولى منصبه لمدة تتراوح بين عام واحد وثلاثة أعوام، وفي أحيان نادرة لمدة أربعة أعوام أو خمسة، وكان كبار معاونيه يتخذون من الإسكندرية مقرا لهم باعتبارها عاصمة مصر[4].

كان الحاكم يذهب مع حاشيته إلى جنوب مصر مثلما كان يفعل الملوك السابقين[5]، حيث المكان الذي كان يعتقد أن النيل ينبع منه، ويقوم بإلقاء الهدايا من الذهب والفضة تعبيرا عن العرفان للنيل، وبمقتضى سلطة الإمبريوم التي كان يتمتع بها الحاكم الروماني، فإنه كان يتولى قيادة القوات الرومانية في مصر، وكان يقوم بتصريف شؤون الولاية عن طريق المراسلات، فيتلقى تقارير مفصلة عن كافة مظاهر النشاط في أرجاء مصر، فهناك تقارير عن الضرائب والتعداد وتسجيل الملكية، وسجلات المواليد

---

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص98.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص291.

[3] Tacite, **Histoires**, I, 11 ; Strabon, **Geographie**, traduction nouvelle par Amédée Tardieu, tome troisiéme, Librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1880, XVII, 12.

[4] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص351.

[5] كان الحاكم عندما يزور بعض مناطق مصر يستقبل بحفاوة، ويجرى تزيين تماثيل الآلهة وتقام المهرجانات احتفالا بمقدمه، ولكن لا يغيب أنه هو ممثل الإمبراطور وهو الملك الشرعي، وقد رُسم على المعابد كما كان ملوك البطالمة يمثلون من قبل في زي الفراعنة، على رأسه التاج المزدوج لمصر العليا والسفلى وأمامه اسمه محفور على خرطوشة بالهيروغليفية. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص292.

والوفيات وتقارير عن مصادر دخل الدولة، وكان يصدر المراسيم المختلفة باللغة الإغريقية، وكانت قرارات الولاة عادة ما تتضمن عبارات مثل "طبقا لمشيئة أغسطس المؤله" أو "أن أغسطس المؤله قد أمر"، وكان الأباطرة يستندون إلى تقارير الولاة في كل ما يصدرونه من قرارات .

وكان يقوم بجولات تفقدية في أقاليم مصر بشكل دوري، يعقد خلالها جلسات المحكمة التي كانت تعد أعلى سلطة قضائية وهي محكمة الوالي (Conventus)، وكانت تنعقد ثلاث مرات في العام، مرة في بيلوزيوم للنظر في قضايا شرق الدلتا، ومرة في الإسكندرية للنظر في قضايا غرب الدلتا، أما المرة الثالثة فكانت تعقد في منف للنظر في قضايا باقي الأقاليم[1]، وكان يتلقى الشكاوي ويتمتع بحق مصادرة الأملاك وحق إصدار أحكام الإعدام، وفيما عدا الموظفين الذين كان يعينهم الإمبراطور كان الحاكم هو الذي يعين كل موظفي الإدارة [2].

كان الأباطرة يحرصون أشد الحرص ألا يتولى هذا المنصب في مصر لفترة طويلة، حتى لا يتحول مركز قوة، وكانوا يرسلون من يثقون فيهم من رجالهم ليتولى هذا المنصب الحساس، وقد كان كورنيليوس جالوس (Cornelius Gallus) أول الحكام على مصر وأحد الرجال المقربين لأوكتافيوس أغسطس، ولم يكن من عادة الحكام تسجيل إنجازاتهم في النقوش، مع استثناء التصرف الذي قام به هذا الحاكم[3].

فنجد الإمبراطور يغضب من حاكمه الذي غره نجاحه في القضاء على ثورة المصريين عام 29 ق.م وفرض السيطرة الرومانية على الحدود الجنوبية، فأمر بإقامة تماثيل تكريما لشخصه وتكتب النقوش [4]على المباني العامة، فاستاء الإمبراطور من هذا التصرف ليؤكد حكمه الفردي، فاستدعاه للمحاكمة، مما أدى إلى انتحار هذا الحاكم خوفا من عقاب الإمبراطور[5].

وبعد هذا الحاكم تم إرسال إليوس جالوس (Aelius Gallus) حاكما على مصر (26-24ق.م)، ثم تلاه جايوس بترونيوس (Gaius Petronius) (24-21 ق.م)، الذي كان من بين

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص291، 295، 296.

[2] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص98.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص292.

[4] إحدى هاته النقوش وجدت في جزيرة فيلة- جنوب مصر بالقرب من أسوان-، نقشت بثلاث لغات (الهيروغليفية واللاتينية واليونانية)، يذكر فيها مآثره ونجاحه في قمع الثورة في طيبة. أنظر: Bernard Legras, op.cit, p17

[5] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص 102، 103.

أعماله نقل ملكية المعابد إلى ملكية الدولة بهدف إضعاف طبقة الكهنة المصريين[1]، ولكن بعد ذلك بدأت تنخفض أهمية منصب حاكم مصر بعد أن قلت موارد مصر الاقتصادية، ولم يعد ينظر إليه باعتباره متميزا عن غيره من حكام الإمبراطورية[2].

وقد تولى حكم مصر 101 حاكما رومانيا [أنظر: **الجدول رقم 1**]:[3]

الإمبراطور	الحكام
الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس (30 ق.م–14 م)	– كورنيليوس جالوس 30 ق.م – بترونيوس 26 ق.م – ايليوس جالوس 25 ق.م – بترونيوس (مرة ثانية) 24 ق.م – روبريوس باريا روس 13 ق.م – تورانيوس 7 ق.م – أوكتافيوس 1ق.م – ماكسيموس – أكيلا
الإمبراطور تيبريوس (14– 37 م)	– فيتراسياس بوليو 16- 11 م – جاليرويوس 21 م – فيتراسيوس بوليو (مرة ثانية) 31 م – أفيليوس ركتوس – سبيوس سترابو
الإمبراطور كاليجولا (37– 41 م)	– نافيوس سرتوريوس ماكرو (عين ولم يتول)

[1] سمح لبعض الكهنة بالاستمرار في زراعة الأرض التي كانت تابعة للمعابد من قبل، على أن يدفعوا إيجارا مخفضا نسبيا للدولة، في حين أعطيت لمعابد أخرى إعانات (Syntaxies).أنظر: نفس المرجع، ص103.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص292.

[3] حسين الشيخ، **دراسات في تاريخ وحضارة مصر اليونانية والرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002، ص ص180-188.

	– فتراسيوس بوليو 39 م
الإمبراطور كلوديوس (41– 54 م)	– اميليوس ركتوس 41 م – يوليوس بوسترموس 47 م – فرجيليوس كابيتو 48 م – لوسيوس 54 م – متيوس مود ستوس
الإمبراطور نيرون (54– 68 م)	– كلوديوس بالبيلوس 56 م – يوليوس فستينوس 59 م – كايسيا توسكوس 67 م – بييريوس يوليوس إسكندر 68 م
الإمبراطور فسباسيان (69 – 79 م)	– تيبيريوس يوليوس لوبوس 71 م
الإمبراطور دوميتيان (81– 96 م)	– بولينوس – ستيستيوس افريكانوس 82 م – سبتيموس فيجيتوس 86 م – متيوس روفوس 90 م – بترونيوس سيكوندوس 95 م
الإمبراطور تراجان (98– 117 م)	– بومبيوس بلانتا 98 م – فيبيوس ماكسيموس 103 م – فينيسيوس ايتالوس 105 م – سولبيسيوس سيمايوس 108 م – روتيليوس لوبوس 115 م
الإمبراطور هادريان (117– 138 م)	– ماركوس توربو 117 م – رهميوس مارتياليس 118 م – هاتيريوس نبيوس 121 م – فلافيوس تيتانوس 126 م

	– بترونيوس مامر تينوس 134 م – فاليريوس
الإمبراطور أنطونيوس (138– 161م)	– افيديوس هيليود وروس 139 م – بترونيوس هونوراتوس 148 م – موناسيوس فليكنس 150 م – سميرونيوس ليبراليس 154 م – فولو سيوس ماسيانوس 159 م – فاليريوس بروكولس.
الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161– 180 م)	– أنيوس سيرياكوس 162 م – دوميتيوس هونوراتوس 165 م – فلافيوس تيتيانوس 166 م – باسوس روفوس 167 م – كالفيسيوس ستاتيانوس 175 م – باكتيميوس ماجنوس 177 م
الإمبراطور كومودوس (176– 192م)	– فلافيوس كريسبوس 181م – مانيوس فلافيانوس 181 م – فيتريوس ماكرينوس 183 م – أوريليوس بابيريوس ديونيسيوس 187 م – تينيوس ديمتيوس 190 م – كلوديوس لوثيليانوس 190 م – لارثيوس ميمور 190 م – بولياس فلافيوس 192 م – أيوس سابينوس
الإمبراطور برتيناكس 193 م (تولى الحكم عدة شهور) ثم الإمبراطور	– ماتينيوس سابينوس 193 م – أولبيوس بريميانوس 194 م

سبتيميوس سيفيروس (193–211م)	– ايميليوس ساتورنينوس 197 م – ماكيوس لاتوس 201 م – سوباتيوس أكيلا 201 م – مانيوس فيلكس كريتتيليانوس
الإمبراطور كاراكلا (211– 217 م)	– بابيبوس أوريليوس جونثينوس 215 م – سبتيميوس هراكليوس 216 م – فاليوس داتوس – أورليوس أنتينوس
الإمبراطور ماركينوس(217–222 م)	– بازيليانوس 217 م – جيمينيوس كريستوس 219 م – مافيوس هونورياتوس 222 م
الإمبراطور سفيروس إسكندر (222–235 م)	– ايدينافوس يوليانوس – فاليروس – ايباجاتوس – ماسكولانوس
الإمبراطور ماكسيمين (235–238م)	– مفيفيوس هونوراتيانوس
الإمبراطور جورديان الثالث (238–244 م)	– أنيانوس
الإمبراطور فيليب الأول (244–249 م)	– أورليوس باسيلوس – كلوديوس فاليريوس فيرموس
الإمبراطور ديفيوس (249– 251 م)	– أبيوس سابينوس
الإمبراطور جاليانوس (251–	– ايميليانوس

253م)	
الإمبراطور أورليان (270– 275 م)	– فيرموس – جنياليس
الإمبراطور كاروس (282– 284 م)	– بومبونيوس جانواريوس – ماركسوس أوريليوس 284 م – ديوجينيس 286 م – فلافيوس فاليريوس بومبيانوس 287 م – بمبيانوس 289 م – ايميليوس روستيكيانوس 298 م – ايليوس بويليوس 299 م – كلوديوس كوليكانوس 303 م
الإمبراطور دقلديانوس (284– 305م)	– ماركوس أوريليوس 284 م – ديوجينيس 286 م – فلافيوس بومبيانوس 287 م – بمبيانوس 289 م – ايميليوس روستيكيانوس 298 م – ايليوس بوليوس 299 م – كلوديوس كولكيانوس 303 م

الجدول رقم 1: الأباطرة الرومان وحكامهم في مصر.

2. الإسكندرية مقر الحكم:

تأسست الإسكندرية من طرف الإسكندر الأكبر فوق شريط من اليابسة على بعد بضعة أميال غربي النيل الكانوبي[1]، حيث وضع أساس مدينته الجديدة في 25 من شهر **طوبة**[2] عام 331 ق.م[3] وأقيمت الإسكندرية في موقع قرية فرعونية قديمة تدعى **راكوتيس**[4] (Rhacotis)، وفي الوثائق الديموطيقية التي غالبا ما يشار إليها على أنها مكان إقامة الكهنة، ويذكر ملف واحد الكثير عنها في مجموعة الوثائق الديموطيقية التي وجدت في سقارة ما بين 1965 و1972 من طرف (J.Ray) [5].

مما لا شك فيه أن الإسكندر قد وُفّق في اختيار موقع مدينة الإسكندرية بالقرب من بحيرة فاروس الذي كان لافتا للنظر، فقد كان موقعا مدروسا من صاحبه وكان نقطة استراتيجية في غاية الأهمية[6]، وفطن إلى الفائدة الكبرى من وجود هذه البحيرة على مقربة من شاطئ راكوتيس لتكون حاجزا طبيعيا يحمي الإسكندرية من عواصف البحر، وكذلك أدرك أهمية وجود بحيرة مريوط إلى الجنوب وهي بحيرة عذبة كانت تصل إليها مياه النيل[7].

كانت الإسكندرية عاصمة مصر في العهد البطلمي ومقر الحكم وتواصل ذلك في العهد الروماني،

---

(1) **النيل الكانوبي**: اسم لأحد فروع النيل القديمة ويصب في البحر المتوسط، وسمي كذلك نسبة إلى مدينة كانت واقعة عند مصبه اسمها كانوب وهي أبو قير الحالية. أنظر: محمد فهمي، **تاريخ اليونان**، تقديم محمد زينهم محمد عزب، مكتبة ومطبعة الغد، د.م، 1999، ص 159.

(2) **شهر طوبة**: كان هذا اليوم عند تأسيس المدينة يوافق 7 أفريل، وعند إصلاح التقويم المصري الذي أدخله يوليوس قيصر وطبقه أغسطس عام 30 ق.م وأصبح يوافق 20 جانفي 331 ق.م. أنظر: محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.س، ص43.

(3) نفس المرجع.

(4) **راكوتيس** :هي قرية "رع- قدت" والتي أصبحت راكوتيس باليونانية وراقودة بالعربية وموقعها حاليا "تل باب سدرة " بمنطقة كرموز بالإسكندرية. وقد بنيت على المرتفع الذي يقف عليه عمود بومبي، وقد وجدت منذ زمن بعيد يعود إلى 1300 ق.م، حيث تم اكتشاف تماثيل تعود إلى ذلك التاريخ، وكان أوزوريس هو إلههم الرئيسي. أنظر: عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص 8؛ فورستر، **الإسكندرية تاريخ ودليل**، تر حسن بيومي، مقدمة لورانس داريل، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، 2000ص490.

(5) Chauveau Michel, **Alexandrie et Rhakôtis : le point de vue des égyptiens in Alexandrie,** une mégapole cosmopolite actes du 9ème colloque de la villa Kérylos à beaulieu-sur-mer les 2 & 3 octobre 1998, Académie des Inscriptions et Belles Lettres, Paris, 1999, pp3, 7.

(6) Cavenaile Robert, **Pour une histoire politique et sociale d'Alexandrie**, les origines in l'antiquité classique, Tome 41, Fasc.1, 1972, pp102, 103.

(7) عبد العزيز سالم، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1982، ص13.

لكن كان الأمر مختلفا عما كانت عليه سابقا، لأنها فقدت كثيرا من عظمتها السياسية في العهد الروماني بحيث أصبحت تابعة لروما التي فرضت سيطرتها على البحر المتوسط الشرقي والغربي، كما عمل الأباطرة على إخضاعها بإقامة نصف الحامية الرومانية في مصر في الضاحية الجديدة التي أنشأها أوكتافيوس أغسطس وهي "نيكروبوليس"، كما منعت المدينة من مجلسها التشريعي من أجل سلب سيادتها[1].

ومن الغريب أن هذه العاصمة لم تكن جزء من مصر على حد تعبير الإغريق والرومان واسمها القديم بالإغريقية أو اللاتينية (Apo Aigyptum, Ad Aegyptum) أي الإسكندرية المجاورة لمصر[2]، حيث كان ينظر إليها ككيان منفصل عن مصر، وقد استطاعت بفضل موقعها المتوسط في قلب الإمبراطورية الرومانية أن تحتل مكانة عظيمة في اقتصاديات العالم القديم[3].

وكانت الإسكندرية مركزا هائلا للثقافة **الهيلينستية**[4] المتجسدة في مؤسسات وتقاليد نظام المدينة الإغريقية، وفي المعابد وقبل كل شيء في رموز التفوق الثقافي كالمكتبة والمتحف، وهي عوامل جعلت الإسكندرية أهم مدينة في شرق البحر المتوسط وتنافس روما، وكانت المركز الإداري لمصر وميناء مزدهر ومركز تجاري، وهي نقطة التقاء الشعوب بتقاليدهم الدينية من مصر والشرق الأدنى[5]، فاستهوت الأباطرة الرومان لزيارتها مثل الإمبراطور نيرون، الذي أولى مصر والإسكندرية عناية خاصة بأن نظم هيئة مواطنيها ونسق الصلة بين القبائل والأحياء وأطلق عليها أسماء جديدة، كما أنشأ بعض القبائل الجديدة التي لم تكن موجودة أيضا[6].

---

(1) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص39، 40.

(2) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص46.

(3) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص293، 310.

(4) **الهيلينستية** :هي تسمية أطلقها المؤرخ الألماني يوهان درويسن (Juhanne Droysen) ليميز بها الحضارة الجديدة عن الحضارة الإغريقية الكلاسيكية والتي عرفت بالحضارة الهيلينية حوالي القرنين 5و4 ق.م على أساس أن هذه الحضارة الجديدة منتسبة إليها أو متأثرة بها، وقد بدأ هذا العصر بالاجتياح المقدوني على الإمبراطورية الفارسية بقيادة الإسكندر الأكبر، ولم ينتهي هذا العصر بسقوط دولة البطالمة في 30 ق.م بعد موقعة أكتيوم بل تواصل مع الرومان. أنظر: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص16؛
Michel Austen, **Ihe Hellenistic world from Alexandre to Roman conquest**, second edition, Cambridge University Press, New York, 2006, p1.

(5) David T. Runia, **Philo of Alexandria and the "Timaeus" of Plato**, E.J.BRILL, The Netherlands, 1986, p34.

(6) العمري عبد النور، المرجع السابق، ص58.

3. الإدارة المحلية:

أبقى الرومان على النظام الإداري المصري وزادوا من مركزيته بالإبقاء على المدن الإغريقية التي وجدت قبل الحكم الروماني وهي **نقراطيس**[1] وبراتيونيوم و**بطلمية**[2] [أنظر: **الخطط رقم 1**]، وأضافوا إليها مدينة جديدة هي "أنتينوبوليس" التي أنشأها الإمبراطور هادريانوس عام 130 م تخليدا لذكرى أحد أصدقائه يدعى "أنتينوس"، الذي مات غرقا في نفس الموقع، وقد كان يسكنها بعض الإغريق من إقليم طيبة ومن الفيوم وكذلك الجنود الرومان المسرّحين من الجيش الروماني، ويبدو أن المدن الثلاثة نقراطيس وبرايتونيوم وبطلمية قد احتفظت بنظام المدينة الإغريقية، فكان لكل مدينة حكاما يتم اختيارهم بالانتخاب ومجلس تشريعي ومواطنة خاصة بها[3].

احتفظ أوكتافيوس أغسطس بالتقسيم الإداري الذي كان موجودا من قبل[4]، فقد كانت مصر في عهد الفراعنة مقسمة من الناحية الإدارية إلى قسمين رئيسيين هما مصر العليا ومصر السفلى، غير أنهم لاحقا أدخلوا عليه بعض التعديلات التي تطلبتها الظروف، فقسمت مصر إلى عدد من الأقاليم يسمى كل إقليم "نوموس" (Nomos)، وعلى رأس كل إقليم حاكم يسمى "نومارخوس" (Nomarchos)، وكل إقليم ينقسم بدوره إلى عدد من المقاطعات تسمى كل منها "توبوس" (Tobos)، وعلى رأس كل مقاطعة حاكم يسمى "توبارخوس" (Toparchos)، وانقسمت هذه المقاطعات إلى قرى صغيرة تسمى القرية

---

(1) **نقراطيس**: لقد أسس التجار الإغريق محطة لهم أطلق عليها "قلعة أهل مليتوس" التي أقيمت حوالي 700 ق.م وازداد اتساعها في عهد بسماتيك الأول وأصبحت تعرف بنقراطيس، وعلى خلاف المستوطنات الإغريقية قامت هذه المستوطنة على ضفاف الفرع الغربي من النيل ولم يعرف للمدينة مؤسسا ولم تقم فيها الطقوس كباقي المستوطنات، وإنما يرجع ذلك إلى ملوك الأسرة الصاوية ورغبتهم في جمع الجنود والتجار الإغريق في مدينة قريبة من عاصمتهم. أنظر: سيد أحمد علي الناصري، **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر**، ط2،دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص159.

(2) **بطلمية**: هي ثاني مدينة إغريقية قامت بعد الغزو المقدوني، وقد أقيمت على أطلال مدينة مصرية تدعى"سوى" أو "بسا"، وقد أطلق عليها المصريون "بسي بطوليميس" أي بسي، التي أنشأها بطلميوس وتقع أطلالها الآن تحت بلدة "المنشية" على بعد بضع كيلومترات جنوبي مدينة "سوهاج"، وكانت تتمتع بكافة مظاهر النظم في المدينة الإغريقية الحرة فهي تستطيع تعديل دستورها وتتمتع باستقلالها الذاتي بحيث توفر فيها مجلس بولي (Boule) ومجلس آخر يضم الأحرار يسمى ديموس (Demos).
أنظر: ردوة زكي، **بطوليميس المدينة الإغريقية المفقودة في مصر**، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد 8، 2010، ص137.

(3) حسين الشيخ ، **العصر الهيلينستي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص ص87، 88.

(4) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص100.

منها "كوم" (Kome)[1].

وكانت مصر مقسمة إلى ثلاثة أقاليم هي إقليم طيبة – مصر العليا–، وإقليم المديريات السبعة وأرسينوي – مصر الوسطى–، ثم إقليم الدلتا، وعلى رأس كل إقليم من هذه الأقاليم موظف يدعى إبستراتيجوس (Epistrategos)، وكان هذا الموظف يتم اختياره عن طريق الإمبراطور ولا بد أن يكون مواطنا رومانيا، وكان على رأس كل مديرية موظف يحمل لقب الاستراتيجوس[2](Strategos)، وكان الحاكم هو الذي يعينه[3]، وهو حاكم عسكري كان يختار من بين القوات الحربية الرومانية فقط، ولكن أصبح هذا الحاكم مجرد موظف مدني[4].

كان الحاكم هو الذي يترأس الجهاز الإداري في مصر، ويساعده عدد من الموظفين يختص كل واحد منهم بأحد القطاعات، فكان منهم "اليوريديكوس" (Iuridicus)، وكان يختار من طبقة الفرسان المكلف بالعدل، وهناك موظف قضائي آخر يطلق عليه "الأرخيديكاستيس" (Archidikastes)، كما كان يوجد مساعد آخر مهمته الإشراف على الوثائق والسجلات ويدعى كاتب الوثائق (Hupomnematogra)، وفي النواحي المالية تحت إدارة الحساب الخاص–الإديوس لوجوس– (Idios Logos)[5].

كان الإبستراتيجوس هو حلقة الاتصال بين الإدارة المركزية في الإسكندرية والإدارة المحلية في الأقاليم، ويبدو أنه أقام في الإسكندرية وكان يكتفي بجولات إدارية وتفتيشية في الأقاليم التابعة له، أما طبيعة عمله فكانت الإشراف على حسن سير العمل من الناحية الإدارية، والقيام بأية تحقيقات على مستوى الإدارة، وكذلك رفع ترشيحات الموظفين في الإدارة المحلية إلى الحاكم ليتم تعيينهم[6].

---

[1] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص82 ;

Gunter Holble, **A History of Ihe Ptolemaic empire**, Doutledge Taylor and Francis goupe, library cataloguing in publication data, London, Usa, Canada, 2001, p25.

[2] الحاكم العسكري هو المعروف باللغة الإغريقية باسم "ستراتيجوس"، وهي تعني بالأساس قائد عسكري، وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمات حربية كثيرة ومنها كلمة استراتيجية. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص100.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص293.

[4] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص100.

[5] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص293.

[6] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص180.

وتبين هذه المخططات الآتية هيكل النظام الذي تمت فيه إدارة وحكم مصر[1]:

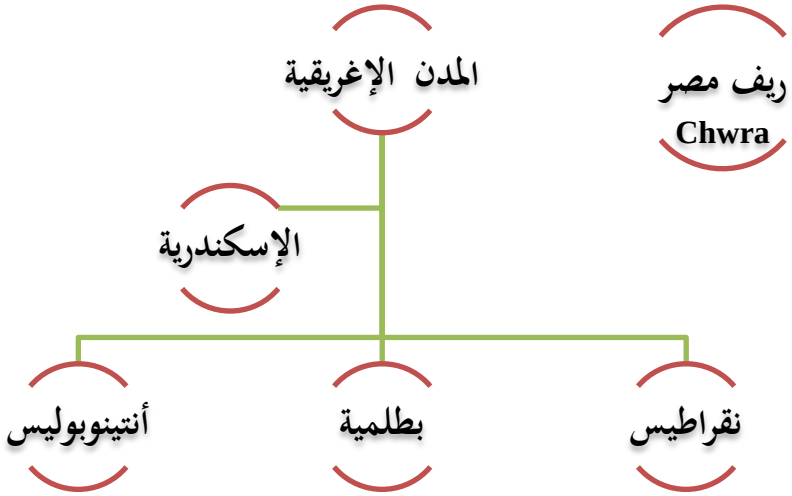

مخطط رقم 1: تقسيمات المدن الإغريقية بمصر الرومانية.

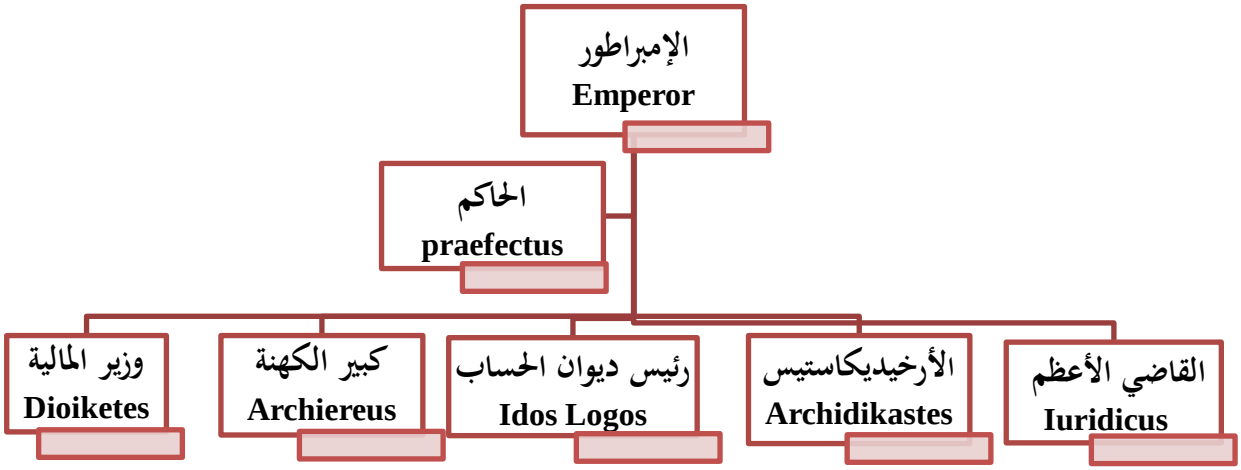

مخطط رقم 2: الجهاز الإداري في مصر الرومانية.

[1] أحمد عبد الله الحسين، **الإدارة والقانون في مصر الرومانية – دراسة لوظيفة الإبستراتيجيا–**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص26.

من خلال ما تم ذكره حول النظام الإداري الروماني في مصر، يتبين أن أي مقاطعة إمبراطورية كان هناك هيكل إداري بها يتكون من حاكم ومسؤولين عسكريين ومدنيين، وبنية تحتية لحكومات المدن والقرى التي أقرتها روما لمسؤولين من الإسكندرية أو الأرستقراطية المحلية، وقد مارس حاكم مصر مثل حكام المقاطعات الأخرى النطاق الكامل للإدارة العسكرية والإدارية والقضائية، وكان ذلك بمساعدة طاقم من المندوبين المدنيين والعسكريين، وكان أعلى المسؤولين بعد الحاكم هو الإبستراتيجوس (Epistrategos) ووزير المالية (Dioiketes) و(Dikaiodotes) [1]، وجميع المواطنين الرومان من رتبة الفرسان.

ومنذ أواخر العصر البطلمي وسع هؤلاء المسؤولون نطاق اختصاصهم خارج حدود المدينة، بحيث أصبح التمييز بين مسؤولي المدينة ومسؤولي الدولة غير واضح، وقد حافظ أوكتافيوس أغسطس على هذه المرونة، كما حافظ على التقسيمات الفرعية القديمة للإقليم وعلى الأشكال التقليدية لإدارتها، وقد أدخل تغييرا جوهريا في أنه شغّل أهم المناصب الإدارية والشرطة بالمواطنين الإسكندريين أو الرومان، وتشير الوثائق إلى أنه لم يكن هناك تجانس كامل في جميع أنحاء مصر، وكانت هناك اختلافات وفقا للمنطقة الجغرافية، وإن كان الرأي المقبول بشكل عام هو أن الانتقال إلى الحكم الروماني أدى إلى توحيد التنظيم الإداري، وقد يكون هذا صحيحا بالفعل، ومع ذلك يجب أخذ هذا الافتراض بحذر، حيث نجد أن معظم الاختلافات الإقليمية استمرت على الأقل حتى عهد تيبريوس[2].

---

[1] **ديكاديتيس**: هو مرشح روماني من قبل الإمبراطورر، ولا يمكن عزله من منصبه إلا من طرفه، وكانت من صلاحياته القانون المدني (The iurisdictio contentiosa or voluntaria) مثل القروض والرهن العقاري والمهور، في حين أن القانون الجنائي تحت سلطة المحافظ، كان لديه محكمة دائمة في الإسكندرية، ولكن اختصاصه امتد ليشمل المقاطعة بأكملها. أنظر:

Livia Capponi, **Augustan Egypt: the creation of a Roman province**, Routledge is an imprint of Taylor & Francis, London, 2005, pp31, 32.

[2] Livia Capponi, op.cit, pp48, 49.

ثالثا: تنظيم ولاية مصر:

1. في المجال الاقتصادي:

اتسمت النظرة الرومانية للولاية التي ضمت لممتلكات الشعب الروماني بالعمل على إيجاد خطط وبرامج ناجعة، لوضع أسس وقواعد صارمة لإنجاح السياسة الاقتصادية الرامية إلى التحكم الفعلي في ثروات البلاد سواء البشرية منها أو الطبيعية أو المالية، ولاسيما وأن مصر لها من المميزات الطبيعية والمناخية والديموغرافية ما يجعلها بحق محل الأطماع، ونتيجة لغناها وخصوبة أراضيها جعل الرومان مصر ولاية في غاية الأهمية[1].

كان احتلال مصر حدثا هاما بالنسبة لروما، فمن ناحية قضى على الخطر الذي كان يهدد روما بفقدان أجزاء من ولاياتها الشرقية، ومن ناحية أخرى وضع تحت تصرفها أكبر مركز لإنتاج القمح في البحر المتوسط[2]، بحيث كانت مصر تعد المصدر الرئيسي للغلال لروما، حيث كانت تمنح لها 20 مليون **موديوس**[3]من الغلال في عهد أوكتافيوس أغسطس[4].

هناك ثلاثة جوانب مرتبطة بالاقتصاد المصري بالنسبة للرومان: الأهم هو الإنتاج الزراعي لوادي النيل والدلتا، حيث تتميز مصر بخصوبة تربتها، سبب هذه الخصوبة ليس بطبيعة الحال من المناخ وهطول الأمطار ولكن بسبب نهر النيل، ففيضانه يكسب التربة طبقة غنية من الطمي على سطح الحقول، واعتمدت روما بشكل كبير على سفن الحبوب في الإسكندرية لإطعام سكانها[5]؛ والجانب الثاني هو استخراج المعادن خاصة في الصحراء الشرقية، التي تم استغلال الذهب فيها منذ العصور الفرعونية، ولكن خلال العصر الروماني كانت أيضا مصدرا للأحجار مثل الرخام، والجرانيت الأحمر في أسوان الذي يعد

---

(1) العمري عبد النور، المرجع السابق، ص30.

(2) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص64.

(3) **موديوس**: هو مقياس لوزن الحبوب كالقمح، وكان يوضع في مصر على رأس الآلهة كالإله سيرابيس ليرمز للوفرة. أنظر:
Aubin-Louis Millin, **Dictionnaire des beaux-arts**, Tome II, de l'Impremerie de Crapelet, Paris, 1806, p464.

(4) Bowman Alane k, op.cit, p38.

(5) اعتماد روما على الحبوب المصرية له تاريخ طويل يمتد إلى عهد البطالمة، عندما طلبت روما في وقت مبكر من 211 أو 210 ق.م شحنة من الحبوب من بطليموس الرابع، كان وصول سفن الحبوب من الإسكندرية عنصرا مهما في اقتصاد روما، والذي قد يتوقف عليه مصير الأباطرة، في عهد أغسطس قد تكون وصلت إلى 20 مليون موديوس (أكثر من مليون طن). أنظر:
Ian Shaw, **The Oxford history of ancient Egypt**, OUP Oxford, New York, 2003, p420

أحد أهم الأحجار الزخرفية التي استخدمها الرومان؛ أما الجانب الثالث للاقتصاد هو الدور الذي لعبته مصر في ازدهار التجارة الرومانية، حيث كانت الإسكندرية بالطبع واحدة من المدن التجارية الكبرى في العالم القديم، مع إمكانية الوصول إلى كل من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ولعبت دورا رئيسيا في تجارة روما مع الشرق وخاصة مع الهند[1].

قامت سياسة الرومان المالية والاقتصادية في مصر على مبدأ أساسي وهو الحصول على أكبر قدر ممكن من دخل هذه الولاية، وقد تطلب تحقيق هذا المبدأ القيام بجهود شاقة من أجل إصلاح مرافق البلاد التي لحقها التدهور في السنوات الأخيرة من حكم البطالمة، فقامت الإدارة الرومانية بإجراء إصلاحات شاملة لشبكة الري، وتطهير القنوات وإعادة بناء الجسور التي تهدمت، وقد أدت هذه الجهود إلى إنعاش الاقتصاد المصري، وكان من شأن مساعدة الإدارة الرومانية في الحصول على مستحقاتها لدى الأفراد، وهو أمر لا يتحقق إلا من خلال نظام دقيق لجباية الضرائب[2].

كانت هناك بعض الضرائب التي تجبى نقدا والبعض الآخر عينا، وفيما يتعلق بالتزامات مصر العينية اتجاه الإمبراطورية، فمن المعروف كما ذكرنا أن مصر كانت تمد روما بثلث احتياجاتها السنوية من الغلال، وكان يتحتم عليها إطعام الجيش الروماني المرابط على أراضيها، وللوفاء بذلك كان على المزارع أن يدفع **أردبا**[3] عن كل أرورة (أربعة أخماس الفدان) كضريبة نوعية على الأرض التي تزرع حبوبا[4].

لذلك كانت الإدارة الرومانية تحرص على عدم بقاء أي قطعة أرض دون زراعة، لأن بقاءها يعني عدم جباية ضرائب عنها، لذلك فإن الأراضي التي يتقدم أحد لاستئجارها أو يهرب مزارعوها كانت الدولة تلزم سكان القرية بزراعتها، على أن يسددوا الضرائب المستحقة إجباريا، وكان المزارع بعد حصاد المحصول يقوم بتسليم ما عليه من مستحقات الدولة إلى أمناء مخازن الغلال، الذين عليهم أن يشرفوا على

---

(1) Bowman Alane k, op.cit, p38.

(2) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص296.

(3) **أردب**: جمع إرْدبَّات وأرادِبُ وأرادِبٌ: مكيال لتقدير الحبوب يسع أربعة وعشرين صاعا ويزن مِائة وخمسين كيلو جراما :- اشترى خمسة أرادبَ / أرادبّ قمحًا .قاموس المعاني، الموقع: http://www.almaany.com

(4) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص297؛

Andrew Monson, **From the Ptolemies to the Romans: Political and economic change in Egypt**, Cambridge University Press, New York, 2012, pp179, 180.

تسليم الغلال بصورة إلزامية إلى معسكرات الجيش أو إلى المخزن العام بالقرب من الإسكندرية[1].

فيما يخص الزراعة فقد انقسمت الأراضي الزراعية في مصر إلى أراضي تملكها الدولة وأراضي يملكها الأفراد، والأراضي العامة التي امتلكتها الدولة تكونت من مساحات شاسعة من الأرض الملكية التي كان يملكها ملوك البطالمة والتي آلت إلى الرومان، وأضيفت إليها أراضي المعابد التي صودرت لإضعاف طبقة الكهنة المصريين بهدم الدعامة الاقتصادية التي استمدوا منها قوتهم، ومن الأراضي التي يمتلكها الأفراد فقد بدأ أوكتافيوس أغسطس بسياسة توزيع بعض الأراضي التابعة للدولة على جنوده[2]، ثم فتح لكل من يرغب بشراء الأراضي الزراعية بأسعار زهيدة لإنقاذ الاقتصاد الزراعي من الانهيار[3].

أما الصناعة فقد كانت مزدهرة بفضل تشجيع الرومان للنشاط الاقتصادي والذي كان عائده يرجع إلى روما، فظهرت صناعة الزجاج التي تطورت عن ذي قبل ووصلت إلى درجة عالية من الجودة والإتقان، كما ازدهرت صناعة ورق البردي إضافة إلى صناعات أخرى، أما التجارة فقد كان لمركز مصر المتميز من الناحية الجغرافية ووقوعها في منطقة وسطى بين طرق التجارة الشرقية والغربي الأثر في ازدهارها[4].

---

[1] تم تعديل مستوى الضرائب وفقا لارتفاع المياه، فالفيضان الجيد يعني محصولا كثيرا، وسيكون السكان قادرين على تحمل ضرائب أعلى، كانت تجارة الذرة جزءا من الأنونة، وهي الضريبة العينية التي فرضتها روما على المقاطعات المنتجة، هناك بعض الدلائل التي تشير إلى أنه حتى تكلفة النقل من وإلى النيل كان يجب أن يتحملها المنتجون، وكان توريد الحبوب من مناطق الزراعة إلى مستودعات الإسكندرية عملية منظمة بعناية، حيث يتم تنفيذ الشحنة من قبل (Sitologos) مسؤول الذرة بمساعدة (Antigrapheus) (كاتب) ومساعد مالي، ويتم إسناد عينة مختومة أو (deigma) إلى قبطان القارب للتسليم مع الشحنة، سيكون هذا بمثابة فحص ضد الغش أو استبدال البضائع بأخرى أقل جودة أثناء الرحلة، على أي حال يبدو أنه كان من المعتاد وجود جندي على متن الرحلة، عند الوصول إلى مخازن الحبوب الكبرى في الإسكندرية ستكون الذرة في رعاية وكلاء رومانيين خاصين مع موظفيهم كانوا مسؤولين عن حفظها. أنظر:

أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص297، 298؛ Ian Shaw, op.cit, pp420, 421

[2] منح أغسطس أيضا عقارات ضخمة بما فيها الأرض والحيوانات والعبيد، وتم تعيينها لأعضاء العائلة الإمبراطورية والأصدقاء، هذه العقارات المعروفة باسم "Ousiai"–الممتلكات–، غطت الأراضي الأكثر خصوبة وإنتاجية، وبالتالي توفير عائدات كبيرة لإرث الإمبراطورية، وعند وفاة المستفيد من الأراضي تعود إلى الإمبراطور، الذي يمكنه من إعادة تخصيصها لصديق أو قريب آخر. أنظر:

Livia Capponi, **Roman Egypt** , Bristol Classical Press an imprint of Bloomsbury, London, New York, 2011, p22.

[3] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ص65، 66.

[4] المرجع السابق، ص ص66، 67.

فكانت الإسكندرية من أكبر الموانئ التجارية في العالم كما يذكر سترابون[1]، وذلك لوقوعها بين بحيرة مريوط التي يغذيها النيل من الجنوب والبحر الأبيض المتوسط من الشمال، فكانت موقع لتوجيه البضائع المتدفقة من كل الموانئ الشرقية والمصرية إلى عالم البحر المتوسط الكبير، وأصبحت مصر يضرب بها المثل أنها سلة الخبز لروما، ولكن بالإضافة إلى الحبوب قدم ميناء الإسكندرية لروما البردي المصري والزجاج والكتان، فكانت بمثابة نقطة نقل للتجارة الدولية المربحة، حيث يتم إرسال أساطيل كبيرة حتى الهند وحدود إثيوبيا، ويتم جلب البضائع الثمينة منها ثم يرسل إلى أماكن أخرى[2].

فيقول سترابون[3] عن ذلك:

" من مميزات الإسكندرية أنها تقع بين بحرين من الشمال البحر المصري ومن الجنوب بحيرة مريوط المزودة بعدد من القنوات المتفرعة من نهر النيل، ومع وصول المزيد من البضائع عبر هذه القنوات فإن ميناء الإسكندرية الموجود على البحيرة سرعان ما أصبح أكثر ثراء من الميناء البحري، ولكن هذا المنفذ الأخير نفسه يصدر أكثر ما يستقبل، وذلك من خلال رؤية الفرق في تحميل السفن من وإلى، حيث المتجهة إلى ديكيارخي(Dicaearchie) **أثقل وتلك الموجهة إلى الإسكندرية أخف وزنا".**

فنشطت حركة التصدير والاستيراد فاستوردت مصر الفضة والخشب والعاج والمنسوجات القطنية، وصدّرت القمح بشكل أساسي، والذي كان يشكل أيضا كما ذكرنا جزء كبيرا من الضريبة التي كانت تدفعها سنويا إلى روما[4].

---

[1] Strabon, XVII, I, 13.

[2] Christina Riggs, **The Oxford handbook of roman Egypt**, Oxford university press, library of congress cataloging in publication data, Great Britain, 2012, p107.

[3] Strabon, XVII, I, 7.

[4] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ص66، 67.

2. في المجال العسكري:

كان من الطبيعي أن يتجه الرومان بعد سيطرتهم على مصر إلى تأكيد وجودهم فيها، وقد تم ذلك عن طريق قمع الثورات التي كان من الطبيعي انتشارها في بداية حكم جديد، ثم تأمين حدود مصر المشتركة مع جيرانها، وقد ساعد على ذلك الظروف الجغرافية، فسهولة المواصلات الداخلية بسبب عدم وعورة الأرض جعل من السهل على القوات الرومانية التحرك بسرعة لمواجهة أية ثورة داخلية، بالإضافة إلي طبيعة الحدود المصرية التي تجعل من الصعوبة مهاجمتها، حيث تقع في الشرق جبال البحر الأحمر وصحراء سيناء، وفي الغرب الصحراء الغربية، أما الشمال فهو الساحل والجنوب توجد بعض العوائق الطبيعية كصحراء النوبة، وبهذا أمكن للقوات الرومانية أن تحكم تحصيناتها الطبيعية مستخدمة الأرض التي ساعدتها على ذلك[1].

وفيما يخص الجيش الروماني في مصر، فقد أبقى أوكتافيوس أغسطس فيها ما لا يقل عن ثلاث فرق رومانية (Legiones)، حيث كانت الفرقة الرومانية تتكون من الجنود الرومان الذين ينتمون إلى روما نفسها أو إلى أحد الأقاليم الإيطالية ذاتها، خلافا للقوات المساعدة التي كانت من الولايات الخارجية للإمبراطورية[2]، حيث يذكر سترابون[3] أن القوات العسكرية في مصر تتكون من ثلاثة فرق من الجيش، واحدة في مدينة الإسكندرية، في حين أن اثنين متمركزتين في باقي البلد، وبصرف النظر عن هذه الفرق الثلاث هناك تسعة أفواج رومانية مقسمة على النحو التالي: ثلاثة في الإسكندرية وثلاثة في أسوان على حدود إثيوبيا كمركز متقدم وثلاثة في بقية مصر، وأخيرا هناك ثلاثة وحدات من الفرسان متمركزة في المناطق الأكثر ملاءمة.

ويتساءل نيكولاس إيد[4] (Nicholas Eid) عن التمركز المفرط للقوات في الإسكندرية: هل كانت طبيعة الحكم الروماني في الإسكندرية ومصر يحكمها في المقام الأول معيار أنها غنيمة حرب فاز بها أوكتافيوس أغسطس وحيازة شخصية له؟.

---

(1) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ص48.

(2) محمود ابراهيم السعدني، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت، ص168.

(3) Strabon, XVII, I, 12.

(4) Nicholas Eid, **The Roman imperial cult in Alexandria during the Julio-Claudian period**, M.A. thesis submitted to the department of classics, Universify of Adelaide, 1995, p40.

يبدو أنه قد برر هذا التمركز على ثلاثة عوامل استراتيجية للسيطرة والحماية العسكرية ؛ أولا : أن الإسكندرية يمكن أن تُهدَّد فقط عن طريق البحر وليس عن طريق البر، وثانيا لأنه لا تزال هناك إمكانية للثورة بها وثالثا أن الإسكندرية عرضة لمشاكل طويلة الأمد تؤثر على الاستقرار السياسي.

يعتبر العامل الأول هو النقطة الاستراتيجية الوحيدة الواضحة ذات الصلة بالدفاع عن البلاد، الاثنان الآخران يرتبطان مباشرة بأمن المدينة من الناحية السياسية، نعلم أن أغسطس وضع من عشرين ألف رجل إلى مصر لتأمين البلاد، تشير المقارنة مع آسيا إلى أن أربعين ألف رجل فقط أو ستة فرق تم وضعهم في جميع محافظات آسيا الصغرى، من المؤكد أن هذه المعلومات تشير إلى احتمال تعرض مصر لخطر التمرد، لكن على الأرجح أنها كانت مهددة بالاستيلاء عليها من قبل خصم روماني أو عدو أجنبي، ولكن في الواقع سيكون من الأنسب القول هو الحفاظ على تدفق مستمر للجزية من مصر، وثانيا لضمان عدم وجود تهديد إضافي لسلطة الإمبراطور إما من خارج الإمبراطورية أو من داخل مصر.

هذا بالإضافة إلى القوات المساعدة الملحقة بها (Auxilia)[1]، ولم يكن الأمر في الواقع يستدعي وجود هذا العدد الكبير من القوات، لكن الإمبراطور تيبريوس سحب واحدة من هذه الفرق لإحساسه بعظم القوات الرومانية في مصر دون داعي[2].

---

[1] كانت من كتائب المشاة (Cohortes) والفرسان، ويتم تجنيدهم من رعايا الولايات على عكس الفرق الرومانية التي تضم فقط المواطنين الرومان ضمانا لولائها، وكانت مدة الخدمة 26 عاما، يمنح بعدها الجندي المسرح أو المحارب القديم (Veteranus) حق المواطنة الرومانية (Civitae) وحق الزواج، ولا نعرف على وجه اليقين عدد القوات المساعدة التي كانت في مصر. أنظر: محمود ابراهيم السعدني، المرجع السابق، ص169. وللمزيد من التفاصيل حول الجيش الروماني في مصر وتقسيماته أنظر:

Lesquier Jean, op.cit, pp39-114.

[2] نفس المرجع؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص259.

الفصل الأول:

الأوضاع الاجتماعية في مصر في ظل الاحتلال الروماني

أولا: التشكيلـــة البشريـــــــة للمجتمع.

ثانيا: تنظيـــم المجتمـــع وأوضاعـــــه.

ثالثا: مظاهر العلاقات بين عناصر المجتمع.

أولا: التشكيلــة البشريــة للمجتمع:

سكن في مصر على مر تاريخها العديد من الجنسيات من إغريق ويهود وفينيقيين وليبيين وغيرهم[1]، وكانت العاصمة الإسكندرية في عهد البطالمة متنوعة الأجناس، حيث أن المؤرخ سترابون[2] نقلا عن بوليبيوس وصف لنا سكانها كما رآهم في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد (هذه الفقرة لا توجد فيما تبقي من كتاب بوليبيوس ولكن أوردها سترابون) حيث يقول :

" أن سكان الإسكندرية يتألفون من العناصر التالية: المصريون وهم سكان البلد ويحترمون القوانين، الجنود المرتزقة[3] وعددهم كبير جدا حيث أنها عادة قديمة في استخدام القوات الأجنبية وهم غير منضبطين ولا مطيعين، الإسكندريون وقد أظهروا الخروج عن الحكومة وهم إغريق في الأصل ولم ينسوا انتماءهم إلى الأمة الإغريقية".

ومنه أصبحت الإسكندرية مدينة معتبرة فالحياة تشكلت فيها وسكانها يفتخرون بالإقامة فيها، ويلاحظ تنوع كبير في سكانها ميزها عمليا على مدار تاريخها المليء بالأحداث[4]، ومع بداية فترة الرومانية في مصر، نجد أن عنصرا جديدا قد دخل على البنية الأساسية للمجتمع المصري وهم المواطنون الرومان[5].

قبل الحديث عن المواطنين الرومان علينا أن نذكر فقط عدد السكان، حيث يذكر المؤرخ اليهودي **فلافيوس يوسيفيوس**[6] الذي عاش في بداية العصر الروماني أن عدد سكان مصر – عدا سكان

---

[1] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص71.

[2] Strabon, XVII, I, 12.

[3] كان من بين الأسباب التي أدت إلى تعدد الأجناس في مدينة الإسكندرية وطابعها المتنوع هو اعتماد حكام البطالمة على الجنود المرتزقة بشكل متزايد، وقد كانت مركزا لحامية عسكرية كبيرة، وذلك أن عددا كبيرا من هؤلاء الجنود كانوا ينتمون إلى العديد من المناطق ويظهرون بأعداد كبيرة في شوارع الإسكندرية، ومما يدل على عددهم الكبير بكل ما يعنيه وجودهم وتعدد جنسياتهم هو ما لاحظه بوليبيوس عند زيارتها. أنظر: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص321، 322.

[4] Peter Lang, **Esclesia alexandrina- evolution sociale et institutionnelle du christianisme alexandrin** (II^{e} et III Siecle), Vol 1, information bibliographique publiée par Die Deutsche Bibliothek, Berne, 2004, p18.

[5] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص71.

[6] **فلافيوس يوسيفيوس**: (Flavuis Josephus) هو مؤرخ يهودي وهو يوسف بن متى أو "يوسيفيوس فلافيوس" ولد في أورشليم عام 37 م وتوفي في روما عام 98 أو 100 م، وكانت قد أرسلته المحكمة اليهودية العليا "السهندرين" إلى روما عام 64 م للدفاع عن الأحبار الذين سجنهم المفوض الروماني، ثم عاد إلى القدس بعد أن نجح في مهمته واشترك في ثورة ضد الرومان انتهت

الإسكندرية الذين كان لهم سجل خاص- هو سبعة ملايين ونصف المليون[1]، ويوجد رقم عن سكان الإسكندرية يسد النقص في رقم فلافيوس يوسيفيوس يذكره ديودور الصقلي، الذي أورد أن عددهم هو 300 ألف شخص[2].

وحسب أبو اليسر فرح وأحمد غانم حافظ أحمد[3] فإنه إذا قدّرنا أنه يوجد في الإسكندرية نصف المليون بالتقريب، يصبح عدد السكان ثمانية ملايين نسمة تقريبا، ولكن ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أن هذا الرقم لم يكن ثابتا في ظل الظروف التي مرت بها البلاد، والتي تؤدي بهذا العدد إلى الزيادة والنقصان.

يذكر كيلي بنجامين[4] (Kelly Benjamin) أن مشكلة العرق في مصر أصبحت أكثر تعقيدا مع ظهور الحكم الروماني، فهناك العديد من مشاكل الإثبات عندما يتعلق الأمر كيف يتم إدراك الهويات العرقية للأفراد، صحيح أن الرومان وضعوا نظاما صارما لتصنيف السكان، حيث كان المواطنون الرومانيون في أعلى التسلسل الهرمي ومواطني المدن الثلاثة الإغريقية والمصريون، هذه الفئات توحي بتقسيم عرقي لكن الواقع كان أكثر قتامة بكثير، ربما كان معظم مواطني المدن في مصر مثل أسلافهم البطالمة إغريق بمعنى لا لبس فيه، من ناحية أخرى كان العديد من المواطنين الرومان وربما معظمهم في القرنين الأول والثاني من الحكم الروماني من قدامى المحاربين الذين استقروا في مصر بعد تسريحهم أو أحفادهم، وكان الكثيرون سيعرفونهم على هذا النحو، لكن أنماط التجنيد في الجيش الروماني تعني أن أصولهم العرقية وممارساتهم الثقافية لم تكن في الغالب رومانية أو إيطالية.

إذن شكلت البنية الطبقية في مصر على عدة طبقات: في الأعلى كان المواطنون ذو الجنسية الرومانية ثم يليهم المواطنون من المدن الإغريقية في مصر، ولكن الإسكندرية احتلت مكانة أعلى من بطلمية ونقراطيس وأنتينوبوليس، ولم يدعو الرومان هؤلاء بالهيلينيين، ولكن قاموا بتحديدهم جماعيا على

بأسره إلا أن القائد الروماني "فسباسيانوس" أنقذه، ثم عاد إلى روما حيث حمل اسم "فلافيوس" باعتباره عبدا حرره سيده ثم منح حق المواطنة الرومانية. أنظر: بيومي مهران محمد، **بنو اسرائيل التاريخ منذ عصر ابراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص90.

[1] Flavius Joséphe, **Guerre Des Juifs**, truduction de Bené Harmand, révisée et annotée par Théodore Reinach, Tome 5, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1912, II, XVI, 4, 385.

[2] Diodore de Sicile, **Bibliothèque Historique**, Trad par Ferd Hoefer, Tome III et IV, Adolphe Delhays Libraire, Paris, 1851, XVII, 52.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص314؛ أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص123.

[4] Kelly Benjamin**, Petitions, litigation and social control in Roman Egypt**, OUP Oxford**,** New York, 2011, p146.

أنهم مواطنين[1]، ويأتي بعد ذلك قطاع كبير من ذوي الامتيازات الأقل وهم الإغريق واليهود، ويأتي على قاعدة الهرم الاجتماعي باقي سكان مصر المزارعين والحرفيين وصغار الملاك والتجار [أنظر: **المخطط رقم 3**]، أي الغالبية العظمى من الشعب التي عوملت معاملة سيئة من الإدارة الرومانية، وكانت توجد حدود فاصلة بين هذه الطبقات، فكان من المستحيل أن يتمكن فرد من الانتقال إلى طبقة أعلى إلا في حالات استثنائية وبإذن خاص من الإمبراطور شخصيا، وكان بعض أثرياء الإسكندرية والشخصيات البارزة والثرية في المدينة يكافؤون بمنحهم المواطنة الرومانية[2] .

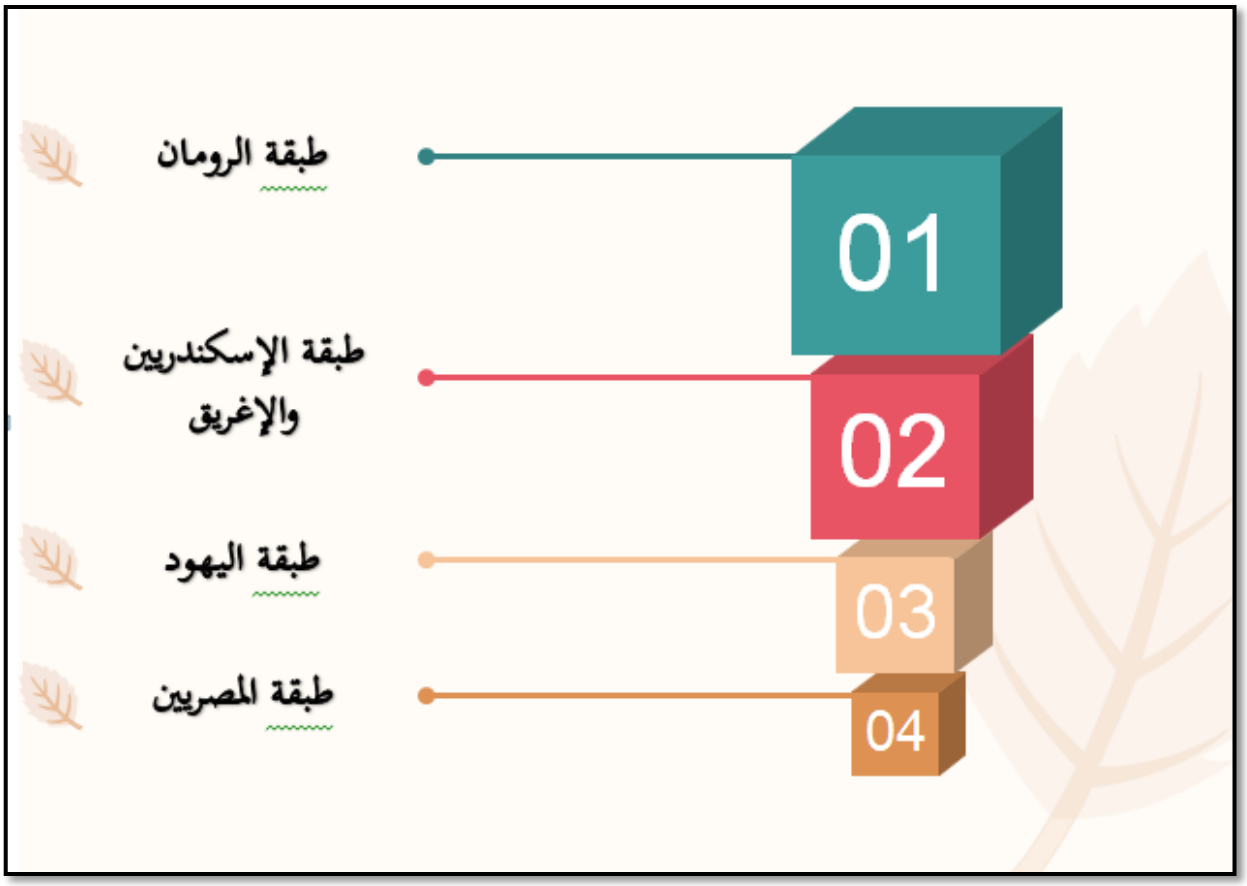

المخطط رقم 3: مخطط يوضع تقسيم الطبقات في مصر من خلال المكانة والامتيازات.

[1] RogerS. Bagnall, **Hellenistic and Roman Egypt :sources and approaches**, british library cataloguingin publication data, Great Britain, 2006, p268.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص314، 315.

1. الرومـــــان:

اتخذ البناء الاجتماعي شكلا هرميا صارم يحتل قمته المواطنون الرومان، وعادة ما ينظر إلى الطبقات الاجتماعية التي تتميز بقدر كبير من السلطة، على أنها النخبة داخل مجتمعاتها، وهي فئة كانت قليلة العدد مقارنة بباقي السكان، وكانوا يتمتعون بكافة الامتيازات[1]، وقد احتل الرومان المرتبة الأولى بين السكان على أساس انتمائهم لنفس جنس الحاكم، وهم المتمتعون بالمواطنة الرومانية، وقد شكلوا طبقة جديدة تكونت أساسا من جنود الحامية الرومانية التي وضعت في مصر منذ عهد الإمبراطور أغسطس، وبالرغم من أن جيوش الإمبراطورية الرومانية كانت تضم عددا من الأجناس بخلاف الرومان، إلا أنهم جميعا وعلى اختلافهم كانوا يتمتعون بالمواطنة الرومانية بعد تسريحهم من الخدمة الوطنية، وعلى ذلك فيبدو أن مصر وجد بها نوعان من الرومان:

1- الرومان الخلص- أي الخالصين من الأصل الروماني- : وهم حاملي المواطنة الرومانية بفضل المولد.

2- الرومان الجدد: وهم الحاصلون على المواطنة الرومانية وعلى أداء مميز في الخدمة العسكرية، وكانوا دائما من الأجانب[2].

إذن شكل الرومان طبقة جديدة، تكونت من أجناس عدة لا يجمعهم في النهاية إلا المواطنة الرومانية، وإذا رجعنا إلى عدد الجنود الرومان الذين تركهم الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، والذين شكلوا ثلاث فرق عسكرية يقدّر عدد جنودها 22 ألف جندي وفارس، لاستطعنا تقدير حجم الإضافة التي شكلها هؤلاء الجنود في المجتمع والذي كان كبيرا[3]، وعلى الرغم من أن هذا العدد قد خُفِّض في عهد الإمبراطور تيبريوس إلى 16 ألف، وخفض مرة ثانية في القرن الثاني الميلادي إلى 11 ألف جندي، إلا أنها كلها أعداد تدل على مدى ضخامة الوجود الروماني في مصر[4].

وكان العدد الأكبر من أفراد الجيش يؤخذ عادة من إيطاليا والولايات الرومانية، وخاصة في أثناء 150 عاما الأولى من الحكم الروماني، وقد كانت الغالبية العظمى كما ذكرنا سابقا من فرقتي قورينا الثالثة وديوتاروس الثانية والعشرين من المواطنين الرومان، ومنذ عصر تيبيريوس استمدت هاتان الفرقتان

---

(1) Katelijn Vandorpe, **The oxford handbook of roman Egypt identity in roman Egypt-** , Oxford University Press, Editors: C. Riggs, 2012, p262.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص124.

(3) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص72.

(4) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص124، 125.

أغلب جنودهما من أبناء الجنود الذين كانوا يحملون المواطنة الرومانية بالوراثة، وتحدثنا الوثائق بأن الكثير من هؤلاء الجنود ينتمون إلى أصول إيطالية [أنظر: الجدول رقم 2] [1]:

الوثيقة	اسم الجندي الروماني	الفرقة أو الكتيبة	الموطن الأصلي للجندي
CIL. IX 5439 = ILS. 1368	T.Cornasidius T.F.Fab.Sabinus	Pr.Coh.Pannonia	Italicus, Asculum, Regio V
CIL.X 1685= ILS. 1397	L.Bovius Lf.L.n.Faal.Celer.	Leg.III Cyr.	Italicus Puteoli, Regio I
CIL.XI 6123	C.Hedius C.f.Clust verus.	Pr.Coh.Britannia.	Italicus , Forum Sempronii Regio II
CIL.IX 1614	L.Laetilius L.f.Stel.Rufus	Trib.Mil.Leg.XX II	Italicus , Beneventum,Regio II
CIL.XIV 171= ILS.2741	C Nasennius C.f.Marcellus Senior.	قائد إحدى الكتائب المساعدة Pr.Coh.	Italicus , Ostia, Latium
CIL.IX.1619= ILS.5502	C.Oclatius C.f.Pal.Modestus.	Pr.Coh.	Italicus , Beneventum, Regio II
CIL.X 1129 =ILS.2698	L.¨Pinarius L.f.Gal Natta.	Tr.mil.III cyr.	Italicus , Abellinum, Regio I.
CIL.IX 5439= ILS.1368	T.Cornasidius T.F.Fab.Sabinus.	Pr.alae Veter Gallor	Italicus , Asculum, Regio V
CIL.XII 1802 , VI 1567.	Ti.Claudius Ti.FIL.Pal.Quartinus	Trib.mill leg.III Cyr	Italicus
CIL.X 6976= ILS. 1434	L.Baebius L.f.Gal.Iuncinus	Trib.leg.XXII Deiot	Messana, Sicilia

الجدول رقم 2: جدول يبين الجنود الرومان في مصر الذين من أصول إيطالية.

[1] حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، **المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام 212 م "دراسة وثائقية"**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة عين شمس، 1993، ص ص10، 11.

وكان من حق الجندي الذي يخدم في الفرق المساعدة أن يحصل على المواطنة الرومانية بعد 26 عاما من الخدمة العسكرية[1]، وعندما يتم تسريحه فإنه يكون في وضع مالي جيد، بحيث أن مدة خدمته العسكرية كان يدخر من راتبه، وكان بعض الجنود المسرحين يستثمرون أموالهم في مشروعات تدر عليهم أرباحا كبيرة، وكانت الأنشطة المالية لرجال الحامية تمتد إلى عدة مجالات مثل تجارة العبيد وغيرها من الأنشطة التجارية، وكانت الإدارة الرومانية تمنح الجندي المسرح الأوراق التي تدل على أدائه الخدمة العسكرية، وبهاذين السلاحين أي المال والمستندات كان الجندي المسرح يبدأ حياته المدنية فيشتري العقارات، ويحرص الجنود على الإقامة في القرى الكبيرة، ففي قرية فيلادلفيا بمديرية أرسينوي على سبيل المثال كانوا يشكلون خمس عدد الملاك في القرية[2].

وقد وجد العديد من النصب التذكارية لجنود رومان في مصر، وتعود الغالبية العظمى منها التي أقيمت تكريما للجنود وأقاربهم من النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، من بينها نجد مجموعة مميزة من 25 نصبا منحوتا من الرخام بصورة (أو صور) للمتوفى في لباس عسكري [أنظر: **الصورة رقم 4**]، في ضاحية نيكوبوليس أين ذكرنا سابقا تتمركز فيها الفرق الرومانية، هذه المجموعة من شواهد القبور تحمل إشارة كبيرة، وتمثل ما يقرب من 20 ٪ من نوع "الجندي الدائم" من شواهد القبور الباقية من الإمبراطورية الرومانية[3].

وحيثما وجد الرومان في أنحاء مصر بأعداد كبيرة كانوا يؤلفون لأنفسهم رابطة تجمعهم (Conveuntus Civium Romanorum) ليساهموا كمجموعة مستقلة في حياة البلدة التي كانوا يعيشون فيها، وكان الجنود المسرّحون يشكلون ما يطلق عليه مستعمرات، انتشرت في بعض المناطق وبخاصة الفيوم[4].

---

[1] وتجدر الملاحظة أن الخدمة العسكرية لم تكن متاحة أمام المصريين، وفي أواخر القرن 2 م تم فتح باب التطوع في الجيش أمام الشباب من سكان عواصم المديريات والالتحاق بالفرق المساعدة، وكان أفراد هذه الفئة غالبيتهم من الإغريق الذين استقروا في مصر منذ عصر البطالمة. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص316.

[2] نفس المرجع، ص317.

[3] Sofie Waebens, **The Representation of Roman soldiers on third-century AD funerary monuments from Nikopolis (Egypt)**, Tome 1, VoL 1, Revue internationale d'histoire militaire ancienne, 2014, pp61, 62.

[4] حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص35.

كان بعض الجنود يبحثون عن المنطقة التي سوف يقيمون فيها قبل أن يتم تسريحهم بعام أو عامين، ونرى بوضوح في خطاب مؤرخ في عام 136 م وفيه كتب جندي إلى أخيه الذي قد سُرّح قبله من الخدمة وعاد إلى موطنه كرانيس في إقليم الفيوم قائلا:[1]

" **أبعث إليك مع تحياتي توصياتي على ترينتيانوس حامل هذه الرسالة، والمُسرَّح تسريحا مشرفا من الخدمة العسكرية، وأرجو أن تقدمه إلى القرويين حتى لا يتعرض لإيذاء من قبلهم، فهو يملك مالا ويرغب بالإقامة هناك، وقد عرضت عليه أن يستأجر منزلي لمدة سنتين هذا العام والعام الذي يليه نظير مبلغ ستين دراخمة، فإن يستأجر حقلي نظير ستين دراخمة أخرى...**".

الصورة رقم 4: لوحة جنائزية للجندي أوريليوس سابيوس (Aurelius Sabius)
(Alexandria Mus.inv.252)
Sofie Waebens,, op.cit, pp61, 62.

ويبدو أن سكان القرى لم يكونوا يشعرون بالارتياح لوجود هؤلاء الجنود السابقين بينهم[2]، ويمكن أن نفهم الأسباب التي تقف وراء عدم ترحيب القرويين بالجنود سواء العاملين في الجيش أو المسرحين، فإنه من العادة عند انتشار الوحدات العسكرية أو الضباط ونزولهم القرى كانوا يقومون بإلزام الأهالي بتقديم أشياء معينة لهم مثل الإيواء والسكن والطعام والضرائب، وهذه المطالب كان مصرحا بها من قبل

[1] البردية: **SB.9636** نقلا عن: نافتالي لويس، **الحياة في مصر في العصر الروماني 30 ق.م– 284 م**، ترجمة وتعليق آمال الروبي، مراجعة الدكتور محمد حمدي ابراهيم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 1997، ص26.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص317.

الإدارة ولكن يبدو أن الجنود كانوا يبالغون فيها حرصا على مصالحهم الخاصة، بالإضافة إلى إعفائهم من الضرائب والخدمات التي تفرض على غير الرومان، ليس فقط بسبب وضعهم الطبقي المميز الذي منح لهم ولكن هذا الوضع سيزيد نسبيا من تلك الأعباء الملقاة على الذين لا يتمتعون بأية امتيازات، وكان الجنود يُصرّون على ممارسة امتيازاتهم، وهذه من بين الأسباب التي أدت إلى وضع حواجز نفسية واجتماعية بين الجنود وباقي السكان[1] .

لقد احتل بعض الجنود مكانة مرموقة في مجتمعاتهم الجديدة التي اختاروها لإقامتهم، ليس فقط لتمتعهم بالجنسية الرومانية ولكن للثروة التي امتلكوها، فقد كانوا أثرياء مقارنة بمستوى القرى، فحصلوا على الأراضي واستثمرها أغلبهم في الزراعة والمشروعات المرتبطة بها، ولدينا تفاصيل عن مثل هؤلاء الأثرياء نذكر منهم يدعى لوكيوس بيللينوس جمللوس (Lucius Bellenus Gemellus)، الذي أقام في الفيوم بعد تسريحه عام 80 م، فبعد ثلاثين عاما من وصوله كان يملك أراضي في قرى عدة، ويساعده وكلاء في إدارة أملاكه وامتلك معصرة لعصر الزيت، وتكونت أسرته من ابنة وثلاثة من الأبناء الذكور، ومثل هذه الأسرة كانت تعتبر دعامة اقتصادية أساسية في المجتمع المحلي[2].

وعرفت مصر الرومان كذلك كموظفين عملوا في مناصب الإدارة العليا من أولئك الذين جاؤوا من روما، اشتهر منهم بالانحراف الوظيفي كالرشوة والربا والإهمال والتعيين الغير القانوني لأفراد وفئات، وكذلك استخدام السلطة الوظيفية للربح واختلاس حقوق الدولة، وكلها انحرافات وتجاوزات لموظفين إداريين أو ماليين، كما عرفوا كتجار عملوا في القطاع التجاري وتحديدا في مدينة الإسكندرية، وبالتالي لم يكن غريبا أن يختار منهم كبار موظفي الإدارة العليا في مصر وأن يتمتعوا بامتيازات خاصة[3].

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أقلية من أغنياء الرومان، يأتون إلى مصر للاستمتاع بشتائها اللطيف والاستشفاء من جوها اللطيف، كما اتخذ بعض الرومان من مصر مستقرا لهم، وكان غالبيتهم من قدامى المحاربين إلا أن بعضهم كانوا ينحدرون من عائلات إسكندرية حصلت على المواطنة الرومانية، وكانت سياسة الأباطرة الرومان تقوم على السماح لرجال الولايات بالالتحاق بالخدمة العسكرية في

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص27.

[2] نفس المرجع، ص28.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص126، 127.

الفرق التي ترابط في ولايات أخرى، لذلك فإن الجنود القدامى الذين استقروا في مصر كانوا من أصول أجنبية، ونظرا لطول إقامتهم في مصر فقد ارتبطوا بها وأحسوا أنها وطنهم[1].

وينبغي ملاحظة أن توافد العناصر الرومانية على مصر لم يكن يماثل بأي حال حجم توافد العنصر الإغريقي بعد قيام الحكم البطلمي، وكان تغلغلهم في الأقاليم محدودا، ويبدو أن أهم العوامل التي أعاقت ولو لفترة قدوم كثير من ملاك الأراضي الكبار إلى مصر، كانت تلك القاعدة التي أقرها الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، وهي عدم السماح لأعضاء مجلس الشيوخ الروماني بل أيضا الفرسان بدخول مصر إلا بإذن خاص من الإمبراطور، وقد طبق الأباطرة هذه القاعدة بدقة لأنها كانت احتياطا ضد خطر قيام أحد من ذوي السلطة والطموح بالاستقلال بمصر[2].

2. الإسكندريون، الإغريق:

كان إغريق الإسكندرية يطلق عليهم الإسكندريون، وقد منحوا بعض الامتيازات[3] جعلتهم يقتربون أكثر من الرومان، وذلك للحفاظ على وضعهم المتميز، وكان من حقهم الانخراط في صفوف الجيش الروماني، حيث أن سياسة أوكتافيوس أغسطس هي أن يحتفظ للإسكندريين بما كان لهم من وضع متميز على قمة الهرم الطبقي في مدينتهم الإسكندرية، وفي نظر أحمد غانم حافظ أحمد[4] بأنه لم يكن بحاجة لأن يحتفظ للإسكندريين بوضعهم الممتاز وبالذات على الصعيد الاجتماعي، حيث أن دخول الرومان إلى مصر قد حولهم وبقية السكان إلى رعايا للإمبراطور الروماني، الذين كان عليهم أن يؤدوا له قسم الولاء، وبالتالي فقدوا حريتهم واستقلالهم داخل مدينتهم التي أصبحت عاصمة الولاية الرومانية، فأصبح الجميع سواء أمام كلمة الإمبراطور.

كان أهل الإسكندرية يشتهرون بحبهم للعمل والمال، وميلهم للثورات وكل ما هو جديد وبحبهم

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص316.

[2] حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص8.

[3] سندرج الامتيازات التي منحت للإسكندريين في موضع آخر كالمواطنة وإعفائهم من ضريبة الرأس، ولكن في فترة الإمبراطور دقلديانوس عام 284 م قضى على امتيازات كل من الإسكندريين والرومان، بهدف إصلاح أوضاع الإمبراطورية التي بدت على وشك الانهيار. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص128.

[4] نفس المرجع، ص ص99، 128.

للسخرية من الأباطرة الرومان، وعن أهل الإسكندرية يقول الإمبراطور هادريانوس[1]: "**لا يتوانى أهل الإسكندرية في الاضطراب والغرور والأذى ومدينتهم غنية تفيض بالخيرات، ولا يوجد بها أحد عاطل عن العمل، فإنهم لا يعبدون سوى إله واحد هو المال...**".

أما الإغريق خارج الإسكندرية فقد كانت بمصر لدى دخول الرمان ثلاثة مدن إغريقية كما ذكرنا من قبل وهي: نقراطيس وبطلمية والإسكندرية[2]، هذا ولم يقتصر وجود الإغريق في هذه المدن بل كانوا منتشرين في كافة أرجاء مصر وخاصة في إقليم الفيوم[3]، وأن أكثر من قليل من نصف سكان الإغريق كانوا من الجنود ولاسيما في الفيوم التي كانت قبل العهد الروماني خزان فريد من[4] الجنود المستقرين[5]، وكان مواطنوا المدن الإغريقية يتمتعون ببعض الامتيازات من الناحية الاقتصادية، فقد كانوا يشاركون في النشاط الاقتصادي لمدينة الإسكندرية، وكانوا يمتلكون أراضي زراعية في أنحاء متفرقة في مصر، وتمتعوا أينما حلوا بحق الإعفاء من[6] الخدمات الإلزامية[7].

---

[1] نقلا عن: ابراهيم نصحي، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**، مكتبة الأنجلو مصرية، د.م، 1959، ص44؛ فيما يخص طبائع الإسكندريين فقد ذكر أحد الفلاسفة الرواقيين الذي حاول إصلاح أمرهم وإعادتهم لطريق الصواب وهو "ديوخريسوستوم"، الذي قال عنهم أنهم ميالين للضحك والصخب ويفتقدون للجدية، وأنهم سريعي البديهة فلديهم دائما إمكانية ترجمة أفكارهم لكلمات بسرعة، مندفعون ومتهورون في التعبير عن آرائهم وبصوت عالي، ويرهبون دائما كافة المتحدثين إليهم. أنظر:
Dio Chrysostomos, Or, XXXII, 69.
نقلا عن: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص97.

[2] نفس المرجع، ص128.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص102؛ Kelly Benjamin, op.cit, p150

[4] Cristelle Fisher Bovet, **Army and Society in Ptolemaic Egypt**, in partial fulfillement of requirement for the degree of doctor of philosophie, Stanford University, 2008, pp77, 78.

[5] لكي يشجع البطالمة نظام الاستيطان العسكري للجنود في مصر قاموا بتوزيع أراضي عليهم لتوفير فرص لهم لامتلاك قطعة من الأرض يمتلكها الملك نظريا، ومنحت لهم حق الانتفاع بها على المدى الطويل وتحولت تقريبا إلى الملكية الكاملة. أنظر:
Chapo Victor, **Les Armées Hellenistiques** [Marcel Launey, **recherches sur les armées hellénistiques**], Journal des Savants, 1951, p100.

[6] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص318، 319.

[7] إذا كانت هناك ضرائب يؤديها الأهالي عينا أو نقدا، فإن هناك التزامات كان عليهم أن يؤدوها من خلال جهودهم وممتلكاتهم، من خلال ما يعرف بنظام الخدمات الإلزامية (Leitourgia)، ومن المعروف أن في بعض الممالك الشرقية في العصور القديمة كان من حق الملوك تسخير رعاياهم لإنجاز بعض الأعمال، وكان الرومان منذ عهودهم الأولى يعرفون نظام الواجبات العامة ويؤدون خدمات للدولة، وهناك نوعين من الخدمات الإلزامية أولها قوامها العمل اليدوي بينما اعتمد النوع الآخر على الثروة. أنظر: نفس المرجع، ص ص301، 302.

ومما هو جدير بالذكر أن الوضع المتميز الذي كان يتمتع به الإغريق والمقدونيون في عصر البطالمة لم يعد له وجود في العهد الروماني[1]، وتحول المقدونيون إلى نفس مرتبة المصريين، وهنا إشارة واضحة على تدهور أوضاعهم[2]، بعد أن كانوا طبقة لها حقوق توارثتها، وذهب امتيازهم الطبقي الذي كان في عهد البطالمة إذ أنهم كانوا ينحدرون من سلالة مميزة[3].

وكانوا يشيرون باعتزاز في بياناتهم للدلالة على أصولهم الإغريقية والمقدونية، كأن يكون الفرد من من كريت أو ثيسالي الأصل، لقد أصبح الجميع في سجلات الحكومة مصريين لا أكثر ولا أقل، وعندما يكون السكان غير متجانسين في أصولهم فإنهم سرعان ما يتجمعون معا بحيث يكون لهم وضع سياسي وقضائي واحد، وسرعان ما يُكَوّنون طبقة اجتماعية تضمهم في إطار المجتمع الكلي للسكان[4]، فزادت العلاقة قربا بين المقدونيين والمصريين الذي سبق وأن فرق بينهم البطالمة لاسيما في المناطق الريفية[5].

3. اليهـــــود:

أما اليهود فإن استقرارهم في مصر يرجع إلى عهود قديمة، وكانت هناك جالية يهودية في جنوب مصر منذ القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وقد انتشروا في سائر أرجاء مصر وكان لهم دور ملموس في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الإسكندرية[6]، التي كانت تضم أكبر عدد من اليهود، حيث ترك العديد من اليهود أرض آبائهم وأجدادهم وهاجروا إلى الإسكندرية ومصر في عهد البطالمة نتيجة لعوامل تختلف باختلاف الأشخاص، فجاء البعض منهم كجنود وسعى آخرون للهروب من المشاكل السياسية التي كانت في فلسطين، كما جلب آخرون كأسرى وعبيد، والبعض الآخر بدافع التجارة التي

---

(1) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص321.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص130.

(3) أي أنهم كانوا من سلالة ملوك البطالمة المقدونيين، فقد طال تكريمهم منذ عهد الإسكندر الأكبر ومن بعده في عهد خلفائه الملوك البطالمة، وقد شكلوا الحرس الملكي فلم يبقى جميعهم جنودا بل ظهروا في أعمال مدنية ودينية، فمنهم من كان من الكهنة ومنهم من شارك في النشاط المالي والتجاري، ومنهم من تولى مناصب رفيعة في الأقاليم ومنهم من دخل في عداد المواطنين. أنظر: نفس المرجع، ص ص53، 130.

(4) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص35.

(5) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص130.

(6) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص319.

جلبت الكثير منهم[1].

وجدت أهم جاليات اليهود في الإسكندرية وسكنوا في الحي المسمى "دلتا"، الذي يحمل للحرف الرابع من حروف الأبجدية الإغريقية، ومن الصعب القول بأن هذا الحي احتفظ لهم من البداية- أي في العهد البطلمي ولكن في العهد الروماني كان حيا يهوديا بامتياز، ويقع في الشمال الشرقي من المدينة قرب القصر على مسافة قصيرة [2] [أنظر: **الخريطة رقم 1**] لأحياء الإسكندرية وفق **التخطيط الهيبودامي**[3]. ويذكر **فيلون**[4] أن عدد اليهود في مدينة الإسكندرية كان لهم حيين من خمسة أحياء[5] في المدينة[6]، وأن عددهم في مصر بلغ المليون يهودي[7].

إن الرقم الذي ذكره فيلون عن عدد اليهود مشكوك فيه، إذ ليس من المرجح أن اليهود كانوا يؤلفون هذا العدد من سكان مصر، ولا بد أن نذكر هنا أنه لم يعمل إحصاء خاص باليهود حتى

---

(1) Giovanni Ruffini, **Ancient Alexandria between Egypt and Greece**, Contributors W. V. Harris, Brill place of publication: Leiden, Netherlands, 2004, p125.

(2) Peter Lang, op.cit, p26.

(3) **التخطيط الهيبودامي**: هو نمط من تخطيط المدن على شكل رقعة الشطرنج ابتكره المهندس "هيبوداموس" (Hipodamos) من مدينة "ميليتوس" بآسيا الصغرى، وهو مهندس معماري عاش في القرن 5 ق.م، وقام بتخطيط ثلاث مدن هامة هي مدينة "بيريه" بالقرب من أثينا بعد الحروب الفارسية، مدينة "ثورى" في عام 444-443 ق.م ومدينة "رودس" في 408ق.م. أنظر:
عزت زكي حامد قادوس، **آثار الإسكندرية القديمة**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص9.

(4) **فيلون**: هو فيلسوف يهودي من الإسكندرية (20م-40م) يعد أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف بالإغريقية في عصره، ولد بالإسكندرية وعاش وتعلم بها وكانت دراسته إغريقية كلها وكان وثيق بالفلسفة الإغريقية وخصوصا فلسفة أفلاطون، كانت أسرته من أكثر الأسر ثراء في الإسكندرية، وكان كثير الاعتزاز بيهوديته وعرف بين المثقفين بفيلون اليهودي، وذكر عنه أن طائفته أرسلته إلى الإمبراطور "كاليجولا" في روما ليشكو إليه سوء معاملة الحاكم الروماني في مصر لأهل ملته، تصدى لشرح التوراة الإغريقية ليبين أن فلسفة اليهود أقدم من فلسفة الإغريق، ومن أقواله أن اليهودي يهودي دينا لا جنسية. أنظر: عبد المنعم الحفني، **موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية**، مكتبة مدبولي، مصر، 1994، ص ص164-166.

(5) كانت الإسكندرية مقسمة إلى خمسة أحياء في عهد البطالمة، فكان الحي الملكي المعروف بحي "**بيتا**" يسكنه الإغريق وهو يشغل الجزء الشمالي للمدينة، يضم القصور الملكية والبساتين والمكتبة والموسيون ودار العدل والبانيون، أما الحي المسمى "**دلتا**" فكان يسكنه اليهود ويقع خلف الميناء الشرقي الكبير وإلى الجنوب الشرقي من الحي الملكي، أما حي "**راكوتيس**" فيسكنه المصريون يقع إلى الجنوب الغربي من المدينة في الموضع الذي كانت تشغله قرية راكوتيس، ويوجد فيه ملعب السيرابيوم وميدان الألعاب. أنظر:
عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص27.

(6) Philo d'Alexandrie, **Ecrits historiques influence luttes et persécutions des Juifs dans le monde romaine -contre Flaccus ou de la providence-**, par Ferdinand Delaunay, deuxiéme édition, libraire académique, Paris, 1870, 55.

(7) Idem, 43.

عام71-72م وذلك عندما أدخل نظام الضرائب على اليهود، ومن ثم لم يكن بمقدور فيلون أن يحصل على رقم صحيح لعدد اليهود في مصر، ولاشك أن قصده هو التأثير على قرائه بمثل هذا العدد، وعلى ذلك إذا نظرنا إليه من الوجهة التاريخية فلا بد أن نكون على حذر، وهذه الملاحظة تنطبق كذلك على الأرقام التي أعطيت عن عدد سكان الإسكندرية من اليهود، إذ ليس لدينا برهان ثابت أنهم كانوا يؤلفون هذا العدد لأنهم كانوا يسكنون اثنين من أحيائها الخمس[1].

الخريطة رقم 1: خريطة توضح أحياء مدينة الإسكندرية [2].

---

[1] سليم حسن، **الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر**، ج14، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ص ص733-735.

[2] Shichao Wang, **Les relations entre les étrangers et les Autochtones a l'époque hellénistique : les modèles d'intégration des étrangers dans l'empire lagide**, Thèse de doctorat de l'Université de recherche Paris sciences et lettres, 2016, p XXIV ;

زكي علي، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان**، مطبعة دار المستقبل، د.د.ن، د.ت، ص13.

أما أبو اليسر فرح[1] فيذكر أن هذا الرقم يدخل في إطار المبالغات الخطابية، لأن إجمالي سكان المدينة لم يصل إلى نصف هذا العدد، ولكن يبدو أن عدد اليهود في الإسكندرية تزايد، فأصبحوا يشغلون اثنين من أحيائها بعد أن كانوا يسكنون في حي واحد.

عومل اليهود معاملة حسنة في عهد الرومان لاسيما في عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، وذلك رغم رفضهم مبدأ عبادة الإمبراطور التي أقيمت أساسا لضمان ولاء رعايا الإمبراطورية، وفي نظر أحمد غانم حافظ أحمد[2] أن المعاملة الطيبة لا تخلو من أسباب، وأهمها من وجهة نظره هو رغبة الرومان في جذب اليهود لصالحهم كجالية أجنبية بالإبقاء على حرياتهم الدينية ومؤسساتهم السياسية.

وقد شغل بعض اليهود مراكز إدارية هامة في الإسكندرية، مثل إسكندر لوسيماخوس شقيق الكاتب فيلون السابق الذكر، وهو والد تيبيريوس الإسكندر الذي أصبح حاكما على مصر فيما بعد[3].

انقسم اليهود إلى طائفتين الطائفة الأولى وتضم أثرياء اليهود من أرباب المهن وتضم طبقة أصحاب رؤوس الأموال، العاملون في التجارة البحرية، تجار التجزئة، الصناع وأصحاب الحرف[4]، والمزارعون من أصحاب الأراضي المحيطة بالإسكندرية، بالإضافة إلى أعضاء مجلس الشيوخ وطائفة الزعماء، أما الطائفة الثانية فتضم عامة اليهود من الفقراء والعاملين في المهن المتواضعة، ويلاحظ أن الطبقة الثرية من يهود الأقاليم حاولت العيش على نمط أثرياء الإغريق في عواصم الأقاليم، إذ كانوا يمتلكون الأراضي الزراعية أو يزاولون شتى أنواع النشاط الاقتصادي التي كانت تدر عليهم ربحا وفيرا، أما يهود الريف فمارسوا الزراعة والرعي، وهذه الطبقة الدنيا كانت تضم صغار الفلاحين والرعاة والعاملين في المهن المتواضعة والعبيد الذين كانوا يعملون في المناجم، فقد كانوا يشاركون المصريين بيئتهم ويزاولون نفس المهن والحرف.

ونجاح الطائفة الأولى في ميدان النشاط الاقتصادي يدل على أن فكرة الانطواء على أنفسهم في

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص320.

[2] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص129.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص319.

[4] جاء في التلمود أن جموع الصناع كانوا يجلسون في البيعة حسب مهنهم مثل العاملين في صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين، وأن أي يهودي يريد العمل في مهنة معينة كان عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية، واهتمام التلمود بهذه الطائفة من الصناع يدل على أهمية الدور الذي لعبته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ولم يكن في استطاعة هذه الطائفة من الصناع الانضمام إلى النقابات المهنية العامة في الإسكندرية. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان (مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعوني)**، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968، ص209.

جاليتهم لم يكن مقبولا، وأنهم استطاعوا التوفيق بشكل واضح بين مطالب حياتهم الخاصة كما رسمتها لهم شريعتهم وبين مقتضيات الحياة الناشطة من حولهم، ولعل إحساسهم بأنهم بعيدون عن الكيان السياسي للمدينة ومحرومين من الانتماء للطبقات الممتازة هو الذي دفعهم إلى إحراز هذا النجاح، ليفوزوا من الناحية الاقتصادية بما افتقدوه من الناحية السياسية[1].

4. المصريـــون:

تعتبر طبقة المصريين هي البقية الباقية من سكان مصر من غير المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية واليهود، فهم الذين يطلق عليهم إجمالا "المصريون"، وتطلق هذه الصفة على سكان الريف سواء أكانوا ينحدرون من أصول مصرية أو إغريقية، وهي فئة لم تشهد حياتها تغيرات تذكر[2].

لقد ظلت هي الفئة المقهورة والمستغلة إذا ما قورنت بوضع أي فئة أخرى سكنت مصر سواء في العصر البطلمي أو الروماني[3]، وكان أكثرهم فلاحون يكدحون في حرث الأرض، وقد عمل بعضهم في ورشات القرية أو عمالا في المناجم والمحاجر وصيد السمك، كما عملوا كبحارة ومجدفين في السفن، وبالجملة فقد قاموا بكل عمل يدوي، لأن الرقيق كان لهم دور محدود في حياة البلد الاقتصادية[4].

من المسَّلم به أن إجراء دراسات متعمقة لعامة الناس نستمدها من الوثائق البردية، حيث توجد بأعداد كبيرة وتوفر معلومات عن الحياة اليومية للطبقات الوسطى والدنيا ، فأوراق البردي تكشف لنا الكثير عن الروتين اليومي للأشخاص العاديين، حول وضعهم الاقتصادي وعائلتهم والحياة الزوجية والعادات الغذائية والصحة والمرض والوفاة والأدوات والعلاقات وهكذا، فنجد رسائل رسمية وإيصالات الضرائب، إقرارات التعداد، الالتماسات والوصايا، عقود الزواج وإيجار الأراضي، إلى جانب ثروة من الوثائق الأخرى، فقد حفظت لنا معلومات كثيرة، فهناك نموذج لرسالة من ورق البردي كتبت من طرف مجند مصري شاب في الجيش الروماني يدعى أبوليناريوس (Apollinarius) إلى أمه تايسيون (Taesion) بقرية كارانيس، تعود

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص212، 290، 291، 301، 303.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص321؛ Katelijn Vandorpe, op.cit, p263.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص130.

[4] م. رستوفتزف، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، ج1، ترجمة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص356.

إلى القرن الثاني الميلادي (Fayum, P.Mish.8.490)[أنظر: الصورة رقم 5] [1].

كانت طبقة المصريين تأتي في قاعدة الهرم الطبقي، واشتركوا جميعا في خضوعهم للضريبة بغض النظر عن نصيب كل منهم فيها حسب منزلته الاجتماعية، وباستثناء بعض الفئات المتميزة نجد أن هؤلاء المصريين عاشوا حياتهم كما كانوا من قبل يعبدون آلهتهم ويتكلمون نفس اللغة، لكن تعرضوا لمتاعب اقتصادية ازدادت حدة في العهد الروماني بسبب الضرائب المرهقة، والتي أدت إلى هروب العديد من زراع الأراضي من أراضيهم، لعدم تمكنهم من دفع الضرائب المطلوبة منهم، مما شكل ذلك خطرا على الاقتصاد المصري كله، وبلغ هذا الأمر ذروته عندما أصدر الإمبراطور كاراكلا أثناء زيارته لمصر قراره بترحيل المصريين من الإسكندرية، ماعدا ما تحتاجه المدينة منهم مثل تجار اللحوم والعاملون في القوارب النيلية ومتعهدوا وقود الحمامات[2].

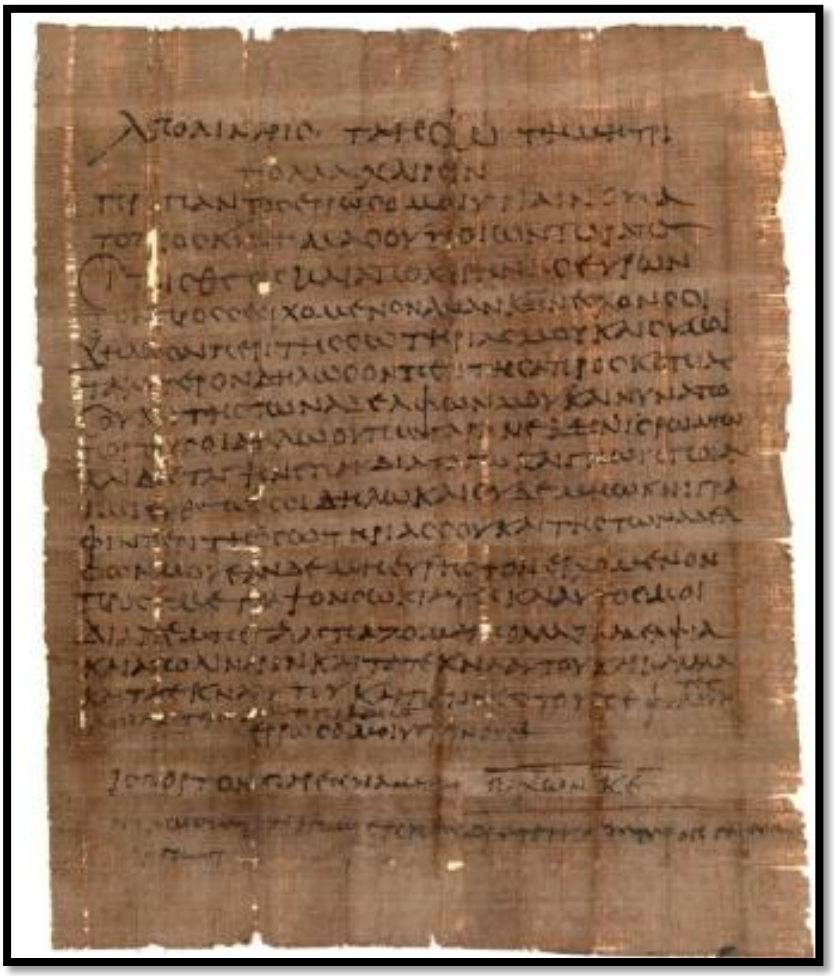

الصورة رقم 5: نموذج لرسالة من ورق البردي كتبت من طرف جندي في الجيش الروماني .

De Sabine R, op.cit, p6.

[1] De Sabine R, **Papyri and the social world of the new testament**, Cambridge University Press, United Kingdom, 2019, pp3, 6.

[2] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص73.

والواقع أن مجرد الإقامة في الإسكندرية لم تكن تجعل من ساكنها مواطنا بصفة تلقائية، حيث أن فرص العمل التي قدمتها أغرت السكان المحليين والأجانب بالقدوم إليها، وزاد من عدد سكانها قدوم العبيد والمصريين من كافة الشرائح للإقامة بها[1].

ثانيا: تنظيم المجتمع وأوضاعه:

1. فرض ضريبة الرأس:

قام نظام الضرائب في مصر في عهد الرومان على قواعد محكمة، تستطيع الدولة من خلالها أن تحصل على مستحقاتها من الأفراد، وكانت هذه المستحقات تشتمل على ضرائب ورسوم مختلفة عن الممتلكات والأفراد والنشاط المالي والاقتصادي، ومن الضرائب التي كانت تجبى على الأفراد ضريبة الرأس (Laographia)، التي تعد من أهم الضرائب التي فرضها الرومان في مصر، لأنها كانت ذات مدلولات سياسية واجتماعية وعلى قدر كبير من الأهمية، إضافة إلى كونها من المصادر المهمة لدخل الدولة[2].

ويكون ذلك عن طريق نظام دقيق لتعداد السكان لفرض كل أنواع الضرائب[3]، وبدأ ذلك في عهد البطالمة الذين أدخلوا نظام القيد السكاني في قوائم خاصة، وهو النظام الذي عرفوه باسم "أبوجرافي" (Apographé)، فأخذه عنهم الرومان الذين أوجدوا نظام التعداد المنتظم وفق استراتيجية الاستغلال المنظم لكل طاقات وإمكانيات مصر[4].

كان أوكتافيوس أغسطس قد فرض الضريبة في مصر حوالي 24 أو 23 ق.م، لكنه أعفى مواطني الإسكندرية والمدن الإغريقية مثل بطلمية ونوقراطيس، وذلك بحساب المكانة الاجتماعية، وكان

---

(1) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص31، 32.

(2) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص297، 298.

(3) لقد وجدت ضرائب أخرى يدفعها الأفراد إلى جانب ضريبة الرأس منها ضريبة الجسور (Chomatikan)، كان الهدف منها الإنفاق على صيانة الجسور وتنظيم عمليات الري، وهناك ضريبة أخرى مقدارها دراختمتان لكل فرد وهي ضريبة الخنازير، كان الغرض من تحصيلها إمداد المعابد الإغريقية بالحيوانات اللازمة للأضاحي، وأيضا ضريبة الحرف لكل أصحاب الحرف سواء أكان رجلا أو امرأة، وأيضا يدفعها الصبية في مرحلة التدريب إذا بلغوا الرابعة عشر، وقد فرضت الإدارة الرومانية ضريبة إضافية على الأهالي، لتعويض النقص عن الأشخاص المعدمين العاجزين عن الدفع، أو بسبب هروب البعض دون أن يتركوا ممتلكات، كما خضعت الأنشطة المالية والتجارية للضرائب وحتى من يملك الحيوانات التي يقدمونها قربانا، وكان الهدف من الضرائب إجمالا هو إمداد الجيش الروماني في مصر بالغذاء والعلف والملابس. أنظر: نفس المرجع، ص399؛ وللمزيد أكثر حول الضرائب التي فرضها الرومان في مصر أنظر:
J.A. Sander Boek, **Taxation in the later roman empire a study on the character of the late antique economy**, MPhil Thesis ancient history, Leiden University, pp39-55.

(4) محمود ابراهيم السعدني، المرجع السابق، ص175.

الناس مدركين أهمية الوصول الى أعلى درجات السلم الاجتماعي وحيازة المواطنة يعني إعفاؤهم من هذه الضريبة، وكان يقول المعفي "كان من دواعي الفخر أن يتم إعفاؤنا من ضريبة الرأس"[1].

وهو نظام التعداد التنظيم الدوري كل 14 عاما وهو النظام المعروف باسم "لاوجرافيا" (laographia)، وكان يتم في صورة إحصاء لكل الناس وكل الأشياء داخل المنزل الواحد، وكان المالك مجبرا على أن يكتب إقرارا (Apographé)[2] عن كل التفاصيل الدقيقة عنه وعن أسرته فردا فردا، وعن كل ممتلكاته سواء الحالية أو التي كانت بحوزته من قبل وباعها ومن تلك المعلومات:

اسمه، أصله، أوصافه الجسدية، أسماء أولاده، عمره وعمر أولاده وأوصافهم، ممتلكاته في أماكن أخرى: عقارات، حيوانات، أراضي وعبيد...إلخ، تعليمه وثقافته هو وأولاده، أسماء المواليد والوفيات وتحول كل المعلومات داخل إقرارات إلى لجنة خاصة تتكون خصيصا لهذا الغرض[3].

كان يجب على جميع سكان مصر من الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والستين أن يؤدوها، بمعنى آخر أولئك الذين صنفتهم الحكومة الرومانية على أنهم مصريين خضعوا جميعا لضريبة الرأس وكذلك اليهود، وكان من بين الفئات المعفية من أدائها هم الذين يتمتعون بالمواطنة الرومانية ومواطنوا المدن الإغريقية منها الإسكندرية[4]، وكذلك أعضاء المعهد العلمي بها وبعض أصحاب المهن[1]

---

[1] Dorothy I. Sly, **Philo's Alexandria**, Routledge, London. 2013, p8.

[2] لقد كان يتم معاقبة الأفراد الذين لا يقدمون الإقرارات في تعداد السكان منزلا منزلا بمصادرة ربع ممتلكاتهم، وإذا لم يسجل على مدى مدتين يتم مصادرة ربع آخر، وفي حالة عدم تقديم إقرار عن العبيد كان يتم مصادرة العبيد، أما الأفراد الذين كان يتعذر عليهم تقديم البيانات فكان يتم العفو عنهم إذا قاموا بتقديم البيانات الخاصة بهم في ظرف ثلاث سنوات، ولقد أطلق على هذه الإقرارات كلمة تعداد منذ عام 61/ 62 م، قبل ذلك كانت تسمى "تسجيل الهويات" التي كانت تقدم لمدير الإقليم أو الكاتب الملكي، وصل إلينا لحد الآن أكثر من 300 إقرارا، وأقدمها تعود إلى 20/19 م، بينما أحدثها تعود إلى 244/243 م. أنظر: رفاعي كريمة رمضان، **وضع الأبناء في حالات الطلاق في مصر الرومانية في ضوء إقرارات الإحصاء المنزلي**، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، مركز الدراسات البردية والنقوش، مج3، دار المنظومة، القاهرة، 2016، ص ص153، 154.

[3] محمود ابراهيم السعدني، المرجع السابق، ص175.

[4] في عهد الإمبراطور فسباسيانوس (70-79م) زار مصر وفرض ضرائب جديدة أشهرها ضريبة السمك المملح، فما كان من الإسكندريين أن سخروا منه مطلقين عليه لقب "تاجر السمك المملح"، وهو الأمر الذي أثار غضب الإمبراطور خاصة أنهم أطلقوا عليه ألقابا تحمل معاني السخرية منها" أبو ستة أوبول"، فجاء رد الإمبراطور عنيفا حيث بادر بعقاب الإسكندريين بأن فرض عليهم ضريبة الرأس، وهي الضريبة التي ميزهم بها الإمبراطور أغسطس سلفا بالإعفاء منها تقديرا لمكانتهم ووضعهم الاجتماعي في مصر قبل دخول الرومان، فجاءت هذه الحادثة بمثابة الكارثة التي حلت بالإسكندريين، ولكنه توسط لديه ابنه تيتوس – الذي كان يشغل حينها منصب قائد الحرس البرايتوري- فعاد وصفح عنهم. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص114.

وكذلك الجنود، حيث توضح بردية مؤرخة في 149 م وهي عبارة عن خطاب أرسله أحد موظفي الإسكندرية الرومان يأمر فيها كاتب الإقليم بأن يعطي لجندي أتم خدمته العسكرية شهادة تؤكد إعفاءه من دفع ضريبة الرأس[2]، كما تم منح الإعفاء أيضا للمعلمين، المدربين، الفنانين والمنتصرين في الألعاب الملكية وبعض الكهنة، وأحيانا لم يكن إعفاء كليا وإنما تخفيضا مثلما حدث مع الموسيقيين وبعض الكهنة[3].

أما مواطني عواصم الأقاليم فيعتبرون ضمن مجموعة النخبة وعبيدهم فقد دفعوها بنسبة منخفضة، وتظهر المعدلات بعض التباين بين المناطق، ففي مصر السفلى والوسطى بمعدل 16 دراخمة في السنة، و10 دراخمة في طيبة[4] و8 دراخمة في العام في كل من هيراكليوبوليس وهرموبوليس، وبمعدل 12 دراخمة في البهنسا و20 دراخمة في الفيوم، ويبدو أن هذا التفاوت يعكس مستوى الرخاء الاقتصادي في هذه الأقاليم، فقد كانت أراضي الفيوم خصبة ومثمرة ولذلك ارتفع معدل الضريبة فيها على كل رأس، وعندما يبلغ الصبي في هذه الطبقة سن الرابعة عشر يتقدم والديه بطلب رسمي لفحصه (Epikrisis)، أي فحص وضعه القانوني وتسجيله في طبقتهم[5].

ويبدو أن هذا التقسيم كان خاضعا لقيمة الأقاليم من الناحية الاقتصادية، ولكنه عبّر عن مقدار الظلم الذي يعانيه الفقراء المصريين الذين كانوا يدفعون ضعف الأغنياء، وهو تناقض يدل على رغبة الرومان دائما في إخضاع المصريين ووضعهم باستمرار محل الضغط النفسي والاقتصادي والاجتماعي[6]، وفي هذا الصدد يذكر والاس (Wallace) [7] أن المثير للاهتمام ملاحظة أن هذه الضريبة لم يتم إلغاؤها إذا توفي دافع الضريبة، فإذا وقعت الوفاة في غضون الخمسة الأشهر الأولى من السنة يدفع أهلها النصف المستحق منها، أما إذا توفي في النصف الأخير من العام كان يدفع المبلغ المستحق بأكمله.

---

[1] أبو اليسر فرح،المرجع السابق،ص298؛ نافتالي لويس، المرجع السابق، ص46؛ أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص102.

[2] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص25.

[3] Dominic Rathbone, **Egypt, Augustus and roman taxation**, In Cahiers du centre Gustave Glotz, 4, 1993, p93.

[4] Ibid, p87.

[5] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص46.

[6] العمري عبد النور، المرجع السابق، ص102.

[7] Sherman Leroy Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian**, Princeton University Press, London, 1938, pp125, 126.

ونظرا لثقل هذه الضريبة على كاهل السكان فقد سمحت الإدارة الرومانية بإمكانية دفعها على أقساط، وفيما يخص العبيد فكانوا يتبعون سادتهم من حيث الإعفاء منها أو دفعها مخفّضة أو بأعلى قيمة، وبالتالي فإن ضريبة الرأس كانت تفرض على الشعوب المهزومة كرمز لخضوعها، لأن المصريين كانوا خاضعين لها في حين أعفي منها الرومان والإسكندريون، ولذلك اعتبرت دليلا على تدني المكانة الاجتماعية والسياسية، وهناك من يعتبرها أنه ليس الهدف منها الاحتقار أو الخضوع وإنما اعتبارها مبلغا يدفع بدلا عن أداء الخدمة العسكرية[1].

2. اكتساب المواطنة الرومانية:

أ. حق المواطنة الإسكندرية:

ذكرنا سابقا أن الرومان أبقوا على طبقة مواطني الإسكندرية باعتبارها طبقة مميزة تضاهي مواطني المدن الإغريقية الأخرى التي تحتل المرتبة الثانية بعد طبقة المواطنين الرومان، ولما كانت كلمة إسكندري (Alexandreis) تطلق في القرن الأول الميلادي على المقيمين في الإسكندرية سواء أكانوا مواطنين أم غير مواطنين، فقد حرص المواطنون الكاملون[2] أشد الحرص أن يقرنوا أسماءهم باسم القبيلة التي كانوا ينتمون إليها واسم الحي[3] الذي كانوا مُسّجلين فيه[4]، فكان هؤلاء المواطنين مثل مواطني أثينا وغيرها

---

[1] قديم الطيب، المرجع السابق، ص ص132، 133؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص318، 319.

[2] سميوا بالمواطنين الكاملين لأن المواطنين في الإسكندرية في عهد البطالمة كانوا ينقسمون إلى طبقات:

طبقة المواطنين الكاملين:(Astoi) أو الإسكندريين (Alexandreis)، والذين كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة أي بالحقوق الخاصة مثل الزواج من المواطنين الإغريق وامتلاك الأراضي في أقاليم المدينة، وبالحقوق السياسية وببعض الامتيازات الدينية فقد كان يختار منهم أغلب الموظفين والكهنة، هذا إلى جانب ما كانوا يتمتعون به من الامتيازات الهامة كالإعفاء من الضرائب ومن أعمال السخرة. و**الطبقة الثانية**: هي طبقة أنصاف المواطنين التي تتمتع بقدر محدد من حقوق المواطنة، وهم ثلاثة فئات: **أولها** الذين لم يسجلوا في أحياء بعينها وورد ذكر تلك الأحياء مقترنا بأسمائهم، **الثانية** الفئة الذين لم يسجلوا بعد في أحياء ولم تحدد أحياؤهم، **والثالثة** إسكندري السلالة الذين لم يسجلوا بعد في أحياء بذاتها رغم ورود ذكر الأحياء مقترنة بأسمائهم.

أنظر: ابراهيم نصحي، **دراسات**...، ص21، 23.

[3] في وثيقة بردية ترجع إلى عام 265 ق.م نجد أن مدينة الإسكندرية كان يوجد بها خمسة قبائل في كل منها اثنة عشر حيا وفي كل حي اثنتي عشر وحدة، ولا نعرف من أسماء هذه القبائل سوى ثلاثة منها وهي:قبيلة ديونوسياس (Dionysias)، قبيلة بطوليس (Ptolemais) وقبيلة برنيكي (Berenike)، أما أسماء الأحياء فيبدو أنها تشتق عادة من اسم أو لقب إله أو بطل من أبطال الأساطير الإغريقية. أنظر: البردية:**P.Hibeh**, **28** نقلا عن: ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط2،ج2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976، ص ص313، 314.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص242.

من المدن الإغريقية[1]، وكانوا ينقسمون إلى قبائل (Phylai) وأحياء (Demes) وإلى وحدات (Phratries)، وكان هناك على الأرجح ست قبائل و720 حي و120 وحدة[2].

أما السيدات اللائي ينتمين بمولدهن إلى هذه الطبقة فإنهن كن لا يضفن إلى اسمهن اسم حيهن لكنهن كن يدعين إسكندريات (Alexandrides) أو مواطنات (Astai)[3]، بينما اعتاد غير المواطنين المقيمين في المدينة إضافة عبارة "ليس من الإسكندريين أو خارج مدينة الإسكندرية" (ho apo أو hoi ex alexandreias) إلى أسمائهم، وكانوا في نظر القانون الروماني مجرد رعايا أجانب (Pregrini Dediticii)، ولم يكن في وسعهم أن يسجلوا أبناءهم في قوائم الشبان [4] **الإفيبوى** (Ephebeia)[5]، ولاسيما أن الإمبراطور كلوديوس أكد لأفراد جماعات الشبان الإسكندريين حقوقهم[6].

كما لم يكن بوسع غير المواطنين الالتحاق **بالجمنازيوم**[7]، الذي أصبح في العصر الروماني مؤسسة خاضعة لرقابة الدولة والالتحاق بها مقتصرا على الإغريق دون غيرهم، وكان أولاد المواطنين قد تلقوا

---

[1] ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص21.

[2] A.H.M. Jones, **The Cities of the eastern roman provinces**, revised by Michael Avi-Yonah, George Bean Michael Gough, T. B. Mitford George Mihailov, Joyce Reynolds Henri Seyrig, J. David Thomas David Wilson, second edition, oxford at the clarendon press, Great Britain, 1971, p303.

[3] ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص22.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص242.

[5] **الإفيبوى**: يعود أصل هذه المنظمة إلى أثينا في حوالي 370 ق.م، وقد بدأ نشاطها واتخذ شكلها النهائي ما بين عامي 337 و335 ق.م، ويبدو أنها في الأصل كانت تشبه عن قرب الخدمة العسكرية الإجبارية في عصرنا الحالي، وكان سن الاندماج فيها بمصر الرابعة عشرة، أما في أثينا فكانت الثامنة عشرة وهي سن بلوغ الرشد السياسي في كل منهما ومدة الدراسة عاما واحدا، وكانوا ينقسمون فرقا أو وحدات تعرف كل منها باسم مدربها، وكان مقصورا الانخراط فيها على الذين يحق لهم التمتع بحقوق المواطنة، كان الصبية يحصلون على التدريب العسكري ثم يتابعونه في الجمنازيوم، كما أنها تبث فيهم أسلوب الحياة الإغريقية بتربيتهم تربية رياضية صحيحة. أنظر: ابراهيم نصحي، **تاريخ التربية والتعليم في مصر "عصر البطالمة"**، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص ص37، 43، 44.

[6] ابراهيم نصحي، **دراسات**...، ص22.

[7] **الجمنازيوم**:يعتبر مركز الحياة الاجتماعية في المدينة الإغريقية، وهو مكان عام أو مبنى حيث كان يمرن الشباب الإغريقي فيه على الجري، ويحتوي على ملاعب مصارعة وحمامات وقاعات محادثة، وكان له أهمية ثقافية واسعة وله دور جسدي وعقلي، حيث كان مكانا للتجمع والاستماع إلى الموضوعات الفكرية والدردشة والنقاشات. أنظر: أنظر:سليم حسن، المرجع السابق، ص232؛
Jeffrey Jay Cunningham, **The Role of learning institutions in Ptolemaic Alexandria**, accepted in partial completion of the requirements for the degree master of arts, the faculty of Western Washington University, 2010, p47.

تعليمهم في الجمنازيوم، الذي كان إجراء طبيعيا لابد أن يسبق الحصول على حق المواطنة[1].

ويذكر جون باركلاي[2] (John M.G.Barclay) أن الرومان ميزوا بوضوح بين المصريين الأصليين وذوي الأصل الإغريقي، ويبدو أن لهذا التمييز دواعيه فهو من جهة يمنح الحق في دخول الأطفال لذوي الأصل الإغريقي إلى الإفيبوى؛ ومن جهة يسمح لهم بالانضمام إلى الجمنازيوم الذي يستقطب الشبان من أجل الحصول على المواطنة والمشاركة السياسية في المستقبل، وشملت هذه المحاولة لتحديد الخريطة الاجتماعية جانبا معقدا وجدلا حول التحقق في النسب، وقد أعطيت لهذه المهمة أهمية خاصة وذلك لارتباطها بالنظام الضريبي، فقد ذكرنا أن الرومان فرضوا ضريبة الرأس التي تم تطبيقها بشكل تفاضلي وفقا للطبقات الثلاثة المعترف بها:

الرومان ومواطنوا المدن الإغريقية والأجانب (Foreigner) ، وكانت الفئتان الأوليتان معفيتين من الضريبة ، في حين أن الغالبية العظمى من سكان مصر سقطوا في الفئة الأخيرة، ومن الواضح أن أولئك الذين كان لهم الحق في الحصول على المواطنة لديهم أسباب جيدة لتحديد ذلك نتيجة وضعهم المالي، ومما رغّبَهم في الحصول عليها هو التمتع بالامتيازات القانونية والهيبة الاجتماعية التي تترتب عنها.

أما في المدن الاغريقية[3] داخل مصر فنجد نفس الأمر كذلك، فقد واصل سكانها تسجيل مواطنيها في قبائل وأحياء، وجاء معهد الجمنازيوم ليمثل الخاصية الثانية المميزة لها وكدليل على استمرار تقاليد دولة المدينة[4]، ومما هو جدير بالذكر أن حقوق المواطنة في هذه المدن كانت تقتصر على فئة محدودة، ولم يكن كل المقيمين يتمتعون بحقوق المواطنة[5].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص242؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص790.

[2] John M.G.Barclay, **Mediterranean diaspora from Alexandre to Trajan (323 BCE- 117 CE)**, University of California Press, Barclay and Los Angeles, California, 1996, p49.

[3] تمتع مواطنوا المدن الإغريقية بامتيازات كبيرة، وكان يسمح للمواطنين فيها مثلا في القرن الأول من العصر الروماني بشراء أراضي الدولة عند بيعها دون أن يسمح بذلك للمصريين، وليس هناك شك أنهم امتلكوا مساحات من هذه الأراضي، بل لقد تمكن بعضهم من تكوين ضياع واسعة انتشرت في أنحاء متفرقة من القطر وعلى بعد مئات الكيلومترات من المدن التي يعيشون فيها، وحيثما كانوا يمتلكون هم وأفراد أسرهم ممتلكات كان يتم إعفاؤهم من الخدمات الإلزامية بمختلف أنواعها، كما سمح لهم بالخدمة في الفرق الرومانية. أنظر: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص31.

[4] نفس المرجع، ص30.

[5] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص319.

ب. حق المواطنة الرومانية:

أما المواطنة الرومانية فقد جعلت المواطنة الإسكندرية بالضبط شرطا للوصول إلى المواطنة الرومانية[1]، وهذا ضمن الامتيازات التي منحها الرومان للإسكندريين[2]، وكان من حق مواطني المدن الإغريقية الخدمة في الفرق الرومانية، أما باقي السكان فكان من حقهم الخدمة في الفرق المساعدة فقط، وهذا لا يعطيهم الحق في الحصول على المواطنة الرومانية إلا بعد الخدمة لمدة ربع قرن[3].

وتمدنا الوثائق بثلاثة أدلة على التعرف على المواطنين الأصليين وهي وصفهم صراحة في الوثائق بأنهم مواطنين، وثانيا ذكر الفرق الرومانية التي كانوا يعملون فيها وثالثا ورود أسماء أشخاص في الوثائق مكونة من الاسم الثلاثي[4] (Praenomen Nomen Cognomen)، ومما يجدر بالملاحظة أنه في بداية الحكم الروماني كان اتخاذ هذه النوعية من الأسماء مقصورا على المواطنين الرومان وغير مسموح للأجانب بحمل أسماء رومانية، وأن ضبط الأسماء والألقاب كانت إحدى الوسائل التي اتبعها الرومان في التنظيم الاجتماعي والفصل بين الطبقات، لأن الاسم ولقب حامله كانا يحددان الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، مما يسهل بعد ذلك تحديد مسؤوليته من حيث دفع الضرائب وتأدية الخدمات الإلزامية[5].

---

(1) أجاب الإمبراطور تراجانوس صديقه بلينيوس حول طلبه بمنح الطبيب المصري هربوكراس المواطنة الرومانية، أنه يتبع قواعد أسلافه بعدم تقديم منح غير شرعية للمواطنة، وأنه لابد أن يحصل أولا على حقوق المواطنة الإسكندرية، ولكن في الأخير لبى طلبه. أنظر:
Pliny the Younger, **Letters**, Translated by J.B.Firth, 1900, X, 6, 7, 10.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص128.

(3) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص319.

(4) كان هناك 30 اسما شخصيا مستعملا بين الرومان، غير أننا لا نجد في الواقع سوى 18 اسما شائعا بل أن بعضهم نادر الاستعمال، ويكتب الاسم الشخصي مختصرا في حالة وروده قبل الاسمين الآخرين، وفيما يلي أكثر الأسماء الشخصية شيوعا واختصاراتها:

A. = Aulus	D. = Decimus	Ti. = Tiberius
AP.= Appius	L. = Lucius	M. = Marcus
C. = Gaius	P. = Publius	Ser. = Servius
Cn. = Gnaeus	Q. = Quintus	T. = Titus

وكان الأشخاص الذين يحملون اسم "جايوس يوليوس" قد حصلوا بطريق مباشر أو بالإرث على المواطنة الرومانية في عهد أغسطس أو جايوس، وكذلك الذين يحملون لقب عشيرة "تيبريوس كلوديوس"، وحصلوا على المواطنة الرومانية في عهد تيبريوس أو كلوديوس أو نيرون. أنظر: حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص ص6، 7.

(5) كان هذا المواطن الإسكندري يدعى "بطليموس ابن بطليموس"، ولكن بعد تجنيده وحصوله على المواطنة الإسكندرية أصبح يحمل اسما رومانيا هو "جايوس يوليوس ساتورنينوس". أنظر:
البردية: **P.Oy XXII 2349 (70 A.D)** نقلا عن: حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص14.

إذن فيما يتعلق بالوضع المدني في الإسكندرية فلم يكن متساويا، إذ أصبحت المواطنة الإسكندرية هي المرحلة الأولى لاكتساب المواطنة الرومانية، وتمتع المواطنون الإسكندريون بالحق الاستثنائي من بين السكان الآخرين وفي المشاركة بالإدارة الرومانية، أما اليهود الذين يحافظون على هويتهم العرقية كانوا مستبعدين من الجهاز الإداري الروماني، وهكذا كان ينبغي لأي يهودي يطمح إلى مهنة في الإدارة والجيش أن يكون مستعدا للتخلي عن اليهودية لصالح المواطنة الرومانية، التي تطلبت بالضرورة المشاركة في العبادة الإمبراطورية، وكان هناك على ما يبدو عدد من اليهود الذين حصلوا على المواطنة الرومانية[1] دون التخلي عن قوانين أجدادهم[2].

فضلا على أن الكثيرين من مواطني الإسكندرية كانوا من العناصر الإغريقية دما وثقافة وكان الكثير منهم على درجة كبيرة من الثراء، وكان أغسطس في حاجة إليهم لإنعاش الاقتصاد، فنجد في أحد الوثائق أن مواطنا إسكندريا يدعى "تيبريوس كلوديوس ديمتريوس" كان يمتلك مصرفا ماليا خاصا، وقد تولى منصب الجيمنازياخ في الإسكندرية كما تولى منصب رئيس الكهنة، وكان عضوا في الموسيون، وأنه لثرائه الشديد ومكانته الاجتماعية وخدماته فقد تمت مكافأته بمنحه المواطنة الرومانية[3].

أما الامتياز الثاني الذي تم منحه لمواطني الإسكندرية هو حق الالتحاق بفرق (Legiones) في الجيش الروماني، وقد ورد في وثيقة بردية من عام 70 م أن "جايوس يوليوس ساتورنينو" مواطن إسكندري التحق بفرقة ديوتاروس الثانية والعشرين، ومنحت له حق المواطنة الرومانية عند التحاقه بها[4].

ومنذ عصر هادريانوس ازداد إقبال المصريين على الخدمة في الكتائب المساعدة في الأسطول، بعد أن أصبحت السياسة الرومانية تميل إلى تعبئة قواتها في الولايات من أهلها، وهذا ما يفسر ازدياد أعداد المواطنين الرومان في مصر خلال القرن الثاني الميلادي، ولاسيما بعد عام 144 م عندما أصبحت المواطنة الرومانية تمنح للجندي المسّرح من القوات المساعدة أو من الأسطول مع حق الزواج من الرومان، وأصبحت المواطنة لا تمنح للأبناء المولودين أثناء الخدمة إلا إذا تطوعوا في الفرق (Legiones)، بعد

---

(1) Evanthia Polyviou, **The Civic status of the Alexandria Jewish community in ptolemaic and early roman periods**, Anistoriton Journal, vol. 13, 2012-2013, p7.

(2) لم يكن هذا ممكنا إلا من خلال منح امتياز خاص، والذي سمح لهم أولا بممارسة دين محرم بالنسبة للرومان، وثانيا أعفتهم من كل واجب مثل المواطنين الرومانيين مثل المشاركة في الديانة. أنظر: نفس المرجع.

(3) البردية: **P.Oy.2471** نقلا عن: حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص 13.

(4) حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص ص6، 7.

تسريح آبائهم تسريحا مشرفا[1].

أما اليهود فقد ادعوا أنهم كانوا مواطنين إسكندريين يتمتعون بحقوق المواطنة منذ بداية العصر البطلمي، حيث يذكر المؤرخ فلافيوس يوسيفيوس[2] أن اليهود كانوا متساوين في حقوق المواطنة مع المقدونيين ويطلق عليهم الإسكندريين.

وقد أجهد هذا المؤرخ بإثبات صحة ادعائه، والرد على خصوم اليهود الذين أنكروا تمتعهم بحقوق المواطنة[3]، فوقع جدل حول هذه المسألة، فيقول ابراهيم نصحي[4] أن ذلك ما أراد فلافيوس إدخاله إلى الناس تأييدا ليهود الإسكندرية في كفاحهم المرير ضد الرومان، وذلك من أجل الفوز بحقوق المواطنة حتى لا يدفعوا ضريبة الرأس، ومن البديهي أنه لو كان اليهود يتمتعون فعلا بحقوق المواطنة لما حرمهم الرومان تلك الحقوق وفرضوا عليهم هذه الضريبة.

وأما كلمة إسكندري ربما كانت تطلق على اليهود من باب اعتبارهم من سكان الإسكندرية، لا باعتبارهم مواطنين، وبالرغم من أن فلافيوس كان يعلم ذلك إلا أنه أراد أن يفهم من إطلاق هذا الوصف على اليهود أنهم كانوا مواطنين بالفعل، كما لا يستبعد أن هذا الوصف على اليهود هو راجع في رغبتهم الجامحة في أن يتساووا مع مواطني الإسكندرية، فدرجوا على استخدامه فيما بينهم وفي الرسائل الخاصة، منتحلين عذرا لذلك والرغبة في التفرقة بينهم وبين باقي يهود مصر دون أن يكون لذلك سند من الواقع أو في القانون[5].

ويمكن القول أن اليهود بحكم وضع جاليتهم، كانوا جماعة لها مكانتها بين الأجانب ولم يكن نيل حقوق المواطنة في الإسكندرية بذي أهمية كبيرة في العصر البطلمي، بعكس الحال في العصر الروماني حيث كانت هذه الحقوق هي السبيل الوحيد لرفع اليهود من الهوة التي وصلوا إليها، نتيجة خضوعهم لضريبة الرأس التي فرضت عليهم ووضعتهم في نفس مرتبة المصريين وأبعدتهم عن الإغريق، ولذلك لجأ فلافيوس يوسيفيوس إلى إثبات حق اليهود في التمتع بحقوق المواطنة وأنهم كانوا مواطنين في الإسكندرية

---

[1] حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص16.

[2] Flavius Joséphe, **Contre Apion**, Trad de René Harmand, révisée et annotée par Theodore Reinach, Ernest Leroux Éditeur, Paris, 1911, II, IV, 37, 38

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص240.

[4] ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر**...، ج2، ص157.

[5] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص256.

مثل الإغريق سواء بسواء منذ عهد البطالمة، كما أن الدين يعتبر عاملا مهما له وزنه بالنسبة لحقوق المواطنة، باعتبار اعتناقه شرطا أساسيا للحصول عليها في مدينة اغريقية مثل الإسكندرية، وما كانت عضوية القبائل والأحياء تتطلبه من عبادة إله القبيلة واحترام مقدساتها، فإنه يصح تساؤل الإغريق أنه كيف يزعم اليهود أنهم مواطنون، في حين يرفضون عبادة آلهة المدينة؟، وفي اعتقاد مصطفى كمال عبد العليم[1] أنه لم يكن بوسع اليهود بأية حال التوفيق بين أوامر شريعتهم وبين الالتزامات التي كانت عضوية المدينة تفرضها، ولم تكن مشاعرهم تتقبلها مهما قيل عن تحررهم.

ويضيف أنه لا بد من توضيح وضع اليهود الحقيقي في الإسكندرية، وإذا جزمنا بأنهم لم يكونوا مواطنين في العصر البطلمي، فإنه لابد أن نتبين وضعهم في العصر الروماني، فلا جدال أنه كان للمواطنة في الإسكندرية أهمية كبيرة، فقد كان المواطنون يعفون من أعمال السخرة[2] والخدمة الإجبارية خارج مدينتهم، والأهم يعفون من دفع ضريبة الرأس التي كانت علامة الذل والمهانة بالنسبة لليهود، وكان الحصول على هذه الحقوق شرطا أساسيا لاكتساب حقوق المواطنة الرومانية.

نذكر مثالا عن وثيقة عبارة عن التماس تقدم به يهودي من عام 5-4 ق.م يدعى"هيليونس بن تريفون" إلى الحاكم الروماني "جايوس تورانيوس"، ونظرا لسوء حالة الوثيقة لم نستطع أن نقف بكل دقة على تفاصيلها، وكل ما يمكن استخلاصه من الالتماس هو قول صاحبه أنه ابن مواطن إسكندري، وعلى قدر من الثقافة الإغريقية- لعله حصل عليها من التحاقه بالجمنازيوم-، وأنه مواطن إسكندري ثم عاد وكتب فوق هذه الكلمة عبارة "يهودي من الإسكندرية"، ولما كان قد كرر استخدام كلمة "Laographia" ثلاث مرات وذكر أنه بلغ سن الحادية والستين، فإنه يطلب الإعفاء من ضريبة الرأس لبلوغه سن الإعفاء[3].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص89، 241، 253.

[2] تتمثل في الأعمال الشاقة كالعمل في أعمال الري وإقامة السدود والعمل في المناجم والمحاجر من وقت لآخر ويحتمل كذلك زرع الأشجار وأعمال النقل، فنذكر مثلا أن المصريين في عهد البطالمة كانوا يرهقون في العمل وخاصة في حقول الزراعة، ولا غرابة أن نجدهم يسعون بكل ما لديهم من قوة إلى الفرار من أعمال السخرة التي كانت تضع صاحبها في خطر ومسؤولية أكثر مما يستفيد. أنظر: سليم حسن، المرجع السابق، ص ص592، 593.

[3] البردية: **BGU.1140 = W.chrest.58=C.P.Jud.II.151.cf** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص243، 244؛

E. Mary Smallwood, **The Jews under Roman rule: from Pompey to Diocletian**, Brill, The Netherlands, 1976, p229.

من خلال ما ورد في هذه الوثيقة يمكن أن نستنتج عدة أمور:

أولا: وصف صاحب الالتماس نفسه بأنه إسكندري، لكن يبدو أنه عندما أدرك هو أو كاتب الالتماس أن هذا الوصف برغم زعمه أن ثقافته إغريقية وأباه إسكندري لا يستقيم مع دفع ضريبة الرأس، استبدل كلمة إسكندري بعبارة "يهودي مقيم في الإسكندرية"، والفارق كبير بينهما.

ثانيا: هذا التصحيح بليغ في دلالته، وفعل ذلك خوفا من تحقيق الحاكم الروماني وبحثه في الأمر فيعاقبه أو يرفض التماسه، وهذا يدل على أمرين: أحدهما أنه قانونيا كان لا يجوز إطلاق وصف إسكندري إلا على المواطنين فكان يتعين مراعاة ذلك، والأمر الآخر أن الإدارة الرومانية كانت حريصة على وضع كل شخص في وضعه القانوني.

ثالثا: بالرغم من أنه تلقى ثقافة إغريقية وأن أباه كان مواطنا، إلا أن ذلك لم يُعف من دفع ضريبة الرأس ولم يرتق إلى مرتبة المواطنين، وفي الأخير فإن هذه الوثيقة دليل على أن يهود الإسكندرية كانوا غير مواطنين، وأنه كان يجب عليهم أن يضيفوا إلى جانب أسمائهم في الوثائق الرسمية عبارة " يهود من الإسكندرية"[1].

ويذكر كل من دافيد كولين (David Collins) وجون جوزيف كولين (John Joseph Collins)[2] أن الخط الفاصل بين المواطن وغير المواطن أصبح أكثر حدّة من أي وقت مضى، ولم يكن للقضية آثار مالية فحسب، بل وضعت أيضا سؤالا عن فهم الذات لليهود الذين شبّهوا أنفسهم ثقافيا بالإغريق، فهيليونس يذكر بأن والده كان "إسكندريا" وأنه تلقى التعليم المناسب، وكان في التماسه أمل ضئيل للنجاح، في المقابل رحّب الإسكندريون بضريبة الرأس والتمييز الواضح بين المواطنين وغير المواطنين، فمثلا تعتبر ادّعاءات اليهود مثل هيليونس من بين الأمور التي أدت إلى صراع مع الإغريق .

وبذلك نستطيع القول أن اليهود كانوا يدفعون ضريبة الرأس مثل المصريين ويعاقبون بالطريقة التي يعاقب بها المصريون، مما يتبين أنهم كانوا غير مواطنين، ولكن هل يعني ذلك أنه لم يكن في استطاعة بعض اليهود اكتساب حقوق المواطنة في الإسكندرية، والحصول عليها كان خطوة لابد منها للحصول

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص244، 245.

[2] David Collins, John Joseph Collins, **Jewish wisdom in the hellenistic age,** A&C Black Edinburgh , The United States of America, 1998, p144.

على المواطنة الرومانية، وإذا كنا نعرف أن إسكندر لوسيماخوس والد إسكندر الحاكم[1] اليهودي الصابئ حصل على الجنسية الرومانية، فأغلب الظن أنه كان قد حصل من قبل على حقوق المواطنة في الإسكندرية، وإن كنا لا نملك دليلا حاسما على هذه الحقيقة، ومن المرجح أن يكون يهود آخرون قد تحصلوا على مواطنة الإسكندرية، لكن يستعبد أن يكون عددهم كبيرا، ولاسيما أن ذلك كان مشروطا بتخليهم عن دينهم واعتناقهم دين المدينة، وخروج اليهودي عن دينه معناه التنازل عن يهوديته، وعلى كل حال فإن حصول بعض اليهود على حقوق المواطنة الإسكندرية أو الرومانية لم يكن أمرا ميسورا[2].

من جهتنا تعقيبا على ذلك يمكن القول أنه أثير جدل واسع حول تمتع اليهود بالحقوق المدنية من عدمها، ونتفق مع الرأي القائل بأن اليهود لم يكن يتسنى لهم الحصول على المواطنة الرومانية، لسبب أن الرومان كانوا حريصين بشدة على وضع كل شخص في وضعه القانوني والطبقي الذي ينتمي إليه، وأنهم كانوا مثل المصريين فرضت عليهم ضريبة الرأس التي تفرض لغير المواطنين، وإن كنا نعرف أنهم حاولوا اللحاق بالإغريق وتبني ثقافتهم ولكنهم حرموا من الدخول إلى الجمنازيوم ومنظمات الشباب الإغريقي التي للمواطنين فقط، وتكمن الصعوبة أيضا أنه لا يمكنهم بتاتا ذلك، باعتبار أن المواطنة الإسكندرية خطوة أساسية للحصول على المواطنة الرومانية، وهي أيضا لم يكن سهلا الحصول عليها لما سنعرفه لاحقا عن العلاقات المتأزمة بين اليهود والإغريق، أما المؤرخ فلافيوس يوسيفيوس فلم يكن موضوعيا فيما ذكره، ولابد من إعمال النقد مما كتبه لتعمده استخدام مصطلحات في غير محلها وقصده التلاعب بالألفاظ، وذلك لتحقيق هدف معين وهو إثبات أن يهود الإسكندرية كانوا مواطنين منذ زمن طويل.

وهناك أمثلة من **أوستراكا**[3] في أدفو تبين أسر يهودية تحمل أسماء رومانية مثل أسرة "أنطونيوس روفوس" من عصر الإمبراطور فسباسيانوس وأسرة "أخيلاس روفوس" من عصر الإمبراطور ماركوس

---

[1] كان الوحيد من بين الولاة الذي يعد غير روماني وهو تيبيريوس يوليوس الإسكندر، وكان ابنا لأحد زعماء اليهود في الإسكندرية ولكنه تلقى تعليما رومانيا، وانخرط في سلك الوظائف الرومانية حتى حصل على هذا المنصب. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص315.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص258، 260.

[3] **الأوستراكا**: أو علم دراسة الشقافات التي كانت تعتبر من المصادر الوثائقية إلى جانب البرديات، وكانت تستخدم في أثينا للإدلاء بالأصوات في الجمعية الشعبية، أما في مصر فقد استخدمت في تحرير إيصالات سداد الضرائب وبعد ذلك في تسجيل القوانين ومختلف أنواع القوائم، وقد عثر أكثرها في "فيلادلفيا"، وهي موزعة في مختلف المتاحف لاختلاف جنسيات الباحثين الذين عثروا عليها، وإذا كانت معظم المعلومات التي نستمدها منها أكثرها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فإنها تلقي أيضا ضوء عن الحياة الاجتماعية. أنظر: عاصم أحمد حسين، **المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1998، ص ص27، 28.

أوريليوس، وتمدنا الأوستراكا أيضا بأمثلة على أفراد يحملون أسماء رومانية مثل فيريوس، ولكن أيجب اتخاذ الأسماء الرومانية قرينة على أن حامليها كانوا يتمتعون بالحقوق الرومانية؟. إن صح ذلك فإننا لا نعرف أي طريق جعل هؤلاء الأشخاص يتحصلون على المواطنة، ويذكر مصطفى كمال عبد العليم[1] أن يكون بعض اليهود على ما يبدو قد اتخذوا أسماء رومانية دون أن يتمتعوا بالحقوق الرومانية، مثلما اتخذوا أسماء إغريقية دون أن يتمتعوا بحقوق المواطنة في الإسكندرية.

ويتساءل هل كان باستطاعة اليهود الحصول على المواطنة الرومانية عن طريق الخدمة في الجيش الروماني؟ من المعلوم نفور اليهود من الخدمة العسكرية لتعارضها مع تعاليم دينهم، وبالتالي احتمال خدمتهم في الجيش ضعيفة، لكن هذا لا يمنع بطبيعة الحال أن يكون بعضهم على الأقل انخرط في سلك الجيش، ومن ثم كانوا يستطيعون مثل غيرهم من رعايا الإمبراطورية الحصول على المواطنة الرومانية عن هذا الطريق، وإن كانت لا توجد وثائق تثبت أن ذلك حدث فعلا.

ويواصل عبد العليم القول بأن احتمال اكتساب اليهود المواطنة الرومانية عن طريق الجيش هو احتمال ضئيل، إلا أن هناك احتمالا آخر وهو في حالة إن كان بعضهم من العبيد وتم اعتاقهم، فإنه بالضرورة يحصل على اسم سيده، بالنسبة للجيل الأول وللجيل الثاني يحصل على الاسم الأول والثاني، وبهذا نحصل على الاسم الروماني، خاصة وأننا نعرف عن اليهود خاصية تعايشهم، ومحاولة تحايلهم بطمس شخصياتهم في مختلف المجتمعات على مر العصور، دون التفريط في عاداتهم وتعاليم دينهم.

وثمة شريحة أخرى من المواطنين الرومان في مصر، وهي شريحة المواطنين الرومان الذين أعتقوا وفقا لإحدى الطرق الرسمية[2]، ويتضح حرص الحكومة الرومانية على ضبط عملية العتق لأنه كان يترتب عليها دخول عناصر جديدة داخل طبقة المواطنين الرومان، فقد كان أولئك الذين يعتقون عن طريق

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص265، 266.

[2] هناك أربعة طرق لعتق العبيد عرفتها مصر الرومانية وهي:

أ. العتق بطريق العصا (vindicta)، وكانت إحدى الطرق الرسمية القانونية لعتق العبيد، حيث كان العتق يتم ويصبح رسميا في حضور أحد الحكام بمجرد أن يمس المالك عبده بعصاه.

ب. العتق بطريق الوصية وكان يشمل أكثر من عبد.

ت. العتق بين الأصدقاء (inter amocos)، حيث يصرح المالك شفويا في مجمع من أصحابه بعتق عبده

ث. العتق بطريق الرسالة بأن يرسل المالك إلى عبده الذي يرغب في عتقه برسالة يخبره فيها بأنها أصبح حرا.

أنظر: حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص18.

إجراء رسمي أمام أحد الحكام يحصلون على المواطنة الرومانية، أما الذين كانوا يعتقون بغير هذه الطريقة فإنهم كانوا يحصلون على الحقوق اللاتينية فقط[1].

ج. مرســـوم كـاراكلا 212 م:

أصدر الإمبراطور كاراكلا [أنظر: **الصورة رقم 6**] في عام 212 م دستوره " Lex Antoniana De Civtate"، وهو المعروف بالدستور الأنطونيني الذي تقرر بمقتضاه منح الجنسية الرومانية لكل السكان الأحرار في الإمبراطورية[2]، وقد وجد في الوثيقة البردية تحت رقم 40 في مكتبة جامعة جيسن بألمانيا (Allemagne, Giessen, Universitätsbibliothe) على عمودين لثلاثة مراسيم للإمبراطور كاراكلا يرجع تاريخها إلى 212 م، وهي مكتوبة باللغة اليونانية، ويظهر القانون المسمى ب"الدستور الأنطونيني"، والذي لا يوجد سوى جزء منه في هذه البردية التي يعود تاريخها إلى حوالي عام 215 م [أنظر: **الصورة رقم 7**] [3].

ومما تضمنه الدستور[4]:"...**لذا، فأنا أمنح جميع الأجانب في جميع أنحاء الإمبراطورية الجنسية الرومانية...مع الاحتفاظ...باستثناء"dediticii"...هذا المرسوم سيعزز عظمة الشعب الروماني...**".

إذن ما هو الوضع القانوني للمصريين؟ وماذا تعني كلمة"dediticii"؟. ونظرا لسقوط العبارة التي تلي كلمة "الاحتفاظ" أختلف في ماهية الاحتفاظ الذي سجله الإمبراطور في قراره، ووقع نقاش حول ذلك، والمتفق عليه أن جميع سكان مصر منحوا المواطنة الرومانية، وأن عبارة "dediticii" تعني "الأجانب المستسلمين"، والتي تعني عدم السماح للأجانب المستسلمين بحقوق المواطنة الرومانية، ولكن تعني النقط استثناءهم من أمور معينة وردت في القرار، ولكنها سقطت من البردية وتبعا لذلك لا يمكننا

---

(1) فرقت القوانين الرومانية بين الأرقاء طبقا لطريقة العتق، فمنهم من كان يحصل على حقوق المواطنة الرومانية كاملة، ومنهم من كان يحصل على الحقوق اللاتينية لسكان المستعمرات وهي حق التعامل (Commercium) وحق التقاضي (Legis Actio) . أنظر: حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص18.

(2) جمال مختار، **تاريخ إفريقيا العام –حضارات إفريقيا الشمالية–**، مج 2، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ شمال إفريقيا، اليونيسكو، 1985، ص504.

(3) Yann Le Bohec, **La Constitution Antonine, ou Edit de Caracalla,** https://francearchives.fr/commemo/recueil-2012/39979

(4) Johnson, Coleman-Norton & Bourne, **Ancient Roman statutes -Edicts of Caracalla on citizenship, on amnesty, and on expulsion from Alexandria (212-215 Ad)**, N. 277, Austin, 1961, pp. 225-226,.

معرفتها[1]، وأصبح من المتفق عليه أن سكان الإمبراطورية أصبحوا مواطنين رومان بمقتضى هذا الدستور، بما في ذلك سكان مصر من اليهود والمصريين، ولكن لم يترتب عليها إعفاؤهم من ضريبة الرأس التي بقوا يدفعونها، وبذلك تكون هذه الحقوق فقدت قيمتها الأولى[2] .

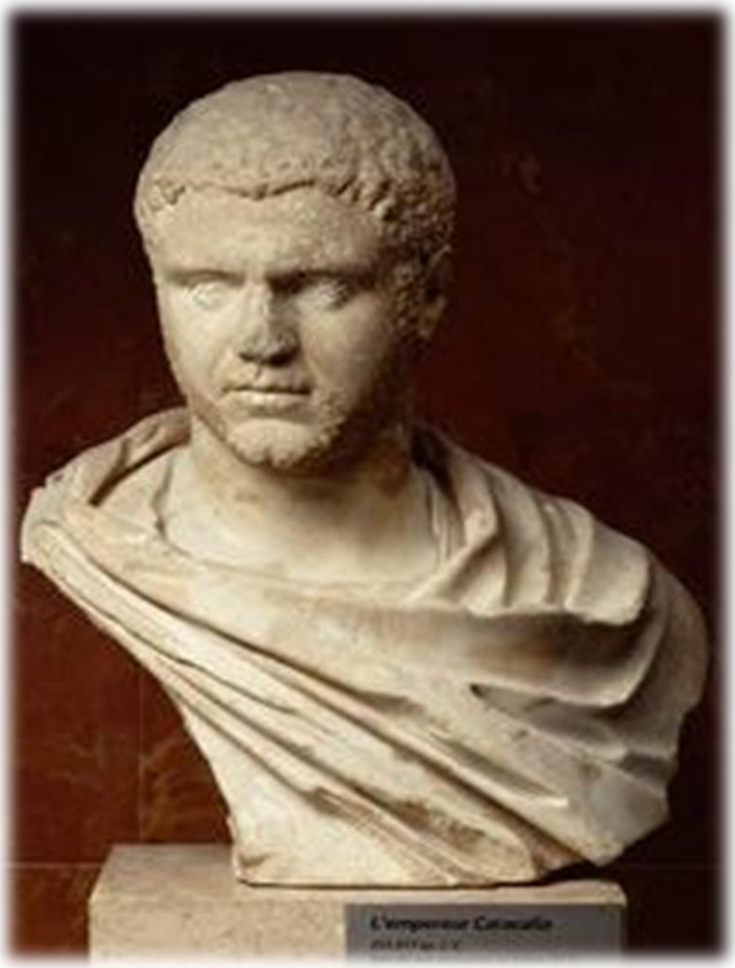

الصورة رقم 6: صورة الإمبراطور كاراكلا (188-217 م).

https://art.rmngp.fr/fr/library/artworks/eugene-jean-baptiste-claude-guillaume_les-gracques_sculpture-technique_bronze

[1] الوثيقة: **P.GISS.40** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص266 ;

H. I. Bell, **P. Giss. 40 and the "Constitutio Antoniniana"**, The Journal of Egyptian Archaeology , Vol 28, 1942, p39.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص266، 267.

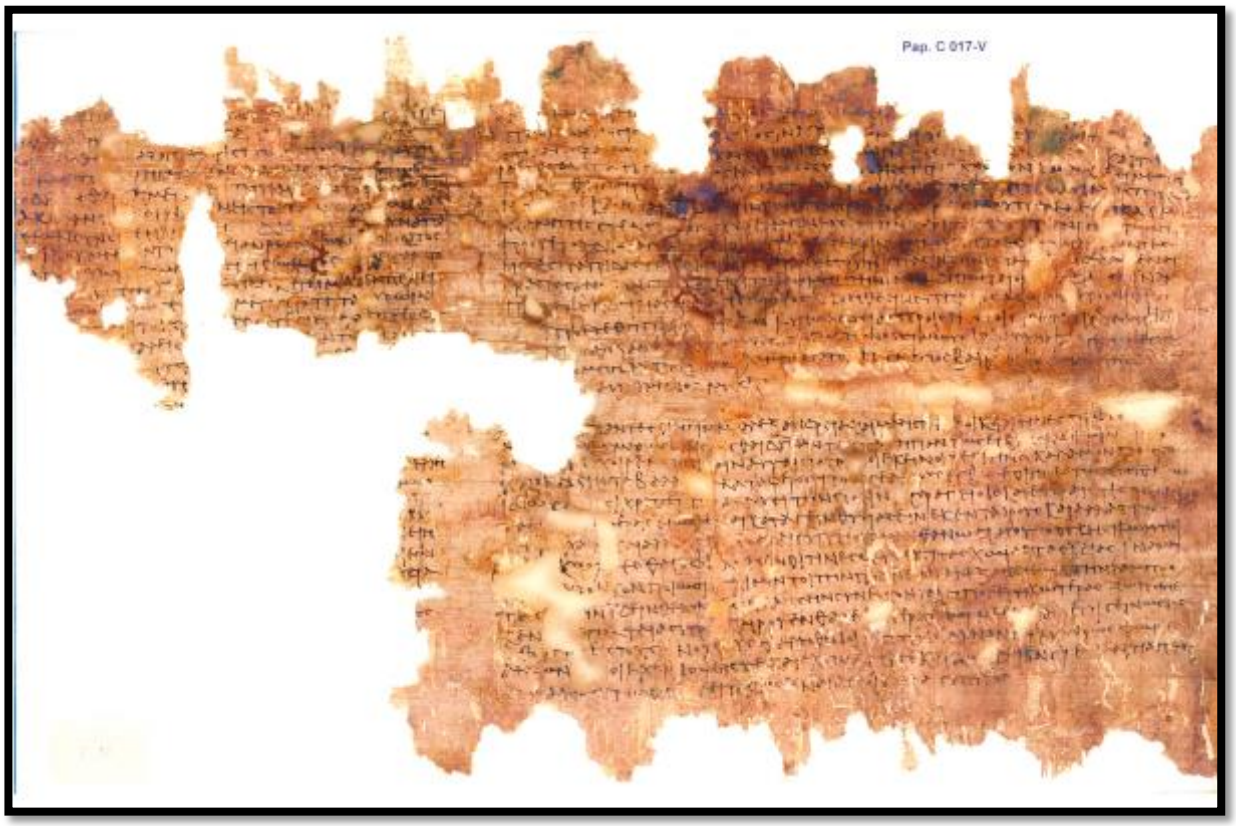

الصورة رقم 7: وثيقة بردية رقم 40 تمثل دستور كاراكلا.

Yann Le Bohec, **La Constitution Antonine, ou Edit de Caracalla**, https://francearchives.fr/commemo/recueil-2012/39979

ويرجح محمد عبد القادر بن صلاح[1] أن يكون المقصود بالمستسلمين في هذا المرسوم على الأغلب، هم الذين رفعوا السلاح ضد الإمبراطور، أو من الخارجين عن القانون كالمجرمين وقطاع الطرق أو من الجرمان الذين استولوا على أجزاء من الإمبراطورية بقوة السلاح واستوطنوها.

ويذكر روستوفتزف[2] أن قرار كاراكلا لا يزال سرا غامضا حتى بعد العثور على بقايا منه في مصر، ومن العسير أن نحدد أغراضه ومقاصده، فالنص الأصلي لهذا القرار اكتشف في مصر، فإنه يستثني من هذا القرار كما هو ظاهر من يسمون بالمستسلمين، ويتساءل كم من الأجانب في عصر كاراكلا كانوا

---

[1] محمد عبد القادر بن صلاح، **المواطنة الرومانية منذ بداية عصر الأباطرة الصالحين حتى نهاية العصر السيفيري " إقليم المدن الثلاث أنموذجا" (96م– 235م)**، دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات الإجازة العالية الماجستير في التاريخ القديم، جامعة مصراتة، 2016، ص98.

[2] م. روستوفتزف، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، ج1، ترجمة ومراجعة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، د.م، ص ص496، 497.

يعرفون بالمستسلمين؟. أكان الفلاحون الأحرار في القرى – في تراقيا وسوريا مثلا- يدخلون في هذه الفئة؟ ما حكم سكان الريف في المناطق الملحقة بالمدن؟.

ويجيب بأنه لم يبق لنا إلا الحدس والتخمين في تقرير أهمية دستور كاراكلا من الناحية التاريخية، أو معرفة الهدف الذي رمى إليه الإمبراطور في إصدار هذا القرار في أول حكمه، فإذا كان حقا قد حرم جميع العناصر الريفية وكان خاصا بالمدن فحسب، ولإن كان حقا تطبيقه في المدن ولم يطبق على الطبقات المتدنية، فلا يمكن اعتباره خطوة كبيرة نحو المساواة السياسية ونحو جعل جميع السكان سواسية في أرجاء الإمبراطورية، وبذلك يصبح وسيلة جزئية أكثرت من عدد المواطنين ولاسيما بمدن الشرق.

فعلى الرغم مما يبدو للعيان من أن هذا القرار قد ألغى الفوارق الاجتماعية إلا أنه بالنسبة للمصريين في المدن والقرى لم يكن يعني شيئا جديدا، بل زادت عليهم الأعباء فقد تقرر أن يدفعوا ضريبة جديدة هي ضريبة الميراث التي كانت مقررة على المواطنين الرومان[1].

ومن الناحية السياسية، فقد زالت التفرقة الرسمية بين الرومان والإسكندريين من ناحية، ومواطني عواصم الأقاليم من ناحية أخرى، وأصبح تحديد مسؤولية الأفراد رهنا بالموطن، ولم يعد الإسكندريون المقيمون في الأرياف يتهربون من مسؤولية تولي المناصب البلدية أو عضوية مجالس الشورى في الريف، رغم أنه كان يحق لهم الادعاء بأن موطنهم الأصلي هو الإسكندرية، والعديد منهم اتخذوا بالتدريج مكان إقامتهم في الريف بمثابة وطن لهم.

هكذا سوّى دستور كاراكلا بين الفئة المتميزة من الرومان والإسكندريين وفئة مواطني عواصم الأقاليم، أي أنه ألغى جميع الامتيازات المحلية، أما من الناحية الإدارية، فقد أصبح الرومان والإسكندريون المقيمون في عواصم الأقاليم ملزمين بقبول عضوية مجالس الشورى المحلية الجديدة، وشغل المناصب البلدية في هذه العواصم لمواطنيها سواء بسواء، وخضع لذلك حتى الإسكندريون الذين كانوا مقيمين بصفة غير دائمة في عواصم الأقاليم، ومن توفر لهم النصاب المالي اللازم لشغل المناصب البلدية، وهذا راجع إلى أن فئة الرومان والإسكندريين لم تعد فئة مميزة ذات مواطنة خاصة، ومن ثم لم يعد في وسعهم التهرب من عبء الاشتراك في الإدارة المحلية[2].

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص321.

[2] العمري عبد النور، المرجع السابق، ص88.

يمكن القول أن الإمبراطور كاراكلا قد استهدف من وراء هذا المرسوم هدفين أساسيين: فقد منح المواطنة الرومانية للطبقات التي تتحمل أعباء البلدية والطبقة العليا من سكان القرى، ومنحها لبعض أفراد الطبقات الدنيا، ويكون بذلك قد زاد من عدد الذين ألزموا بحمل أعباء الخدمات الإلزامية في المدن والمزارع، وهم بهذه الحقوق لم يعد لهم العذر للتهرب من هذا الثقل هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم يكن هدف كاراكلا رفع الطبقات الدنيا بقدر ما كان هدفه الحط من الطبقات العليا ليس في روما وإيطاليا فحسب بل أيضا في الولايات، إذ أصبحت المواطنة الرومانية شيئا عاديا وشرفا لا قيمة له، وفي ذلك ضرب الطبقة الأرستقراطية في الصميم[1].

ونحن يهمنا من هذا المرسوم أن المواطنين الإسكندريين فقدوا ميزة مواطنتهم بعد أن كانت شرطا ضروريا لأي أحد من مصر أن يمتلكها للحصول على المواطنة الرومانية، بعد أن أصبح بمقدور هذه الأخيرة أن يتحصلوا عليها دون قيد أو شرط، وفي هذا يحذف العائق الكبير على المصريين واليهود خاصة، هؤلاء الذين سعوا بكل الطرق للحصول على المواطنة الرومانية واللحاق بمكانة الإغريق والرومان الاجتماعية، والتي كانت لا تتسنى لهم إلا عن طريق اكتساب المواطنة الإغريقية أولا، والتي كانت صعبة نيلها هي كذلك .

في الأخير يمكن القول أن مرسوم كاراكلا يعتبر أكبر إنجاز سياسي للإمبراطورية الرومانية، إذ نقلت رعاياها تدريجيا إلى درجة المواطنة الرومانية، وقد كان ذلك أحد الأسباب في نجاح الرومان في أن يضموا إلى امبراطوريتهم حوض المتوسط بكامله، وعلى كل فإن المساواة في الوضع السياسي لا يعوض عن الظلم الاقتصادي والاجتماعي وسياسة روما الثابتة التي كانت ذات أثر في توسيع أملاكها[2].

---

[1] م. روستوفتزف، المرجع السابق، 497؛العمري عبد النور، المرجع السابق، ص89.

[2] نفس المرجع، ص90.

3. تكـوين المجـالس والجاليـات:

أ. تكوين مجلس الشورى للإغريق:

تقتصر سلطة المجالس على الأمور الداخلية، التي لا يمكن أن تخرج كثيرا عن نطاق الاحتياجات اليومية للسكان، أو تنظيم حياتهم الاجتماعية بشكل أو بآخر، أو ممارسة بعض جوانب نشاطهم الترفيهي مادام ذلك لا يتعارض مع اتجاهات الحكومة المركزية[1].

لقد ألغى الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس عند تنظيمه لمصر المجلس التشريعي للإسكندرية أو ما يسمى بمجلس البولى (Boule)[2]، وكان هذا المجلس يعتبر ركنا مهما من نظام المدن الإغريقية، وتم هذا الإلغاء لتأكيد تبعية أهالي الإسكندرية للدولة الرومانية[3]، وقد كانت عضوية مجلس الشورى تقتصر فقط على المواطنين الذين يتميزون بواحدة أو أكثر من مميزات السن أو الثروة أو المكانة الاجتماعية، ويتمحور حول مصالح المواطنين الإسكندريين ولا يعرف شيء عن تكوين هذا المجلس، إلا أن هذا المجلس كان له دور لا بأس به من التوجيه الاجتماعي والاقتصادي لطبقة الإغريق المقيمين[4].

وقد تقدم وفد يمثل مواطني المدينة إلى إمبراطور لم يذكر اسمه، ولكن يرجح أنه الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، حيث يبين نص بردية (P.S.I. II 60) المعروفة باسم "بردية مجلس الشورى" (Boulé Papyrus)، حيث تتضمن حوارا بين وفد من مواطني الإسكندرية يتمثل في إقناع الإمبراطور بالموافقة على السماح لهم بتشكيل مجلس شورى، والذي كانوا يلحون في طلبه طوال العصر الروماني، ولكي يستطيع هذا المجلس أن يضمن عدم انخفاض الدخل، بمنع الذين يتعين إدراجهم في سجل الخاضعين لضريبة الرأس من إدراج أسمائهم سنويا في القائمة الرسمية بجانب الشبان، ومن شأنه منع قوم آخرين أن يدخلوا ضمن جالية المواطنين الإسكندريين"[5].

---

[1] لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص275.

[2] لقد أرسى إنشاء مجلس البولى في مدينة الإسكندرية وعواصم المدن مجموعة جديدة من النخبة، تمثل أغنى سكان المدن التي شكلتها أعضاء المجالس (Bouleutai)، والتي تتكون من الأسر المختارة على أساس ثروتهم، حتى أن الأبناء والبنات أشاروا إلى والدهم المتوفى باعتباره عضو المجلس السابق. أنظر: Katelijn Vandorpe, op. cit, p265

[3] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص80.

[4] لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص ص288، 299، 300.

[5] مصطفى كمال عبد العليم، **بردية أوكسيرينخوس رقم 2435 ولقاء بين الإمبراطور أغسطس والإسكندريين وترحيب الإسكندرية بمقدم جرمانيكوس**، المجلة التاريخية المصرية، العدد العشرون، 1973، ص ص 5، 6.

والمقصود هنا لا يستبعد أن يكونوا اليهود الذين إذا نجحوا في إدراج أسمائهم في سجل الشبان، فإنهم يحصلون على مواطنة الإسكندرية باعتبار هذه الخطوة أساسية لذلك، ومن ناحية يستطيعون الدخول إلى الجمنازيوم، وإذا تخرجوا منه فإنه ينضمون إلى "جماعة خريجي الجمنازيوم" المعروفة باسم (Hoi Apo Tou Gymnasiou)، مما يعفيهم من دفع جانب من ضريبة الرأس، ومن هنا كان التسلل إلى منظمات الإسكندرية الدستورية طريقا سهلا للتهرب من دفع ضريبة الرأس أو جانب منها على الأقل، وهذا ما يفسر محاولة الوفد إغراء الإمبراطور ليسمح لمواطنيها بتشكيل مجلس الشورى[1].

ويذكر مصطفى كمال عبد العليم[2] أن الإمبراطور لم يستجب لطلبهم، ويقصد برفضه السماح لهم بتشكيل هذا المجلس لكي لا يعيد للمدينة سابق مجدها وألا تستكمل مظاهر استقلالها، وأنه لو تم ذلك فإن خطر الإسكندريين سيزداد وهذا ما لا ترضى عنه روما.

في حين نجد كل من المدن الإغريقية نقراطيس وبطلمية احتفظتا بمجلسيهما، وأنتينوبوليس المدينة الجديدة فقد منحت مجلس للشورى منذ بداية تأسيسها، أما الإسكندرية فقد حرمت منه في البداية ولكن حصلت على مجلسها عام 200 م، عندما قام الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بمنحها وجميع عواصم الأقاليم حق إقامة مجالس الشورى، ورغم ابتهاج الإسكندريين بذلك لكنه ساءهم الأمر عندما رأوا أن مدينتهم وضعت متساوية مع المدن الأخرى[3].

كما أنه فيما يبدو سمح للإسكندريين بتكوين مجلس للشيوخ، حيث وجدت بردية تتحدث عن أحداث وقعت في عهد الإمبراطور كاليجولا، وقد وردت فيها إشارة إلى مجلس شيوخ إغريقي في المدينة مكون من 172 عضوا، وإن لم يكن مجلسا تشريعيا بل كان مجلسا ذا طابع اجتماعي مرتبط بالجمنازيوم، وربما كان يقوم بدور الوسيط بين الإدارة الرومانية وبين هيئة مواطني المدينة، ولعله كان المجلس الذي يصدر القرارات بتكريم الأباطرة[4]، وبالتالي فإنه أعطي لهم حق تكوين مجلس للشيوخ في حين حرموا من عنصر هام من عناصر مدينتهم[5].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، **بردية أوكسيرينخوس**...، ص ص 5، 6.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر**...، ص142.

[3] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص31.

[4] البردية:.**Bibl.Univ.Giss 46 = P.Acta III P** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص142، 143.

[5] نفس المراجع؛ Nicholas Eid, op.cit, p43

أما مواطني عواصم الأقاليم في مصر فلم يصلوا إلى الحد الأدنى الذي تمتعت به الجاليات اليهودية، لكن منحوا حق اختيار موظفين يطلق عليهم "حكام"، لم تكن هيئة حكام مواطني عواصم الأقاليم هيئة حكومية ولكنها كانت لجنة الإشراف على بعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، وفي عام 200 م أدخل تغييرا عندما قام الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بإنشاء مجلس محلي أو مجلس للمدينة وهذا ما أفرح مواطنوها، وقد حمل أعضاء مجلس الشورى لقب بوليتاي (Bouleutae)[1].

ب. تكوين الجيروسيا والبوليتيوما لليهود:

أما اليهود فقد كان موقف الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس متساهلا معهم باعترافه بجميع حقوقهم والإبقاء على استمرار نظمهم، فأبقى على مجلس شيوخهم الجيروسيا (Gerousia) وجاليتهم الخاصة "البوليتيوما"(Peuliteuma)[2]، لها كيانها الذاتي وتنظيماتها الخاصة وتتمتع بدرجات متفاوتة من الحقوق والامتيازات[3]، وذلك باعتبارها مؤسسة سياسية داخل المؤسسة السياسية للمدينة، فضلا عن ذلك فهي لمجموعة من السكان الأجانب المقيمين في مدينة أجنبية عنهم[4].

كانت الجالية بصفة عامة تقترب من نظام المدينة الحرة وبذلك فهي تعتبر وسيلة مرنة لتسيير إقامة الأجانب، دون الحاجة إلى إدماجهم في هيئة المواطنين، وهي أيضا وسيلة لتمكينهم من أن يعيشوا حياتهم الخاصة داخل البلاد، وتعد الجالية وحدة تعترف لها الدولة بالشخصية المعنوية من حيث استطاعتها تصريف شؤونها وحقها في التملك وإدارة ممتلكاتها، ولا يستبعد أنها كانت تتمتع كذلك بحق الفصل في المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية وبالتالي كان لأفرادها وضع دستوري معين[5].

كان لليهود جالية وكانت أبرزها جالية الإسكندرية التي أقامت بحي خاص بها وهو حي الدلتا[6]، وكانت جاليتهم من أكبر الجاليات الأجنبية في مصر، ونظرا لكثرتهم العددية وتميزهم الديني منحوا حق

---

(1) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص50، 53.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص101، 102.

(3) لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص327؛ Shichao Wang, op.cit, pp13, 14

(4) Jan Willem Van Henten, Pieter Willem Van Der Horst, **Studies in early Jewish epigraphy**, E.J. Brill, Leiden, Nerthelands, New York, 1994, p182.

(5) مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر**...، ص78.

(6) كتفي الشريف هاجر، **الجالية اليهودية بالإسكندرية في عهد البطالمة" ما بين التأثر بالإغريق والمحافظة على الدين"**، مجلة تاريخ المغرب العربي، المجلد 3، العدد 7، 2017، ص31.

تكوين جالية، استطاعوا من خلالها تصريف شؤونهم وممارسة عبادتهم الخاصة، وتتمتع الجالية بقدر كبير من الاستقلالية في إدارة شؤونها الداخلية القضائية والمالية[1].

ويلاحظ صمت من المصادر اليهودية كالمؤرخ فلافيوس يوسيفيوس وفيلون حول وجود بوليتيوما لليهود في الإسكندرية، وهو في رأي سيلفي هونيقمان[2](Sylvie Honigman) إغفال متعمد، لأن ذلك يعد تناقض جوهري بين وجود البوليتيوما لليهود ومطالبة اليهود بحقهم في المواطنة بالإسكندرية، لأنه كما ذكرنا سابقا أن فلافيوس ذكر أن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الإسكندرية، وبالتالي فإن ذكره وجود بوليتيوما لليهود في الإسكندرية والتي كانت لغير المواطنين، يعني أنهم لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطنة.

كان رئيس الجالية اليهودية يدعى "جينارخيس" (Genarches) أو إثنارخيس (Ethnarches)، وكان يدير شؤون الجالية ويصرف العدالة فيها ويشرف على تحرير العقود، ويتولى إصدار القرارات كما لو كان حاكما في دولة مستقلة، وكان يهيمن على شؤون الجالية اليهودية مجلس يدعى "جيروسيا" (Gerousia) أي مجلس الشيوخ، وكان لحكام الجالية لجنة مؤلفة من بعض رجال هذا المجلس ويدعون أرخونتس (Arcohntes)[3].

أما عدد أعضاء مجلس الشيوخ فيرجح أن عددهم واحد وسبعون عضوا، وذلك قياسا على عدد أعضاء مجلس السنهدرين (Sanhedrin)[4] في فلسطين، واستنادا إلى الرأي القائل بأن الجالية بأكملها كانت تتشكل على نسق النظام المعمول به في أورشليم، وهذا يتضح بأن الجالية اليهودية كانت تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتي، وأنها بلغت قدرا كبيرا من التنظيم، وازدادت تماسكا واستفادت من

---

(1) كتفي الشريف هاجر،المرجع السابق، ص32؛ Evanthia Polyviou, op.cit, p8 ; E. Mary Smallwood, op.cit, p226

(2) Sylvie Honigman, **Politeumata and ethnicity in Ptolemaic and Roman Egypt**, ancient society, Vol 33, 2003, p2.

(3) ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر**...، ج2، ص ص155، 156 ;

E.Breccia, **Alexandrea ad aegyptum guide de la ville ancienne et moderne et du musée gréco romain**, Istituto Italliano d'Arti Grafiche, Bergamo, 1941, p47.

(4) **السنهدرين:** مجلس السنهدرين أو السنهدريم هو الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة لليهود، وإصدار القوانين وتطبيقها، وقد ظهر في أورشليم بعد أن فقد اليهود كيانهم السياسي على يد البابليين، وهو مجلس يتكون من 71 عضوا وله تنظيم إداري خاص، وقد فقد هذا المجلس سلطته وتنظيمه السياسي نهائيا على يد الرومان بعد أن دمروا الهيكل وأحرقوا أورشليم. أنظر: عبد الكريم سباغ، **قواعد التنظيم السياسي لمجلس السنهدريم اليهودي**، مجلة المعيار، عدد 42، 2017، ص121.

اعتراف القانون الروماني بقيام هذا النوع من الجاليات، والسماح لهم بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها، فضلا على أنه كفل للجالية الحرية، الحماية ورفع الشكاوى إلى الإمبراطور، والإنفاق على شؤون الجالية ودفع رواتب الموظفين وحق التملك وإدارة أملاكها، وقد كانت جالية اليهود بالإسكندرية بفضل هذه الامتيازات عاملا قويا في دعم تماسك يهود المدينة وإحساسهم بأنهم جماعة متميزة[1].

أما خارج الإسكندرية فإن اليهود كانوا يؤلفون في بعض المناطق نوعا من الجاليات لم تبلغ ما بلغته الإسكندرية، أما عن تنظيمها الداخلي فلا نعرف عنه الكثير سوى أنه كانت توجد هيئة الرؤساء تشرف على جاليات هرموبوليس وطيبة وأرسينوي وأوكسيرينخوس، وكانت تسير على نسق جاليات العصر البطلمي، من حيث وجود هيئة تضم الموظفين أو الرؤساء التي كان يعهد إليهم تنظيم شؤون الإدارة والأملاك وجمع الأموال اللازمة للإنفاق، ومن خلال بعثة بولندية تبين أيضا أن اليهود كانوا يوجدون بكثرة في أدفو ويقيمون في الحي الرابع من المدينة، وبالتالي يرجح وجود جالية يهودية منظمة بها، كما وجد الكثير من اليهود في مختلف أنحاء الريف لكن عددهم لم يكن يسمح بتكوين جالية، إضافة إلى أنهم لم يكونوا من الطبقات المتميزة في عواصم الأقاليم، بل أن وضعهم القانوني لا يختلف كثيرا عن وضع المصريين، وإن توفر لليهود جاليات تكونت في أنحاء متفرقة داخل البلاد، ومنحت لهم بعض الامتيازات التي لم تكن متوفرة لدى المصريين[2].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر**...، ص ص235، 236.

[2] نفس المرجع، ص ص261-263.

ثالثا: مظاهر العلاقات بين عناصر المجتمع:

1. موجز عن الحياة الاجتماعية:

سنتحدث في هذا العنصر عن أهم جوانب الحياة الاجتماعية، فمن المتوقع في مجتمع يتكون من عناصر مختلفة أن تظهر حالة الزواج المختلط، فقد ذكرنا سابقا أن أعداد الرومان الذي استقروا في مصر تزايدوا تدريجيا، وكان أغلبهم من الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية والذين يرجعون لأصول أجنبية، فقد عسكروا في مصر خلال فترة شبابهم[1]، وكان من الطبيعي أن يحدث احتكاك اجتماعي بين الجنود وبين السكان، فتمثل هذا الاحتكاك في صورة الزواج بين الجنود الرومان ونساء مصر وخاصة في الإسكندرية[2]، وذلك على الرغم من أن القوانين الرومانية لا تسمح للجندي الزواج أثناء مدة خدمته العسكرية، وكان الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس قد أصدر حظر الزواج، عندما أعاد تنظيم مدة الخدمة العسكرية وشروطها في عام 13 ق.م، وذلك من أجل الحصول على جيش احترافي، والذي كان يتطلب مدة طويلة من الغياب عن المنزل وفي مناطق نائية من الإمبراطورية[3].

وهو تفاعل يبدو أنه كان محتوما بحكم طول بقاء الجنود الرومان في الخدمة العسكرية لمدة 25 عام، وهي فترة تجعل من الصعب بمكان على صاحبها أن يتقوقع داخل مهنته دونما اختلاط بعناصر البيئة المحيطة به، وعلى ذلك وجدنا الجنود يقيمون علاقات مع نساء البلدان المرابطين فيها[4].

تم العثور على دليل مباشر على حظر الزواج في وثائق البرديات اليونانية الأصلية في وقت مبكر من القرن الثاني الميلادي، وثائق مثل العقود، السجلات الإدارية والقضائية، الوصايا، الإيصالات، الحسابات ورسائل شخصية، وكذا العثور على بعض الوثائق اللاتينية غالبا ما تكون صكوك قانونية للمواطنين الرومان، من حيث الأهمية نجد من البردي إعلانات الميلاد وفحوصات حالة أطفال الجنود، وعقود الإيداع كالمهر والطلاق المحتمل بسبب الخدمة العسكرية، وتشير هذه الوثائق إلى وجود حظر على

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص23.

[2] حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ص72، 73.

[3] Sofie Waebens, Katelijn Vandorpe, **Women and gender in Roman Egypt: The impact of Roman rule, tradition and transformation : Egypt under Roman rule**, Proceedings of The international conference, hildesheim, Roemer- and Pelizaeus-Museum, 3–6 July 2008, Edited by Katja Lembke, Martina Minas-Nerpel, Stefan Pfeiffer, Brill, Leiden, Boston, 2010, p426.

[4] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص125.

زواج الجنود[1].

تم تطبيق حظر الزواج على جميع الجنود، وعند مناقشة تأثير هذا الحظر على الجنود، يتعين أن نتوقف بين المواطن الروماني والجنود غير المواطنين، تباينت حالة الأبناء وفقا للأشخاص المعنيين، عادة ما يتم تجنيد أعضاء الفيلق من بين المواطنين الرومانيين (قد تكون هناك بعض الاستثناءات)[2]، والفرق المساعدة من بين غير المواطنين، أيا كان وضع الأم والأب فإن الأطفال الذين يولدون أثناء الخدمة كانوا دائما غير شرعيين[3]، وكان هؤلاء الأطفال وتلك الزوجة يتم الاعتراف بهم بعد تسريح الجنود تسريحا مشرفا[4] من الخدمة العسكرية[5].

ونتبين من ذلك أن الزواج لا يعتبر صحيحا من وجهة القانون الروماني إلا إذا انعقد بين طرفين متكافئين من حيث الوضع القانوني، وكان القانون يشترط لصحة زواج الرومان تمتع الطرفين بحق الزواج الكامل الأهلية (Ius Conubius)، وهو حق كان لا يتمتع به إلا من كان متمتعا بحقوق المواطنة الرومانية،وتبعا لذلك فإن الزواج بين طرفين رومانيين يعتبر زواجا شرعيا(Iustum Matrimonium).[6]

---

(1) Sara Elise Phang, **The Marriage of Roman soldiers (13 B.C.-A.D. 235): law and family in the imperial army**, Brill, The Netherlands, 2001, p22.

(2) على سبيل المثال أرشيف لوسيوس بومبيوس نيجر (Lucius Pompeius Niger) في (31–64 م)، وهو من قدامى المحاربين من فرقة ديوتاروس 22 (Legio XXII Deiotariana)، وهذا ما يعتبره معظم الدارسين غير عاديا لأنه كان مصريا يخدم في الفرقة، وهو امتياز محصور فقط للمواطنين الرومانيين في ذلك الوقت، في الواقع كان أعضاء الفيلق في عدد محدود من الأشخاص الذين تم تجنيدهم من بين السكان المحليين للالتحاق خاصة بين الاسكندريين والإغريق والمصريين، والذين جندوا في الفيلق حصلوا على الجنسية الرومانية وتم تسجيلهم في قبيلة بوليا. أنظر: Sofie Waebens, Katelijn Vandorpe,op.cit, p426.

(3) Ibid.

(4) كان يحصل الجندي المسرح من الخدمة العسكرية أيضا على البراءات العسكرية، التي تكون في صور شهادات كانت تصدر في روما بمقتضى مراسيم إمبراطورية، وهي عبارة عن لوحين مستطيلين من البرونز (6 × 5 بوصة) موصول أحدهم بالآخر بسلك مضفور يمر بين ثقبين أو أكثر بحافة اللوحتين وثقبين آخرين في الوسط، وكانت الشهادة تحرر من صورتين إحداهما على الوجه الداخلي والأخرى على الوجه الخارجي لهما، ثم يطوي اللوحين ويضع سبعة من الشهود أختامهم على أحد الوجهين الخارجين عند السلك المار بثقبي الوسط، ويوقع كل منهم باسمه أمام ختمه، ويبلغ ما عثر عليه من براءات عسكرية حوالي 210 براءة من جميع أنحاء الإمبراطورية. أنظر: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص 24.

(5) نفس المرجع.

(6) حسن أحمد حسن أحمد الأبياري، المرجع السابق، ص213.

وقد ذكرنا أيضا أن طبقة المقدونيين الذي كانوا طبقة متميزة في عهد البطالمة أصبحت في نفس مرتبة المصريين في عهد الرومان، وقد أدى زوال التفرقة بينهما إلى زوال الفجوة بينهما فشاع الزواج بين الطرفين وبشكل خاص في الريف، ولكن الإدارة الرومانية كانت حريصة على بقاء الفوارق بين الفئات، وفرضت عقوبات صارمة على من يخالف تلك القوانين، ومن الملاحظ أنها كانت قوانين جائرة بالنسبة للمصريين[1]، ولقد شاع الزواج بين المصريين والذين ينحدرون من نسل الإغريق خصوصا في الريف، وكان الأبناء الذين ينجبون من مثل هذا الزواج يحملون اسما من كلا الطرفين، ولكن عندما يتم تسجيل الصبي باسم مصري ثم يرغب بعد ذلك في تغييره إلى اسمه الإغريقي كان يلزم الحصول على إذن بذلك من السلطات الرومانية المختصة، ومثال عن ذلك قُدّم طلب ففي 27 أغسطس من عام 194 م حول ذلك [2]:

" **إلى سعادة كلوديوس أبوللونيوس** (Claudius Apollonius) **مدير الحساب الخاص (المتكفل بالشؤوون المالية)، من يورايمون بن بسوبيس وتياثريس من قرية... الواقعة في إقليم نيستي إنني أتقدم برجاء الموافقة على تغيير اسمي إلى يوداىمون بن هيرون ديديمي هيرون وديمي بدلا من اسمي الذي أحمله كابن لبسوبيس وتياثريس. وسوف لا يترتب على ذلك مع خالص تحياتي أنا يوداىمون قمت بتقديم الطلب. ثم كتب في أسفل الطلب تأشيرة الحاكم:" يسمح بذلك حيث إنه لا يترتب عليه أي ضرر للمصالح العامة أو الخاصة**".

فرض الرومان قواعدهم الخاصة على مجموعات الطبقة العليا، وعدم تشجيع الزواج بشدة بين المجموعات المختلفة، حيث نجد في الربع الثالث من القرن الأول وحوالي 140 م تحت حكم أنطونينوس بيوس، الذي قدم على ما يبدو مجموعة كاملة من القواعد الجديدة التي كانت بشكل عام أكثر صرامة، ولم يعد الانتقال الاجتماعي للمرأة ممكنا من خلال الزواج كما كان الحال في عهد البطالمة[3].

إن جميع الأمور الخاصة بالوضع الطبقي والعلاقات بين الطبقات أصبحت تدخل في نطاق اختصاص مدير الإمبراطور الخاص، وهذا الموظف الروماني الذي كان يعينه الإمبراطور يقوم بتنفيذ

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص321.

[2] البردية: **W.Chr.52 = Select Papyi, 301** نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص36.

[3] Katja Lembke and others, **Tradition and transformation : Egypt under roman rule** ,proceedings of the international conference, Hildesheim, Roemer- and Pelizaeus-Museum, 3–6 July 2008, Brill, Leiden, Boston, 2010, p432.

مجموعة من القواعد العديدة والقيود الملزمة، والتي لا تترك مجالا لأدنى شك في أن القاعدة الأولى التي وضعها الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس ثم حافظ عليها خلفاؤه من بعده تتلخص في الإبقاء على التمييز الطبقي بين السكان ومنع الاندماج فيما بينهم لأطول مدة ممكنة، ونذكر على سبيل المثال مجموعة من الفقرات تنص على ذلك بحسب ترتيبها في القانون[1]:

الفقرة 38: يعتبر الأبناء الذين يتم إنجابهم من أم إغريقية وزوج مصري مصريين ولكن يسمح لهم بأن يرثوا كلا الوالدين.

الفقرة 39: إذا تزوج روماني رجلا أو امرأة بإغريقية أو إغريقي أو مصرية أو مصري لا يحصل أبناؤهم سوى على الوضع القانوني الأدنى.

الفقرة 42: يعاقب من يطلق على نفسه ألقابا أو أسماء غير صحيحة بمصادرة ربع أملاكه، كما يعاقب من يتستر عليهم بنفس العقوبة وهي مصادرة ربع الأملاك.

الفقرة 43: إذا دون مصري بالسجلات أن والده المتوفي روماني يعاقب بمصادرة ربع أملاكه.

الفقرة 44:إذا قام مصري بتسجيل ابنه على أنه أحد أعضاء منظمة الشبان في المدينة يصادر سدس ملكاته.

الفقرة 45: إذا تزوج إغريقي من سكان المدن من مصرية وتوفي دون ذرية تؤول جميع أملاكه إلى الخزينة، ويصادر ثلث أملاكه إذا كان لديه أبناء، أما إذا أنجب ثلاثة أبناء أو أكثر من زوجة إغريقية من سكان المدن فتؤول كل ممتلكاته إليهم، أما إذا كان لديه ابنان فقط فيحصل كل واحد منهما على ربع أو خمس أملاكه، ويصادر نصف أملامه إذا ترك ابنا واحدا[2].

الفقرة 49: العبد المحرر من من طرف الإسكندريين لا يتزوج من مصرية.

الفقرة 53: إذا ادّعت مصريات متزوجات من جنود مسرحين من الخدمة العسكرية أنهن رومانيات يخضعن لما يخضع له من ينتهك الوضع القانوني[3].

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص36، 37.

[2] نفس المرجع.

[3] Robert K. Ritner, **Egypt under Roman rule: The legacy of ancient Egypt**, Edited by Carl F. Petryn, Islamic Egypt, The Cambridge History of Egypt, Vol 1, 640–1517, , p6.

تعتبر هذه القوانين مجموعة من التنظيمات التي وضعها الإمبراطور أغسطس لإدارة الحساب الخاص، والإضافات التي أضيفت عليها من قبل الأباطرة ومجلس الشيوخ الروماني والولاة أو مديري الحساب الخاص من وقت لآخر، وما يلاحظ أنها تعتبر أداة للتعسف، وأن القواعد التي وضعت فيما يخص المصريين هي محاولة لكبح جماحهم وتتفق تماما مع سياسة التفرقة العنصرية[1].

أما زواج الإغريق في الإسكندرية فكان عن طريق تحرير عقدين أحدهما مدني (Synchoresis) والآخر ديني أمام هيئة **كهنة الوحدات**[2] (Hierothytai)، وإذا كان لا شك فيه أن العقد المدني كان صحيحا قانونا وكفيلا بإقامة حياة زوجية وصيانة حقوق الطرفين والأولاد، فكيف نفسر ضرورة العقد الديني ولاسيما أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين محتويات العقدين؟.

يرى ابراهيم نصحي[3] أن ضرورة عقد الزواج الديني تدل على أنه كان أكثر أهمية من العقد المدني، لأنه كان يكفل لأبناء المواطنين التمتع بحقوقهم السياسية، وقد كان أفراد طبقة المواطنين هم فقط الذين يهتمون بتحرير العقد الديني، لاسيما أنهم هم الذين كانوا مسجلين في قبائل وأحياء ووحدات.

ويوجد طلب بتسجيل عقد زواج في الإسكندرية يرجع إلى بداية العصر الروماني ونصه كالتالي[4]:

"إلى بروتارخوس بن ثرميون بنت أبيون مع وكيلها أبوللونيوس ابن خيرياس، ومن أبوللونيوس بن بطلميوس. اتفق كل من ثرميون وأبوللونيوس بن بطلميوس على أن يجتمعا في حياة مشتركة ويعترف أبوللونيوس بن بطلميوس بأنه قد تسلم بن ثرميون عن طريق اليد من منزلها صداقا يتكون من زوج أقراط من الذهب يزن ثلاثة أقراط ومبلغ... دراخمة من الفضة. ومنذ الآن سيمد أبوللونيوس بن بطلميوس ثرميون باعتبارها زوجته الشرعية بكل ما يلزمها وملابس حسب ما تسمح به موارده المالية، وأنه سوف لا يسيء إليها أو يطردها ولا يسبها ولا يجلب إلى البيت امرأة أخرى وإلا فقد حقه في الصداق مزادا مرة ونصف. ويمكن التنفيذ مباشرة على شخص أبوللونيوس بن بطلميوس

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص38، 39.

[2] **كهنة الوحدات** :من المعروف أن الإسكندرية قد قسمت إلى قبائل وأحياء وإلى وحدات كانت عبارة عن جماعات دينية لإقامة طقوس العبادة الإغريقية، وكان كهنة هذه الوحدات يؤلفون هيئة يعقد المواطنون زواجهم أمامها. أنظر:ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص21.

[3] نفس المرجع، ص214.

[4] عقد زواج: **B.G.U.0152 (13 B.C)** نقلا عن: مصطفى العبادي، **مجتمع الإسكندرية في العصر البطلمي– مصريون وإغريق–**، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1975، ص50.

وأملاكه كما لو كان بحكم قضائي، وكذلك سوف تفي ثرميون بواجباتها نحو زوجها وحياتها المشتركة وسوف لن تتغيب من المنزل دون إذن أبوللونيوس سواء بالليل أو بالنهار وألا تأتي بفعل يشين أو يؤذي حياتهما المشتركة وألا تعاشر رجلا آخر. وإذا تبين بعد المحاكمة أنها ارتكبت واحدا من هذه الفعال سوف تفقد حقها في الصداق. وبالإضافة إلى ما سبق فإن الجانب المذنب تفرض عليه الغرامة المعينة...".

يكشف لنا هذا العقد جوانب كثيرة عن نظام الزواج، فالمرأة الإغريقية لا تتعاقد بشخصها مباشرة وإنما دائما معها وكيل عادة والدها أو أخوها كما كانت المرأة هي التي تقدم المهر، وفي حالة الطلاق إذا كان الزوج هو المذنب يفقد حقه في المهر أو الصداق مضاعفا أو مزاد مرة ونصف، ولكن إذا كانت الزوجة هي المذنبة فإنها تفقد حقها في الصداق فقط، بالإضافة إلى ذلك كان يفرض على المخطئ غرامة معينة، كما نلاحظ أيضا أنه قد نص على عدم السماح بتعدد الزوجات[1].

أما مواطني عواصم الأقاليم الذين ينحدرون من نسل طبقة الإغريق، فقد عرفوا بتعلقهم بحياة المدينة الإغريقية واعتزازهم بروابطهم وثقافتهم، وعاشوا حياتهم والجو المحيط بهم بما يماثل الحياة في المدن الإغريقية الأربعة وخاصة الإسكندرية، واحتفلوا بالألعاب الإغريقية وأعيادهم وقاموا بنبذ كل ما هو قروي أو مصري، فقد كتب أحد مواطني البهنسا إلى عائلته وأصدقائه بعد أن عاش بعيدا منهم لمدة عام قائلا: " **ربما تظنون أو تتوقعون أنني قد أصبحت بربريا أو مصريا غير متحضر**"، لقد كتب ذلك حتى يؤكد أنه لم يحدث له مثل هذه التغيرات، كما أن المصريين المقيمين في عاصمة الإقليم والأبناء الذين أنجبوا من زواج مختلط كان محرما عليهم الحصول على المواطنة[2].

وقد توفرت معلومات حول حجم العائلات عند مواطني عواصم الأقاليم الواردة على وجه الخصوص في وثائق الوصايا والمواريث وتقسيم الثروة، وفي وثائق التعداد التي كان يقدمها كل صاحب منزل كل أربعة عشر عاما، ومنها يتضح أن أسرة مواطن تتكون من خمسة أطفال، ولكننا لا نستطيع أن نعرف العدد على وجه الدقة لعدة أسباب منها:

1- بسبب ارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال وهو أمر معروف قديما.

2- بسبب عادة الإغريق الذين درجوا على التخلص من المواليد الغير المرغوب فيهم، ودليلنا على

---

[1] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص51.

[2] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص44، 45.

ذلك هو خطاب مؤرخ في عام 1 ق.م، يقول فيه شخص يدعى هيلاريون لزوجته وأخته عندما كان عمل له في الإسكندرية:[1]

" اعلمي أنني مازلت في الإسكندرية، وأرجو ألا تقلقي إذا جاؤوا إليك أثناء وجودي في الإسكندرية، إنني أطلب وأرجو منك أن تهتمي بطفلنا، وبمجرد أن يصلني أي مبلغ سوف أقوم بإرساله لك في الحال: وإذا أنجبت طفلا (قبل أن أعود إلى المنزل) وكان ذكرا أبقيه، أما إذا كانت أنثى فتخلصي منها...".

وينبغي الإشارة إلى أنهم لم يكونوا يتخلصون من المواليد الإناث فقط، ولكن الأدلة التي وجدت توضح أنهن عانين من هذا المصير أكثر من الذكور، والسبب يكمن في المهر، الذي كان يتوجب على والدها دفعه عندما تتزوج، وكان المهر يعتبر شكلا من أشكال الأرستقراطية الاجتماعية، وقد قام ولي عروس على سبيل المثال بإرسالها إلى منزل زوجها في عام 127 م مع جهاز أنيق، كان من محتويات من الأساور يزن 8 أرباع مثقال، بالإضافة إلى مجوهرات أخرى وملابس ومبلغ نقدي فبلغ المجموع الكلي للمهر 4,100 دراخمة، وجرت العادة على أن يتم زواج الشباب بين سن 18 و20 سنة، وكانت الزوجة أقل بعدة سنوات عن زوجها، وتكشف عقود الزواج أنها تتضمن عادة عبارة: "الرغبة في أن يعيش الزوجان معا بدون خلافات، وأن يضعا في اعتبارهما حقوق الزواج، فعلى الزوج أن يغطي احتياجات زوجته طبقا لإمكانياته"، وعندما ينتهي الارتباط بالطلاق فقد كان على الزوج أن يعيد لزوجته كل منقولاتها وصداقها، أما الهدايا الأخرى التي قدمت لها أو أي شيء آخر فعليه أن يعوضها نقدا[2].

أما عن اليهود فيجدر الذكر أن المرأة اليهودية في عهد البطالمة كانت مثل المرأة الإغريقية والمصرية ناقصة الأهلية في نظر القانون، إذ كانت لا تستطيع مباشرة شؤونها القانونية إلا إذا كان لها وصي، وقد وتواصل ذلك في العهد الروماني، فهناك وثيقة تزودنا بأمثلة من سيدات يهوديات مثلن أمام بروتارخوس رئيس مكتب التسجيل القانوني الإغريقي في الإسكندرية بصحبة أوصياء عنهن، وقد ذهبت سيدة مطلقة سبق أن سجلت عقد زواجها أمام هذا المكتب مرة أخرى مع خالها الوصي، لتسوية بعض المسائل المتعلقة بطلاقها[3].

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص58، 59.

[2] نفس المرجع، ص ص60، 61.

[3] البردية: **C.P.JUD.II.144BGU 1102 (13 B.C)** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص246.

2. بوادر التوتر في العلاقات:

كثيرا ما يدهشنا تنوع العناصر السكانية في مجتمع الإسكندرية، التي وصفت بأنها مدينة عالمية، وقد يجد الإنسان ميالا إلى الاعتقاد بأن التباين في الأجناس واللغات والديانات والسلوكات لا يمكن أن يصنع مدينة من أهم صفاتها التسامح والاحترام المتبادل، غير أن الإسكندرية دليل على تزايد حدة التعصب والعنصرية وتزايد نبرة **الشوفينية**[1] وشدة التعصب الديني، الذي يمكن أن يهدأ ويستكين بل ربما حتى يختفي عندما يتاح لكل عنصر أو قومية أن تمارس حياة يومية يكون لها اتصال مع الأجناس والقوميات الأخرى، ونستطيع أن ندرك أن لكل واحدة منها خصائص لا يمكن للآخرين استساغتها وأخطاء يمكن التغاضي عنها، وعندما تتجمع عناصر وأجناس وأعراف متنوعة في مكان واحد فإن رد الفعل النفسي هو خلق تنوع سكاني، كل له عنصره بحيث يتم التمايز بينهم، ولم يكن هذا التمايز في مصر في العصر الروماني يقوم على أساس لون البشرة، إنما يقوم على أساس التفاوت في درجة الثقافة الإغريقية (Hellenism) [2].

يعتبر العرق والأصل موضوعا يخص أي شعب من الشعوب يؤخذ بعين الاعتبار، فالهيلينية لا يمكن أن تكون مصرية كون الهيليني تلقائيا الذي يتكلم لغة معينة ويتصرف بطريقة معينة ويحمل الاسم الإغريقي، وله الحق في حضور الألعاب الرياضية، ونفس الاعتبارات تنطبق على المصريين أو جماعات عرقية أخرى، ويستخدم العرق في التفاعل الاجتماعي من طرف الجهات الفاعلة الراغبة في تقسيمها إلى

---

[1] **الشوفينية:** هي الاعتقاد المغالي في الوطنية، وتعبر عن غياب رزانة العقل والاستحكام في التحزّب لمجموعة ينتمي إليها الشخص والتفاني في التحيز لها، وخاصة عندما يقترن ذلك بالحط من شأن جماعات نظيرة والتحامل عليها والكراهية اتجاها، وتفيد أيضا معنى التعصب الأعمى، أما الكلمة الانجليزية الأصلية (Chauvinism) في مدلولها الأصلي فهي تحمل معنى الوطنية المفرطة والغيورة والعدائية، والاعتقاد المتحمس بأن وطنه أفضل الأوطان وأمته فوق كل الأمم، وينسب لفظ الشوفينية إلى جندي فرنسي اسمه "نيقولا شوفان" (Nicolas Chauvin) كان شديد الغيرة على فرنسا، ومتفانيا في القتال في جيش الجمهورية مع نابليون في حروبه.
وهناك صلة قوية بين الشوفينية والاستعلاء العرقي والإثنية، وكل المصطلحات التي تنطلق من النظرة الاستعلائية لعرق على آخر أو جنس أو مذهب، مع التعصب لهذا العرق والمبالغة في الانتماء له ورؤية بقية الأعراق في مستوى أدنى وأقل، ومع إعطاء الأفضلية لهذا العرق واعتباره أن الحضارة تبدأ به وتنتهي به، وأن له العطاء الحضاري والتفوق الحضاري على باقي الأعراق والأجناس. أنظر:
عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، **الشوفينية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2019، ص ص11، 12، 64

[2] سيد أحمد علي الناصري، **الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار 30 ق.م– 641م**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص83.

مجموعة أو خارج هذه المجموعة[1].

وهذا ما طبقه الرومان في مصر حين فصلوا بين مختلف العناصر السكانية، وقسموها إلى مجموعات مختلفة ومتباينة بطبقات أعلى لها امتيازات عدة، وطبقات أخرى تليها محرومة من امتيازات الطبقة العليا، وأن الأساس الذي يميز بين السكان هو حقوق المواطنة الرومانية، التي باكتسابها ستفتح لصاحبها العديد من الامتيازات والمكاسب كما تطرقنا في هذا الفصل، ومن ناحية أخرى فسنركز في العلاقات بين الإسكندريين واليهود بالإسكندرية، باعتبار أن أغلب الاضطرابات الاجتماعية بمصر كانت من طرفهم، بالإضافة إلى ثورات المصريين.

وفي نظري أن توتر العلاقات بين الإسكندريين واليهود في عهد الرومان يعود أساسا إلى تراكمات الأجيال، والشعور الذي كان يكنه الطرفين لبعضهما البعض، فشعور اليهود الدائم بالنقص من الإغريق الذي منحوا العديد من الامتيازات جعلهم يبذلون جهدا للالتحاق بهم لاكتساب الثقافة الإغريقية، وهذا الصراع بينهما الذي كانت شرارته في عهد البطالمة التي لم تتطور إلى مواجهات عنيفة، نجدها اندلعت في العهد الروماني.

حاول اليهود في عهد البطالمة الأخذ بأساليب الحياة الإغريقية، ليكتسبوا مظهرا يقربهم من الإغريق، وهذا ما جعلهم يقبلون على تعلم اللغة الإغريقية واستخدامها، وجعلها وسيلة التفاهم فيما بينهم مما اضطرهم[2] إلى ترجمة التوراة إلى هذه اللغة[3].

---

[1] Straus Jeans A, Koen Goudrian, **Ethnicity in ptolemaic Egypt**, l'Intiquité Classique, Tome 60, 1991, pp551, 552.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص292.

[3] وهذا ما يسمى "**بالترجمة السبعينية**"، التي تعتبر أقدم ترجمة إغريقية نقلا عن المصدر العبري الأصلي، وكانت أسفار موسى الخمسة هي أولى الأسفار التي تمت ترجمتها، وتم ذلك في مدينة الإسكندرية في عهد بطلميوس الثاني بواسطة اثنين وسبعين عالما من اليهود ومنها عرفت بهذا الاسم، ثم اتسع الاسم ليشمل كل أسفار العهد القديم التي ترجمت في وقت لاحق، وقد لاقت هذه الترجمة قبولا وترحيبا من طرف الجاليات اليهودية حتى أن أشهر علماء اليهود مثل الفيلسوف فيلون والمؤرخ فلافيوس يوسيفيوس قد آثروا الاقتباس من نصوص هذه الترجمة في كتاباتهم، وقد ساعدت هذه الترجمة في المحافظة على الهوية اليهودية وخاصة أن يهود الشتات كانوا قد فقدوا تدريجيا لغتهم العبرية، كما أتاحت الفرصة للشعوب من غير اليهود لدراستها كما كان لها تأثير على المسيحيين حيث ظلت هي الكتب المقدسة لآباء الكنيسة الأولى واستشهدوا بآياتها، وفي الأخير فإن أهميتها تكمن في كيفية فهم الأقدمين النص العبري وتفسيره وتعتبر بذلك أول ترجمة لنص مقدس عرفه التاريخ. أنظر: إبيفانوس المقاري، **الترجمة السبعينية للكتاب المقدس بالمقارنة مع النص العبري والترجمة القبطية- سفر التكوين-**، مراجعة وديد المقاري ، دار مجلة مرقس، القاهرة، 2012، ص ص5-7..

كان اليهود شديدي الشبه بالإغريق بالمظهر والحضارة لكن بقوا محافظين على دينهم، هذا فإن اندماجهم في المجتمع الإغريقي لم يكن اندماجا كاملا، لعدم حصولهم على لقب المواطنة في الإسكندرية، فلا عجب أن ما بذلوه من محاولات ظلوا غرباء عن المدينة اجتماعيا، وإذا كان اليهود قد حاولوا التقرب إلى الإغريق والتشبه بهم فهل رحب الإغريق بذلك؟.

لعلنا نجد أن خير إجابة على هذا التساؤل في التراث الأدبي الذي خلفه يهود الإسكندرية، إذ أن هذا التراث يلقي ضوء على موقف الإغريق من اليهود، خاصة وأننا نعرف أن الفريقين نشطا منذ عهد بطلميوس السادس في التراشق وتبادل الاتهامات في عدد من الرسائل الأدبية، وقام المؤلفون من اليهود المتأغرقين بالدفاع عن قومهم والرد على مزاعمهم، واهتموا بالتأكيد على أن الحضارة اليهودية حضارة قديمة جدا وأنهم كانوا أساتذة لكثير من الشعوب[1].

وقد تواصل ذلك في العهد الروماني بالأخذ باللغة والثقافة الإغريقية، وذلك لرغبتهم في ألا يبدو عنصرا غريبا عن المجتمع الإغريقي بالإسكندرية، وحتى لا تتأثر فرصهم في العمل والثراء، وكذلك رغبتهم في أن يثبتوا لحكامهم الرومان أنهم من حيث الحضارة لا يقلون في المظهر ولا في الجوهر عن الإغريق، الذين كانوا ذو مكانة أعلى منهم[2]، كما أن اليهود لم يقبلوا ضمنيا وضعهم المتدني وادعاء استمرارية الحق في الحصول على الجنسية الإسكندرية، مما أدى إلى أعمال شغب معادية لليهود مع الإغريق الإسكندريين[3]، لقد كان هدف اليهود هو الحصول على المواطنة والاعتراف الاجتماعي دون إجبارهم على الانخراط كليا في طريقة الحياة الهيلينية، وقد قاوم الإغريق هذه الجهود بقوة، فوقع صراع طويل وشاق كان على اليهود مجابهته[4].

ومن نماذج الكتابات الأدبية التي تبين الصراع بين اليهود والإسكندريين، نذكر في هذا الصدد مقولة فلافيوس يوسيفيوس ردا على **أبيون**[5] الذي استهزء بحي اليهود[1]:

---

[1] هاجر كتفي الشريف، **مدينة الإسكندرية وحضارتها في عهد البطالمة "دراسة في الجانب الاجتماعي أنموذجا 331–30 ق.م"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2015/ 2016، ص139.

[2] نفس المرجع، ص292.

[3] Katelijn Vandorpe, op.cit, p270.

[4] David T. Runia, op.cit, p34.

[5] **أبيون**: هو كاتب كان يتمتع بالجنسية الإسكندرية ويناصب يهود الإسكندرية العداء، وألف من أجل ذلك كتابا نقد فيه اليهود واتهمهم في دينهم وسفه أحلامهم وأرجع ذلك كله إلى تفاهة وسطحية فكرهم وحداثة وجودهم، ولقد اتخذ أبيون من كراهيته ليهود

"دعونا نرى تلك الاتهامات الخطيرة المروعة التي وجهها ضد اليهود الذين يعيشون في الإسكندرية إنه يقول: لقد جاؤوا من سوريا، ثم استقروا بالقرب من ساحل البحر ليس فيه ميناء على مقربة من موضع تتلاطم فيه الأمواج".

ثم يقول[2]:

"ولكن إذا كان المكان يستحق الإهانة إذن فهو يسخر في الواقع لا من وطنه بل مما يدعيه أن وطنه مدينة الإسكندرية، وذلك لأن الساحل يشكل جزءا من هذه المدينة بل إنه يعد أفضل جزء للإقامة فيه وذلك باعتراف الجميع".

أما الفيلسوف اليهودي فيلون فبصفته من أغنى وأبرز العائلات اليهودية الإسكندرية، لم يكن من الممكن أن يتجنب الاتصال المكثف بالثقافة والمجتمع الإغريقي، هناك سبب للاعتقاد بأنه استمتع بهذه الاتصالات وشارك بحماس في الحياة الثقافية بالإسكندرية كالعروض المسرحية وحفلات العشاء والمسابقات الرياضية، ويعد أكبر ممثل للمفكرين اليهود الذين حاولوا شرح التوراة بطريقة الفلاسفة الإغريق لقصص الميثولوجيا، لتصبح عالمية يتقبلها الإغريق واليهود على السواء وإيجاد رابطة للتفاهم بينهما، وذلك من شأنه أن يحدث التقاء العنصرين عن طريق إيجاد صلة فكرية بين المجتمع الإغريقي واليهودي، وبذلك يستطيع أي يهودي الاتصال بالمجتمع الإغريقي دون الاضطرار إلى نبذ دينه، وكان فيلون يرى أنه لو اتبع اليهود ما أشار إليه من نقل تراثهم الفكري إلى اللغة الإغريقية لربما استطاعوا العيش بسلام مع جيرانهم الإغريق، وأمكن تجنب وقوع تلك الحوادث والاضطرابات التي شهدتها المدينة سنة 38 م، والتي سنتطرق إليها في الفصل الثاني[3].

إذن يتبين أن يهود الإسكندرية أو على الأقل الطبقة الأرستقراطية المتحررة التي يمثلها فيلون، حاولوا إيجاد نوع من الملاءمة بين مجتمعهم والمجتمع الإسكندري، أي أنهم تابعوا السير في نفس الطريق

الإسكندرية ليبغض جميع اليهود وروج ضدهم الشائعات والافتراءات دون تدقيق أو تمحيص، وكان قد سافر إلى روما على رأس وفد إسكندري ليشكو تجاوزات اليهود كجالية إسكندرية وخروجهم على القوانين وشغبهم وسوء معاملتهم، ولقد جاء كتاب فلافيوس يوسيفيوس (Contre Apion) كرد عليه. أنظر: محمد حمدي ابراهيم، **آثار اليهود القديمة الجزء الأول والثاني" محاورة ضد أبيون"**، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، 2007، ص4.

[1] Flavius Joséphe, **Contre Apion**, II, IV, 33.

[2] Idem, II, IV,34.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص292، 293؛ David T. Runia,op.cit,p35.

الذي بدأوه في العصر البطلمي، واستطاعوا أن يصبغوا على حياتهم صبغة إغريقية، إلى حد بعض الأسر اليهودية خرجت عن الدين مثل أسرة إسكندر ليسيماخوس[1]، بل لا بد أنه نحا نحوهم آخرون وإن كان الاعتقاد بأن اليهود الصابئين لم يمثلوا إلا قلة قليلة من يهود الإسكندرية، أما أكثرهم فكانوا يكتفون بمسايرة الحياة الإغريقية في شتى اتجاهاتها، دون أن يقرنوا ذلك الخروج عن دينهم والتنازل عن المظاهر الأساسية التي تميز اليهود عن غيرهم، إلا أنهم كانوا فئة متحررة لا تتقيد بتعاليم الشريعة اليهودية إلا في أضيق الحدود، ولعلها الفئة التي كان فيلون يعتبرها جديرة بنيل حقوق المواطنة الإسكندرية الكاملة، وكان يرى أنه ليس من العدل أن تتساوى من الناحية القانونية مع المصريين، فقد كانت تدفع ضريبة الرأس مثلهم وتعاقب بالجلد بنفس الطريقة التي يعاقبون بها[2].

كان الإغريق يرون أن اليهود يحملون أوزار جنسهم ودينهم، فاهتمت الدعاية ضد اليهود بإبراز المجتمع اليهودي في صورة مجتمع منعزل ومنفصل عن حياة المدينة، ومعنى هذا أن إغريق الإسكندرية في العصر الروماني كانوا يعتبرون اليهود فعلا عنصرا غريبا عنهم، وكانوا ينفرون من اليهود ويضيقون بهم ذرعا بمدينتهم، وبذلك طالب الإغريق بحرمانهم من الالتحاق بالجمنازيوم، هذه المؤسسة التي أصبحت خاضعة مباشرة لإشراف الإدارة الرومانية، التي كانت شديدة الحرص في تطبيق الأوامر الخاصة بدخول الجمنازيوم، وبذلك أصبح من المتعذر على أي يهودي إلحاق ابنه فيه ليصطبغ بصبغة إغريقية، والتي تمكنه من أن يبدو مثل الإغريق في شكلهم ومظهرهم وفي ثقافتهم وتعليمهم.

كما أن الإمبراطور كلوديوس أجاب طلب الإسكندريين عندما حظر على اليهود المشاركة في الألعاب والالتحاق بمنظمات الإفيبوى، وحرمان اليهود من هاتين المنظمتين يعني إقصاؤهم عن المجتمع الإغريقي، وعدم أهليتهم في الاندماج في هذا المجتمع، والقضاء على كل محاولة كانوا يبذلونها في سبيل التقرب إليهم، ومن ثم يعتبر ردا غير مباشر على محاولة فيلون التقرب بين ثقافة قومه وثقافة الإغريق[3].

وجملة القول أن الإسكندريين كانوا يعتبرون اليهود غرباء عنهم في الجنس والحضارة والدين ويرفضون إدماجهم في مجتمعهم، وأن المصادمات العنيفة التي وقعت بينهما في الإسكندرية في الفترة ما

---

[1] أسرة الإثنارخيس اليهودي إسكندر الملقب بليسيماخوس الذي شغل منصب وظيفة مدير الضرائب الجمركية، وتربع على عرش المال في الإسكندرية، فقد نال هو وأبناؤه حقوق المواطنة الإسكندرية، ولا جدال أنهم خرجوا عن دينهم. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص294.

[2] نفس المرجع، ص ص294، 295.

[3] نفس المرجع، ص ص298، 301.

بين 38 م حتى سنة 117 م، تعتبر هزيمة للفئة المتحررة التي كانت تسعى لإقامة علاقات طيبة مع المجتمع الإغريقي في المدينة إذ اعتبرتها الوطن الحقيقي لها، أما الفئة التي لم تكن لتضم عناصر ممتازة فإنها كانت تحت تأثير الربانيين ومؤمنة بفكرة الخلاص والعودة إلى أورشليم، ومن ثم لم تعنيهم نجاح هذه المحاولات، بل إنهم على عكس الفئة الأولى كانوا يرون ألا طاعة عليهم لروما، وبذلك تكون هذه الفئة مسؤولة عن تلك المصادمات التي أطاحت بكل محاولة لإقامة علاقات طيبة مع جيرانهم ومع السلطات الرومانية[1].

كان اليهود بصفة عامة قد أخذوا بمظاهر الحضارة الإغريقية، وكانت فئة قلية منهم قد ذهبت إلى أبعد مدى فارتدت عن دينها وقبلها المجتمع الإغريقي في صفوفه، فإن اليهود بصفة عامة المتحررين منهم والمحافظين احتفظوا بدينهم وعاداتهم بدرجات متفاوتة، ولا سيما أن المجتمع الإغريقي أوصد منتدياته عليهم، وأن الحكومة الرومانية اعتبرتهم غرباء عن المدينة فتابعوا حياتهم في جاليتهم ومجتمعهم اليهودي[2].

كما أن السياسة المنتهجة من طرف الرومان في تعاملهم مع اليهود والإغريق كانت من أهم أسباب قيام الفتنة بين اليهود والإسكندريين[3]، فقد كافأ الإمبراطور أغسطس اليهود نظير الخدمات التي قدموها للرومان[4]، فأقر لهم جميع الحقوق والامتيازات التي تمتعوا بها في عهد البطالمة، فسمح لهم بالاحتفاظ بمجلس الشيوخ لتنظيم شؤونهم واختيار أعضائه مما يضعهم في موقع المساواة مع الإغريق[5]، في حين حرم الإسكندريين من أن يكون لهم مجلس للشورى، لذلك تصرف اليهود كما لو كانوا من مواطنين بالإسكندرية، وأخذوا يقحمون أنفسهم في مؤسسات الإغريق مثل الجمنازيوم، مما استفزهم وأدى إلى تفجير روح الكراهية لديهم اتجاه اليهود[6]، كما أن أوكتافيوس أغسطس حاول استرضاء الإسكندريين عن طريق جعل المواطنة الإسكندرية شرطا أساسيا للحصول على المواطنة الرومانية –الأهم آنذاك–،

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص298.

[2] نفس المرجع، ص300.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص129.

[4] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص320

[5] J.Grafton Milne , M.A, **A History of Egypt under Roman rule**, Second Edition, Methuen and Co. Ltd, London, 1913, P16.

[6] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص320

بالإضافة إلى إعفائهم من ضريبة الرأس ومنحهم حق الالتحاق بالخدمة العسكرية[1].

كان من الطبيعي أن تتأزم العلاقات بين اليهود والإغريق ولاسيما أنها توترت أكثر منذ أواخر العصر البطلمي وتحولت إلى صراعات ومعارك بينهما خلال العصر الروماني، وقد أخذت بوادر النزاع بين اليهود والإسكندريين تظهر منذ نهاية حكم الإمبراطور تيبريوس، وبدأت الاضطرابات الاجتماعية عام 38 م، وبدون شك كان لهذه الاضطرابات تأثيرا على السكان فيما بينهم من ناحية وبين علاقتهم مع السلطة الرومانية من ناحية أخرى، وهذا ما سنتطرق إليه في محاور الفصل الثاني.

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص102.

الفصل الثاني:

القلاقل الاجتماعية ورد فعل السلطات الرومانية

أولا: بداية القلاقـل الاجتماعية بين السكـان.

ثانيا: الاضطرابات الاجتماعية في الإسكندرية.

ثالثا: انـدلاع الثـورات في مصـر ونتائجهـــا.

أولا: بداية القلاقل الاجتماعيـة بين السكان:

اشتهرت الإسكندرية بمواطنيها الجامحين وسكانها المتنوعين من مصريين ويهود وإغريق، مما جعل الاضطرابات المدنية أمرا لا مفر منه، وكانت التوترات خاصة بين الإغريق واليهود، وهي موثقة جيدا في البرديات مثل "رسالة كلوديوس" وقبل كل شيء في كتابات الفيلسوف اليهودي فيلون، الذي وضح مدى تفاقم هذه التوترات وما تعرض له اليهود[1]، إضافة إلى ما كتبه المؤرخ فلافيوس يوسيفيوس.

1. اندلا ع النزاع بين السكان 38 م:

لم يحدث في عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس أي شيء من الاضطرابات بين السكان، وقد مر كذلك عصر خلفه الإمبراطور تيبريوس بسلام، بالرغم من أن هذا الإمبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود في روما[2]، وفي صيف عام 38 م في عهد الإمبراطور جايوس الملقب بكاليجولا (37-41 م) حدثت تلك الاضطرابات المروعة بين الإغريق واليهود، والتي كانت موضوع عدة كتب[3] وضعها الفيلسوف اليهودي الإسكندري فيلون، وقد كان حاكم مصر وقت حدوثها هو الحاكم "أولوس أفيليوس فلاكوس"[4].

وقد ذكرنا أن الإسكندريين كانوا يكرهون اليهود بسبب مواقفهم المؤيدة للرومان وقبل ذلك تعود جذور الكراهية إلى العهد البطلمي كما ذكرنا سابقا، وقد واجه الإسكندريون موقف اليهود بعداء كبير، وقد أدى الحقد الدفين إلى اشتعال الاضطرابات عام 38 م[5].

إن الأسباب الدقيقة لأعمال الشغب المعادية لليهود في الإسكندرية غير واضحة، بسبب أكثر المصادر تفصيلا للأحداث هي كتابات اليهودي فيلون، التي ألقت باللوم أولا على الحاكم فلاكوس، ثم

---

(1) De J. Paul Getty Museum, **Alexandria and Alexandrianism**, Getty Publications, California. 1996, p264.

(2) كانت حملات الاضطهاد التي شنها تيبيروس ضد اليهود في روما بتهديد من وزيره سيجانوس (Sejanus)، وقد توقفت بمجرد وفاة هذا الوزير. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص146.

(3) كان لفيلون في الأصل خمسة كتب وصف لنا ما لقيه اليهود أثناء حكم جايوس، وصلنا ملخص عنها في كتابه (Legatio)، وقد أورد تفصيلا دقيقا لفتنة 38 م وأحداثها في كتابه (Eis Flakkon)، وفي الكتاب الثاني (Presbeia Pros Gaion) للحديث عن سفارة يهود الإسكندرية إلى الإمبراطور جايوس في روما، وكان هو نفسه على رأس هذه السفارة.
أنظر: نفس المرجع.

(4) نفس المرجع، ص ص146، 147؛ E. Mary Smallwood, op.cit, p235.

(5) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص33.

الإمبراطور جايوس، فمن المهم أيضا النظر فيما إذا كانت كراهية اليهود هي الدافع وراء أعمال الشغب، سواء من جانب الحاكم والإمبراطور أو مثيري الشغب أنفسهم، أو بسبب صراع سياسي داخل الإسكندرية[1]، ويذكر توري سيلاند[2] (Torrey Seland) أن تفسير الرسم التخطيطي للنزاعات التي تشمل اليهود في الإسكندرية يثير العديد من الأمور التي لا يزال الباحثين يناقشونها، فمن الواضح أن فيلون لم يكن مراقبا محايدا ولا مبعوثا محايدا، على الرغم من أننا يجب أن نعترف بالقيمة العظيمة لكتاباته، إلا أن العديد من القضايا تظل مفتوحة لمزيد من التحليلات، ومما يضاعف ذلك أنه لا يوجد بحث حول فهم الظروف القانونية والاجتماعية لليهود قبل اندلاع هذه الصراعات، ويتساءل هل كان الصراع حول مطالبة اليهود بالجنسية الإسكندرية بينما عارض الإغريق ذلك؟ أم أنها كانت تتعلق بحقوقهم؟.

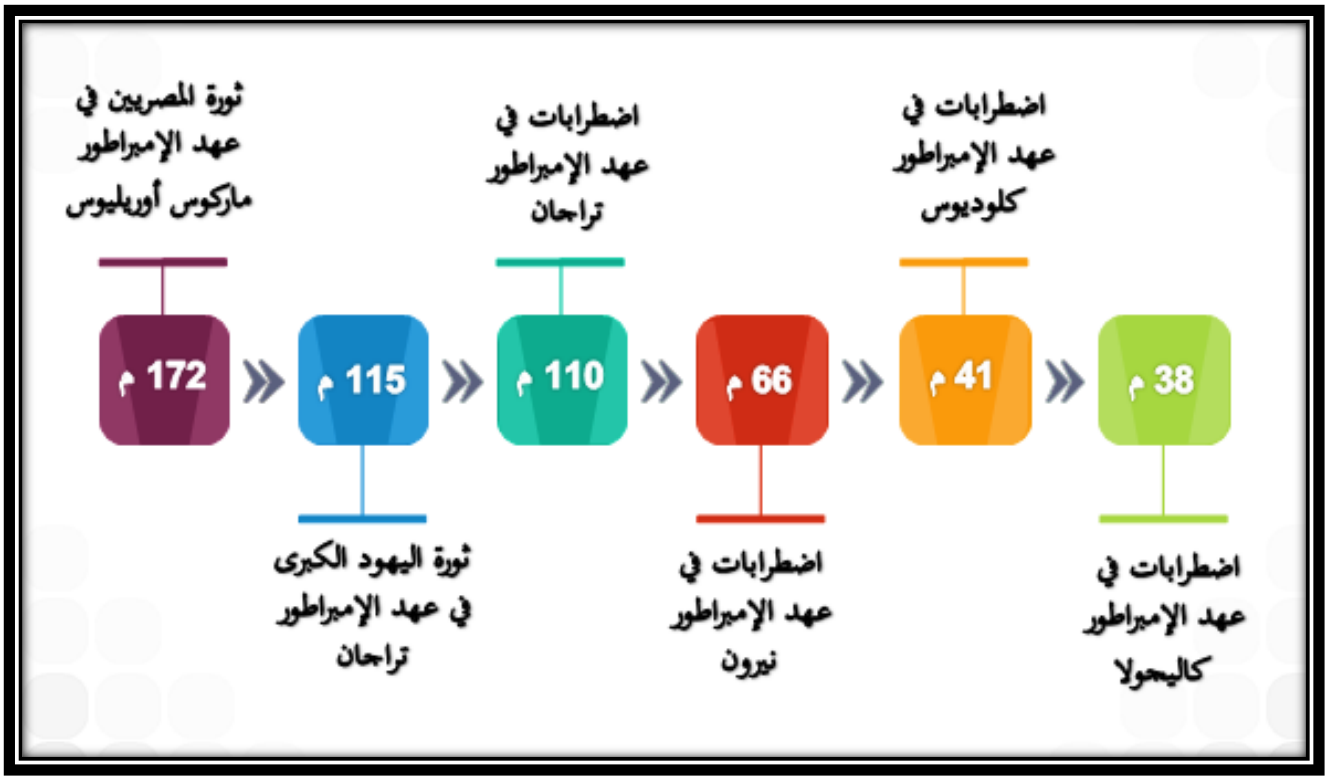

المخطط رقم 4: كرونولوجية الاضطرابات الاجتماعية في مصر.

---

[1] Keaton Arksey, **Perceptions of The ancient Jews as a nation in The Greek and Roman worlds**, in partial fulfilment of the requirements of the degree of master of arts, University of Manitoba, 2016, p81.

[2] Torrey Seland, **Reading Philo: A handbook to Philo of Alexandria,** publié par Wm. B. Eerdmans Publishing, The United States of America, 2014, p68.

ويجدر الذكر أن الحاكم الروماني الآنف ذكره قد أصدر منشورا يمنع السكان من حمل السلاح، وأنه سيعاقب بصرامة على كل من لديه السلاح، فهل يمكننا أن نستنتج من ذلك أن الصدام بين اليهود والإسكندريين كان أمرا متوقعا، وأن كلا الطرفين كان يدّخر السلاح استعدادا للصراع[1]، وكان هذا الإجراء في عهد الإمبراطور تبيريوس، حيث نعرف من إحدى البرديات أنه أوقف في عهده الحاكم فلاكوس نشاط الأندية الإغريقية وأصدر أمره بمنع حمل السلاح إلا بإذن منه[2].

ونتبين من ذلك أن الأمن لم يكن مستقرا تماما، وأن الإغريق فيما يبدو مصدر الاضطرابات في الإسكندرية، وهذا ما أدى إلى عدائهم للحاكم فلاكوس، لوقوفه موقفا حازما من محاولتهم إحداث التوتر في المدينة، ولكن فيما بعد استطاع زعماء الإغريق استمالة الحاكم إلى صفهم، وليُرضي الإغريق بدأ يتخلى عن سياسة عدم التحيز لأحد، فوقف ضد اليهود في كل نزاع يكونون طرفا فيه[3].

وكان فضلا عن ذلك يدقق في مدى قانونية القواعد القضائية التي كان اليهود يستندون إليها في دعاويهم، ولا يسمح أن يكون لهم أي امتيازات لم تكن لهم من قبل، وكانت الجالية اليهودية قد اتخذت قرارا بتمجيد الإمبراطور جايوس عندما تولى عرش الإمبراطورية، وطلب زعماؤها من الحاكم أن يسمح لممثلي الجالية بالسفر إلى روما لإبلاغ هذا القرار إلى الإمبراطور، ولكن الحاكم لم يأذن لهم بالسفر ووعدهم بأنه سيبعث هذا القرار بنفسه إلى الإمبراطور مصحوبا بشهادته الشخصية على ولائهم، ولم يف بوعده فأوجس اليهود خيفة أن يظن بهم الإمبراطور عدم الولاء له ولحكومته[4] .

تصور لنا بردية من البهنسا من تلك البرديات التي اصطلح على تسميتها باسم "أعمال شهداء الإسكندرية" (Acta Martyrum أو Acta Alexandrinorum) مقابلة بين الحاكم فلاكوس مع ايزيدوروس وديونيسيوس من زعماء الإغريق في معبد السيرابيوم، حضره شيخ (Ho Geraios) كان مشفقا على ديونيسيوس من مقابلة الحاكم ويرجوه أن يستشير الشيوخ (Toi Gerousin)، ولكن الزعيم الإسكندري يصر على إتمام هذه المقابلة، وقد تحقق ذلك بدخول الحاكم المعبد وبعده شخص يتوسل إليه ألا يلحق ضررا بالزعيمين، وكان مستعدا للمفاوضات، وبعد ذلك يضطرب نص البردية فلا تتبين

---

(1) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص272.

(2) البردية: **P.Chrest.13** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص147.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص148، 149.

(4) نفس المرجع، ص149.

سوى كلمات تفيد أنه قد تم عد مبلغ 5 تالنت من الذهب في صحن المعبد وترددت كلمة فائدة، ومن الآراء حول ذلك أن الحاكم فلاكوس كان معارضا لذهاب سفارة من الإسكندرية إلى روما، وأنه وافق بعد أن تقاضى مبلغ التالنتات الخمسة، أو ربما كان الغرض من دفع هذه الرشوة أن تكون ثمنا لسكوته عما يدبره الإغريق ليهود الإسكندرية، وذكرت كلمة الفائدة للتمويه، وربما كان الغرض من وراء هذه القضية هو اتهام الحاكم بالتعامل بالربا، وليست هذه البردية الوحيدة من برديات أعمال شهداء الإسكندرية التي ظهر فيها مثل هذا الاتهام بالنسبة للحكام الرومان.

هذه البردية ذات قيمة تاريخية، ولعلها كانت تصور الأحداث على النحو أنه حدث تفاهم بين زعماء الإسكندرية والحاكم الروماني، للإيقاع باليهود مقابل هذا المبلغ من المال، وهذا ما يتفق مع اتهام الحاكم من طرف فيلون بأنه باع نفسه لإغريق الإسكندرية، وفي نظر مصطفى كمال[1] أن ذلك كان يتضمن طعنا في فلاكوس واتهامه بالرشوة أو الربا، وأنه كان يباشر وظيفته كحاكم مصر بكفاءة ونزاهة، وهذا ما جلب له العداء من طرف الإغريق واليهود وسنتبين ذلك من خلال الأحداث، كما أن هذه البردية تظهر أسماء بعض زعماء الإسكندرية الذين اشتركوا في النزاع الذي حدث في 38 م .

أما ساندرا قامبيتي[2] (Sandra Gambetti) فتذكر أن المجموعة من النصوص البردية لأعمال الشهداء تشير إلى العلاقة الصعبة بين الأباطرة الرومان وأهل الإسكندرية، وتعتبر بشكل عام خيالية، ومع ذلك فإن العديد من تفاصيل النص إذا تم قراءتها على الخلفية المناسبة للقرن الأول الميلادي التي تنتمي إليه تعكس بدقة الإجراء القانوني الروماني في ذلك الوقت، لذلك لا يوجد سبب لاستبعادها من التحليل التاريخي، ومساهمتها في التفسير التاريخي لأعمال الشغب الإسكندرية التي قامت في عام 38 م مهم للغاية، وقد أدى تحليل الجوانب القانونية لأعمال الشغب إلى مجال غير مكتشف تقريبا، وهو طبيعة القوانين التي كانت مطبقة في الإسكندرية.

كانت الشرارة التي أطلقت الصراع بين اليهود والإسكندريين هو وصول الأمير اليهودي أجريبا (Agrippa)[3] إلى الإسكندرية، وكان الإسكندريون يعرفونه فقد عاش في مدينتهم بعض الوقت، وكان

---

[1] البردية: **P.Oxy.1089= P.Acta II** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص148، 149.

[2] Sandra Gambetti, **The Alexandrian riots of 38 C.E. and the persecution of The Jews: : A historical reconstruction**, BRILL, Leiden, Boston, 2009, p9.

[3] **أجريبا** (Agrippa): هو حفيد الملك اليهودي هيرود، وكان أجريبا قد قضى شطرا من حياته في روما، وعاش في القصر

مسرفا ويعاني من مطاردة دائنيه، ولكنهم فوجئوا به يأتي إلى الإسكندرية من عام 38 م وهو في طريقه ليصبح ملكا[1]، ويبدو أن أجريبا كان على علم بشعور الإسكندريين نحوه، ولذلك كان يريد الإبحار إلى فلسطين عن طريق بلاد الإغريق وسوريا لولا أن الإمبراطور أشار عليه أن يسلك طريق الإسكندرية[2]، حيث يذكر فيلون[3] أن الإمبراطور نصحه بذلك لأن المعبر طويل ومرهق وأن يتخذ مسار أقصر عبر الإسكندرية، فذهب إليها دون أن يعلم أحد بذلك، ودخل المرفأ تحت الظلام والمدينة نائمة، وسافر مع الكثير من البساطة وذلك لمغادرة المدينة في أقرب وقت ممكن دون أن يُلاحظ، فهو لم يأت لزيارتها ولم يرد سوى العودة السريعة إلى بلده.

إلا أنه شاع نبأ قدومه في الأوساط اليهودية في المدينة، حتى اعتبر مجيئه في هذا الوقت بالذات دليل العناية الإلهية، إذ كانوا يعلمون مكانته لدى الإمبراطور، وعرضوا عليه قضيتهم وشكوا إليه موقف الحاكم، وأقنعوه بأن يتجول في المدينة محاطا بالحراس حتى يشعر الإغريق والحاكم بما له من نفوذ ، لكن زعماء الإغريق حرّضوا الحاكم وأن هذا الملك تجاوز حدوده، إذ أحاط نفسه بمظاهر الحاكم التي ينفرد بها دون غيره، ولكن الحاكم فلاكوس لم يتهور ولم يتعرض للملك اليهودي بما يسيء إليه[4].

ثار الإسكندريون لما رأوا كيف استقبل اليهود هذا الملك، مما جعلهم يفكرون في كيفية إفساد ذلك، وعلى طريقتهم المعروفة بالسخرية[5]، كان هناك في الإسكندرية أحمق اسمه "كاراباس" فأحضروه، وتم سحب هذا البائس إلى صالة الألعاب الرياضية، حيث وضع على مكان عال بحيث يمكن أن ينظر إليه من قبل الجميع، ووضع على رأسه ورقة كبيرة كتاج، وعلى جسمه ألبسوه حصيرة خشنة كمعطف ووضعوا في يده صولجان، وتم تزيينه مثل الملوك وتحويله إلى ملك مسرح، كان الشباب يحملون العصي على أكتافهم كحراس، ثم جاء البعض لتحيته والبعض الآخر يطلب منه العدالة والبعض الآخر لمنحه المشورة بشأن الشؤون العامة، أشاد به الحشد المحيط به بصوت عال وحيّوه بلقب"مَارَنمَارَن" وهي كلمة

الإمبراطوري مع أبناء الأسرة الحاكمة، وخلال هذا الوقت توثقت علاقته بالإمبراطور كاليجولا منذ الصغر، فأراد أن يكافئه فأمر بإقامته ملكا على إيتوريا وهي إمارة صغيرة تقع على حدود بلاد يهوذا. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص273؛
John M.G Barclay, op.cit, p52.

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص106.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص149.

[3] Philon, **Contre Flaccus**, 26-28.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص150.

[5] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص106.

سورية تعني أمير[1].

كان هذا التصرف للسخرية من الملك أجريبا، ويدل على تجاهل حقيقة أنه كان مقربا من الإمبراطور، ولكن تداركوا الوضع بسرعة وحاولوا تفادي غضب الإمبراطور كاليجولا، وبرروا تصرفهم على أنه عمل ضد اليهود، الذين يرفضون وضع تماثيل الإمبراطور في معابدهم، وحتى يثبتوا ذلك قاموا باقتحام معابد اليهود ووضعوا فيها تماثيل الإمبراطور، وهو تصرف يسيء إلى الديانة اليهودية التي ترفض مظاهر العبادة الوثنية[2].

كان الإسكندريون دهاة بقدر ما كانوا متهورين في تصرفاتهم، فقد اتخذوا من الإمبراطور ستارا للإطاحة باليهود ، لعلمهم أن اليهود عندما يقاومون وضع التماثيل في معابدهم يعدون عصاة وخارجين عن طاعة الإمبراطور[3].

قاوم اليهود هذا العمل دون استعمال أسلحة، لكن تبع ذلك حدوث أعمال عنف وحرق بعض أماكن عبادتهم وتدمير البعض الآخر، وقد اتهم فيلون الحاكم أنه لم يفعل شيئا لإيقاف الإغريق وأنه لم يفطن لخطورة إذا انتشرت هذه الحادثة خارج مصر[4]، ويُخشى أن تكون هناك فرصة لإساءة معاملة اليهود في كل مكان، وإلغاء عاداتهم القديمة وتدنيس أماكنهم المقدسة[5].

أربك الإسكندريون موقفهم هذا اتجاه الإمبراطور الحاكم فلاكوس، فوجد أنه من الضروري أن يأخذ صفهم[6]، هذا ولم يكتف الإسكندريون بذلك بل طلبوا إلى الحاكم أن يحدد الوضع القانوني ليهود المدينة[7]، فأصدر مرسوما بإعلان اليهود أنهم أجانب في المدينة وألغى على جميع امتيازاتهم، وأرسل فلاكوس تفويضه لإصداره هذا المرسوم، مما يثبت أن الحالة الاجتماعية للإسكندرية هي بيئة مناسبة

---

(1) Philon, **Contre Flaccus**, 36-39 ; Burkhalter Fabienne, **Le Gymnase d'Alexandrie : centre administratif de la province romaine d'Égypte**, bulletin de correspondance hellénique, Vol 116, livraison 1, 1992, p352.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص106، 107؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، 273.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص150.

(4) نفس المرجع، ص ص150، 151.

(5) Philon, **Contre Flaccus**,47.

(6) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص107.

(7) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 151.

لأعمال الشغب[1] .

وبهذا القرار الذي اعتبر اليهود أجانب عن المدينة وجّه الحاكم فلاكوس ضربة قاسية إلى حقهم في أن يكونوا أعضاء في جالية، وكانت هذه العضوية هي الضمان الوحيد لسلامتهم إذا ما تعرضوا للأذى، وقد فسر الإسكندريون مرسومه أنه ليس لليهود الحق في تجاوز الحي الذي كان مخصصا لإقامتهم، فحشروا في هذا الحي الذي ضاق بهم حتى التجأوا خارج المدينة أو على الساحل، ودمرت مساكن اليهود التي طردوا منها وفُتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحُرم عليهم الخروج إلى الأسواق[2]. ويقول فيلون[3] عن ذلك:

"كنا ندان دون محاكمة؛ كان ذلك أكثر تعسفا واستبدادا، فكان في نفس الوقت المتهم (يقصد الحاكم)، الخصم، الشاهد، القاضي والجلاد".

ويذكر فيلون[4] شتى أنواع العذاب الذي لحق باليهود بحيث:

" أنهم جردوا من كل ممتلكاتهم وأنهم لجأوا إلى المقابر وأنهم نهبوا منازلهم المهجورة، كما في أوقات الحرب تم تقسيم الغنائم ولم تكن هناك مقاومة، وأغلقت محلاتهم غير أن النهب تسبب بضرر أقل من انقطاع التجارة؛ فقد الدائن أجره، المزارع، البحارة، التاجر، الحرفي، لم يتمكن من الدخول في تجارته، لقد أعدوا لبؤس رهيب ليس فقط عن طريق تجريدهم في يوم واحد من كل ممتلكاتهم، ولكن بشكل خاص منعهم من مواصلة حركية نشاطهم التي تجعلهم يعيشون، كل هذا بدون شك كان قاسيا جدا، إنه أمر مؤلم للفقر وخاصة عندما يفرضه الأعداء وأقل إيلاما من سوء المعاملة، وبعد نهب البيوت وطرد اليهود من جميع الجهات وطوقهم من كل جانب كما يفعل الأعداء، كان اليهود أمام أعينهم أطفالهم الصغار وزوجاتهم الذين يموتون من الجوع؛ جعل الغضب الشعبي العديد من الضحايا الآخرين في حالة غرق من الدم، وذلك بوحشية شرسة واخترعت أشكال جديدة من التعذيب، أينما وجد اليهود كانوا يتعرضون للهجوم بالحجارة أو بالعصي، وهناك من لقي مصرعه في النيران، جميع الأسر: الأزواج مع زوجاتهم، الأطفال الصغار مع والديهم لاإنسانية جروا وأحرقوا

---

(1) David.T. Runia, **Philo of Alexandria: an annotated bibliography 1997-2006,** BRILL, The Netherlands, 2011, p254.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 151؛ Sandra Gambetti, op.cit, p11

(3) Philon, **Contre Flaccus**, 54

(4) Idem, 56-71; John M.G Barclay,op.cit, p53.

أحياء في الشوارع، كان هناك آخرون وضعوا لهم حبلا في القدم، والتي تم سحبها في الشوارع والدوس عليها، وعانوا الموت بشكل قاسي وكأنها لم تكن كافية لهذا العذاب، وجروا في جميع الشوارع حتى تمزق جلدهم".

ويمكننا التعقيب على هذا النص أن الإسكندريين قاموا وفق رواية فيلون على اضطهاد اليهود، لما قاموا بنهب محلاتهم وأشعلوا النيران في معابدهم، وصوّر كيف قاموا بمذابح رهيبة ضدهم، ولكن يجب الحذر من كتابات فيلون فهو معروف بين جمهور العلماء والمؤرخين بعدم موضوعيته، حيث جرت به العادة على محاباة بني جلدته، لذلك نشير إلى ضرورة التزام الحذر وإعمال العقل فيما كتبه فيلون[1]، فقد لاحظنا ذكره لشتى أنواع الاضطهاد والتعذيب التي مارسها الإسكندريون اتجاه اليهود ونرى فيها الكثير من المبالغة والتضخيم، ولم يورد أي رد فعل يهودي، مع أنهم هم الآخرين يعرفون عبر التاريخ بمكرهم ودهائهم.

وتذكر ماري سمول وود[2] (Mary Smallwood) أن فيلون وصف أعمال الشغف في الإسكندرية، وأنه كان هجوما مزدوجا على اليهود، وهو انتهاك خطير لحريتهم الدينية خاصة ما تعلق من تدمير بعض المعابد في أجزاء من الإسكندرية وتدنيسها، وتقويض وضعهم المدني ومجلسهم في الحي اليهودي، وقد أدى تنفيذ هذا الأخير إلى أعمال شغب وفوضى واسعة النطاق، حيث تم فقدان العديد من الأرواح وتدمير الكثير من الممتلكات اليهودية، والإغريق أفلتوا من العقاب بعد حادثة كاراباس، وقد استغلوا عجز الحاكم كفرصة لمزيد من ضرب اليهود، ربما بموافقة فلاكوس تم جر عربة قديمة من أربعة أحصنة من الصالة الرياضية إلى أكبر معبد، فكانت المقاومة اليهودية غير فعالة.

كان على الحاكم أن يأمر الفرقة المرابطة عند ضاحية نيكوبوليس بالنزول إلى المدينة لإقرار النظام، ولكنه بدلا من ذلك ألقى القبض على 38 عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ اليهودي –الجيروسيا– [3]

---

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص107؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص284.

[2] E.Mary Smallwood, **Philonis Alexandrini Legatio Ad Gaium De Philo (of Alexandria)**, second edition, Brill Archive, The Netherlands, 1970, pp19, 20.

[3] يذكر أحمد غانم حافظ أحمد أنه يبدو للعيان أن الحاكم قد بالغ في عقوبته بإلقاء القبض على أعضاء مجلس الشيوخ اليهودي، ولكن معرفة كيف كان الرومان يتوجسون خيفة من اليهود الذين كانوا منذ بداية إعلان الإمبراطورية الرومانية كنظام سياسي على رفض عبادة الدولة ممثلة في عبادة الإمبراطور بعد وفاته، الأمر الذي كان يستلزم حلف القسم بالولاء لأباطرة الرومان، هذا الأمر من شأنه تخفيف الشعور بالمبالغة في تصرف الحاكم الروماني في نظره. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص 108.

البالغ عددهم 71 عضوا، وهم قوم كانوا يتمتعون بمكانة كبيرة واقتادهم عبر السوق مقيدين بالحبال ومصفدين بالأغلال[1].

يذكر فيلون[2] أنه بعد أن تم تدمير ونهب منازل اليهود، ولم يتركوا أي مكان آمن خال من الاضطهاد تم ابتكار جريمة أبشع، فقد تم إمساك 38 من أعضاء مجلس الشيوخ من منازلهم وتقييدهم بالسلاسل، وكان هؤلاء الرجال القدامى كما يصفهم قد عوملوا معاملة سيئة، كانت أيديهم مربوطة وراء ظهورهم بالحبال أو الأغلال ودفعوا بهم إلى المسرح، كان مشهدا محزنا باختيار المكان والزمان تحت أعين الأعداء وهم يجلسون في دائرة من حولهم. وقد تم جلدهم مثلما يجلد المصريون[3].

وبلغ النزاع ذروته يوم 31 أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الإمبراطور، إذ اتسمت الأحداث بالعنف الذي بلغ حد الفوضى الشاملة واستمتع الإسكندريون وهم يشاهدون تعذيب اليهود[4]،كما أجبروهم على أكل لحم الخنزير علنا، وهو ما دفع اليهود للشعور بمدى الإهانة التي لحقتهم، الأمر الذي استلزم رفع شكواهم إلى الإمبراطور كاليجولا شخصيا[5].

إضافة إلى شعورهم بانحياز حاكم مصر ضدهم استعان اليهود في تلك القضية بالملك اليهودي أجريبا السابق ذكره الذي كان صديق الإمبراطور، والذي نجح في إظهار بني جلدته في صورة المظلوم، وهو ما دفع الإمبراطور إلى معاقبة حاكمه في مصر لما ارتكبه بحق اليهود، فأرسل قوة ليلية تمكنت من اعتقاله وأخذه إلى روما، حيث قدم للمحاكمة وصدر حكما بالنفي ومصادرة كافة ممتلكاته ثم أعدم بعد ذلك[6].

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**، دار النهضة العربية، د.م، 1988، ص79.

[2] Philon, **Contre Flaccus**,73 -75.

[3] Idem, 78.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص152.

[5] كان الحاكم فلاكوس يتصدى لليهود على طول الخط، ويحول بينهم وبين عرض شكواهم على الإمبراطور، وتمكن أجريبا من إلصاق تهمة الإهمال والتقصير وأنه لم يستطع أن يحافظ على السلم العام في مصر، إضافة إلى تهمة تجاوزه لسلطاته بنزع كافة امتيازات اليهود دون الرجوع للإمبراطور في روما. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص108.

[6] نفس المرجع؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص284؛ E. Mary Smallwood, op.cit, p242.

2. إيفـاد السفـــارات إلى رومـا:

بعد أن هدأت الأحوال في المدينة سارع اليهود والإسكندريون بإرسال سفارة إلى روما لشرح وجهات النظر، حيث وجد اليهود أنه لا بد من رفع شكواهم إلى الإمبراطور، ولم يعترض "فيرازيوس بوليو" (C.Vitrasius Pollio) الحاكم الروماني على طلب اليهود بإرسال بعثة تمثلهم إلى روما، وفي أواخر 38 م أو 39 م غادرت البعثة اليهودية التي اختير لرئاستها فيلون، أما بعثة الإسكندريين فقد كان يرأسها أبيون أحد زعماء الإسكندرية[1].

اغتنم الإغريق الفرصة لمعاملة اليهود كما لو كانوا أعداء الإمبراطور، وكشف الكراهية التي لطالما كانوا يكنونها، وسعوا إلى تدمير اليهود حسب فيلون، وهكذا يشرح فيلون أصول العنف في الإسكندرية حيث رأى منازل يهودية تنهب والعديد من المشردين وقتلوا في هجمات عامة ووحشية، ودور الصلاة التي دمرت، واحتجاجا على هذه الأحداث ظهر فيلون في روما كقائد للسفارة إلى جايوس[2].

وقد سجل فيلون في كتابه السفارة إلى جايوس (Presbein Pro Gaion) قصة الوفد اليهودي وما جرى من مناقشات مع الإمبراطور، واهتم فيلون بإظهار الإمبراطور واقعا تحت تأثير هلكيون (Helcion) الرجل الذكي الذي كان عبدا يعيش في الإسكندرية، ثم نال مكانة لدى الإمبراطور، وكان على علم دقيق بشرائع اليهود وتقاليدهم، ولذلك كان الإمبراطور يستشيره في كل ما يتعلق باليهود[3].

وقد استقبل الإمبراطور السفارتين الإسكندرية واليهودية في صيف 40 م ولم يتجاوز الأمر تبادل التحية في انتظار مقابلة ثانية[4]، وشاء حظ اليهود أن يتلقى الإمبراطور وقتئذ نبأ تدمير الجالية اليهودية لمذبح أقامه الإغريق في بلدة يامنيا على ساحل فلسطين[5]، حيث يقول فيلون[6]:

" أن يامنيا هي واحدة من المدن الأكثر اكتظاظا بالسكان في يهوذا، يختلط سكانها مع اليهود

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص153؛ أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص10؛
John M.G Barclay, op.cit, p55.

(2) Sarah Pearce, **The Land of the body: studies in Philo's representation of Egypt,** Mohr Siebeck, Germany, 2007, p68.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص153، 154.

(4) نفس المرجع، ص154.

(5) عبد اللطيف أحمد علي، **مصر والإمبراطورية**...، ص99.

(6) Philon**, Légation a Caïus ou Des Vertus**, 200, 201.

الذين هم الأغلبية والأجانب بأعداد أقل، من سوء حظنا جاؤوا من البلدان المجاورة، هؤلاء الغرباء دائما ما يثيرون الاضطراب ويهاجمون باستمرار عادات اليهود، وأنها كانت فرصة لإيذائنا ببناء مذبح، الذي يعد انتهاك لعادات اليهود.

والذين قاموا بإطاحة المذبح فقد وصلت الأخبار إلى الإمبراطور بكثير من المبالغة والتضخيم، الذي أمر بدل المذبح من الطوب أن يتم إنشاء تمثال ضخم من الذهب في معبد المدينة"[1].

لأن الإمبراطور غضب لذلك وبعث إلى حاكمه بترونيوس في سوريا يأمره بصنع تمثال له في معبد اليهود الكبير في أورشليم[2].

وجدت البعثة اليهودية نفسها في موقف حرج، إذ لم يعد الأمر مقصورا على ظلم محدود لحق بهم في الإسكندرية، بل أن الشعب اليهودي كله أصبح في محنة عليه أن يكافح في سبيل الخلاص منها، وكان من الطبيعي أن تحتل مشاكل اليهود في الإسكندرية المرتبة الثانية بعد مشاكل اليهود في الإمبراطورية وخاصة في يهوذا[3].

حاول المبعوثون إلى الإمبراطور في أواخر من عام 40 م مقابلته بعد عناء، وقد تضمنت مطالب اليهود فيما يبدو حرية العبادة وفقا لشريعتهم[4] والدفاع عن حقوقهم السياسية[5]، بتحديد وضع جاليتهم باعتبار أن لهم الحق في التمتع بحقوق المواطنة كاملة في المدينة، وكانت المقابلة غريبة من نوعها إذ كان الإمبراطور يتفقد أعمال الترميمات في قصره ويخاطب العمال، في حين كان الوفدان يلاحقانه، واتهم الوفد الإسكندري اليهود بأنهم لا يعترفون بتأليه الإمبراطور[6]، وقد صدم اليهود عندما اتهمهم كاليجولا بأنهم قوم كفرة لا يؤمنوه بألوهيته، وابتهج الإسكندريون عند سماع ذلك[7].

حيث يقول فيلون عن ذلك[8]:

---

[1] Philon, **Légation a Caïus**, 202, 203.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص99، 100.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص154.

[4] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص100.

[5] Philon, **Légation a Caïus**, 349.

[6] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص155؛ Keaton Arksey,op.cit,p 82

[7] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص100.

[8] Philon, **Légation a Caïus**, 354,355

" كان فرحا كبيرا للنواب خصومنا، على هذه الكلمة الأولى من جايوس، واغتنم الإسكندريون الفرصة لإثارته فقال رئيسهم مخاطبا الإمبراطور:" قال له يا مولاي ستكرههم أكثر من ذلك هم وأمثالهم إذا كنت تعرف كل ما لديهم من كراهية واستهتارهم اتجاهك، لأن البشر جميعا قدموا القرابين من أجل شفائك، فإنهم وحدهم رفضوا تقديم الأضاحي، أنا لا أقول فقط عن هؤلاء بل أتكلم عن كل اليهود".

وكان رد اليهود بأن ذلك افتراء وبأنهم قدموا الأضاحي من أجله ثلاث مرات، مرة عند اعتلائه العرش ومرة عند نجاته من ذلك المرض الخطير ومرة عند انتصاره على الجرمان، وقد أجابهم كاليجولا:

" أنه قد يكون صحيح أنكم قدمتم الأضاحي ولكن لإله آخر وليس لي، ما الذي تهمني تضحياتكم إذا لم تكن لي"[1].

ويبدو أن لغة الإسكندرانيين في موضوع تأليه جايوس لعبت دورا حاسما في إقناع الإمبراطور إيمانهم بإلهه، بما أنهم استخدموا بشكل متواصل وبدون مصطلحات عادة ما يستخدمها الآخرون ضد الإله[2].

انصرف الإمبراطور ليتفقد أحد المباني الجديدة وتبعه السفراء وهم يلهثون وراءه من طابق إلى طابق ومن حجرة إلى حجرة[3]، ثم سألهم سؤالا كبيرا وخطيرا[4]:

"لماذا لا تأكلون لحم الخنزير؟، وأثار هذا ضحك كبير بين خصومنا ". ثم يضيف:" أننا أجبناه بأن الأعراف تختلف بين الدول، وأن خصومنا مثلنا يحظرون استخدام أشياء معينة، وأضاف شخص أن الكثير من الناس لا يأكلون لحم الضأن وهو أمر شائع جدا، قال جايوس وهو يضحك هذا صحيح لأنه لا قيمة له".

ختم فيلون كتابه عن سفارته عن الرعب الذي ملأ قلوب الوفد اليهودي، لأنهم كانوا يشعرون بما عساه أن يحدث إذا فشلت سفارتهم، إذ ربما تكررت مأساة الإسكندرية في أي مدينة أخرى يعيش فيها

---

(1) Philon, **Légation a Caïus..**, 356, 357.

(2) Sarah Pearce, op.cit, p75.

(3) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص100.

(4) Philon, **Légation a Caïus…**,361-363.

اليهود، ولم يخبرنا بما أسفرت عنه سفارته إلى الإمبراطور[1]، وكان من الواضح أن كاليجولا كان شديد الغضب على اليهود وأنه كان ينوي التنكيل بهم، ولم ينقذهم من غضبه سوى اغتياله عام 41 م[2].

من خلال ما تم ذكره يجدر التساؤل: من الذي يجب أن يتحمل تبعة الأحداث التي وقعت في الإسكندرية سنة 38 م؟.

إن فيلون يلقي اللوم على الحاكم فلاكوس وكاليجولا الذي تجاهل حقوق اليهود المكتسبة، وسمح للإسكندريين التنكيل بهم وإرغامهم على وضع تماثيله في معابدهم، ولا جدال أن الإسكندريين والإمبراطور والحاكم فلاكوس يجب أن يتحملوا قدرا من المسؤولية عن هذه الأحداث، إذ أنهم جميعا أسهموا فيها، ويستوقف النظر أن فيلون لم يلق أي جانب من الخطأ على اليهود، لكنه لا ينتظر منه أن يتخذ غير ذلك بوصفه يهوديا ورئيس البعثة التي تولت الدفاع عن اليهود، فإن الإنصاف يقتضي القول أن اليهود بمحاولاتهم استغلال كافة الفرص لمصلحتهم كان السبب فيما أصابهم، فقد كان الباعث الأصلي على الفتنة مناصرتهم للحكم الجديد وموالاتهم للرومان، وكان السبب المباشر محاولتهم استغلال وجود أجريبا في مدينتهم وبالغوا في تقدير صداقته للإمبراطور، مما أثار الإسكندريين والحاكم ضدهم، وأصبحت حقوقهم وامتيازاتهم بما يقرره الإمبراطور[3].

وتذكر ساندرا قامبيتي[4] (Sandra Gambetti) أن المشاركة الشخصية لفيلون أولا كشاهد على أعمال الشغب ثم كسفير لبعثة اليهود إلى جايوس تزيد من الشك في أنه تلاعب بالحقائق لتناسب أغراضه الشخصية، لذلك ينشأ السؤال: إلى أي مدى يجب أن تؤخذ كتاباته بعين الاعتبار؟.

الجواب معقد ويتطلب التفريق. أولا: كتابات فيلون هي المصدر الوحيد المتاح حول الموضوع، وبالتالي فإن الباحث مجبر على استخدامه، ومع ذلك فإن الباحث غير ملزم بقبول المصدر بالكامل؛ بعبارة أخرى يجب أن يأتي النقد والتحقيق التاريخي الواسع، إذا كان عرض فيلون للأحداث غير كاف للكشف عن الديناميكيات التاريخية التي تحكمها فعندئذ يلزم اتباع نهج مختلف، فمن المعلومات القليلة التي قدمها فيلون في روايته في صيف من عام 38 م تم دفع اليهود إلى قطاع صغير من المدينة، وهو المكان الوحيد

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص155.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص274.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص156، 157.

[4] Sandra Gambetti, op.cit, p21.

الذي كانوا آمنين فيه في البداية، يوضح هذا المقطع أن المشكلة في الإسكندرية لم تكن لليهود بل حيث عاشوا، وهنا يلفت الانتباه إلى القضية من "الأرض ووضعيتها" بدلا من القضية الأكثر شيوعا وهي "الناس ووضعيتهم". لماذا في صيف تم تخصيص جزء من أراضي الإسكندرية لإنقاذ اليهود، في حين أصبح الباقي خارج نطاق حدودهم؟ هذا السؤال يتطلب فهما لمدينة الإسكندرية وعلاقتها بمواطنيها وسكانها، بالضرورة يجب أن يبدأ التحقيق بوصول اليهود الأول إلى الإسكندرية .

ثانيا: الاضطرابات الاجتماعية في الإسكندريـة:

1. الاضطرابات في عهد كلوديوس:

أ. الصراع بين اليهود والإغريق 41 م:

عندما تولى الإمبراطور كلوديوس العرش (41- 54 م) كانت آثار النزاع الذي حدث في 38 م ما تزال بادية، وكان على الإمبراطور الجديد أن يعمل على وضع نهاية للصراع بين اليهود والإسكندريين[1]، وقد بادر الملكين اليهوديين أجريبا الأول وهيرود[2] بالتوسط لدى الإمبراطور كلوديوس عند توليه العرش، ليعيد الهدوء والطمأنينة إلى نفوس اليهود في الإسكندرية وسوريا[3].

وقد استجاب كلوديوس لمسعاهما، ويذكر لنا المؤرخ فلافيوس يوسيفيوس[4] أنه أصدر منشورين يقر فيهما بحقوق اليهود، القرار الأول بعثه إلى الإسكندرية أكد فيه كافة الحقوق والامتيازات لليهود التي كانت من قبل مع الحفاظ على عاداتهم ، وذلك لأن الإمبراطور جايوس بسبب جنونه[5] الكبير أذل اليهود وحرمهم من حقوقهم لأنهم لا يريدون التعدي على دين أسلافهم وتحيته كإله، وفي الأخير طلب الإمبراطور من

---

(1) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص275.

(2) أقام الإمبراطور كلوديوس أجريبا ملكا على يهوذا وأخاه هيرود ملكا على جبل لبنان، وذلك اعترافا منه بفضل أجريبا، ولم يبرح الأخوين روما حتى حصلا من الإمبراطور على القرارين الذين سنذكرهما في المتن. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص158.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، نفس المرجع، ص158؛ David.T. Runia,op.cit, p254

(4) Flavius Joséphe, **Antiquites Judaïques**, traduction de Julien Weill, sous la direction de Théodore Reinach, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1900, XIX, 284, 285.

(5) لم يكد يمضي ستة أشهر من تولي كاليجولا عرش الإمبراطورية حتى داهمه مرض شديد أثر على قواه العقلية والنفسية، ونهض منه وقد ظهرت عليه علامات الجنون، وبنى جسرا عاليا ربط به ما بين القصر الإمبراطوري فوق تل البلاتين ومعبد جوبيتر الذي أعلن أنه شقيقه، وهو ما كان يعني ضمنيا رغبته في تأليه نفسه وهو ما فسر على أنه جنون، ولكن في نظر أحمد غانم حافظ أحمد أن كاليجولا لم يصب بالجنون الفعلي، إذ لا يعقل أن يكون قائد أكبر إمبراطورية في تلك الآونة مجنون، وإنما يبدو في نظره أنه اتهام ألصقه به اليهود

الطرفين أن يأخذا أكبر قدر من الحرص على عدم إثارة أي اضطراب بعد نشر هذا القرار، والقرار الثاني تعلق بكل يهود الإمبراطورية الذي منح بمقتضاه نفس حقوق الإسكندرية، بحيث يمكنهم الحفاظ على عادات أجدادهم دون قيود؛ ولكن حذرهم بألا يحتقروا معتقدات الشعوب الأخرى في الوقت الذي يحتفظون فيه على قوانينهم الخاصة[1].

رأى اليهود أن الفرصة قد حانت لتسوية حسابهم مع الإسكندريين، وقد استغلوا فترة الهدوء التي أعقبت صراع 38 م، وبادروا إلى جمع السلاح من كل مكان تأهبا للمعركة، وسرعان ما نشب تطاحن جديد روى لنا أخباره،[2] فلافيوس يوسيفيوس[3] حيث يذكر أنه نشأت اضطرابات بين اليهود والإغريق في مدينة الإسكندرية بعد وفاة جايوس، وقد تعرضوا للإذلال في ظل حكومته وسوء معاملة رهيبة من قبل الإسكندريين، وقد بادروا بجمع الأسلحة.

ويؤيد روايته ما ورد في رسالة كلوديوس التي سيأتي الكلام عنها، ويلوّح أن اليهود كانوا البادئين بالعدوان هذه المرة في عام 41 م، وقد ساعدهم بعض من بني قومهم الذين تسللوا إلى مصر من فلسطين، ولما تطور النزاع [4] أمر كلوديوس برسالة إلى حاكم مصر لقمع هذا الاضطراب[5]، وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية، فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف، ومما يدل على عنف هذا الصراع أن كلوديوس استعمل كلمة "حرب" ، عند الحديث في رسالته المشهورة التي بعث بها إلى الإسكندرية - التي سيأتي الحديث عليها-.

وتدل مهاجمة اليهود على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التي قد تسفر عنها مقابلة وفدهم لجايوس الذي لقي مصرعه، بل أعدوا عدتهم للانتقام من إغريق الإسكندرية، لكن الحاكم الروماني هذه

نتيجة تضارب فكره في هذا الصدد ومعتقدات اليهود الدينية، وهو ما جعله يرجح أنه ربما كان اليهود أنفسهم وراء حادثة اغتياله المفاجئ، خاصة بعد أن بدت له نيته على الانتقام منهم بعد رفضهم عبادته أثناء حياته. أنظر: أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص109.

[1] Flavius Joséphe, **Antiquites**,XIX,290.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص101.

[3] Flavius Joséphe, **Antiquites**, XIX, 278.

[4] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص101؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص275.

[5] Flavius Joséphe, **Antiquites**, XIX, 278.

المرة كان أكثر حزما من سابقه فلم يسمح أن تتأزم على نحو ما حدث سنة 38 م[1].

بعد أن هدأت الأحوال بادر كل من اليهود والإسكندريين بإرسال بعثة إلى روما، وكان الهدف الظاهر للبعثتين هو تهنئة الإمبراطور بتولي العرش، أما الهدف الحقيقي فهو رغبة كل طرف الدفاع عن نفسه ومحاولة التخلص من تبعة مسؤولية الحوادث التي جرت في الإسكندرية[2] والتقدم ببعض المطالب، فمن أهم مطلب الإسكندريين هو إنشاء مجلس شورى بالمدينة، أما اليهود فقد اقترحوا الاعتراف بمطالبتهم بالمواطنة الكاملة في الإسكندرية، ورغبتهم في الحصول على امتيازات أكثر مما كانوا يتمتعون به، حيث يذكر بيل[3] (H. I. Bell) أنه كان يمكن فقط للفرد الحصول على المواطنة الرومانية إذا كانوا مواطنين في الإسكندرية ولكن ذلك كان شرفا، وبوجود أيام من العداء العنصري كان الفرد اليهودي أمل ضئيل في الحصول عليها، فكان هناك ميل في المجتمع إما للمطالبة بالمواطنة الإسكندرية، أو في تمثيل أنفسهم والمشاركة في مسابقات الجمنازيوم والإفيبوى، حيث أنه كان حزب من اليهود يرغب في ذلك، ولكن الطائفة الأكثر صرامة كانت تعارض ذلك وتعتبره عملا بغيضا.

ب. رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين:

عثر في قرية فيلادلفيا في الفيوم على رسالة[4]بعث بها الإمبراطور كلوديوس إلى مدينة الإسكندرية ردا على مطلب الوفدين الإسكندري واليهودي، وقد قام الحاكم بقراءة هذه الرسالة على سكان المدينة في 10 نوفمبر 41 م، وتنقسم الرسالة إلى قسمين قسم يتعلق بمطالب الإسكندريين والرد عليها، والقسم الآخر يتعلق بمطالب اليهود والرد عليها أيضا، كما تناولت موضوع النزاع بينهما[5].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص159.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص275؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص159؛
E.Mary Smallwood, op.cit, p24

[3] H. I. Bell **, Anti-Semitism in Alexandria,** The Journal of Roman Studies ,Vol 31**,** 1941, p10.

[4] لقد وجدت هذه الرسالة سنة 1920 أو 1921 بقرية فيلادلفيا وهي "جرزة" الحالية بشمال شرق الفيوم، وآلت إلى المتحف البريطاني، وقد أحدثت هذه البردية التي تعرف عادة باسم "**رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين**" دويا كبيرا في الأوساط العلمية، وقلما ظفرت وثيقة أخرى بما ظفرت به هذه البردية من اهتمام الباحثين، ومن المرجح أن الرسالة حررت أولا باللغة اللاتينية ثم تولى المترجمون في الديوان الإمبراطوري نقلها إلى الإغريقية التي أرسلت بعدها إلى الإسكندرية لقراءاتها ليطلع عليها جميع السكان، ويستهل الإمبراطور رسالته بالتحية: " **تيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس الإمبراطور الكاهن الأعظم، حامل السلطة التربيونية المرشح قنصلا إلى مدينة الإسكندريين سلاما**". أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص103، 104.

[5] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص159.

أُرسلت الرسالة إلى الإسكندريين ردا على السفارة التي أرسلوها إلى كلوديوس لتهنئته، وقد أصدر كلوديوس عندما وصل إلى السلطة مرسوما يعيد تأكيد امتيازاتهم التقليدية وتوجيه الطائفتين الإغريقية واليهودية في الإسكندرية بالكف عن المزيد من الاضطرابات، ويذكر حالة المدينة فيما يتعلق بالصراع الأخير ضد اليهود والتجاوزات المعادية ضدهم، وفي نظر الكاتب بروس[1] (F.F. Bruce) ربما اعتبر أن هذه المسألة الأخيرة ملحة بشكل خاص بالنظر إلى الصداقة الوثيقة التي كانت معروفة بين كلوديوس وهيرود وأجريبا ملك اليهود، الرسالة كما هي موجودة في ورق البردي ليس لها تاريخ، ولكن يرجع تاريخ ديباجة المحافظ إلى "**السنة الثانية لتيبيريوس كلوديوس قيصر أوجستوس جرمانيك إمبراطور، اليوم الرابع عشر من شهر أغسطس الجديد**".

وفي الرسالة يتعامل كلوديوس واحدة تلو الأخرى مع النقاط التي أثارتها سفارة الإسكندرية.

ومن أهم ما تضمنه القسم الأول:

أولا. قبل الإمبراطور تكريم مواطني الإسكندرية لشخصه وترحيبه بإعرابهم عن الولاء لأسرة أغسطس.

ثانيا. قبل الإمبراطور بعد تردد أن يقام في روما تمثال ذهبي يمثل السلام الذي حققه كل من أوكتافيوس أغسطس وكلوديوس، ويحمل الآخر في بعض الأعياد بالإسكندرية .

ثالثا. رفض أن يعين كاهن أعظم له أو أن تقام معابد من أجل عبادته، لأنه لا يريد أن يسلك سلوكا معيبا، ولأن إنشاء المعابد لا يكون إلا للآلهة وحدها.

رابعا. أكد للمواطنين الامتيازات المترتبة على تمتعهم بحقوق المواطنة الإسكندرية والتي أقرها الإمبراطور أغسطس.

خامسا. تخلص بلباقة من الاستجابة لمطلبهم الخاص بإعادة مجلس الشورى في المدينة بإحالة الموضوع إلى الحاكم ليقوم بدراسته[2].

ويهمنا من بين مظاهر التكريم التي أراد الإسكندريون إحاطة كلوديوس بها، هو اقتراحهم إقامة تمثالين من الذهب يمثل أحدهما فكرة السلام الذي حققه كل من أوكتافيوس أغسطس وكلوديوس،

---

[1] F.F. Bruce, **Christianity under Claudius**, Bulletin of the John Rylands library, Vol 44, 1962, pp310, 311.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص160.

وموافقته بعد تردد على وضعه في روما، وقد اختلفت الآراء حول تفسير تردده، فثمة رأي يقول أن هذا التمثال يرمز في الواقع إلى انتصار الرومان على اليهود الثائرين في الإسكندرية سنة 41 م، فيكون الغرض من إقامة هذا التمثال تخليد ذكرى إعادة السلام وقهر اليهود، وتخلص الإسكندريون ببراعة من مسؤولية حوادث سنة 41 م وإلقاء تبعيتها على اليهود، غير أن كلوديوس وجد من الصائب عدم إقامة التمثال في الإسكندرية لأن ذلك يعد تحيزا منه إلى جانب الإسكندريين، وقد ينتج عنه متاعب جديدة في غنى عنها، ولذلك اختار أن يقام في روما بدلا من الإسكندرية[1].

وتعقيبا على ذلك يرد مصطفى كمال عبد العليم[2] على هذا الرأي، أنه حتى مع التسليم بأن اليهود كانوا هم المعتدين فإنه من الصعب أن نتصور أن الإسكندريين لم يتصرفوا للرد عليهم، ولذلك ليس هناك ما يدعو الربط بين فكرة إقامة هذا التمثال وفكرة الانتقام وإبراز النصر الذي حققه الجيش الروماني على اليهود، وفضلا عن ذلك فإنه لم يرد في رسالة كلوديوس ما يشير إلى أن الإسكندريين اقترحوا أن تكون الإسكندرية مقرا لهذا التمثال، وإن كان الإمبراطور قد تردد في إقامته في روما فإن سبب هذا التردد هو أن إقامة هذا التمثال سيجعل الرومان يقارنون بينه وبين أوكتافيوس أغسطس، الذي أقيم من أجله تمثال "Pax Augusta" رمزا للسلام الذي منحه للإمبراطورية، في الوقت لم يكن الشعب والجيش الروماني قد عرفا بعد من كلوديوس من الصفات ما يؤهله لأن يقف معه على قدم المساواة.

ومما يجدر ملاحظته أن الإمبراطور إذا كان قد قبل بعض مظاهر التشريف من طرف الإسكندريين فإنه رفض أن يقام له معبد من أجل عبادته، وأن المعابد يجب أن تكون للآلهة فقط، وربما أراد بذلك ألا يكرر الخطأ الذي وقع فيه الإمبراطور كاليجولا، خشية أن يؤدي ذلك إلى وقوع صدام بين اليهود والإسكندريين، ويتضح من الرسالة كذلك أنه لم يشأ استحداث جديد لم يفعله أوكتافيوس أغسطس، إذ بينما أكد للإغريق ما سبق منحه لهم من امتيازات رفض مثله بالسماح لهم بإعادة تشكيل مجلس الشورى[3].

---

[1] M. Rostovtzeff, **Pax Augusta Claudiana**, The journal of egyptian archaeology, Vol 12, Issue 1, 1926, p24 ;

مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص160، 161.

[2] نفس المرجع، ص161.

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص276؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص161، 162.

وبخصوص طلب مجلس الشورى فقد استند الإسكندريون إلى كونهم كانوا يتمتعون بهذا المجلس في عهد ملوكهم القدامى- أي في عهد البطالمة-، ويستنتج كذلك أن الإمبراطور كلاوديوس لم يكن يجهل نظم الإسكندرية في عهد ملوكها، لكنه تظاهر بالجهل لأنه لم يرغب أن تلزمه بما يجب عليه تقريره، ومع ذلك فإنه لكي لا يبدو متعسفا وعد بالفصل في مطلبهم، وعهد في بحث الأمر إلى الحاكم العام، وفي المقابل أبقى لليهود ما كانوا يتمتعون به من حقوق وامتيازات، لكن رفض منحهم الحقوق المدنية[1].

أما القسم الثاني من الرسالة فإن الإمبراطور تخلى عن لهجة الدبلوماسية والمجاملة وأنذر في لهجة حادة كلا الطرفين، وطلب من الإسكندريين حسن معاملة اليهود، ونبه اليهود إلى حقيقة وضعهم في الإسكندرية، وأنهم ليسوا مواطنين فيها، وعليهم ألا ينسوا أنهم يقيمون في مدينة ليست مدينتهم بالأساس، وبالتالي لا يحق لهم جلب يهود سواء من مصر أو من سوريا[2].

وسنذكر النص التالي حول هذا القسم من الرسالة حيث يقول الإمبراطور كلوديوس[3]:

" **وأما عن الطرف المسؤول عن الشغب والعداء- وبالأحرى إذا كان يجب قول الحقيقة- عن الحرب مع اليهود، فعلى الرغم من أن سفراءكم واجهوا خصومكم وخاصة ديونيسيوس بن ثيون، فإنني لم أرغب أن أقوم بتحقيق صارم مختزنا في صدري سخطا دفينا ضد أي طرف يجدد النزاع، وأقول للجميع مرة واحدة أنه ما لم يضعوا حدا لهذا العداء المدمر، فسوف أظهر لكم كيف يصير الأمير الخيّر عندما يتملكه الغضب، ومرة أخرى أناشد الإسكندريين أن يبدوا روح التسامح والتعاطف اتجاه اليهود الذين سكنوا في نفس المدينة لسنوات عدة، وألا ينتهكوا شعائر عبادتهم الدينية، بل أن يسمحوا لهم بممارسة عاداتهم كما كانت منذ زمن أغسطس المؤله، والتي أعترف بها بعد سماع كلا الطرفين، ومن ناحية أخرى فإني آمر اليهود صراحة ألا يسعوا في الحصول على المزيد من الامتيازات أكثر مما كانوا يملكون من قبل، وألا يرسلوا بعد اليوم سفارتين كأنهم يعيشون في مدينتين منفصلتين فهو أمر لم يسبق له مثيل، وألا يقحموا أنفسهم في مباريات معاهد التربية أو**

---

[1] نبيل راغب، **عصر الإسكندرية الذهبي (رؤية مصرية علمية)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص331.

[2] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص110، 111.

[3] خطاب كلاوديوس (Letter of Claudius to The Alexandrians): **P. Lond., VI, 1912**؛ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص107، 108. أنظر أيضا:

H. Stuart Jones, **Claudius and The Jewish question at Alexandria**, reprinted published of roman from the journal of roman studies by the society for the pro motion studies at the office of the society, 1926, pp25, 26.

منظمات الشباب[1]، بل أن ينتفعوا بما يتمتعون من امتيازات ويتقاسموا مدينة ليست مدينتهم تتميز بوفرة كبيرة من المزايا، وعليهم ألا يجلبوا أو يقبلوا يهودا ممن يفدون إلى المدينة من سوريا إلى مصر عن طريق النهر، وهو الإجراء الذي سيضطرني إلى الشك والريبة، وإلا فإنني سأقوم بكل الوسائل بالانتقام منهم بوصفهم قوما ينشرون الوباء الشامل (أي يثيرون الفتنة) يصيب العالم بأسره، وأن يوافقوا على العيش المتبادل وبالتسامح والود، فسوف أولي من جانبي اهتماما للمدينة التي تربطها بنا صداقة تقليدية قديمة".

وتعقيبا على ما ورد يمكن القول أنه:

يبدو من هذه الرسالة أن الامبراطور كلوديوس أمر الجانبين للتوصل إلى اتفاق سلمي، وما نلاحظه أنه اتخذ موقفا محايدا، حيث يشير إلى مسببي الصراع: الإسكندريون بسبب عدم تسامحهم واليهود لأنهم لا يرضون بموضعهم في المدينة[2]، ويتبين من هذا النص أن الإمبراطور لم يشأ القيام بتحقيق دقيق، وذلك دفنا للأحقاد وحتى يسود الهدوء بين اليهود والإسكندريين، ودعاهم إلى إبداء روح التسامح نحو اليهود، أما تأكيده لحقوق اليهود فإنه ليس بالأمر الجديد على السياسة التقليدية التي اتبعتها الرومان من الحرية الدينية لرعاياهم، وما حدث أيام كاليجولا يعتبر استثناء لا يقاس عليه، أما شأن البعثتين اليهوديتين اللتين أشار إليهما الإمبراطور فإن المؤرخين قد اختلفوا في معنى ذلك، فذهب بعضهم إلى القول بأن إحداهما كانت بعثة فيلون التي جاءت في عهد كاليجولا ولم تغادر بعد، أما الثانية فهي تمثل وفد زعماء اليهود الذين أحدثوا قلاقل عام 41 م[3]، والبعض الآخر يذكر أن أحد الوفدين كان يمثل المحافظين من اليهود، وأن الوفد الثاني يمثل المتحررين منهم[4].

---

(1) يبدو أن الإمبراطور استجاب لمطلب الإسكندريين فأمر باستبعاد كل من تسلل إلى قوائم الشبان، مما يدل على اهتمام مواطني المدينة بنقاء هيئتهم ومنع تسلل غير المواطنين إلى قوائم الشبان وبالتالي إلى الجمنازيوم، كما نستدل بصفة خاصة اهتمام الإمبراطور بإبعاد كل دخيل عن هيئة المواطنين، وفي هذا دليل قاطع على أن حقوق المواطنة في الإسكندرية لم تكن ميسورة لكل الطامعين فيها بدون وجه حق وتغري غير المواطنين، وإذا كان حدث في العصر البطلمي شيء من التراخي في مراقبة سجلات الشبان والجمنازيوم فإنه في العصر الروماني وجهت عناية كبيرة . أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص243.

(2) Keaton Arksey,op.cit,p86.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص163؛ H. Stuart Jones, op.cit, p25

(4) أرسلت بعد أحداث العنف بعثتين لليهود دلالة على الانقسام في جماعتهم، فيمثل حزب فيلون مصالح اليهوديين ذوي المكانة العالية الذين سعوا لاستعادة الوضع والضغط للاستجابة إلى مطالبهم، أما الوفد الآخر فيمثل الموقف المتشدد والغير المرغوب من الجالية اليهودية في الإسكندرية، والذي يرغب في اللجوء إلى العنف. أنظر: John M.G Barclay,op.cit, p57

وهنا يذكر ميشال بيشين[1] (Michael Peachin) أمثلة عن الفئة المتحررة من اليهود مثل الفيلسوف فيلون، فبالرغم من أنه كان يشارك في معظم الأنشطة المدنية والثقافية في مدينته، ولكنه بقي يهوديا متدينا كرّس حياته للدراسة والتفسير الفلسفي للتوراة، وللدفاع عن المصالح الدينية والسياسية لليهود في المجتمع، ولكن يبدو أنه من غير المحتمل أن العديد من اليهود دعموا سياساته في الاندماج في الثقافة الإغريقية، بطريقة أدت إلى التحريض ضد الرومان والعنف بين الطوائف، بشكل عام فإن الاضطرابات التي حدثت في عام 38 و 41 م بينت أمور أخرى وهي الانقسامات الاجتماعية داخل يهود الإسكندرية بين ثقافة الاندماج من الفئة الغنية والمثقفة مثل فيلون، والجماهير اليهودية الفقيرة الذين كانوا أقل ثراء وغير مبالين بالاندماج أو يعارضون الاندماج.

وتكملة لشرح القسم الثاني من الرسالة يلاحظ أن الإمبراطور كان صريحا في رفض طلب الإسكندريين لإقامة مجلس للشورى، وفي المقابل كان عنيفا وصريحا إلى أبعد الحدود عندما أنذر اليهود بأن يقنعوا بما لديهم من امتيازات كفلتها لهم الإدارة الرومانية منذ عهد أوكتافيوس أغسطس، وأنذرهم أيضا بألا يدخلوا أنفسهم في مباريات النوادي وتدريبات الشباب الإغريقي، وبذلك يكون قد حرم عليهم الجمنازيوم، ثم كان بعد ذلك واضحا كل الوضوح وهو يُذَكّر اليهود بأنهم يقيمون في مدينة ليست مدينتهم، وألا يجلبوا أنصارا من سوريا أو من داخل مصر، وإنذاره بأنهم إذا فعلوا ذلك فإنه سينتقم منهم كقوم ينشرون الوباء[2]، دليلا على تحديده مسؤوليتهم هم كذلك[3].

وبذلك يكون الإمبراطور كلوديوس قد أوضح وضع اليهود القانوني كجالية تعترف الدولة رسميا بقيامها وبما اكتسبته من امتيازات، لكنه أوضح في الوقت نفسه أنهم ليسوا مواطنين[4] فيها بدليل

---

[1] Michael Peachin, **The Oxford Handbook of social relations in the roman world**, Oxford University Press, New York, 2011, p561.

[2] فسر البعض هذه العبارة بأن المقصود منها المسيحية التي ازداد انتشارها في عهد كلوديوس، وقد ترتب عن ذلك بعض المتاعب للجاليات اليهودية خارج فلسطين، ويرى مصطفى كمال عبد العليم أنه ليس ثمة ما يدعو إلى الأخذ بهذا التفسير لأنه لا يستقيم مع النص، لأن هذه العبارة وردت عقب تحذير كلوديوس لليهود من جلب يهود سوريا ومصر إلى الإسكندرية. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص164؛ John M.G Barclay,op.cit, p59.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص164؛ F.F. Bruce,op.cit, p312

[4] كما ذكرنا سابقا من أجل مكانتها الاجتماعية والسياسية العليا طمح اليهود إلى المواطنة الإغريقية والرومانية، ومع ذلك فإن امتلاك المواطنة الإغريقية مثلا كان سيصاحب صعوبات كبيرة لليهود الممارسين، لأن الحياة الدينية لمدينة يونانية كانت مرتبطة بالحياة البلدية، وكانت المواطنة تنطوي على التزام أخلاقي بالانضمام إلى الأنشطة الدينية في المدينة، ومع ذلك كان من المستحيل على

حرمانهم من الاشتراك في مباريات الجمنازيوم، وإذا جاز لأعداء اليهود أن يصروا على اعتبارهم أجانب عن المدينة فإنه لا يجوز لإمبراطور بمثل فطنة كلوديوس ودقته أن يلقي كلاما ويصفهم على هذا النحو، وبالتالي فقد بيَّن حقيقة وضعهم في المدينة بعبارات واضحة لا لبس فيها ولا إبهام[1].

وفي هذا الصدد نذكر ما نسبه فلافيوس يوسيفيوس [2] إلى الإمبراطور كلوديوس، أنه أرسل إلى حاكم مصر خطابا بخصوص يهود الإسكندرية، يتضمن أن اليهود وجدوا منذ فترة طويلة في المدينة، وكانوا يدعون بالإسكندريين، وقد منحت لهم من طرف الملوك حقوقا مدنية مساوية لهم كما هو واضح من رسائلهم ومراسيمهم.

يرى بعض المؤرخين أن فلافيوس لم يكن أمينا في نقل هذا الخطاب[3]، بل زيف العبارة وذلك من خلال خطاب صدر عن الإمبراطور نفسه وحفظته إحدى البرديات[4]، وقد جاء في الخطاب الأصلي الذي زيفه أن اليهود كانوا في الإسكندرية منذ زمن طويل (Ek Pollon Chronon)، ولا يمكن أن يكون المقصود بذلك أنهم كانوا يقيمون بها منذ نشأتها، ولذلك فإنه لا يجدر بنا الاعتماد كثيرا على ما ذكره فلافيوس وأن نحذر مما كتبه[5]، لأنه لا يستبعد أن يكون من دعايات اليهود التي عملوا على ترويجها في العهد الروماني، دون اهتمام بالحقائق التاريخية، ليتخذوا من ذلك دعامة قوية يرتكزون عليها

اليهودي أن يفي بهذا الالتزام، وكانت هناك مشكلة أخرى حيث أن اليهودية لم تعترف بالعري الذي ينطوي عليه التدريب الرياضي. أنظر:

E.Mary Smallwood, op.cit, p14

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 247.

[2] Flavius Joséphe, **Antiquites**, XIX,281.

[3] من بين المؤرخين الذين رفضوا ذلك تشيريكوفر (V.Tchericover)، الذي لم يؤيد المعلومات باعتبارها كدفاع فقط بقدم اليهود في الإسكندرية، وأنه لا مجال للشك بخصوص وجودهم في المدينة، وأقدم أثر على وجودهم بما وجد من نقوش يهودية كتبت بالأرامية أو الإغريقية، عثر عليها في المقبرة الكبيرة بالابراهيمية بمقربة من المدينة تعود إلى بطلميوس الأول أو ابنه بطلميوس الثاني. أنظر:

V.Tchericover, **Hellenistic civilization and The Jews**, p272.

نقلا عن:Peter Lang, op.cit, p25

[4] البردية:**P.Lond.1 912, Col. Iv.84**نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص32.

[5] وخاصة أننا عرفنا أن المقصود مما كتبه هو الدفاع عن اليهود من خصومهم وادعاءاتهم حولهم ثم دحضها، وبالتالي تكون كتاباته ذاتية لا تتحرى الموضوعية وقد قال: "**أدعو أولئك الذين صادفوا هذه الكتابة لقراءتها.. أنه ليس مدحا لأنفسنا، وأنني تعهدت بالكتابة بعد الاتهامات العديدة والكاذبة الموجهة ضدنا**". أنظر:

Flavius Joséphe, **Contre Apion**, II, 148.

ما ادعوه لأنفسهم من امتيازات، والتأكيد على ادعائهم بأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ إنشاء المدينة[1].

وما يمكن ملاحظته في الأخير حول رسالة كلوديوس أنها:

تكشف عن شخصية الإمبراطور كلوديوس وإلمامه بالموقف وحزمه في معاملة الطرفين على حد سواء، ولا تجعله عرضة للاتهام بالميل إلى أحد الطرفين، منها مثلا أنه تخلص من مطلب الإسكندريين بإقامة مجلس للشورى بإحالة الموضوع لحاكم مصر، كما رفض بكل حزم وصراحة مطلب اليهود بحقوق المواطنة أو بمثل حقوق الإسكندريين[2].

هذه الرسالة تنم عن فطنة ودبلوماسية الإمبراطور كلوديوس، ولم تُرض اليهود لأنها قضت على أملهم في الحصول على مزيد من الامتيازات، ولم ترض كذلك الإسكندريين لأنها أقرت لليهود حقوقهم وامتيازاتهم القديمة، ولم يحسم طلبهم بإنشاء مجلس الشورى[3]، وهو ما جعلهم يعبرون عن مشاعر الكراهية لكل من الرومان واليهود في نوع من الأدب الشعبي، والذي يعرف باسم " أعمال الإسكندريين" (The Acta Alexandrinorum)[4]، والتي تحكي قصص محاكمات النبلاء الإسكندريين من قبل الأباطرة الرومان، وكذا قصص الوفود إلى روما التي بدأت بعد أعمال الشغب

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص31-33.

[2] نفس المرجع، ص ص164، 165.

[3] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص109.

[4] **أعمال الإسكندريين** :هي عبارة عن برديات في شكل قصاصات تؤلف مجموعة طريفة يسميها المؤرخون الآن أعمال الإسكندريين، كانت في شكل محاضر جلسات قضائية يتبادل فيها الألفاظ القارصة بين المتهمين والإمبراطور، وإلقائهم خطبا طويلة بإظهار عيوب الحكم الروماني، وقد كتبت من وجهة نظر الإسكندريين، وبالأحرى من وجهة نظر فريق معين أو طبقة اجتماعية من بينهم، ومع أنها لا تعد من قبيل القصص التاريخية أو الروايات الخرافية، وقد أحرزت رواجا واسعا بين إغريق الإسكندرية وفي أنحاء مصر، لأنها كانت تنفس عما في صدورهم من حقد على الرومان، ولما كان كثير منها يدور حول النزاع الذي احتدم لفترة طويلة بين الإسكندريين واليهود، فإنها توصف أحيانا "بالأدب المناهض لليهودية".

غير أن أعمال الإسكندريين كانت دعاية موجهة ضد الرومان بالذات، ولم يستخدم فيها اليهود إلا كوسيلة لمهاجمة الحكم الروماني، وإلهاب العداوة ضده بإذكاء الشعور القومي للإغريق كغرض دعائي، وهي تصور زعماء الإسكندرية في صورة أبطال يتحدون القوة الظالمة، مضحين في سبيل مدينتهم، والذي يوصف أحيانا بأدب الشهداء وتبيان عيوب الأباطرة بشكل ساخر، في حين تُنوّه باستقامة خلق الإسكندريين وثقافتهم وشجاعتهم وتحديهم قوى الظلم، وتندد بوقوع الأباطرة تحت تأثير اليهود وتحيزهم لهم، وبالتالي مهاجمة اليهود ونعتهم بأنهم كفرة خاضعين كالمصريين لضريبة الرأس ويندسون خلسة إلى منظمات الشباب الإغريقية، وبالتالي تعتبر أعمال الإسكندريين نوعا من الأدب تعكس حالة التوتر التي كانت قائمة مع اليهود، غير أن شعور الكراهية كان نحو الرومان الذي لا

العنيفة من38-41 م، وبالتالي فإن ردود الفعل على هذه الأحداث التاريخية لاسيما أحداث العنف بين الإغريق واليهود في الإسكندرية، هو الذي كان عاملا رئيسيا في ظهور وتطور هذا النوع من الأدب، الذي تولد من المشاعر المعادية لليهود[1].

وذلك لما كان الإسكندريون عاجزين عن التعبير عن غضبهم بشكل علني بسبب التحذير الذي وجهه لهم الإمبراطور في رسالته[2]، فعلى الرغم من أنهم كانوا يبعثون في بعض الأحيان بعض الزعماء في وفود إلى روما، إلا أنهم كانوا يُعَبّرون عن إحباطهم وعدائهم للحكم الروماني بالكلمات أكثر من تعبيرهم بالأفعال، ولكن لم يكونوا كذلك إذ أنهم اكتسبوا لمدة طويلة سمعة سيئة بأنهم متمردون ومتقلبوا المزاج وسريعوا الغضب، ولكن خلال القرن الأول الميلادي ركز الإسكندريون عداوتهم فقط ضد مجتمع اليهود، حتى تتحول فيما بعد إلى عداء ضد الحكم الروماني[3].

من وجهة نظرنا يعتبر هذا الخطاب والرسالة المنسوبة للإمبراطور كلوديوس وثيقة مهمة جدا، فمن خلال دراستها لها أعطتنا نظرة شاملة حول الأوضاع الداخلية بمدينة الإسكندرية والعلاقات المتوترة بين اليهود والإسكندريين وماهي الأمور التي كانوا يسعون الحصول عليها وماهي النقاط التي سببت هذا التوتر، وكيف تعاملت السلطة الرومانية مع هذه الأوضاع، حيث تبين هذه الرسالة حنكة الإمبراطور كلوديوس وكيف وازن في تعامله مع مطالب الطرفين بإجابات وأوامر واضحة وحازمة من شأنها إيقاف هذه الصراعات والاضطرابات.

ونتصور أن اليهود لو حسَّنوا علاقتهم مع الإغريق والإدارة الرومانية وابتعدوا عن كل ما من شأنه إثارة الصراع والحساسية بأي منهما لكانوا تجنبوا كل ما حدث لهم، ولو أنهم تخلوا عن المطالبة بمزيد من الحقوق والامتيازات وخاصة حقوق المواطنة وعدم اقتحامهم حياة الإغريق وقنعوا بما لديهم لربما تجنبوا تلك المشاكل.

نظير له في أي مؤلفات أدبية، مما حدى بوصفها بأنها أعنف دعاية قامت ضد الرومان، وأتاحت لنا أن ننظر للأحداث من زاوية مضادة بعد أن اعتدنا النظر إلى تاريخ الإمبراطورية الرومانية بأعين الرومان أنفسهم. أنظر: نفس المرجع، ص ص110-126.

[1] Andrew John Harker, **loyalty and dissidence in roman Egypt : The case of the acta alexandrinorum**, Thesis submitted in Partial Fulfilment of the Requirements for the degree of PHD in ancient history, University of London, 2000, p5, 55.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص276.

[3] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص224، 225.

لقد أيقنت الحكومة الرومانية بعد هذه الاضطرابات أن الإسكندرية هي منبع الخطر الحقيقي في البلاد، فنقلت إليها فرقة قورينة الثالثة (Leg.III Cyrenaica) التي كانت ترابط على ما يرجح عند قفط أو طيبة، ثم نقلت إلى الإسكندرية حيث رابطت مع فرقة ديوتاروس الثانية والعشرون (Leg.XXII Deiotoriana) في معسكر نيكوبوليس، ولعل هذا الإجراء العسكري إلى جانب تحذير كلوديوس الشديد قد ردع الطرفين إلى حين، ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى تجددت الاضطرابات في الإسكندرية، ولم تصلنا أخبار هذه الاضطرابات عن طريق المؤرخين بل وصلتنا في شكل برديات أطلق عليها أعمال الشهداء الوثنيين التي سبق الحديث عنها[1].

2. الاضطرابات في عهد نيـرون:

أ. ثورة اليهود في أورشليم 66 م:

بعد مضي زهاء ثلاثة عشر عاما على تلك الأحداث التي وقعت في عهد الإمبراطور كلوديوس انفجر الموقف مرة أخرى في الإسكندرية في عهد خلفه الإمبراطور نيرون[2] (54-68 م)، وسبب ذلك أنه في 16 ماي 66 م اندلعت ثورة في أورشليم نتيجة الصراع بين الطبقات العليا التي اتفقت مصالحها مع روما والطبقات الدنيا من اليهود وتطور الأمر ضد روما نفسها، فألغت السلطات الرومانية الحملة التي كانت ستذهب إلى بلاد النوبة، وبادرت بإرسال جميع الفرق الرومانية في مصر إلى فلسطين فيما عدا الحامية التي كان يعهد إليها المحافظة على الأمن في العاصمة[3].

الحقيقة أن الرومان كانوا يحاولون إخضاع الشعوب التي كانت تحت سلطتهم، وكان اليهود قد استعصوا عليهم ورفضوا الاندماج في البوتقة الرومانية، وقد نجح يوليوس قيصر في إقامة علاقة طيبة مع يهود فلسطين، واستمرت هذه السياسة في عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، وأما سبب ثورة اليهود في عهد نيرون عام 66 م ترجع إلى خلاف داخل اليهود أنفسهم بين معسكر المتشددين الذين يتمسكون بتعاليم التوراة بحذافيرها واعتبروا الرومان وثنيين، وبين اليهود المتحررين الذين أقبلوا على الثقافة

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص110.

[2] اهتم الإمبراطور نيرون في أوائل حكمه بالولايات الشرقية، وقد أولى الإسكندرية عناية خاصة بأن نظم هيئة مواطنيها ونسق الصلة بين القبائل والأحياء، وأطلق عليها أسماء جديدة وأنشأ بعض القبائل الجديدة، ولعل المدينة التي ازدهرت فيها الحياة الثقافية والفنية قد استهوته وأراد زيارتها، ومن الغريب أن هذا الإمبراطور الذي دبر مقتل أمه واتهم بحرق روما حظي بسمعة طيبة في الشرق، حيث يوصف ببعض مسكوكات الإسكندرية التي تحمل صورته بأنه منقذ المعمورة. أنظر: نفس المرجع، 129-131.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص127.

الإغريقية، وكان لدى هؤلاء الرغبة والاستعداد للتقارب مع الرومان، وفي عام 66 م اندلعت أعمال شغب في مدن فلسطين، وطالب اليهود بالمساواة في الحقوق السياسية مع باقي المواطنين، وفي أورشليم انفجر الموقف حين قام الحاكم الروماني بمصادرة مبالغ كبيرة من أموال **هيكل**[1] أورشليم لضرائب متأخرة على اليهود، فتحولت أعمال الشغب إلى ثورة عارمة تولى قيادتها أحبار اليهود، وفي فيفري عام 67 م أرسل نيرون أحد القادة وهو "فلافيوس فسباسيانوس" للقضاء على الثورة[2]، التي تحولت إلى نمو التعصب ضد الحكم الروماني بدون تجاهل كذلك الدوافع الاقتصادية وراء هذا التمرد، مع انقسام اليهود إلى فريقين فريق يدعو إلى الثورة ضد الرومان وفريق يدعو إلى التخلي عن هذا التمرد خاصة من طرف الأرستقراطية اليهودية الموالية لروما، وكانت من خطورة هذه الثورة بأن وُصفت أن انتشار الحرب اليهودية سيحدد مصير الإمبراطورية الرومانية[3].

وتوجد لوحة تؤرخ لثورة اليهود في فلسطين وانهزامهم، وذلك من خلال قوس النصر لتيتوس في

---

(1) **الهيكل**: هو كلمة سومرية تعني البيت الكبير، وهو مكان لعبادة الله، ولم يطلق اليهود اسم الهيكل على كل مكان للعبادة بل على مكان واحد كبير في القدس، أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى مجامع، أما هيكل القدس فقد بناه سليمان ثم جدد في عهد "زربابل" وفي عهد هيرودوس الكبير، ورد في الكتاب المقدس ثلاثة من الهياكل، الأول هو "**هيكل سليمان**" وسيدنا داوود هو صاحب فكرة بناء ثابت للرب بدل خيمة الشهادة المتنقلة، وهو الذي جمع الأموال والمعدات وخزن المجوهرات ووعده الرب أن البناء سيكون في عهد ابنه ووريثه سليمان، الذي بدأ في بنائه في السنة الرابعة من حكمه واستغرق سبع سنوات وستة أشهر، وتحالف مع ملك صور "أحيرام" واشترى منه الخشب واستأجر عمالا فينيقيين.

ارتفع بناء الهيكل في جبل "موريا" بالقدس وكانت معالم زينته أكثر بذخا وفخامة، وكان هناك مذبح عبارة عن صندوق من الخشب الثمين مربع الحجم مغطى بالنحاس ونار تشتعل على رأسه ووضع فيه المحراب أو قدس الأقداس: وهو غرفة مظلمة فيه تابوت العهد على صخرة، وقد حافظ الهيكل على عظمته لمدة 4 قرون أي منذ 968 ق.م إلى أن استولى البابليون عليه سنة 584 ق.م .

أما الهيكل الثاني هو "**هيكل زَرُبَّابِلْ**" الذي بني بعد أن سمح الملك الفارسي قورش الذي أحسن إلى اليهود وسمح لهم بالعودة إلى القدس عام 538 ق.م، بني في مكان الأول وكان أفخم منه غير أن قدس الأقداس كان خاليا لأن تابوت العهد اختفى وبقي 5 قرون، و"**هيكل هيرودوس**"، حيث اضطر الملك هيرودوس إلى ترميم الهيكل من جديد بعد أن تداعى هيكل زربابل إلى الخراب، وقد بدأ العمل سنة 20 ق.م، ووسعت مساحة الهيكل ضعف ما كانت عليه، وكان السنهدرين يجتمع في مكان سمي بالبلاط، وهو غرفة متصلة بالدار التي فيها المذبح، وكان المذبح مبنيا من حجارة مبيضة بالكلس، وفيه ثقوب ليسيل منها دم الذبائح، وقد زار عيسى هذا الهيكل، ولكن الهيكل لم يعمر كثيرا فقد هدمه الرومان سنة 70 م. أنظر: نخبة من الأساتذة اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس**، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، ابراهيم مطر، شركة Compubraill، ص ص676، 677.

(2) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص277، 278؛ Evanthia Polyviou, op.cit, pp11-13.

(3) Steven Bayme, **Understanding Jewish history: texts and commentaries**, Ktav publishing house, The United States of America, 1997, pp78-80.

روما، الذي أقيم عام 81 م من قبل الإمبراطور دوميتيانوس، وذلك لإحياء ذكرى حملات شقيقه تيتوس في الحرب ضد اليهود (70-71 م)، وتظهر الصورة جنودا رومانيين وهم يحملون غنائم الحرب من أورشليم دلالة على الانتصار [أنظر: **الصورة رقم 8**] [1].

الصورة رقم 8: قوس النصر لتيتوس يؤرخ لانتصار الرومان على اليهود.

Mark Cartwright , **Temple of Solomon traesure, Arch of Titus** ,https://www.ancient.eu/image/1287/temple-of-solomon-treasure-arch-of-titus/

[1] Mark Cartwright , **Temple of Solomon traesure, Arch of Titus** ,https://www.ancient.eu/image/1287/temple-of-solomon-treasure-arch-of-titus/

للمزيد أكثر عن ذلك أنظر:

Sololmon Reinach, **l'Arc de Titus, conférence faite a la société des étude Juives le 3 mai 1890**, Librairie A.Durlacher, Paris, 1890.

ب. تجدد الصراع في الإسكندرية:

كان من الطبيعي أن يحدث لثورة اليهود في أورشليم صدى في الإسكندرية[1]، ففي عام 66 م ناقش الإسكندريون إرسال وفد إلى روما لغرض إقناع الإمبراطور بإلغاء حقوق اليهود في مدينتهم، وكانت محاولات اليهود لتخريب المناقشات العامة للإسكندريين حول إرسال مواطنيها إلى روما هي الشرارة التي أعادت إشعال نار الصراع[2]، ومصدرنا الوحيد عن حوادث الإسكندرية عام 66 م هو فلافيوس يوسيفيوس[3] ، حيث يذكر أنه اجتمع عدد من الإسكندريين من أجل إرسال سفراء إلى الإمبراطور نيرون، وحدث أن تسلل عدد من اليهود في المدرج[4] الذي كان فيه خصومهم الإغريق، فما إن رأوهم حتى صاحوا أعداء، جواسيس[5]، واندفعوا للقبض عليهم ولكن غالبية اليهود تمكنوا من الفرار، وأراد الإسكندريون أن يحرقوا منازل أولئك الذين وقعوا في أيديهم، وعندئذ سارع عدد كبير من اليهود لنجدة

---

[1] في بردية مشوهة من البهنسا (P.Oxy.2339) تشير إلى محاكمة قضائية جرت أمام ممثل السلطة الرومانية، والمتهمون أربعة من بينهم امرأة، ولعل البردية تنتمي إلى أعمال الإسكندريين، وعلى أي حال تتكلم عن اضطرابات لعلها نشأت عن الاحتكاك بين اليهود والإغريق في الإسكندرية، بسبب الثورة اليهودية في فلسطين. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص136.

[2] Aryeh Kasher, **The Jews in hellenistic and roman Egypt**, J.C.B. Mohr Tubingen, Germany, 1985, p24.

[3] يعتبر كتابه الذي أخذنا منه هو (History of The Jewish War) هو العمل الأكثر شهرة لجوزيفوس فلافيوس، هو في الأصل باللغة الآرامية ثم ترجم إلى اليونانية لغرض تقديمه تاريخا رسميا يقره الرومان للحروب اليهودية، ويتكون من سبعة كتب، الأولان مكرسان لمسح التاريخ اليهودي من اضطهاد أنطيوخس إبيفانيس عام 168 ق.م إلى الحرب مع الرومان في 67 م، والكتب الخمس الأخيرة يتحدث بتفصيل كبير عن قصة التمرد اليهودي ضد الرومان. أنظر:

Mansoor Menahem, **Jewish history and thought: an introduction,** KTAV Publishing House, The United States of America., 1991, pp120, 121.

[4] هنا يقصد المسرح، حتى ذلك الوقت كان المسرح مكانا للاحتجاجات الجماعية والمظاهرات المنظمة، والتي يمكن أن تتصاعد بسهولة إلى حد كبير إلى العنف، فللمسرح دور في التعبير الشعبي ولم يكن هذا التعبير سلميا دائما، كما يتضح من أعمال الشغب التي اندلعت عام 66 م عندما اتهم الوثنيون في اجتماع عام في المسرح وهتاف على اليهود أنهم جواسيس، ويبدو من الصعب التصديق أن الحاكم يدعم مؤسسة كانت أنشطتها معادية للمصالح الإمبراطورية ولسلام المدينة المضطرب في كثير من الأحيان.

ظل المسرح مكانا مهما للمحاكمات الاستعراضية، ينسب العنف المرتبط بمسرح الإسكندرية بمجموعات منظمة من المتظاهرين المحترفين وشعار الهتافات، وفي فترة الإمبراطورية المتأخرة كانت التجمعات المسرحية كمنتدى للتعبير عن موافقتها أو انتقادها لسياسة الحكومة، و يمكن قياس نجاحها في تحفيز الرأي العام من خلال دور بارز لعبه المسرح في إثارة ما يسمى أعمال الشغب. أنظر:

Christopher Haas, **Alexandria in late antiquity: topography and social conflict**, JHU Press, London, 2006, p66.

[5] Flavius Joséphe, **Guerre**, II, XVIII,7(490,491).

إخوانهم ورجموهم بالحجارة، ثم حاولوا إضرام النار في الملعب مهددين بحرق جميع ما فيه من الإغريق[1].

كان الإمبراطور قد عين "تيبيريوس يوليوس الإسكندر" حاكما على مصر وهو يهودي في الأصل، وقد حاول هذا الحاكم أن ينصح زعماء الجالية اليهودية مطالبا إياهم بالتريث إلا أنهم رفضوا ذلك، مما اضطره إلى استخدام القوة معهم[2]، فاستعان بالجند الرومان الذين كانوا في طريقهم من قورينة إلى فلسطين لإخماد الثورة فيها، كما استعان بالفرقتين[3] المعسكرتين في نيكوبوليس لقمع الفتنة، وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم أمام القوات الرومانية وذلك في حيهم الرابع[4].

ويذكر فلافيوس يوسيفيوس[5] أنه أرسل ضدهم الفيلقين الرومانيين الموجودين في المدينة مع 2000 جندي وصلوا من ليبيا: حيث يصف ذلك بقوله:

" **وسمح لهم ليس فقط بقتل المتمردين ولكن أيضا بنهب ممتلكاتهم وحرق منازلهم، ثم اندفعوا نحو حي الدلتا أين يتمركز السكان اليهود، الذين حشدوا أنفسهم في ترتيب وثيق، ووضعوا في المرتبة الأولى أفضل المسلحين منهم وقاوموا مطولا، ولكن تم إمساك بعضهم والآخرين تم قمعهم في منازلهم، والتي أحرقها الرومان بعد أن أفرغت من محتوياتها، لا شفقة على الأطفال ولا احترام لكبار السن، هاجموا جميع الأعمار وقتلوا من في الحي بأكمله، وبلغ عددهم خمسين ألف جثة، إلى أن أمر تبيريوس ألكسندر الرومان بإيقاف المذبحة**".

تعقيبا على ذلك يؤخذ على رواية فلافيوس يوسيفيوس عدم ذكره غرض الإسكندريين إرسال بعثتهم إلى نيرون، والسبب الذي جعل اليهود يرغبون في حضور اجتماعهم، أكان غرضهم مجرد الاستطلاع؟، أم كانت لدى الذين شهدوا الاجتماع تعليمات محددة بإثارة الشغب؟، إذا تبينوا أن الإسكندريين سيقومون بعمل ضدهم.

ومهما كان غرض اليهود من وراء تسللهم إلى اجتماع عقده خصومهم، فإن قيامهم بهذا العمل في ذلك الجو المضطرب، فضلا عن رفض استماعهم إلى نصيحة الحاكم قبل أن يتطور الأمر يدل على سوء

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص168؛ Lesquier Jean, op.cit, p21

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص278.

[3] الفرقتان هما:"XXII Deiotoriana, III Cyrenaica"

[4] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص137.

[5] Flavius Joséphe, **Guerre**, II, XVIII,8 (494 - 498).

نيتهم، ويلقى عليهم تبعة ما حدث بعد ذلك، ومع ذلك لم يستطع فلافيوس يوسيفيوس إخفاء ألمه للقسوة والعنف البالغين في إخماد ثورة اليهود، ولا يستبعد أن يكون قد بالغ في تقدير عددهم الذين هلكوا نتيجة إخمادها على هذا النحو[1]، ولا سبيل إلى التحقق من روايته التي يزعم فيها أن خمسين ألفا من بني جلدته هلكوا [2].

تعتبر الطبقة الدنيا من يهود الإسكندرية وقودا لهذه الثورة، في حين أن الطبقات العليا تجنبت هذا المصير بإعلان ولائها للحكومة، وهذا الرأي باعتبار أن بعض زعماء هذه الطائفة رفضت مساعدة الثوار، الذين فروا إلى مصر بعد سقوط أورشليم في أيدي القوات الرومانية[3]، وإذا كانت ثورة اليهود قد أخمدت في مصر فإنها استمرت في فلسطين إلى غاية 70 م[4] في عهد الإمبراطور فسباسيانوس[5]، ولعله ما يهمنا من سقوط أورشليم بالنسبة ليهود مصر هو فرض ضريبة عليهم، وقد زادت ما كانوا يشعرون به من ذل منذ أن فرضت عليهم ضريبة الرأس من الحكومة الرومانية[6].

يبدو أن ما لقيه اليهود على أيدي السلطات الرومانية وشعورهم بكره الإغريق قد دفعهم إلى إلى العزلة والتقارب فيما بينهم، وأصبحوا يفضلون في الإقامة في حي معين ليكونوا بعيدين عن التيارات

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص168، 169.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص137.

[3] هرب إلى مصر عدد من متعصبي اليهود بعد سقوط أورشليم والذين يطلق عليهم فلافيوس يوسيفيوس اسم "Sikarioi"، وجاؤوا يحرضون اليهود على الثورة ضد روما وشعارهم "لا سيد إلا الرب"، وقد دعى زعماء مجلس الشيوخ اليهودي إلى عقد اجتماع عام قرروا فيه عدم الاستجابة لدعوة هؤلاء الثائرين، والتنصل من تبعات ما عساه أن يحدث نتيجة مجيئهم إلى مصر، وليعربوا عن استيائهم ألقوا القبض على 600 منهم في الإسكندرية وفي بعض المناطق داخل البلاد، وسلموا جميعا إلى السلطات الرومانية ولقوا أشد العذاب ثم أعدموا جميعا. أنظر: نفس المرجع، ص171.

[4] في أغسطس من عام 70 م سقطت أورشليم، وألغى الرومان مجلس السهندرين ووظيفة الحبر الأعظم، زيادة على ذلك فرض الإمبراطور فسباسيانوس على يهود الإمبراطورية جميعا أن يؤدوا ضريبة خاصة للإله جوبيتير كابيتولينوس (Juppiter Capitolinus) في روما، حيث خصصت له خزانة باسم "Fiscus Judaicus". أنظر: نفس المرجع، ص170.

[5] في أول من جويلية من عام 69 م نادت الفرقتان الرومانيتان في الإسكندرية بفسباسيانوس امبراطورا، وما لبث حاكم سوريا أن اعترف به امبراطورا كذلك، وكان هو القائد للقوات الرومانية في ثورة فلسطين، وبعد انتحار نيرون غادر فلسطين تاركا القيادة لابنه تيتوس، وعند زيارة فسباسيانوس إلى مصر كان في صحبته المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفيوس، الذي وقع أسيرا في يد الجيوش الرومانية، ولكنه أطلق سراحه ومنحه المواطنة الرومانية وأصبح اسمه "Flavuis Josephus"، وذلك لأنه كان قد تنبأ بفسباسيان بأنه سيصبح امبراطورا، والذي بقي في الإسكندرية حتى صيف 70م. أنظر: نفس المرجع.

[6] نفس المرجع، ص173.

المناوئة لهم[1].

إن الوضع في الإسكندرية كما يذكر ميقال. م. فارقاس[2] (Miguel M. Vargas) هو يمثل في الواقع سلسلة من الثورات المحلية، نتجت عن التوتر الدائم بين اليهود وجيرانهم من الإغريق، وقد تطلب من الرومان التدخل بشكل ثابت ضد اليهود الذين واجهوا تاريخا من القمع النظامي منذ بداية العصر الروماني، فقد كانت التوترات عالية بالفعل، ولم يكن لدى اليهود المكانة التي تمنوها في تسلق السلّم الاجتماعي، فقد كان هذا الطموح يهدد وضعهم الاجتماعي الخاص، والذي أدى إلى عواقب وخيمة عليهم في الأخير.

3. الاضطرابات في عهد تراجانوس:

ساد الهدوء في الإسكندرية بعد الاضطرابات التي وقعت في عهد الإمبراطور نيرون وبعد سقوط أورشليم حوالي 70 م، وإن كنا لا نستطيع أن نتصور أن تخف حدة العداء بين الطرفين بهذه السرعة، إلا إذا كان اليهود عالجوا علاقتهم مع كل من الإغريق والإدارة الرومانية بطريقة واقعية، والابتعاد عن كل ما يثير النزاع بينهما [3]، وكان الهدوء قد ساد حوالي 40 سنة بعد سقوط أورشليم ولكنه كان هدوء ظاهريا ، حيث أنه لم يستمر ذلك الهدوء واندلعت شرارة الاضطرابات من جديد[4]، حيث وقع صدام من جديد بين الإسكندريين واليهود في الإسكندرية تقريبا منذ عام 110 م واستمر حتى سنة 113 م[5]، ولا نعرف الأسباب التي أدت إلى الصدام بينهما ولكنه كان عنيفا، مما اضطرت السلطات الرومانية إلى استخدام القوات العسكرية[6].

تروي لنا بردية من وثائق أعمال الإسكندريين[7] عن وفدين إحداهما يهودية والأخرى إسكندرية

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص173.

[2] Miguel M. Vargas, **Causes of The Jewish diaspora revolt in Alexandria: regional uprisings from the margins of greco-roman society 115-117 CE**, Thesis prepared for the degree of Master of Arts, University of North Texas, 2016, p63, 64.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص173، 174.

[4] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص185.

[5] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص116.

[6] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص284.

[7] هذه البردية عثر عليها في البهنسا وتحمل اسم " أعمال هرمايسكوس" أي محضر جلسة محاكمة، وهي بردية طريفة تتحدث عن العداوة المستشرية بين اليهود والإسكندريين. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص186.

وفدتا إلى روما، بسبب الصدام الذي وقع سنة 110 م للمثول أمام الإمبراطور تراجانوس (98-117 م)، وكان الوفد الإسكندري يتألف من 11 عضوا من زعماء الإسكندرية وبعض رؤساء الجمنازيوم وبعض الشخصيات البارزة الذين نالوا المواطنة الرومانية، وانضم إلى الوفد خطيب إغريقي من صور يدعى "باولوس" (Paulus)، ليتولى مهمة الدفاع عنهم لدى الإمبراطور، وكان الوفد اليهودي يضم من بين أعضائه السبعة يهوديا من أنطاكية ليشترك للدفاع عنهم[1]، ويزعم كاتب البردية أن الطرفين حمل معه آلهته: إذ حمل الإسكندريون تمثالا نصفيا لسيرابيس، وحمل اليهود فيما يظن لفافة من التوراة[2].

وتتهم البردية الإمبراطورة بلوتينا (Plotina) زوجة الإمبراطور تراجانوس بالسعي لدى أعضاء مجلس الشيوخ ليقفوا إلى جانب اليهود[3] ضد الإسكندريين، وتحمل على الإمبراطور تأثره بموقفها، إذ أنه لم يرد على الإسكندريين تحيتهم بينما رد التحية على اليهود بمودة واضحة، بل تنسب إليه البردية أنه كان غليظ الكلام مع الوفد الإسكندري حين قال:

"**إنكم تحيونني كما لو كنتم تستحقون مني أن أقدم إليكم تحيتي بعد هذا الذي اجترأتم على فعله مع اليهود**".

ويعقب ذلك فجوة في البردية ضاعت معها معالم بضعة أسطر[4]، نقرأ بعدها حوارا بين الإمبراطور وبين شخص يدعى "هرمايسكوس" كان يتحدث باسم الوفد الإسكندري، وينتقل بنا إلى مرحلة أو جلسة أخرى من جلسات المحاكمة:

قيصر: أنت تروض نفسك على مواجهة الموت إلى حد أنك ترد علي بوقاحة.

هرمايسكوس: إن ما يزعجنا هو امتلاء مجلسك باليهود الملحدين.

قيصر: اصغ إلي يا هرمايسكوس، فسأقول لك للمرة الثانية إن اعتزازك بأصلك يدفعك إلى أن ترد علي بوقاحة.

هرمايسكوس: أي رد وقح وجهته إليك أيها الإمبراطور الأعظم؟ اشرح لي.

---

(1) البردية: **P.Oxy.1242 = P.Acta.VIII** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص174، 252.

(2) البردية: **P.Oxy.1242, col.1,17-18 ;cf.col.111, 51,52** نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص186.

(3) لم تكن الإمبراطورة بلوتينا أول من يتهم بالميل لليهود، إذ سبق أن وجه مثل ذلك الاتهام إلى بوبيا (Popaea) زوجة نيرون والإمبراطورة أجريبيانا (Agrippiana) زوجة كلوديوس. أنظر: نفس المرجع ، ص176.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص176.

قيصر: لأنك زعمت أن مجلسي غاص باليهود.

هرمايسكوس: أيزعجك إذن ذكر اليهود؟ إن كان الأمر كذلك فأولى بك أن تساعد بني قومك، وألا تدافع عن اليهود الملحدين[1].

وفي هذا إشارة إلى أن الدين والتقاليد المتشابهة بين الإغريق والرومان تجعلهم يقفون صفا واحدا اتجاه اليهود، الذين يتبعون دينا غريبا عنهم جميعا، إن أهم ما يمكن استخلاصه من هذه البردية هو وقوع اضطرابات في الإسكندرية اعتبر الإغريق مسؤولين عنها، فحاولوا الخروج من تبعتها بكل وسيلة ممكنة، ويبدو أنه قبل قيام اليهود بثورتهم الكبرى سنة 115 م كانت الأوضاع قد ساءت بعوامل هذا النزاع، وأصبح ذلك مهيأ لاندلاع لهيبها[2].

وهناك وثيقة ثانية تتحدث عن اضطرابات أثارها اليهود في الإسكندرية، مما أدى إلى تدخل القوات الرومانية ونشوب معركة انتهت بانتصار الرومان، ويبدو أن الإسكندريين اغتنموا الفرصة وتحرشوا باليهود فتجددت الاشتباكات، وفي هذه المرة اشترك ضد اليهود عدد كبير من العبيد الذين حرّضهم سادتهم من الإغريق ذوي النفوذ، وقاومهم اليهود وأصابوا بعضهم بجروح، وازداد قلق السلطات الرومانية من أن تنقلب المشاجرات إلى معارك دامية، وقد انصب غضبها على الإغريق لأنهم عكروا صفو الأمن الذي وقع بعد هزيمة اليهود، لذلك اتخذت إجراءات حازمة وإن لم تكن صارمة ضد مثيري الشغب من العبيد وسادتهم مما أدى بالإغريق إلى الشكوى، وإذا صدق ما جاء في البردية فإن الإمبراطور أرسل قاضيا للتحقق من الموضوع، غير أن البردية ممزقة فيها الكثير من الفجوات ويكتنفها غموض شديد ترتب عليه تشعب كبير في الآراء حول إن كانت محضر رسمي لمحاكمة حقيقية أم هي مجرد دعاية من طرف كاتبها لفريقه[3].

ويذكر عبد اللطيف أحمد علي[4] أن هذه البردية مكتوبة بأسلوب بلاغي واضح، وبالتالي يرجح أنها منشور أصدرها لحاكم "روتيليوس لوبوس"(Rutilius Lupus) في 13 أكتوبر من عام 115 م، ملقيا تبعة الشغب على عاتق الإغريق:

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص188.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص176.

[3] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص188.

[4] **P.RUMU (PRUM) = I.Cazzenlga " Torbidi Gludaici Nel- L'egitto Romano Nel Secondo Secolo dl Christo", Ann Inst. Phil. Hist.Ortent. et Slave, V** (Mélanges Bolsacq I, 1937).

" فهو يشير إلى استعمالهم النار والحديد (ضد اليهود؟)، وعندما دافعوا عن أنفسهم التهمة قائلين بأن قلة هي المسؤولة عن الشغب، رد عليهم قائلا أن هذه القلة كان يساندها عدد كبير من العبيد وكذلك بعض ذوي الجاه، الذين اشتروا حق إعفائهم من اللوم وإعفاء دورهم من النهب. وليس من الظلم في شيء أن تلقى على المدينة كلها تبعة ما تنطوي عليه نفوس القلة من كراهية. إنني أعلم أنه يوجد بين هؤلاء (الذين أثاروا الشغب) كثير من العبيد. ومن أجل هذا يتحمل سادتهم اللوم.

وعلى ذلك فإني أطالب الجميع بعدم التظاهر بالغضب بغية التملص من العقاب. وليعلموا أننا لا نجهل الآن من هم، وليس لهم أن يعولوا على تسامحي أو أن يلجؤوا إلى التوسلات. وإذا شاء أحد أن يدين آخر فلديه قاض مرسل من لدن القيصر للتحقيق في هذا الأمر، لأنه ليس من حق الولاة أن يعلموا الناس دون محاكمة. وستجرى المحاكمة في ميعاد محدد ومكان معين، كما سيكون العقاب بطريقة خاصة. وليكف من يدعون بالحق ومن يدعون بالباطل أنهم جرحوا عن الاقتصاص لأنفسهم بوسائل العنف غير المشروعة. فقد كان من الممكن ألا يصابوا بجراح. وربما كان في استطاعتهم أن يلتمسوا بعض العذر لأخطائهم قبل المعركة بين الرومان واليهود، وأما الآن (وقد انتصر الرومان) فقد أصبح (العذر) واهيا...".

يشير هذا القرار الصادر من الحاكم أن معركة نشبت بين اليهود والرومان في تاريخ سابق للقرار، وأن أحداثا وقعت في الإسكندرية ومحاولة الإغريق الفاشلة التنصل من تبعة تلك الحوادث، واعتبارهم هم وعبيدهم مسؤولين عن الأعمال العدوانية التي ارتكبت ضد اليهود، وقد حذرهم الحاكم الروماني من التمادي في خرق القانون وأعلمهم بحضور مبعوث أو قاض من روما للنظر في الشكاوى والأحداث التي وقعت[1]، ولعل هذه الاحتكاكات كانت مقدمة لثورة اليهود التي أشرنا إليها[2].

ونلتمس من هذه البردية الكثير من المعلومات حول الصراع بين الإغريق واليهود، وهذه المرة تبدو حدة الكراهية قد بلغت أوجها بدليل استخدام الحاكم التهديد والوعيد للطرفين بإرسال قاضي من روما للبحث في الأمر وعقاب كل من له سبب في إثارة الفتنة والاضطرابات في المدينة، وتشير الوثيقة إلى فئة معينة مثيرة للشغب وأنه لا يجب إلقاء اللوم على كل شعب الإسكندرية بل الملام هم الإغريق الذين

نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص188، 189.

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص179.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص189.

حرضوا عبيدهم وذوي السلطة والجاه ضد اليهود وقد تملصوا من قيامهم بذلك، وتشير الوثيقة أيضا إلى استخدام وسائل غير مشروعة كالنار والحديد مما أدى ذلك إلى تدخل الرومان وحسم الأمر.

ثالثا: اندلاع الثورات في مصر ونتائجها:

1. ثورة اليهود الكبرى 115-117م:

أ. أسباب ثورة اليهود:

أخذت علاقة اليهود والرومان في التدهور خاصة بعد ثورتهم في فلسطين عام 66 م، وقد زادها سوءا ذلك القرار الذي أصدره فسباسيانوس عام 71 م، بإرغام اليهود على دفع ضريبة لمعبد الإله جوبيتر في روما بدلا من دفعها لمعبد أورشليم، فقد كانت هذه الضريبة مهينة جدا لليهود في الشتات، لدرجة أنه في 115 م اندلعت ثورات عدة في المجتمعات اليهودية عبر الإمبراطورية الرومانية، حيث كانوا منذ ذلك الوقت ينتظرون الفرصة للثورة، وقد حانت الفرصة عندما كان الإمبراطور تراجانوس في حملته على الشرق، ومنذ ذلك الوقت تغيرت سياسة الرومان اتجاه اليهود بوجه عام وتم اعتبارهم طائفة مثيرة للشغب، في الواقع اضطر تراجانوس إلى قضاء كل سنواته العشر كإمبراطور يقمع الثورات اليهودية[1].

بدأ اليهود إذن ثورتهم الكبرى من عام 115 م والتي بدأت أول الأمر في قورينة [2] ثم امتدت إلى قبرص ومصر، في الوقت الذي كان فيه تراجانوس مشغولا بحملته على الشرق، والتي تطلبت تلك الحملة سحب الحاميات الرومانية من كثير من ولايات الإمبراطورية[3].

اندلع القتال في الإسكندرية عام 115 م، حسب بردية يرجح أنها مرسوم لحاكم مصر تقول أن القاضي جاء من روما للتحقيق في هذا الحادث، ويحذر الحاكم اليهود من إفساد السلام، ويبدو أن هذا الحادث كان بسبب الشعور التقليدي للصراع اليهودي الإغريقي في الإسكندرية، ومع ذلك يبدو أيضا

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص189، 190؛

Rodger L. Cragun, Thomas Kessler, **Christianity: endangered or extinct: a people's history of christianity, the gathering storm**, Wipf and Stock publishers, 2018, p41.

[2] لم تكن ثورة اليهود في قورينة على عهد تراجانوس أول ثوراتهم ضد الرومان، وكانت ثورتهم التي قاموا بها عقب سقوط أورشليم عام 70 م ثورة خطيرة راح ضحيتها ألفان منهم، وذلك عندما لجأ نفر من المتطرفين من اليهود إليها، والذي انضم إليهم اليهود من هناك، في حين أبلغت الطبقات العليا في المجتمع اليهودي السلطات الرومانية بأمرهم- مثلما حدث في مصر-، مما ساعد على إخماد الثورة بسرعة كبيرة. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص177.

[3] نفس المرجع؛ Miguel M. Vargas, op.cit, p63

أن هذا الحادث كان معزولاً، ولم يكن نتيجة للشرارة التي انطلقت من قورينة وقبرص، لكن تطور الأمر عندما اجتاح ثوار قورينة الريف المصري وانضمام يهود الإسكندرية إليهم، وتلى ذلك صراع مدمر وفرار الإغريق، وتم تحويل غضب اليهود ضد المعابد الوثنية على وجه الخصوص[1].

نصّب اليهود عليهم زعيما يدعى أندرياس[2] أو لوكواس[3]، وكانت مهاجمة اليهود للإغريق والرومان بكل وحشية وشراسة، فقد وصف لنا ديون كاسيوس[4]وصفا مؤثرا للتمثيل البشع الذي أحدثه اليهود بضحاياهم من الإغريق والرومان[5]، فيذكر أنهم كانوا يقومون بذبحهم ويأكلون لحومهم ويغطون أنفسهم بدمائهم، ويعرضون آخرين على الحيوانات، واضطر البعض منهم للقتال مثل المصارعين، لدرجة أنهم تسببوا في هلاك ما يصل إلى مائتي وعشرين ألفا.

وبالإضافة إلى جانب هذه الوحشية قاموا بتدمير المعابد الإغريقية وتخريب الطرق والمباني العامة، حتى تحولت قورينة في آخر الأمر إلى صحراء يخيم عليها الخراب الشامل[6]، ولم يلبث أن امتد لهيب الثورة إلى قبرص حيث لقي الآلاف مصرعهم، وهذا هو السبب في أنه ممنوع على اليهود أن تطأ أقدامهم قبرص، وإذا ألقي أحدهم في الجزيرة بسبب عنف الريح فإنه يلقي حتفه[7].

---

(1) John J.Collins, **Between Athens and Jerusalem- jewish identity in the hellenistic diaspora-**, second edition, Wm.B,, Eerdmans Publishing Co, United States of America, 2000, p141.

(2) لم يتخل اليهود عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع وأنه سيكون المسيح المنتظر، وهذه الفكرة هي التي أوحت إلى المخلص لوكواس بأن يحض يهود برقة على الثورة لتحرير أنفسهم وبني جلدتهم من حكم الرومان الوثنيين في برقة ومصر وقبرص وغيرها من ولايات الإمبراطورية، ولعل برقة اتخذت مقرا ومهدا لحركة الخلاص لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية، التي كانت تحارب تحت قيادة راية تراجانوس. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص ص205، 206.

(3) نفس المرجع، ص201.

(4) Dion Cassius, LXVIII, 32.

(5) مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر**...، ص ص177، 178.وللمزيد من التفاصيل عن ثورة اليهود في قورينة أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا**...، ص ص201-207.

(6) مصطفى كمال عبد العليم، **اليهود في مصر**...، ص178.

(7) Dion Cassius, LXVIII, 32.

ب. الامتداد الجغرافي للثورة:

سرعان ما شملت الثورة مصر حيث اندلعت في الريف بمهاجمة اليهود للإغريق، حيث لجأ الكثير منهم إلى الإسكندرية هربا من هجمات اليهود، وفي الإسكندرية دارت معارك عنيفة مع الجالية اليهودية، [1] التي قاومتهم مقاومة عنيفة، وقد نجم عن ذلك الصدام تهديم هيكل اليهود الرئيسي (Synagoge) وتدمير معبد نميسيس (Nemesis) ربة الانتقام عند الإغريق[2].

في شتاء 116 م زحف يهود قورينة بقيادة زعيمهم على مصر، وعجزت القوات الرومانية عن صدهم وبلغوا مشارف الإسكندرية لكنهم عجزوا عن دخولها، فانتشروا داخل البلاد تاركين الجالية اليهودية بالمدينة تلقى العذاب على أيدي الإغريق، أما الموقف داخل البلاد فتوضحه لنا إحدى البرديات[3]، وهو عبارة عن خطاب أرسلته امرأة من هرموبوليس إلى زوجها أبولونيوس حاكم إقليم أبولونوبوليس هيبتاكوميا، الذي اضطر فجأة في نهاية أغسطس أو بداية سبتمبر 115 م إلى العودة إلى إقليمه للقيام بمسؤولية القتال الناشب مع اليهود الثائرين، وقد قارنت المرأة في خطابها بين زوجها الذي يعرض حياته للخطر وبين مدير إقليم هرموبوليس الذي ترك مهمة القتال لمرؤوسيه، ويدل الخطاب على أمرين أحدهما أن إقليم هرموبوليس كان يعاني من جراء هذه الثورة، والآخر أن الأمر جد خطير وإلا لما اضطر حاكم مدني مثل أبولونيوس إلى الاشتراك في القتال[4].

والبردية الثانية عبارة عن رسالة إلى حاكم الإقليم السابق الذكر من أمه يرجح أنها بعثتها إليه في 30 جوان 116م، وتبدي الأم قلقها من الأخطار التي يتعرض لها ابنها وتضرّعت إلى الإله هرميس لينقذه من أن يشوى على النار، على نحو ما كان يفعل اليهود بضحاياهم، وهي بذلك تردد عن اقتناع

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص181.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص191.

[3] هذه البرديات مكونة من سبع وثائق كتب ست منها في فترة الثورة بينما كتبت السابعة في آخر تلك الفترة، وقد عثر على غالبية هذه الوثائق بالقرب من هرموبوليس في محفوظات أسرة أبولونيوس مدير إقليم أبولونوبوليس هيبتاكوميا، وهو الإقليم الذي كانت عاصمته هيبتاكوميا –كوم اسفحت الحديثة بسوهاج–، وينحدر هذا الموظف من أسرة إغريقية من منطقة هرموبوليس –الأشمونين–، وهذه الوثائق كالتالي: (1- P.Brem.11 ; 2- P.Oxy 705 ; 3- P.Brem.15 ; 4- P.Oxy.707 ; 5- P.Oxy.500 ; 6- B.G.U.889 ; 7- P.Oxy.1189). أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص179، 181.

[4] Christopher J. Fuhrmann, **Christopher fuhrmann, policing the roman empire: soldiers, administration, and public order**, Oxford University Press, USA, 2012, p 76;
نبيل راغب، المرجع السابق، ص332؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص181، 182.

القصص المتداولة عن قسوة اليهود وشراستهم، ويبدو من هذه البردية أن الموقف كان قد تأزم وأن خطورة الثورة قد اشتدت، وأن خوف أم أبولونيوس من أن يشوى ابنها ليدل على مدى العنف الذي اتسم به القتال في هذه الفترة[1]، غير أنه لا يتضح لنا أين كان أبولونيوس عندما تلقى هذه، حيث دارت معارك رجحت فيها كفة اليهود إلى حد أن السلطات الرومانية اتخذت إجراءات غير عادية، إذ تقول إحدى الرسائل:

" **كان الأمل الوحيد ومعقد، الرجاء الأخير هو هجوم القرويين الذين حشدوا من إقليمنا على اليهود الكفرة، غير أنه أتى بنتيجة عكسية، ففي اليوم العشرين عندما هاجمهم رجالنا غلبوا على أمرهم وذبح كثير منهم، غير أنه تلقينا الآن خبرا (من بعض أشخاص قادمين من الشمال) أن فرقة أخرى (بقيادة روتيليوس؟) قد وصلت إلى ممفيس في اليوم الثاني والعشرين، ومن المتوقع وصولها إلينا...**"[2].

وبغض النظر عن الخلاف حول تفسير بعض النقاط في هذه الرسالة، فإن الراجح أنها أرسلت من هرموبوليس في تاريخ يقع ما بين جويلية 116 م وجانفي 117 م، ومعنى هذا أن ثورة اليهود امتد لهيبها شمالا من هبتاكوميا إلى هرموبوليس، حيث انتصر اليهود فيما يبدو مرتين على القوات الغير النظامية التي عبأتها السلطات من الفلاحين على عجل لمواجهة الموقف[3].

ولم يقتصر القتال في هذه المناطق بل امتد إلى الشمال عند منف، حيث دارت معركة عنيفة، إذ تذكر إحدى الروايات عن النصر الذي أحرزته الفرق الرومانية في أوائل 117م بالتعاون مع الإغريق والمصريين، وقد أسهم أبولونيوس في هذا النصر مع القوات التي يظن أنه جمعها من إقليمه، وتقدم بها ليقاتل اليهود حتى بلغ منف حيث اشترك في هذه المعركة، واستناد إلى هذه البردية يرجح أن السلطات الرومانية شجعت تشكيل فرق من القوات المحلية، وتبين كذلك من بردية من أوكسيرينخوس –البهنسا– أن بعض سكانها الإغريق التحقوا بقوات الجيش الروماني[4].

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص182؛ Christopher J. Fuhrmann, op.cit,p76

[2] البردية: **P.Brem.1** نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص196.

[3] نفس المرجع؛ Christopher J. Fuhrmann, op.cit,p77

[4] البردية: **P.Giss.27 = W.Christ.17** والبردية من أوكسيرينخوس: **P.Oxy.705** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص183.

وليس أدل على خطورة هذا الموقف من أن أبولونيوس وهو مدير مدني مارس على غير المألوف سلطة عسكرية، فقاد بعض القوات التي جمعها واشترك بها في مقاتلة اليهود في منف وهزمهم، ويقول أفروديسيوس أحد مرؤوسيه في رسالة بعث بها من هيبتاكوميا إلى هراكليوس وكيل أعمال أبولونيوس في هرموبوليس في أوائل عام 117 م:

" تحية من أفروديسيوس إلى هراكليوس صديقه الأعز، لقد بلغني من بعض أشخاص أتوا اليوم من أبيون أنهم التقوا في طريقهم بأحد عبيد مولانا أبولونيوس قادما من ممفيس يحمل أنباء سارة عن انتصاره وتوفيقه، لذلك حرصت على أن أكتب إليك لكي أتحرى حقيقة الخبر، فالبس الأكاليل احتفاء بالنصر وقدم الخمر قربانا للآلهة، وإني لأرجوك أيها الصديق الأعز أن تبلغني بأقصى سرعة..."[1].

وبالرغم من أن النصر الذي أحرزته القوات الرومانية بالتعاون مع الإغريق والمصريين كان نصرا هاما إلا أنه لم يكن نصرا حاسما، إذ يذكر المؤرخ يوسيبيوس[2] أنه كانت حرب طويلة ومعارك عدة ضد اليهود، وكان "ماركويوس توربو" (Marcius Turbo) هو القائد الذي أرسله الإمبراطور على رأس قوات برية وبحرية إلى جانب سلاح الفرسان.

وكانت معركة منف إحدى المعارك الكثيرة التي تمكن بفضلها من أن يحقق النصر النهائي على اليهود، وقد كان على رأس جيش كبير لقمع الثورة، وكان من المعتقد أن الإمبراطور قد زوده بسلطة عسكرية استثنائية أعلى من سلطة حاكم مصر[3].

لقد انتشر لهيب الثورة شمالا فبلغ أثريبيس – تل أتريب قرب بنها- حيث قتل بعض اليهود في المعركة، وكذلك المعركة الواقعة حول بيلوزيون –الفرما- في شمال شرق الدلتا، وأما في جنوب الدلتا فإن إقليم أرسينوي –الفيوم- لم يسلم هو الآخر من التخريب، وقد بلغ من شدته أن بعض الحقول أصبحت قاحلة لا تدر شيئا، وفي مذكرة من مدير إقليم هيراكليوبوليس – أهناسيا- إلى مدير إقليم أكسيرينخوس بعد الثورة إشارة إلى خطابين مرفقان ببيان بممتلكات اليهود الذين أعد لمصادرة ممتلكاتهم، كما أن هذا

---

[1] الرسالة: **P.Giss.27 =W.Chrest.17** نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، صص196، 197.

[2] Eusebius Pamphilus, **The Ecclesiastical History**, translated from the original by Rev. C, F.Cruse, A. M, an historical view the council of nice translation of documents by The Rev, Isaac Boyle, D. D, Eighth Edition, Dayton & Saxton, New York, 1842, IV, II (129).

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص183؛ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص202.

البيان يمدنا بدليل على نشوب قتال في هيراكليوبوليس وأكسيرينخوس[1]، التي تشير إلى إحراق بعض مبانيها الزراعية على يد اليهود، ولدينا رسالة من أحد مواطني هذه البلدة تقول أن مواطنيها اشتركوا إلى جانب الرومان في حرب اليهود[2].

وهناك رسالة من هرموبوليس السابقة الذكر بعثت بها أم إلى ابنتها عام 117 م، أي قبل إخماد الثورة بوقت قصير، في هذه الرسالة التي تدور حول شؤون عائلية بحتة تتحدث الأم عن صعوبة إيجاد إماء لمساعدتها في أعمال البيت أو نسج الصوف، مما يوحي بأن ثورة اليهود قد تسببت في قلة الأيدي العاملة، وتروي أن الرجال قاموا بمظاهرات في جميع أنحاء المدينة مطالبين بزيادة الأجور، وهي ظاهرة نادرة في مصر في العهد الروماني، ولعل ذلك مرده إلى طول الحرب ضد اليهود التي أدت إلى ارتفاع أسعار السلع، فوجد العمال أنفسهم عاجزين عن مواجهة مطالب المعيشة بالأجور العادية، ويفهم من فحوى الرسالة أن القتال قد توقف في كل من هرموبوليس التي تعاني فقط من آثار الحرب اليهودية[3].

وفي إقليم ليكوبوليس نجد رسالة بعث بها رجلان إلى أبولونيوس –حاكم إقليم هبتاكوميا– يعتذران له عن عدم استطاعتهما مده بما يطلبه من خضر، بسبب اضطرابات اليهود القائمة في الإقليم، وقد رأينا كيف امتدت الثورة جنوبا حتى المنطقة الواقعة حول هيبتاكوميا، وبالتالي كانت شاملة فلم تقتصر على إقليم دون الآخر، وتفيض الرسائل المحفوظة بين أوراق أبولونيوس بالإشارات إلى شكوى الناس من الأخطار القائمة واضطراب المواصلات، والتوسل إلى الآلهة لتمد يد العون حتى تزول المحنة عليهم [4].

وهناك وثيقة عبارة عن خطاب مرسل من أبولونيوس إلى حاكم مصر "راميوس مرتياليس"، يستعجله فيه بالموافقة على طلب سبق أن قدمه إليه بشأن إجازة لمدة ستين يوما لينظم فيها شؤونه الخاصة، وتوحي لهجة الطلب بأن أبولونيوس كتبه بعد الثورة مباشرة بعد إخمادها:

" إنني أطلب هذه الإجازة لا لأن مصالحي أهملت إهمالا شديدا بسبب غيابي الطويل فحسب، بل كذلك لأن كل ما عندي من ممتلكات تقريبا في قرى إقليم هرموبوليس وفي عاصمة الإقليم (قد

---

[1] البردية: **P.oxy.1139** نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص197.

[2] الرسالة: **P.oxy.705, col.11** نقلا عن: نفس المرجع، ص198.

[3] الرسالة: **P.Brem.63** نقلا عن: نفس المرجع، ص ص198، 199.

[4] الرسالة: **P.Brem.11, col.11,25 f,30** نقلا عن: نفس المرجع، ص200.

تعرض للتلف) أثناء هجوم[1] اليهود الملحدين، وتحتاج إلى الإصلاح. فإذا وافقت على ملتمسي فسوف أستطيع بعد ترتيب شؤوني الخاصة بقدر الإمكان أن أضطلع بمهام إدارة الإقليم بروح أكثر نشاطا"[2].

وبالتالي فإن ثورة اليهود امتدت إلى العديد من مناطق مصر وهي على النحو التالي: بلوزيوم، أثريب (بنها)، منف والمناطق المجاورة لها، الفيوم، هيراكليوبوليس (أهناسيا)، أوكسيرينخوس (البهنسا)، كينوبوليس (الشيخ فضل)، هرموبوليس (الأشمونين)، إقليم طيبة، ليكوبوليس (أسيوط)، أبولونوبوليس (سوهاج)، ونضيف إلى ذلك أن الثورة ربما قد امتدت إلى أدفو، إذ عثر على أوستراكا تحمل أسماء لاتينية يرجح أنها كانت للجند الرومان ينتمون إلى القوات الرومانية في تاريخ مقارب لثورة اليهود 115-117م[3]، ويرجح أن الثورة كانت قد انتهت في منتصف أوت سنة 117 م، إذ أن القائد ماركيوس توربو غادر مصر إلى موريتانيا، ونصب حاكما عليها في أوائل عصر هادريانوس بعد إخماد ثورة اليهود[4].

---

(1) وردت كلمة هجوم بالكلمة "Ephodos" أي اعتداء أو هجوم، غير أن الكاتب يعني بها دون شك ثورة اليهود التي يعبر عنها في الوثائق البردية بألفاظ مختلفة متقاربة المعنى مثل "Stasis" أي نزاع أو فتنة و"Thorubos" بمعنى شغب و "Tarachos=Tumultus" أي اضطراب، لكن يبدو أن اللفظ الأخير كان المصطلح الرسمي الذي عرفت به ثورة اليهود كما هو موضح من نقوش قورينة عن هذه الثورة، على أن الثورة عرفت في المرحلة الأخيرة بالحرب "Bellum " وهو ما اشتهرت به. أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص203.

(2) البردية: **P.Giss.41= W.Chrest.18= Sel.Pap.II 298** نقلا عن: نفس المرجع، ص ص203، 204.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص185.

(4) نفس المرجع.

2. ثورة الرعاة المصريين 172 م:

لقد عبر المصريون كالإغريق عن كراهيتهم لحكم روما بالقلم، فهناك كتابات على الرغم من أنها كتبت بالإغريقية لتصل إلى أكبر عدد من المستمعين، إلا أنها تتضح أنها ذات أصل مصري، وصفحات هذه الكتابات المصرية لها طابع النبوءات التي تبشر بقرب التغيير عندما يسقط سادتهم عديمي الرحمة، وبعدها لن يصبح المصريون مقهورين أو مظلومين وسوف ينعمون بعد ذلك بعصر ذهبي[1].

وهذا الأدب يعرف أحيانا "بأدب المنتظرين"، عندما تبعث لهم الآلهة بالبطل المخلص الذي ملأ الدنيا عدلا ونورا، وقد تأثر الفكر التوراتي العبراني كثيرا بهذا الفكر المصري، كما تأثرت به الأناجيل أو العهد الجديد، وأقدم بردية وصلت إلينا تحمل بشائر هذا الأدب هي جزء من نبوءة عرفت باسم "نبوءة الفخراني" التي أعيد صياغتها باللغة الإغريقية، فحواها الخلاص والتنبؤ بما سيحل بالبلاد مع الأساطير المصرية، ولقد عثر عليها في أوكسيرينخوس، والتي تعتبر أطول بردية وصلت إلينا حول هذا النوع من الأدب[2]. وهذه مقتطفات منها[3]:

" أما بالنسبة لعديمي التقوى فسوف يتسيدهم ملك من الشام وسوف يسلب هذا الشعب ثرواته الكبيرة، وسوف تذل عشيرتهم وسوف تموج بلادهم بالاضطراب...وسوف يعصف الموت الكبير بالأماكن العالية، وسوف تهجر مدينة ذوي النطاق الحديدي (ويقصد روما) وسيتحرر الرقيق وسيفقد سادتهم حياتهم...وسوف تنتهي محنتنا عندما...تهجر مدينة ذوى النطاق الحديدي مثلما هجرت قميني (أي قمين صانع الفخار) جزء للمعاصي التي ارتكبوها، وسيعود العدل لينتقل إلى مصر،وسوف تصبح المدينة الواقعة على البح (يقصد الإسكندرية) مجرد مكان يجفف فيه الصيادون ما اصطادوا لأن كنيفيس الرب الحامي سيكون قد رحل إلى منف، حتى أن المارة من الناس يقولون: هذه المدينة مطعمة الجميع والتي عاشت فيها كل أجناس البشر (إشارة إلى أسطورة بناء الإسكندرية ونبوءة العرافين لها عند بنائها)، وسوف تزداد مصر عددا... موزعة النعم تأتي من الشمس وسوف تنصبها هذه الربة (إيزيس) شديدة العظمة، حتى أن الذين يعيشون حتى ذلك الحين سوف يصلون، وسينهض أولئك الذين كانوا قد رحلوا لينالوا حظهم من النعم بعد إن انتهت آلامنا".

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص230.

[2] سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ص402، 403.

[3] البردية: **2332 P.Oxy** نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص230، 231؛ سيد أحمد علي الناصري، **الناس والحياة**...، ص405.

ومن خلال هذه البردية يتبين مدى كره الشعب المصري للحكم الروماني، وما يحملونه من أماني وتنبؤات حول سقوط هذا الحكم الظالم في نظرهم، وأمل عودة مصر الى الأمن والعدل، فلم يكد يمر وقت طويل على الحكم الروماني في مصر حتى اندلعت ثورة عارمة في مدينة طيبة، بسبب التنظيمات المالية الجديدة التي طبقها الرومان، وانفجر غضب الأهالي عند ظهور جباة الضرائب الرومان، فبعد مغادرة الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس مصر وفرضه ضريبة الرأس قام المصريون بثورة عام 29 ق.م، وقد بلغت ثورة طيبة من العنف جعلت من الحاكم الروماني يتوجه بنفسه على رأس قواته لإخمادها، وعندما نجح في تحقيق هذه المهمة خلّد ذكرى انتصاره في نقيشة عثر عليها في جزيرة فيلة جنوب مصر[1].

ومنذ هذه الثورة التي قامت ضد جباة الضرائب في عصر الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس، لم يشترك المصريون من أهل الريف في حركة ضد الحكم الروماني، وظلت الفتن والثورات قاصرة على أهل الإسكندرية واليهود، أما منذ منتصف القرن الثاني الميلادي لم يستطع المصريون احتمال الوضع من نظام الضرائب المرهق والقيام بالعديد من الخدمات، بجانب ضريبة القمح وضريبة الرأس وضريبة الملح وضرائب الأرض المتعددة وضرائب أخرى، إضافة إلى الأعمال الإجبارية المجانية التي تتدرج من تولي وظائف مختلفة في الإدارة المحلية إلى تسخير ما يمتلكه الأفراد، وكذلك الخدمة في أعمال السخرة كبناء السدود والجسور وأعمال الحراسة والنقل، والتي كانت تفرض على الأهالي كرها دون أجر وكل حسب منزلته وأملاكه، غير أن جهود الأباطرة في العمل على إصلاح الأراضي وتحسين الحالة الاقتصادية عموما إلى جانب وجود الجيش الروماني، كل ذلك كان كفيلا باستمرار سير العمل ومنع المصريين من التقصير في القيام بمسؤولياتهم نحو الإدارة الرومانية، ولكن حين كثرت الفتن والاضطرابات مثل ثورة اليهود في عهد الإمبراطور تراجانوس ساءت ظروف الزراعة كثيرا، ولم يُقبل الأهالي على العناية بالأراضي لعلمهم بعدم جدوى جهودهم وأن ثمرة أعمالهم ستعود إلى الرومان[2].

وليس أدل على خطورة الأحوال الزراعية من أن كثيرا من أصحاب الأرض لجأوا إلى الفرار من أرضهم لعجزهم عن دفع الضرائب، وكانوا يلجؤون إلى المدن الكبرى وخاصة الإسكندرية، حيث يمكنهم الاختفاء والعثور على عمل في ظل الحياة الصناعية والتجارية النشطة، أو يلجؤون إلى الأحراش في شمال

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص265؛ أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص101؛ حسين الشيخ، المرجع السابق، ص64.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص ص141، 142، 168.

الدلتا والمستنقعات[1]، وكان السبب الرئيسي للفرار من الأرض هو شدة الضرائب التي عجز الكثير من المزارعين عن دفعها، وخشية من معاملة جباة الضرائب فضلوا الفرار دون أن يخبروا أحدا[2]، ولكن جامعي الضرائب كانوا يذيقون أهل المزارعين الفارين أشد أنواع العذاب، ليعرفوا منهم مكان مخبئهم أو ليأخذوا منهم الضريبة، وليس أدل على خطورة الفرار على هذا النحو أن اندلعت الثورة المعروفة بثورة الرعاة عام 172م في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180م).

هذه الحالة السيئة لأوضاع المصريين في الجزء الأخير من القرن الثاني الميلادي، فكانت أول نتيجة أن قاموا بثورة عنيفة تحت زعامة أحد الكهنة يدعى "إزيدور" سنة 172 م[3]، حيث تمركزت في أحراش الرعاة بوكوليا (Boukolia) في دلتا النيل، ولكن حقيقة كون قائدها كاهنا مصريا يقود إلى الافتراض حسب نافتالي لويس[4] إلى أنها ثورة قومية، وكان هناك عامل شجع على الثورة يتمثل في أنه إحدى الفرقتين الرومانيتين اللتين كانتا تتمركزان في مصر قد تم سحبهما، كي تشترك في الحرب ضد القبائل الجرمانية التي كانت تضغط على الإمبراطورية من جهة الدانوب، وقد تمكن الفلاحون المصريون الذين تسلحوا تسليحا عشوائيا من قهر بعض وحدات القوات الرومانية بالفعل، وكانوا على وشك الاستيلاء على الإسكندرية.

أما والاس (Wallace) [5] فيذكر أنها ذات طابع ديني باعتبار قائدها كاهن ديني، وذلك لأسباب لأن الحكومة الرومانية كانت هناك اختلافات بين المعابد فيما يتعلق بامتيازاتهم والتزاماتهم، ومنح الأراضي التي اكتسبها الكهنة في العصر البطلمي، بالرغم ما لها من مضاعفات فإن هذه الاختلافات تعزز الغيرة بين المعابد وكسر تضامن الكهنوت في مصر، والذي كان ذلك سببا في قلة الولاء للحكومة الرومانية في القرن الثاني للميلاد.

---

[1] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**... ، ص142.

[2] توجد بردية من القرن الثاني الميلادي تحتوي على خطاب من صبي علم باعتزام والده الفرار سرا، فكتب إلى أحد أقاربه يطلب منه أن يحصل له من والده على مبلغ من المال، يمكنه هو أيضا من الفرار إلى الإسكندرية خشية أن يقتص موظفو الإدارة الرومانية منه بعد اختفاء والده. أنظر: البردية:**P.Philadelphie.No.33 (2nd cent. A.D.)** نقلا عن: نفس المرجع، ص169.

[3] نفس المرجع، ص ص148، 169؛ Joseph Grafton Milne, op.cit,p221

[4] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص229.

[5] Sherman Le Roy Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian,** Princeton University Press, 2015, p254.

ولإنقاذ الموقف اضطرت روما إلى إرسال قوات من سوريا يقودها الحاكم الروماني بها "أفيديوس كاسيوس"، وبدلا من أن يقابل الثوار في معركة فاصلة لجأ إلى الحيلة والمكيدة وإحداث الفرقة بين صفوف الثوار حتى نجح في استمالة بعضهم، ثم تعقب من تبقى في شكل جماعات صغيرة حتى قضى على الثورة[1].

يتبين في الأخير من ثورة الرعاة المصريين أنها أول ثورة كبيرة ضد الرومان، فلاحظنا أن ثورات المصريين لم تقم بعد ثورة أهل طيبة منذ بداية الدخول الروماني حتى القرن الثاني الميلادي، ونستطيع أن نقول أن هذه الثورة ذات دوافع اقتصادية واجتماعية بالدرجة الأولى، فكان وقودها الفلاحين الذين كانت أحوالهم سيئة ومتدهورة، وإن تزعم ثورة الفلاحين أحد الكهنة اسمه "إيزودور"، مما يدل على أن الكهنة كانوا لا يزالون يشكلون في ذلك الوقت قيادة وقوة في المجتمع المصري، والحقيقة أن السياسة الرومانية المتبعة في مصر في التفريق بين الطبقات ومنح امتيازات لطبقة على حساب أخرى والتوزيع الغير العادل بين الأغنياء والفقراء ساهم في زيادة الفجوة بين عناصر المجتمع وتأزمت أحوال المصريين الذين كانوا في أدنى طبقات المجتمع، وزادت أحوالهم سوءا من دفع للضرائب والخدمات الإلزامية وأعمال السخرة وغيرها حتى بلغت منذ منتصف القرن الثاني الميلادي حدا لا يحتمل.

---

[1] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص143.

3. نتائج الثـورات:

أ. نتـائج ثورة اليهود :

انتهت ثورة اليهود في مصر حوالي 117 م وكانت قد تركت في نفوس السكان أثرا عميقا، ولم تنسى بعد أجيال، وقد بدأت في شكل فتنة أو نزاع بين اليهود والإغريق لكنها لم تلبث أن تطورت إلى اضطرابات شديدة وثورة انتهت بصدام مسلح أو حرب بين اليهود والرومان[1]، وبالرغم من أن القوات الرومانية تمكنت من إخماد ثورتهم في معظم أنحاء مصر، إلا أنه يتبين من برديات أعمال الإسكندريين أن المنازعات قد ظلت قائمة حتى بعد تدخل الرومان، وتجددت الاشتباكات بين الإغريق واليهود في الإسكندرية في مستهل عصر هادريانوس (117-138 م)، وكان الإغريق في هذه المرة هم البادئين بالعدوان[2]، بحيث يتبين من بردية محاكمة حدثت في عهد الإمبراطور هادريانوس تضمنت بأمر الحاكم الروماني أن يزج في السجن ستين من إغريق الإسكندرية ومعهم عبيدهم، وإسكان اليهود في منطقة خاصة بهم في الإسكندرية أو في جوارها[3].

وسبب هذه الأحداث أن "راميوس مرتياليس" الذي عين حاكما في السنة الأولى من حكم هادريانوس، قد شرع في إعادة تخطيط المدينة وخاصة الحي اليهود الذي تهدم في الثورة كل التهديم، ويبدو أنه أصدر منشورا خاصا بتنظيم سكنى اليهود بالإسكندرية، ولا يتضح إن كان أمر بتوزيعهم بين أحياء المدينة الخمسة أم حشدهم في حي واحد لإحكام الرقابة عليهم[4].

وأيا كانت العلاقات فإنه يتضح أن الإغريق القاطنين بالريف وقفوا إلى جانب الرومان في قتالهم الطويل ضد اليهود، وواضح أن السلطات الرومانية حشدت قوات من الفلاحين المصريين عندما ساءهم الموقف، ولا يستبعد كذلك أن يكون بعض المصريين قد ساعدوا الثوار اليهود، فلقد كان المصريون يضيقون ذرعا بالحكم الروماني، لكن ينبغي التنبيه إلى هؤلاء البعض من المصريين كانوا قلة وهم أحد فريقين: إما من الفلاحين الذين أرهقوا بالضرائب ففروا من مواطنهم والتجأوا إلى الأحراش، حيث ألفوا عصابات للسلب والنهب وقطع الطرق، أو من مزارعي الأراضي الذين فرضت عليهم إيواء الجنود في

---

[1] حسن طوكان عبد الله، **موقف القادة والأباطرة الرومان من اليهود 66 ق.م-138 م**، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 13، العدد 3، 2018، ص226.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص205.

[3] البردية: **P.Acta IX** نقلا عن: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص180.

[4] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص209.

منازلهم وتموينهم، هذه القلة القليلة من المصريين التي يحتمل أنها مدت يد المساعدة للثوار اليهود[1].

اتسمت ثورة اليهود الكبرى بحقد المتسببين في اندلاعها على غيرهم من الأقوام، وجميع القرائن تشير إلى أنهم عزموا على إبادة الطوائف الأخرى دون تمييز، وهذا واضح من فداحة الخسائر البشرية والمادية، وقد كنا من قبل نرتاب من روايات بعض المؤرخين عن فضائع اليهود وأعمالهم الوحشية وعن عدد الضحايا الذين هلكوا أثناء ثورتهم في قورينة وقبرص ومصر، غير أن الوثائق البردية وإن لم تمدنا بأرقام محددة، لا تدع مجالا للشك في أن اليهود لم يزهقوا أرواح الآلاف من السكان فحسب، بل رسموا خطة لتخريب ممتلكات أعدائهم من رومان وإغريق ومصريين فأحرقوا المباني ودمروا الطرق وخربوا الحقول[2].

انتصر اليهود في البداية حينما هاجموا جيرانهم من المصريين والإغريق ولكن بعد ذلك بدأوا يعانون الهزائم بعدما تطورت إلى حرب مع الرومان، وشاركوا في الحرب لأجل هدف هو لإبادة العدو، فكانت ثورتهم ذات طابع مسيحي أي كان هدفهم تدمير المشركين ومعابدهم الوثنية[3].

من بين الآثار التي خلفتها الثورة في بعض الأماكن، منها مثلا أن السفر من هرموبوليس إلى الإسكندرية لم يعد ممكنا عن طريق البر بسبب أعمال التخريب التي أصابت الطرق، وأنه كان من الأفضل السفر عن طريق النهر، وقد أصاب التخريب كذلك بعض المباني الزراعية، وهجرت الأراضي، الزراعية مثلا في قرية سيبنوتس بإقليم الفيوم نتيجة الأضرار التي لحقتها، وبلغت إلى حد أن الأرض لم تنتج أي إيراد حتى سنة 151 م، كما صودرت بعض أراضي اليهود مثلا في أوكسيرينخوس وكينوبوليس، ويمكن تفسير ذلك بأنه إجراء انتقامي من بعض اليهود الذين اشتركوا في الثورة، أو لعله إجراء لابد منه نتيجة مقتل أصحابها[4].

وإذا كان المؤرخون لم يقدروا عدد ضحايا الثورة في مصر، فإننا نستنتج من عنف القتال وانتشاره في أكثر من ناحية والهزائم التي ألحقها اليهود أول الأمر بالرومان والإغريق أن عددها كان كبيرا دون شك، ولئن وقع بأعداء اليهود خسائر فادحة فكذلك اليهود أيضا، إذ أنه لم ينجو في آخر الأمر من انتقام القوات الرومانية التي تعقبتهم في كل مكان، وأهلكت الكثيرين حتى ليظن أن مصر أوشكت أن تفتقر

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص205.

[2] نفس المرجع، ص206؛ حسن طوكان عبد الله، المرجع السابق، ص226.

[3] Peder Borgen, **Early christianity and hellenistic Judaism,** T&T Clack Edinburgh, Scotland, 1998, p52.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص185، 186.

من اليهود بعد أحداث تلك الثورة[1].

لوحظ قلة الوثائق التي تحمل أسماء يهودية في عهد الإمبراطور تراجانوس، ويرجع ذلك إلى كثرة الذين لقوا مصرعهم على أيدي الرومان أثناء حوادث الثورة، مثلا أن اليهود في ريف مصر في الحي اليهودي الرابع في مدينة أدفو كان يضم عددا كبيرا من الأسر اليهودية، لم يتبق فيه على عهد ماركوس أوريليوس غير أسرة واحدة، وهذه الأسرة لم تحتفظ بالأسماء اليهودية بل أطلقت على أبنائها أسماء مصرية، ومعنى ذلك أنه تغير خطير في حياة يهود أدفو دون شك[2].

وترينا بردية من كرانيس مؤرخة بمنتصف القرن الثاني الميلادي، أن من بين عدد السكان البالغ ألف نسمة، كان هناك يهودي واحد يدفع ضريبة اليهود، وتدل هذه البردية على قلة عدد اليهود بالنسبة للعناصر الأخرى في هذه القرية[3]، أما في الإسكندرية فقد التجأت إليها بعض العناصر اليهودية التي فرت من الريف لتنضم إلى يهود المدينة، وعندما أعاد الحاكم تخطيط المدينة من جديد في عهد هادريانوس برزت مشكلة إسكان اليهود[4].

كان اليهود في نظر الوثنيين شعبا غريب الأطوار فريد الطباع لا يشاركونهم في العادات أو العقائد، وقد تولى عن ذلك نفور ديني وصار اليهود في نظر الإغريق كفرة ملحدين[5]، وهو ما أدى لوصفهم بالإلحاد[6] في البرديات التي تتحدث عن ثورتهم في عهد تراجانوس، ويلاحظ أن هذا الوصف تردد بشكل واضح في الوثائق الرسمية ورسائل الأفراد، التي تتناول أحداث هذه الثورة، ولعل إطلاق هذا الوصف على اليهود يرجع إلى تدميرهم لمعابد أعدائهم[7].

ومما يجدر ملاحظته أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع، ولا بد أن لوكاس ملك يهود قورينة كان واحدا من هذا النوع، فقد كان يعتبر نفسه منقذ بني جلدته من حكم

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص188.

(2) نفس المرجع، ص ص186، 187.

(3) البردية: **P.Ryl.IV, 594** نقلا عن: نفس المرجع، ص187.

(4) نفس المرجع.

(5) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص206، 207.

(6) وكان مانيتون هو أول من اتهم اليهود بالإلحاد وبارتكابهم أعمالا غير لائقة في حق الآلهة. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص189.

(7) نفس المرجع.

الرومان، وقد كان يعمد إلى إثارة الحماس الديني في نفوس أتباعه، وكان تدمير المعابد جزء من حركته، وهكذا تكون فكرة الخلاص هي التي أوحت له القيام بالثورة والتي كانت في الأول عبارة عن صدام عادي بين اليهود والإغريق على نحو ما يحدث في مصر من مصادمات لا تتعدى المجال المحلي، ولكن ظهور هذا المخلص لوكاس كان السبب في ازدياد انتشارها، وقد أعمت فكرة الخلاص اليهود عن تقدير الموقف، فسيطر على عقولهم شيء واحد وهو أنهم جند الرب الذي سيقودهم إلى النصر، فاندفعوا إلى مصر يقتلون ويدمرون المعابد ويبطشون بالإغريق والرومان[1].

وإذا قيل كيف أن يهود مصر مع أنهم كانوا يتوقون إلى تحقيق التعايش السلمي مع جيرانهم الإغريق قد اشتركوا في ثورة لوكواس، فإننا نجد الرد على ذلك في أن المجتمع اليهودي في مصر كان يضم طائفتين إحداهما تتألف من المتحررين الذين حاولوا التعامل مع الإغريق ومسايرتهم إلى أقصى حد، على حين الطائفة الأخرى كانت لا تزال تتكون ممن كانوا يحلمون بأرض فلسطين، ولعلهم كانوا خاضعين للتيارات الفكرية الوافدة من فلسطين وغيرها من مراكز احتشاد اليهود، وثورة اليهود عكست انتصار الطائفة الثانية، وقد نتج عن الثورة القضاء نهائيا على محاولة التخفيف من حدة الكراهية الشديدة التي كانت عند الإغريق ضد اليهود، وكذلك إلى نشوب عداء بين اليهود والسلطات الرومانية التي شنت حربا عنيفة وبمساعدة عناصر مصرية أيضا، وهكذا كان على اليهود الذين بقوا أحياء بعد تلك الثورة أن يعيشوا في جو من الكراهية والحقد اتجاههم[2].

أدى هذا التمرد إلى نقص اليهود تقريبا من مصر، ولا يزال النصر على اليهود يحتفل به بعد قرن تقريبا، عندما زار الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس البلاد في عام 200 م[3]، فقد بلغت ثورة اليهود من عمق في النفوس حيث نجد أهالي أكسيرينخوس ظلوا يحتفلون بذكرى الانتصار حتى عام 202 م، أي بعد ما يقرب من خمسة وثمانين عاما[4].

ففي عريضة رفعها رجل من أثرياء المدينة يدعى "أوريليوس هوريون" إلى الإمبراطور سبتيموس سيفيروس وكاراكلا، يلتمس فيها الموافقة على إنشاء صندوق خيري تستثمر الأموال المتجمعة فيه لإنفاق أرباحها

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص189، 190.

(2) نفس المرجع، ص191

(3) Pierluigi Lanfranchi, Joseph Verheyden, **Jews and christians in antiquity a regional perspective**, Peeters, Paris, 2018, p95.

(4) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص207؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص191.

على إقامة مباريات الشباب وإعانة المرهقين بالخدمات الإلزامية، نرى هذا الثري لكي يقنع الإمبراطورين بوجاهة مطلبه يذكرهما بما أبداه أهالي أكسيرينخوس نحو الرومان، من ولاء وإخلاص بالقتال إلى جانبهم في الحرب ضد اليهود، قائلا:" **إنهم ما يزالون يحتفلون سنويا بذكرى يوم الانتصار على اليهود حتى الآن**"، أي حتى عام 202 م[1] .

شرع "راميوس مرتياليس" الذي عين حاكما في السنة الأولى من حكم هادريانوس في إعادة تخطيط مدينة الإسكندرية، وبخاصة الحي اليهودي الذي تهدم في الثورة كل التهديم، ويبدو أنه أصدر منشورا خاصا بتنظيم سكن اليهود، ولا يتضح إن كان قد أمر بتوزيعهم بين أحياء المدينة الخمسة أو وضعهم في حي واحد لإحكام الرقابة عليهم، لكن الواضح من المنشور أنه أثار سخطا شديدا بين الإغريق خوفا من أن يتعرضوا لهجوم اليهود إذ سكنوا بينهم، لذلك احتجوا عليه ورفعوا شكاوى إلى الإمبراطور، غير أن الحاكم حال دون وصولها إليه وكان ذلك سببا في تجدد الاضطرابات[2].

كان على الحاكم مواجهة مشكلة إسكان يهود الإسكندرية فضلا عن اليهود الذين لجأوا بعد فرارهم من داخل البلاد، ولعل الأقرب إلى المنطق أن يكون الحاكم قد شتتهم في أحياء الإسكندرية المختلفة حتى يحول دون قيامهم بتدبير هجوم مفاجئ على الإغريق، سواء أكانت إقامة اليهود في المدينة أو في خارجها فإنه ما كان ينبغي للإغريق ألا يخشوا شيئا، فقد تحطمت قوة اليهود وقد يتطلب تجميع قواهم وقتا طويلا، حتى أنهم فقدوا بيعتهم وأوقف نشاط محاكمهم وبذلك جردت جاليتهم من أهم امتيازاتها، ولا أدل على هوان اليهود وضعف شأنهم من أن القواعد المالية لمراقبة الحسابات الحكومية (Gnomon Idios Logos)، وهي مجموعة مهمة من القوانين واللوائح المتعلقة بالوضع القانوني لمختلف عناصر السكان في القرن الثاني الميلادي قد تجاهلت اليهود تجاهلا تاما، ولم تذكر أي شيء بشأنهم كما لو لم يعد لهم وجود في الإسكندرية[3].

ويتساءل كريستوفر هاس[4] (Christopher Haas) عن مدى خطورة حدوث كسر في تاريخ المجتمع في وقت الثورة اليهودية (115-117) ومسح للجالية اليهودية الإسكندرية ؟ . إذ أن آثار هذا

---

(1) الخطاب: **P.Oxy.705, Col.II, 11, 31-35= W.Chrest.153** نقلا عن: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص20؛ Pierluigi Lanfranchi, Joseph Verheyden, op.cit, p95

(2) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص209، 210.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص194.

(4) Christopher Haas, op.cit, p94.

الصراع قد وجّه ضربة قاتلة لوضع يهود الإسكندرية، فإن التأكيدات المتعلقة باستمرارية أي مؤسسة أو كيان اجتماعي داخل المجتمع تحتاج إلى التأهيل بعناية شديدة لأمجاد المجتمع اليهودي الإسكندري الأولى والسابقة خلال العصر البطلمي والروماني، لإمكانية حدوث تغييرات جذرية في المجتمع لاحقا.

وعلى أي حال فإن عهد هادريانوس لم يكن بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود[1] فقد شهدت بدايته إخماد ثورتهم الكبرى كما مر بنا، وصدر الأمر بإبطال عادة الختان عن اليهود[2]، وعلى كل حال لم نعد نسمع عن اليهود كعنصر يتسبب وجوده في إثارة الاضطرابات، ومن المرجح أنه حدثت في مصر بعض القلاقل ولكن لم تكن ذات أهمية تذكر[3].

عندئذ بدأ الإسكندريون يوجهون كامل عدائهم ضد الحكومة الرومانية مباشرة، فكثيرا ما نظموا المظاهرات العامة في الشوارع، وفي المسرح ضد حاكم الولاية، بل إنهم كثيرا ما تظاهروا ضد زيارة الإمبراطور وتبينت مشاعر الكراهية ضد الحكام الرومان[4]، فقد وقعت ثورة في الإسكندرية من عام 153 م في عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس (138-161 م)، ولكن نجهل أسبابها ولا توجد إلا تفاصيل قليلة عنها هو أنها هددت روما في تموين الطعام، وكما نجم عنها أن دفع حاكم مصر حياته ثمنا لذلك، ويبدو أن هذا التمرد قد تطلّب تدخل الإمبراطور شخصيا قبل أن يتم القضاء عليها[5].

وتوجد بردية من عهد الإمبراطور كومودوس (176- 192 م) تعتبر مثالا متأخرا من مجموعة

---

(1) قامت في فلسطين سنة 132 م ثورة عارمة تزعمها مخلص آخر هو "سيمون بار كوخفا" أو "بار بن كوزيفا"، وذلك عندما أمر الإمبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل أورشليم وتحمل اسم "Colonia Aelia Capitolina"، وأن يقام لجوبتير معبد محل الهيكل، وقد بذل الإمبراطور مجهودا ضخما حتى استطاع إخماد الثورة سنة 135 م، وحظر على اليهود أن تضع أقدامهم الأرض المحيطة بأورشليم، فيما عدا اليوم التاسع من شهر أغسطس في ذكرى اليوم الذي دمرت فيه أورشليم. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص195، 196؛

Marcel Simon et André Benoit, **Le Judaisme de l'insurrection macchabéenne a la victoire de l'église, le cadre historique**, Le judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998, p54:
https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-47.htm

(2) أصدر الإمبراطور أمره بإلغاء إجراء هذه العملية استناد إلى قانون كورنيليا" Lex Cornelia de Sicaciis et Venificis Ch. Digest, X-VIII"، وقد أبطل الإمبراطور أنطونينوس بيوس سريان هذا القرار بالنسبة لليهود. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص195.

(3) نفس المرجع، ص196.

(4) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص225.

(5) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص245؛ نافتالي لويس، المرجع السابق، ص229.

أعمالا لشهداء الوثنيين، وتحتوي جزء من محضر محاكمة أبيانوس رئيس جمنازيوم الإسكندرية، ويبين الحوار الذي دار بينه وبين الإمبراطور تبين مدى الكراهية التي احتفظ بها أهل الإسكندرية ومصر عامة اتجاه الحكم الروماني، ومن هذه البردية نورد فقارات هامة منها:

أبيانوس: ... الذين يرسلون القمح إلى المدن الأخرى فيبيعونه بأربعة أضعاف ثمنه، حتى تعوضوا ما أنفقوا.

الإمبراطور: ومن الذي يأخذ هذه الأموال؟.

أبيانوس: أنت

الإمبراطور: أواثق أنت من ذلك؟

أبيانوس: كلا، ولكن سمعنا عن ذلك.

الإمبراطور: ما كان ينبغي أن تنشر هذه الدعوى قبل أن تستيقن من النبأ.

وفي موضع آخر، يستدعي الإمبراطور أبيانوس مرة ثانية ويقول له: ألا تعرف إلى من تتحدث الآن؟

أبيانوس: (أجل) أبيانوس يتحدث إلى طاغية.

الإمبراطور: لا، بل إلى ملك...[1].

هذه فقرات من هذه المحاكمة المهمة، تحمل إشارات لها دلالتها التاريخية، من ذلك ما يتهم به أبيانوس الإمبراطور من أن الرومان كانوا يمارسون تجارة خبيثة وهي أخذ القمح من مصر وبيعه في الخارج بأربعة أضعاف ثمنه الأصلي، ويتضح من هذه المحاكمة التي حدثت حوالي 190 م أنه غاب عنصر النزاع مع اليهود وأصبح الصراع ضد الرومان وجها لوجه[2].

وفي عام 199-200 م قام الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بزيارة مصر، وحرص على زيارة معالمها وأبحر في النيل حتى الحدود الجنوبية، وقد أدرك سيفيروس مدى التدهور الذي آلت إليه الأحوال في مصر ومدى الحاجة إلى الإصلاح، منها منح الإسكندريين[3] مجلسا تشريعيا[4]، والذي ذكرنا سابقا

---

[1] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص ص144، 145؛

Silvia Ronchey, **Les procès-verbaux des martyres chrétiens dans les acta martyrum et leur fortune**, Mélanges de l'école française de Rome, Tome 112, N 2, 2000, pp725, 726.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص146

[3] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص287.

[4] كان هذا المجلس مسؤولا عن الشؤون المالية بالعاصمة، وكان يعين كثير من موظفي الدولة من بينهم الموظفون العموميون الذين يشرفون على تخزين ضريبة القمع النوعية، وكان عليه أن يراقب الشؤون المالية للمعابد، وكانت المسؤولية جماعية فلم يكن كل عضو من

مدى أهميته لهم ورغبتهم الشديدة لإقامته، لأنه يعتبر الأساس في المدن الإغريقية، وقد ظلت مطالبهم بإنشائه منذ عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس والأباطرة الذين أتوا بعده، ولكن دائما مطالبهم كانت تقابل بالرفض.

هكذا استرد الإسكندريون مجلسهم التشريعي، الذي سلب منهم منذ عهد الإمبراطور أغسطس، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن عودة المجلس إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى العجز والقصور الذي وصلت إليه الإدارة الرومانية في تولي مهامها في إدارة شؤون مصر[1].

وفي عام 215 م قام الإمبراطور كاراكلا (211-217 م) بزيارة مصر، وكان الناس يكرهونه لأنهم كانوا يعلمون أنه قتل شقيقه لكي يستأثر بالعرش[2]، ويبدو أنهم لم يسعدوا بصدور الدستور الأنطونيني (Constitutio Antoniniana)، وهو القرار الذي منح به الإمبراطور كاراكلا بموجبه حقوق المواطنة لكافة رعايا الإمبراطورية، وهو الذي ساوى من جهة بينهم كفئة متميزة وبين بقية سكان مصر من جهة أخرى[3].

وقد جاهر الإسكندريون باستهزائهم بالإمبراطور وسخروا منه، عندما أصدر بيانا رسميا أعلن فيه أن قتله لأخيه المولد غير الشقيق جيتا (Geta) كان من قبيل الدفاع عن النفس، وقد كان كاراكلا يستعد في ذلك الوقت لإعلان الحرب على بارثيا، لذلك كان يبدو أنه كان يضع في اعتباره أن حدوث أي اضطراب في الإسكندرية من شأنه أن يهدد خطوط تموين جيشه، وقد كان رد فعله للموقف سريا وسريعا وقاسيا، فعند اقترابه من الإسكندرية خرج إليه الزعماء الوطنيون[4] كما هي العادة لتحيته، فاستقبلهم

مجلس الشورى مسؤولا تقصيره الشخصي فحسب بل تقصير زملائه في اللجنة التي ينتمي إليها، والترشح لشغل مناصب حكام البلدية، ولم يكن هناك سبيل للتخلص من عضوية المجلس إلا عن طريق الإجراء المعروف باسم (Cassio Bounorum) أو المبادلة ومعناها أن يتنازل عن ثلثي أملاكه، وقد تمثلت امتيازات أعضاء المجلس باللقب التشريفي الذي كان يحمله كل منهم ويرأس كل مجلس رئيس يلقب ب (Prytanis)، ويتم أمام المجلس اختيار النومارك الذي يخول له الإشراف على جباية مجموعة من الضرائب، وللمجلس اختيار العديد من الموظفين، وكانت جميع هذه الأعمال تؤدى من طرف المجلس في الإدارة التي عرفت باسم (Boureutrion). أنظر: العمري عبد النور، المرجع السابق، ص ص84، 85.

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص 121.

[2] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، 288.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص121، 122.

[4] أعلن كاراكلا دعوته للشباب الأقوياء للتجمع في الساحة حتى يختار منهم كتيبة تسمى كتيبة الإسكندر الأكبر، وقد لبى كثير من شباب الأسر النبيلة تلك الدعوة للانخراط في تلك الكتيبة، وحضر الآباء الفخورون بأبنائهم ليروا العرض العسكري للأبناء الذين كانوا

بالترحيب ثم أمر بقتلهم جميعا في نفس المكان، ثم أطلق الأمر لقواته في المدينة والسماح لهم بالسلب والذبح، وبعد عدة أيام أصدر أوامره بوقف المذبحة[1].

تعرضت مصر عام 229 م لغزو خارجي من الشرق وكان مصدره مملكة **تدمر**[2]، حيث كانت الملكة زينوبيا ترغب بتكوين إمبراطورية فأرسلت جيشا للاستيلاء على مصر، وكانت قد اتفقت مع بعض الزعماء الإسكندريين وتمكن جيشها من احتلال مصر، وكان ذلك في عهد الإمبراطور أوريليانوس[3] الذي أرسل أحد قادته ويدعى بروبوس (Probus) الذي تمكن من استعادة مصر[4]، وتلى ذلك قيام ثورة ضد الحكم الروماني في مصر تولى قيادتها أحد تجار الإسكندرية ويدعى فيرموس[5] (Firmus)، وكان من بين الذين ساعدوا زينوبيا على احتلال مصر، واضطر الإمبراطور أوريليانوس إلى الحضور بنفسه

يرتدون أفخر الملابس العسكرية ويطوفون في الشوارع، وما إن تكامل توافد الجميع في الإسكندرية حتى انسحب الإمبراطور من مكان الاجتماع بعد أن أصدر بإبادة الجميع. أنظر: محمد بهجت قبيسي، **قانون كاراكلا ومذبحة الإسكندرية (خريف عام 215 م) وتبرئة كاراكلا من أنه كان ضد الشعب المصري صاحب الأرض**، مجلة جمعية الآثاريين العرب، العدد الأول، القاهرة، 2000، ص125.

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص225.

[2] **مملكة تدمر**: في أثناء القرون الثلاثة الأولى من الإمبراطورية الرومانية ازدهرت في الشرق إمارة تدمر (Palmyra) الواقعة في الصحراء التي تفصل بين سوريا ودولة بابل، وكان محور نشاطها ومصدر ثروتها الأساسي هو نقل التجارة بين الشرق الأقصى وبابل من ناحية وسواحل سوريا من ناحية أخرى، كما مدت نفوذها التجاري جنوبا ونافست الإسكندرية في تجارة البحر الأحمر، ويشهد على ذلك وجود تجار تدمريين مستقرين في مدينة قفط بصعيد مصر، وقد دخلت تحت سلطان روما لعله يرجع إلى زمن الإمبراطور تبيريوس، ولكنها عوملت معاملة ودية وتمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي، وفي عهد أحد حكامها "وهب اللات" الذي سيطرت عليه وعلى الدولة والدته الملكة الطموحة زينوبيا التي لم تقنع بالمركز الممتاز والثراء الذين كانت تتمتع بهما تدمر وأرادت أن تكون لها إمبراطورية تشمل في ذلك مصر. أنظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص155.

[3] عندما تولى الإمبراطور أوريليانوس عرش روما عام 270 م، لجأ إلى إعمال السياسة في مواجهة الخطر التدمري فاعترف بوهب اللات ابن زينوبيا شريكا له في الحكم، وصدرت العملة في الإسكندرية تحمل صورة الإمبراطورين على الوجهين، ولكن بعد مرور عام واحد رفض وهب اللات الاستمرار في ظل الحكم المشترك وقرر الاستقلال وأعلن نفسه إمبراطورا، وصدرت عملة تحمل اسم صورة وهب اللات وزينوبيا فقط، مما يكشف مدى نفوذ تدمر وملكتها فنشبت الحرب بين روما وتدمر فهاجم الإمبراطور بنفسه من الشمال في آسيا الصغرى، بينما أرسل قائده بروبوس إلى مصر التي استعادها من جديد عام 271 م، وأخذت زينوبيا أسيرة في موكب النصر إلى روما. أنظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص155.

[4] حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته بلا ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص ص290، 291.

[5] يقال أنه جمع ثروة طائلة من تجارة البردي والصمغ العربي، واستطاع أن يجمع جيشا من ماله الخاص، إن قيام تاجر مثل فيرموس بثورة بالإسكندرية توحي بأنه كان على علاقة مع ثوار تدمر أيضا. أنظر: مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ص156، 157.

لقمع الثورة[1]، حيث حاصر الثوار في حي البروخيون بالإسكندرية حتى اضطروا للاستسلام، ولكن بعد أن دمر هذا الحي تماما والذي كان من أهم مباني المدينة[2].

ب. نتائج ثورة المصريين:

ما إن أخمدت ثورة المصريين حتى واجهت روما في مصر اضطراب آخر أشد خطورة، صاحبه ومدبره القائد المنتصر نفسه أفيديوس كاسيوس، حيث تآمر مع الإمبراطورة فوستينا على اغتصاب الحكم بعد موت ماركوس أوريليوس الذي بلغه نبأ كاذب عن موته، فاندفع كاسيوس في الكشف عن مؤامرته وإعلان نفسه إمبراطورا عام 175 م، ولم تتردد مصر كثيرا وعلى رأسها الإسكندرية في مناصرته، لأن المصريين في ذلك الوقت كانوا يؤيدون كل انشقاق أو فتنة ضد السلطة المركزية في روما، وليس ذلك عن حب في الثائر ولكن كرها للحكم الروماني، ولكن ثورة كاسيوس فشلت بنفس السرعة التي قامت بها، إذ اغتاله أحد ضباطه بعد مضي ثلاثة أشهر من قيام ثورته[3].

ولعل الموجهين للسياسة في روما قد بدأوا يخشون من ازدياد تفاقم الأحوال في مصر، وخاصة بعد ثورة الرعاة في شمال الدلتا وثورة كاسيوس بعد ذلك ومناصرة المصريين له، فقام الإمبراطور كومودوس ببناء أسطول جديد لنقل الغلال من شمال إفريقيا إلى روما، وهو الذي عرف بالأسطول الإفريقي (Clasis Africana)، وذلك لإمكان مواجهة الموقف إذا تأخر قمح مصر، هذه الخطوة المهمة لم يقدم عليها الرومان إلا في نهاية القرن الثاني للميلاد، مما يدل على أن الأحوال في مصر لم تعد تبعث على الاطمئنان الكامل[4].

وفي عهد الإمبراطور كاراكلا أقدم على خطوة مهمة حين قرر منح حقوق المواطنة الرومانية لكافة رعايا الإمبراطورية، وقد شمل هذا القرار المصريين أيضا، ولكن كان تأثيره نفسيا وشكليا دون أن يؤدي إلى تغير حقيقي في حياتهم، وقد أصدر أيضا قراره المشهور الذي يقضي بطرد كافة المصريين الذين يقيمون في الإسكندرية بشكل غير مشروع، والذين كانوا قد هربوا من الريف حتى يتهربوا من أداء

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص289، 290.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص156.

[3] نفس المرجع، ص143.

[4] نفس المرجع؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص286.

التزاماتهم[1]، من الضرائب أو القيام بالخدمات الإجبارية، ولم يستثن سوى المصريين الذين لهم عمل أساسي في المدينة[2]، ونصها كالتالي:

" يتم طرد جميع المصريين الذين يقيمون في الإسكندرية بكل الوسائل، خصوصا القرويين الذين هربوا إليها من أماكن أخرى وأمكن التعرف عليهم، ويستثنى من ذلك باعة الخنازير وعمال القوارب النهرية والقائمون على إحضار مواد الوقود لتدفئة الحمامات، وفيما عدا هؤلاء يتم طرد الجميع، حيث أنهم يعكرون صفو المدينة بأعدادهم الكبيرة وبطالتهم، وقد بلغني أن المصريين يقومون خلال الاحتفال بعيد سيرابيس، وفي بعض الأعياد الأخرى وحتى أيام لأخرى بالمثل– بجلب الثيران وبعض الحيوانات الأخرى لتقديمها كأضاحي. لذلك فلا يمنع هؤلاء من الحضور لهذا الغرض.

أما الذين يتحتم منعهم فهم الذين فروا من أنحاء الريف الذين ينتمون إليه هربا من العمل الزراعي. أما الذين يفدون للإسكندرية بهدف رؤية المدينة العظيمة، أو الذين يأتون إليها سعيا وراء اكتساب الثقافة أو لأداء بعض الأعمال العارضة، فلن يتم سريان قرار المنع عليهم. وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنه يمكن تمييز نساجي الكتان ذوي الأصل المصري بسهولة من حديثهم، الذين يظهر أنهم يحاكون الآخرين في مظهرهم وزيهم. وأكثر من ذلك فإن طريقة معيشتهم وعاداتهم تختلف عن سلوك أهل المدينة، وهو أمر من شأنه أن يكشف عن جنسيتهم المصرية"[3].

من خلال ما ورد في هذا النص نتساءل: من هم المخالفين للقانون الذي أعلن كاراكلا أنهم يزعجون أمن الإسكندرية؟. لا يوجد شك لدينا أن معظمهم كانوا من أهل البلاد الذين هربوا من الريف للمدينة، لقد اكتفى كاراكلا بوصف هروبهم بأنه نتيجة لتهربهم من العمل الزراعي، والمعروف أنه على مر عصور التاريخ كان أغلب الأفراد وخصوصا من الشعوب الزراعية سعداء قانعين بوجه عام بالبقاء في موطنهم الأصلي، حيث يشعرون بوجودهم في مكان ينتمون إليه بوسعهم تحمل ظروف الحياة ذاتها.

لقد أثبت الفلاحون المصريون طوال القرون مدى ارتباطهم بالأرض، أما الفرار وهجر الأرض بلا أمل في العودة فهو فرار اليائس، وهو الحل الأخير الذي لجأ إليه الناس، ولم يحدث ذلك إلا عندما فقدوا آخر أمل لهم في مواجهة مطالب الإدارة المالية المتمثلة في الضرائب والخدمات الإلزامية، لقد اتخذ بعض

---

[1] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص288.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص151.

[3] البردية: **P.Giss.40 II, 11= Select Papyri,215** نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص226.

الفارين طريقهم إلى الإسكندرية وإلى بعض المراكز السكنية الكبيرة الأخرى، أملا منهم في الاختفاء دون عقاب ، ووجد آخرون في الصحراء ملاذا لهم حيث كونوا أو انضموا إلى عصابات قطاع الطرق[1]، وكان يتم إصدار قرارات العفو والتنازل عن الضرائب بمناسبة قرب إجراء التعداد السكاني وتأتي بنتيجة مؤقتة من حيث انخفاض عدد قطاع الطرق المتنقلين من مكان لآخر[2].

[1] ظلت أعمال اللصوصية متوطنة في مصر في العهد الروماني ومتمكنة لدرجة لا يمكن استئصالها ، وفي أوقات الشدة فقد كانت تتفاقم لتصبح أقرب إلى الكارثة، وبالرغم من أن الحكومة لم يقدر لها أبدا النجاح الكامل في استئصال اللصوصية، إلا أن عدد قطاع الطرق كان قليلا بالمقارنة بالعدد الكلي للسكان حتى في أسوأ الظروف، فلكي يختار الفرد أن يكون خارجا على القانون فإن ذلك يتطلب جرأة كبيرة لا تتيسر للفرد العادي، لأن ذلك يعني الانفصال الدائم عن المنزل وعن الذين تحبهم، كما يعني القبض عليهم يعني الموت المحقق، ومن الواضح أن القاعدة العريضة من السكان كانت ببساطة ماتزال باقية في مكانها لتمارس أعمالها، ولكن كيف تعبر عن نفورها، فقد كانت هادئة في أغلب الوقت فبالرغم من صبرها إلا أن كان يمكن أن تتحرك نتيجة لنقص الغذاء أو بسبب الضرائب والالتزامات الإجبارية التي لم يكن لها نهاية، لقد اشتعلت بالفعل بعض الاضطرابات وأعمال العنف ولكن السلطات المحلية تمكنت من إخمادها عن طريق القوات العسكرية. أنظر: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص228، 229.

[2] نفس المرجع، ص ص226، 227.

الفصل الثالث:

الأوضاع الدينية في مصر في ظل الاحتلال الروماني

أولا: الأوضاع الدينيـــــــــة في مصر.

ثانيا: ظهور المسيحية وعوامل انتشارها.

ثالثا: دلائل انتشار المسيحيـــة في مصر.

أولا: الأوضاع الدينيـــة في مصر:

1. تنوع العبادات الوثنية:

عاش في مصر أجناس شتى في العهد الروماني، وكل شعب جاء إلى مصر بثقافته ومعبوداته وانتشروا فيها، وكان عليهم أن يتقربوا لمعبوداتهم بالصلوات والاحتفالات والقرابين من وقت لآخر، فلم يكن هذا متاحا حيث المعابد المنتشرة كانت مصرية ومخصصة لمعبودات مصرية، ولذلك كان على الشعوب الوافدة أن تتكيف مع الواقع الجديد، وأن تستفيد من تجربة الإغريق الذين واجهوا نفس المشكلة قبل ثلاثة قرون، فبحثوا عن المعبودات المصرية التي تشابه صفات آلهتهم[1]، فصاروا يقدمون القرابين للآلهة المصرية المقابلة لآلهتهم بأسمائها المصرية أو بأسمائها في دينهم الخاص، وكان التنوع كبيرا فهناك الرومان وهناك أجناس من منطقة الهلال الخصيب ومن آسيا الصغرى فضلا عن الإغريق والمصريين[2].

ونجد أن الرومان بمصر قد وفّقوا بين عبادتهم والعبادة الإغريقية والمصرية التي وجدوها، ولدينا نموذج جيد في هذا الصدد مدون على نقيشة مؤرخة بعام 11 م، والتي تم الكشف عنها في الصحراء الشرقية على الطريق القديم الذي كان يربط وادي النيل وأحد موانئ البحر الأحمر: ونقرأ فيها مايلي:

" باسم ربة الحظ الحسن عندما كان بوبيليوس جوفنتيوس روفوس (Publius Tuventius Rufus) التربيون العسكري للفرقة الثالثة الرومانية سابقا ومدير مناجم جبل برنيس، الذي كان أيضا المدير المسؤول عن مناجم الزمرد وإنتاج التوباز واللؤلؤ وجميع مناجم مصر، ولقد قام أجاثابووس عبده المعتق بإهداء هذا المزار المقدس للإله بان الأكبر باسم بوبيليوس جوفنتيوس روفوس ولى نعمته في إقليم أوفياتى (Ophiate)" [3].

إن المزج بين الحضارات الثلاث في هذه النقيشة أمر جدير بالملاحظة، فالشخص الذي قام بالإهداء عبد محرر يحمل اسما إغريقيا، وقد قام بتكريم سيده السابق الذي كان رومانيا صاحب مكانة رفيعة، والنقيشة نفسها مدونة باللغة الإغريقية على نصب مصري الشكل والزخرفة، أما الإله بان روح

---

[1] لم ير الإغريق مانعا من عبادة الآلهة المصرية وإظهار إجلالهم لها لأنها تركت في نفوسهم أثرا، هذا إلى أنهم اعتادوا على احترام آلهة البلاد الأجنبية التي يزورونها، كما كانوا يشبهون آلهتهم بالآلهة المصرية فشبهوا أبولو بحورس ونيت بهيرا، ديميتر بموت، هرميس بتحوت وهفايستيوس ببتاح وزيوس بأمون، حتحور بأفروديت ملكة الجمال في ديانتهم، إلا أنهم بشكل عام كانوا ينفرون من عبادة الحيوانات التي كان المصريون يقدسونها. أنظر: ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر...**، ج2، ص143؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص94.

[2] فوزي مكاوي، **الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص300.

[3] البردية:. **S.B.10173 a = SEG, XX, no 760** نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص92.

الصحراء البرية الموحشة فقد ذكر باسمه الإغريقي، ولكنه صور على النصب على الصورة المستقبلية للإله المصري[1] **مين**[2]، وهذا يعود إلى التغيرات الناتجة عن الاتصال بين الأجناس في المجلات الثقافية، وهذا التأثر لم يكن في اتجاه المجموعة العرقية المهيمنة وأبرز مثال على ذلك عبادة الإلهة إيزيس التي اعتبرت الأم العظيمة، وبعبارة أخرى فإن أطراف المجموعة المهيمنة في البلاد أخذوا من ثقافة السكان الأصليين[3].

وكذلك نقرأ في أحد الخطابات من القرن الثالث ما يأتي:

" ماركوس أوريليوس أبوللونيوس (Marcus Aurelius Apollonios) الكاهن إلى حامل سلة الكتب المقدسة نسمينميس (Nesmeimis) تحياتي، أرجو أن تذهب لمعبد الربة ديمتير في قرية سينكيفا (Sinkepha) لكي تخبرهم بتقديم الأضاحي لسادتنا الأباطرة وانتصاراتهم الظافرة، من أجل أن يرتفع النيل ويتضاعف المحصول، وتصبح ظروف المناخ مناسبة إنني أصلي من أجل أن تكون في خير حال".

وهكذا نجد هنا خلطا حضاريا متنوعا، فالكاهن مواطن روماني ولكن العبارة ليست رومانية، وقد ذكرت الآلهة باسمها الإغريقي ديمتير، وكانت ترمز للربة إيزيس في القرى المصرية، حيث كان يجري في معبدها إقامة شعائر عبادة الحكام الأباطرة وعبادة النيل، أما في عمق مصر فإن مواطني المدن وأولئك الذين حرصوا على تقاليدهم فقد كانوا متمسكين من الناحية الشكلية بتقديس الآلهة الإغريقية كنوع من الاعتزاز بأصولهم الهيلينستية، ولكن كثيرا ما وجدوا أنفسهم محصورين في دائرة الثقافة المحلية، لقد حاولوا قدر المستطاع الإفلات منها ولكن لم يستطيعوا تجاهلها طوال الوقت، لقد استمرت الآلهة الأوليمبية أسماء فقط ولكنها اختفت كعقائد[4].

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص92.

[2] **مين:** يعتبر الإله مين في مصر من المؤثرات الأجنبية الوافدة إلى مصر عن طريق البحر الأحمر، وتشير النصوص إلى صلات واضحة بين الإله مين وبلاد بونت وأشجار البخور التي ارتبطت بهذه البلاد منذ عهد حتشبسوت، وتتميز عبادته بثلاث خصائص رئيسية وهي: الإله مين كإله للقمر وكحام للقوافل، واتخاذ الثور رمزا له. أنظر: سمير أديب، المرجع السابق، ص808.

[3] Frédéric Colin, **Identités ethniques et interactions culturelles dans l'antiquité - réflexions autour de l'ouvrage ethnicity in hellenistic Egypt** , l'Antiquité Classique, Vol 63, N° 63, 1994, p255.

[4] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص92، 93.

لقد انتشرت سياسة المضاهاة بين الآلهة وأصبحت في الواقع أداة سياسية منذ أن أنشأ بطلميوس الأول عبادة سيرابيس (Sarapis)، وهي مزيج غامض من العقيدة المصرية والإغريقية[1]، وقد استمرت في ظل الإمبراطورية الرومانية عبادة **الثالوث**[2] المقدس المكون من إيزيس وهربوكراتيس[3] **وسيرابيس** [أنظر: **الصورة رقم 9** [4]].

الصورة رقم 9: صورة الإله سيرابيس.

Poiron, Perrine, op.cit, p151

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص93 ;

Perrine Poiron, **Les Formes du pouvoir a l'epoque des premiers rois lagides-un métissage entre l'idiologie politique des basileis et pharaons ?,** mémoire présenté comme exigense partielle de la maitrise en histoire, Université du Québec À Montréal, 2012, p151.

[2] **الثالوث**: تعتبر فكرة الثالوث قديمة العهد في الديانة المصرية بل ترجع إلى أقدم العصور، إذ أنه يوجد في كل إقليم بمصر ثالوث مقدس يتألف من الأب والأم والابن، ففي منف مثلا كان الثالوث يتألف من بتاح وزوجته "سخميت "وابنها "نفرتوم"، وفي طيبة أمون وزوجته "موت" وابنهما "خنسو". أنظر: ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر**...، ج2، ص187.

[3] يقول بلوتارك: "**أن بطلميوس الأول كون لجنة من علماء الدين كان من بين أعضائها الكاهن المصري مانيتون والكاهن الإغريقي تيموثيوس**"، وقد استقر الرأي على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثا يتألف من سيرابيس وإيزيس وحربوقراتيس. أنظر:

Plutarch, **Moralia**, with an english translation by Frank Cole Babbitt, Vol V, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 1936, 28.

[4] لاشك أن الإلهين الأولين كانا إلهين مصريين فأما سيرابيس الإله الأكبر في الثالوث فإن الآراء تضاربت حول أصله، وقد اتخذه البطالمة إلها جديدا لدولتهم بحيث يكون لديه من الصفات ما يجعله مقبولا لدى المصريين والإغريق معا، فوقع اختيارهم على إله مصري محلي في مدينة منف هو الإله "أوزير حابي" أو أوزير أبيس، وكان يمثل العجل أبيس المقدس عند اتحاده في العالم السفلي بالإله أوزوريس وكان يعبد على هيئة العجل، لكن خشي البطالمة ألا يتقبله الإغريق في هيئته الحيوانية فقرروا أن يدخلوا على شخصيته تعديلين الأول يمس اسمه فأصبح سيرابيس ليسهل نطقه والآخر هو تصويره في هيئة بشرية تشبه زيوس نفسه. أنظر:

ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر**...، ج2، ص178؛ مصطفى العبادي ،**مجتمع الإسكندرية**...، ص52.

وقد شبه إغريق الإسكندرية الإله سيرابيس بعدة آلهة أخرى فتارة عُبد على أنه إله الموتى بلوتو وتارة رأوه في صورة ديونيسيوس إله الخمر أو زيوس[1].

وقد كانت الربة ايزيس أكثر العبادات المصرية انتشارا على الإطلاق وفي البحر المتوسط، وبالإضافة إلى العبادات المصرية والإغريقية التي كانت موجودة فقد أضاف الحكم الروماني لمصر عنصرا جديدا يتمثل في ثالوث الكابيتول –جوبيتر، جونو، منيرفا–، وبعض الآلهة الإيطالية الأخرى، ولكن أكثر خاصية يمكن أن نلاحظها بوضوح في ممارسة طقوس العقائد الدينية أنها كانت طقوسا رسمية أكثر من كونها طقوسا روحية، منها ما يخص عبادة الأباطرة الرومان، حيث أنها لم تقتصر على عبادة الأموات من الأباطرة فقط ولكنها شملت الأحياء أيضا على اعتبار أن القداسة قد شملتهم أيضا[2].

وتوجد لفافة بردية يبلغ طولها أكثر من مترين، وهي عبارة عن سجلات معبد جوبيتر الكابتوليني في الفيوم عام 215 م، وقد أقيم في ذلك المعبد الذي شيد لكبير آلهة الرومان تمثالا للإمبراطور كاراكلا، وفيه كان يتم الاحتفال بالأعياد الرومانية[3] وبكثير من أعياد أفراد الأسرة الإمبراطورية، هذا إلى جانب عبادة التمساح، وكانت كل هذه المناسبات تتم في احتفالات على الطريقة الإغريقية والمصرية[4].

ومن ناحية أخرى فقد قُدّس نهر النيل وكانت عبادته تعتبر العبادة الأولى في كل مكان في الدولة، وهذا النص التالي يبين ذلك[5]:

---

[1] حربي عباس عطيتو، **ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة**، تقديم علي عبد المعطي، دار العلوم العربية، لبنان، 1992، ص28.

[2] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص95.

[3] من الاحتفالات الرومانية نذكر "**الاحتفال بالإله جوبيتر**"، الذي أحضره الرومان إلى مصر وأقاموا له معبدا رئيسيا في أرسينوي، هذا المعبد الذي شهد العديد من الأعياد والاحتفالات كما تدلنا وثيقة بردية ترجع إلى عام 215 م، ولا نعرف متى كان يحتفل بهذا الإله في مصر وإن كنا نعرف أن الاحتفال في روما يكون في 11 من أكتوبر، واحتفال "**بعيد الساتورناليا**" (Saturnalia) على شرف إله الزراعة القديم وبالذات بذر الحبوب (Saturnus) والذي يحتفل به في 8 ديسمبر، و"**عيد أنتينوس**" الذي أقامه الإمبراطور هادريانوس على شرف أنتينوس الذي مات غريقا في النيل أثناء رحلة الإمبراطور عام 130 م، فتقام احتفالات "**الأنتينويا** " في مدينة أنتينوبوليس وكذا مسابقات رياضية. أنظر: هابيل فهمي عبد الملك، **الأعياد والاحتفالات في مصر في العصر اليوناني والروماني حتى انتشار المسيحية**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ اليوناني الروماني، جامعة القاهرة، د.ت، ص ص119-121.

[4] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص96.

[5] هذا النص جزء من الوثيقة **P.Lond.Lit.239**، ومروى هي عاصمة النوبة والقصد من ذكرها هنا هو الإشارة بطريقة مجازية إلى أنها المكان الذي كان ينبع منه النيل، وكانت مروى تقع جنوب النيل الأبيض في المكان الذي يلتقي فيه بالنيل الأزرق، ومن هذه

" سيتم الاحتفال ببدء فيضان نيلنا المقدس، بإقامة الشعائر المقدسة لجلب الخير والبركة، لقد وصل الماء فتحية للينابيع عندما ترتفع في نهر إيزيس ذي المياه الجارية، فالتسيطر ينابيعك يا نيل الفيضانات العديدة، وصاحب الاسم العظيم انبع من مروى لتصل إلينا سخيا متدفقا... فهل لكأن تمنح عذوبتك لمصر كلها، مخصبا إياها كل عام، مثل هذا الفصل، أنظروا كيف أن الفيضان كالذهب لكل شيء ولكل فرد، أما أنتم أيها المنشدون فرددوا الأناشيد ثلاث مرات في احتفالكم بتدفق المياه في مجاريه".

ولكن الجديد في ميدان العقيدة في مصر حدث مع دخول المسيحية التي حاربت عبادة الحيوان ومحاولة القضاء على الوثنية[1]، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل والفصول اللاحقة.

2. سياسة الأباطرة الدينية:

كانت القاعدة في العصر الروماني هي اتباع سياسة التسامح الديني، ولذلك استمر سكان مصر يعبد كل منهم آلهته ويمارس دينه، وإن تعرض اليهود لبعض المتاعب بسبب رفض عقيدتهم تقديس الأباطرة أو آلهة الرومان[2]، وقد كان أوكتافيوس أغسطس قد أعطى لليهود امتيازات وسمح لهم بمباشرة عاداتهم طبقا لشريعتهم وكفل لهم حرية الدين[3]، ويمارسون طقوس عبادتهم وما يتصل بها من عادات واحتفالات، فأهم ما وصل إلينا من وثائق منها الاستمرار بالاحتفال **بعيد الفصح وعيد الفطير**[4]، الذي يبدأ في 14 من أفريل، حيث توجد بردية من القرن الثاني أو الثالث الميلادي تتحدث عن أغنام بيعت للاحتفال بعيد يهودي، ولا شك أنه عيد الفصح اليهودي حيث يقتضي طقس العيد في التوراة

النقطة تقطع مياه النيل مسافة تقدر بأكثر من ألف كيلومتر قبل أن تصل إلى الأراضي المصرية. أنظر: نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص103، 248.

[1] فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص301.

[2] نفس المرجع، ص301.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص144.

[4] **عيد الفصح**: هو عيد قديم عرفه الإسرائيليون يحتفلون به بمناسبة خروجهم من مصر بقيادة موسى عليه السلام، وتكمن أهمية هذا العيد أن اليهود يعتقدون أن الرب قاد اليهود بنفسه وأخرجهم من نير العبودية، ولأن الخروج كان بصورة اضطرارية وعلى عجل فقد أعدوا خبزهم على عجل فطيرا قبل أن يختمر، لهذا أصبح على اليهود أن يأكلوا الخبز الفطير في الأسبوع الثالث من شهر نيسان، ويقيموا احتفالات مقدسة من الأدعية والصلوات وحرق القرابين، وهناك رواية أخرى تقول أن الاحتفال بهذا العيد كان يقع في فصل الربيع، ويختار يوم اكتمال القمر وينحرون الضحايا ليلا وتشوى الأضحية وتؤكل لوقتها مع الفطير. أنظر: كامل سعفان، **اليهود تاريخ وعقيدة**، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، 1981، ص220.

ذبح الأغنام[1]، كما ظل اليهود يحتفلون **بيوم السبت**[2]، وقد ساءهم أن يتدخل الحاكم فلاكوس في إبطال الاحتفال بذلك اليوم، مما يدل على تأثير الأوضاع الناجمة عن النزاع اليهودي الإسكندري على النواحي الدينية، كما كانوا يحتفلون بأعياد أخرى[3].

لكن تم القضاء على امتيازات اليهود بعد ثوراتهم في القرن الأول والثاني الميلادي، وأصبح الرومان ينظرون إلى تحركات اليهود بكثير من التوجّس، لذا أصدرت السلطات الرومانية في مصر قرارا بإغلاق معبدهم[4] في **ليونتوبوليس**[5] (Leontopolis)، أو ما يسمى بمعبد أونياس فأمر الحاكم لوبوس (Lupus) بتدميره[6]، وذلك بسبب ميل اليهود المستمر إلى التمرد، وخوفا من أن يجتمعوا حوله ويجتذب بعض الحلفاء إليهم[7] ويتحول هذا المعبد إلى بديل لهيكل أورشليم ويصبح قبلة لليهود[1]، كما فرض

---

(1) البردية: (**CPJ**.**No**.**467** (**II**/**III A**.**D**) نقلا عن: هابيل فهمي عبد الملك، المرجع السابق، ص207.

(2) **يوم السبت**: أطلق هذا الاسم على اليوم الذي كان يستريح فيه اليهود من أشغالهم العادية وهي كلمة معربة عن اللغة العبرية ومعناه" راحة"، وفي العهد القديم كانوا يعتبرون هذا اليوم من الواجبات الرئيسية وذلك لأن الرب بارك هذا اليوم وقدسه وميزه عن سائر الأيام وجعله يوما للعبادة فاستراح فيه وبذلك أعطى مثالا عن الامتناع عن الشغل، وهذه الراحة ضرورية لتنشيط أفكار الإنسان الروحية والتأمل، أما عند المسيحيين فهو يختلف لأنه يذكرهم بقيام المسيح من بين الأموات. أنظر: جورج بوست، **قاموس الكتاب المقدس**، مج1 (من أ إلى ش)، نظارة المعارف العمومية الجليلة، بيروت، 1994.

(3) كما كانوا يحتفلون **بعيد الخمسين** الذي يسمى أيضا بعيد الأسابيع من عيد الحصاد، وهو من الأعياد الزراعية فيه يقدم الشكر لله بمناسبة حصاد القمح، كما احتفلوا **بعيد المظال** (The Feast of Tabernacles)، وهو في الأصل عيد زراعي كان يعرف "بعيد الجمع" أي جمع المحصول، ثم صار يسمى عيد المظال، حيث كان اليهود يقيمون في بساتين من العنب أثناء جمع المحصول في مظال من فروع الأشجار المورقة ليستضلوا بها من الشمس صباحا وبرودة الليل مساء لمدة سبعة أيام. أنظر: هابيل فهمي عبد الملك، المرجع السابق، ص209.

(4) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص33؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص281، 282.

(5) **ليونتوبوليس**: أو "تل اليهودية" هو اسم لعدة مواقع أثرية في مصر ولكن يقع أهمها قرب "شبين القناطر"(محافظة القليوبية) في شرق الدلتا حوالي 20 كم شمال شرق القاهرة، وقد كان الموقع مسيطرا من طرف "الهكسوس" في المرحلة الانتقالية، وبني معبد "لرمسيس الثالث" في عهد الأسرة 20، وأصل هذا الاسم هو معبد يهوه الذي شيد هناك حوالي عام 160 ق.م على غرار الهيكل الذي وجد في أورشليم. أنظر:

Kathryn A.Bard, Steven Blake Shubert, **Encyclopedia of The archaeology of ancient Egypt**, Routledge, London, New York, 1999, 964.

(6) يبدو أن الحاكم لم ينفذ أوامر الإمبراطور بحذافيرها، إذ كان يخشى إثارة يهود مصر إذا أقدم على تدمير المعبد، ورأى أن إغلاقه حلا وسطا يرضي الإمبراطور ولا يغضب اليهود إلى حد يدفعهم إلى الثورة، ولكن لم يكن ذلك كافيا لإيقاف الفتن وأن الاضطرابات استمرت مما اضطر خلفة باولينوس (Paulinus) إلى تجريد المعبد من كنوزه ثم أغلقه نهائيا وحرم على اليهود الدخول إليه. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص171، 172؛ Martin Goodman and others, op.cit, p275.

(7) Flavius Joséphe, **Guerre...**, VII, X, 2.

الإمبراطور فسباسيانوس على اليهود أن يدفعوا ضريبة[2] تذهب لمعبد الإله جوبيتر في روما، وهي ذات الضريبة التي كانوا يؤدونها لمعبد أورشليم[3].

أما سياسة الأباطرة اتجاه الديانة المصرية فقد شهدت تعاطفا مع الآلهة المصرية، فعندما تولى تيتوس العرش بعد وفاة والده في عام 79 م أظهر احتراما للآلهة المصرية وعلى رأسها الربة إيزيس[4]، وقد استمر هذا التقدير في عهد تيتوس حتى وفاته في عام 81 م، ولا يغيب عن بالنا أن تيتوس كان منذ البداية ميالا إلى احترام الآلهة المصرية، وعندما كان في مصر حرص على حضور احتفال تقديم القرابين للعجل أبيس[5]، واتخذ الإمبراطور دوميتيانوس نفس السياسة في احترام العقائد الدينية المصرية، وفي عهده أحيى المصريون عبادتهم القديمة التي كان قد أوقفها الأباطرة الأوائل، حيث أصبحت عبادة إيزيس طبقا لقرار الإمبراطور الذي ينص على اعتبارها ديانة رسمية، وبذلك يكون الاهتمام بالعبادات المصرية واضحا بوجه عام وأدلته تبينها العملة التي سكت في عهده يغلب عليها الطابع المصري[6].

أما موقف الحكومة الرومانية من الكهنة، فقد قام أوكتافيوس أغسطس بوضع سياسة تهدف إلى الحد من ثروة رجال الدين الضخمة وكبح جماح نفوذهم السياسي، والذي تمكنوا من انتزاعه لأنفسهم

---

(1) يعود هذا المعبد إلى عصر بطلميوس السادس الذي سمح لهم أن يبنوا على مكان معبد مصري في ليونتوبوليس معبدا يهوديا على نمط معبد هيكل أورشليم ليقيموا فيه طقوس ديانتهم، وقد ظل المعبد مستعملا حتى أغلقه الإمبراطور "فسباسيانوس" عام 73 م. أنظر: ابراهيم نصحي، **تاريخ مصر**...، ج2، ص ص162، 163.

(2) فرض الرومان ضريبة على اليهود لإصلاح ما تم تدميره، وهي ضريبة نصف شيكل (Shekel) التي تساوي دراخمتين، وكانت تخصص في الأصل لمعبد أورشليم، ويتم فرضها سنويا على البالغين الذكور، ولكن الرومان قاموا بمضاعفة هذه الضريبة أربع مرات وأصبحت تفرض على جميع أفراد الأسرة بما فيهم العبيد منذ بلوغ الطفل سن الثالثة، وخصص دخلها لإصلاح معبد جوبتير الذي تم تدميره في أورشليم نتيجة لأحداث ثورة اليهود. أنظر: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص33.

(3) نفس المرجع؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص281، 282؛ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص146.

(4) ومما هو جدير بالذكر أن عبادة الربة إيزيس لقيت رواجا في روما منذ عهد بعيد، ولكن السلطات الرسمية كانت تحاربها وتحول دون انتشارها بين الرومان، ولكن في عهد فسباسيانوس وجدت هذه الربة تقديرا كبيرا من هذا الإمبراطور، حتى أنه سك عملة عليها صورة الربة إيزيس، وفي عام 94 م أعاد الإمبراطور دوميتانوس بناء معبد إيزيس في ساحة الإله مارس في قلب روما، وذلك بعد تعرضه للتدمير على إثر حريق في عام 80 م، وقد شكل موقف الإمبراطور دوميتيانوس السياسة الرسمية للدولة اتجاه المعبودات المصرية، وهي سياسة قامت على الاحترام على الرغم من معارضة قطاع من الرومان لهذه السياسة لأنهم كانوا يستهجنون بعض مظاهر العبادات المصرية التي تقدس الحيوان. أنظر: أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص282؛ أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص114.

(5) أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص282.

(6) عنايات محمد أحمد، **تاريخ مصر في العصرين اليوناني والروماني**، مطبعة راكوتيس، د.م، د.ت، ص 243.

خلال فترة البطالمة، فقد نتج ذلك تقلص عدد المعابد وممتلكاتها، وخضوع سجلات رجال الدين الشخصية وحسابات المعابد المالية لفحص دوري من قبل ممثلي مدير الحساب الخاص، ومنع الكهنة منعا باتا من التدخل في أي نوع من أنواع الأنشطة فيما عدا ما يتعلق بالخدمة الدينية وإلا عرَّضوا أنفسهم لأشد أنواع العقاب، وشُلّت قدرة رجال الدين بإشعال ثورات ضد الحكومة الرومانية، لذلك نجد أغلب الثورات لم يقم بها المصريون بل كان يقوم بها الإغريق، ولم نسمع عن كاهن مصري يقوم بثورة ضد الرومان إلا بعد قرنين من مجيئهم- يقصد ثورة الرعاة 172 م التي سبق وأن درسناها-[1].

ولكن من جهة لم تجد الحكومة أي داع للتدخل في أمور هذه الجماعة لأن هذا ما يساعد سياستها في التمييز بين الطبقات، وقد ذكر في لائحة الحساب الخاص وهو رئيس الإدارة التي تشرف على الشؤون الدينية في مصر: " **أنه يسمح للأفراد الذين تم تعيينهم في المعابد أن يقوموا بخدمة الشعائر الدينية في المعابد الإغريقية**"، وتبعا لذلك لم تكن هيئة كهنوتية لمعابد الآلهة الإغريقية في المدن وعواصم الأقاليم المصرية، بل كان لديهم موظفون وإداريون يتم اختيارهم سنويا من بين مواطني عواصم الأقاليم للإشراف على الاحتياجات المادية للشعائر والهياكل المقدسة، ويشبه هؤلاء الموظفين الشماسة ووكلاء الكنائس اليوم، أما ذلك الشخص الذي كان يحمل اللقب الفخم رئيس الكهنة، فكان في واقع الأمر أحد موظفي عواصم الأقاليم، يظل يحمل اللقب طوال حياته ويمثل وصفا اجتماعيا أكثر من كونه يحوي مغزى دينيا معينا، وعلى العكس من ذلك فقد كان لمعابد آلهة المصريين هيئة وراثية من الكهنة تقوم بخدمتها عدد من الكهنة بدرجات ومراتب متعددة، وأدت زيادة الاحتفالات الدينية إلى زيادة عدد العاملين في هذه المهنة[2].

---

[1] كان الرئيس الديني الجديد لرجال الدين المصري هو (Idiologos)، وقد دلت الوثائق التي عثر عليها على مدى الدقة والنظام الذي كان متبعا في الإشراف على المعابد والكهنة من حيث تولي الوظائف الدينية والقيام بواجباتهم وملابس الكهنة، وكان المفتشون يذهبون إلى المعابد لمعرفة سيرها، وكان كاتب القرية يساعد في إدارة المعبد بكتابة تقارير شهرية عند حضور الكهنة لعملهم، كما كان المدير (Strategos) مسؤولا عن الحسابات السنوية من حيث الإيرادات والمصروفات والنفقات، أما إدارة المعابد فكانت في يد جماعة من الكهنة يختارون سنويا، واستمر هذا النظام حتى 200 م عندما أصبحت خاضعة لنظام البلدية، أما الكهنة فكانوا ينقسمون إلى الكهنة الكبار (Prophets) و (Stalistoi) وحامل الريشة والكاتب الكهنوتي والفلكيون، وكان يتحتم على معبد يكون فيه كاهن أعظم له خُمُس دخل هذا المعبد، وكانت وظيفته وراثية، وكان يمكن شراء هذه الوظيفة من الحكومة في ظروف خاصة عندما لا يوجد وريث. أنظر: أحمد محمد عنايات، المرجع السابق، ص ص334، 335.

أنظر: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص98-100؛ عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص ص333-335.

[2] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص98-100.

3. عبادة الإمبراطور:

بالإضافة إلى العبادات المصرية والإغريقية والرومانية نجد ممارسة عبادة الأباطرة الرومان، بالرغم من أنها كانت طقوسا رسمية أكثر من كونها طقوسا روحية، حيث شملت الأحياء باعتبار أن القداسة شملتهم كما الأموات[1] ، هذه المكانة كانت ذات وضع خاص في الشرق بصفة عامة ومصر بصفة خاصة، حيث كانت فكرة الحاكم تقوم أساسا على أنه لم يكن إنسانا مثل سائر البشر وإنما ابنا للإله، وهو بهذه الخاصية الأخيرة يعد إلها بنفسه، وبناء على هذه النظرية التي تقدسه وترفعه إلى رتبه الإله حلت عبادة الأباطرة في مصر محل عبادة الملوك الفراعنة ثم البطالمة، حيث كان لهم في الإسكندرية مخصص لذلك هو معبد القيصرون أو السباستيوم [أنظر: **الصورة رقم 10**] [2].

كان هذا المعبد يؤرخ لعبادة الإمبراطور، هو معبد قيصر الذي أمرت كليوباترا ببنائه بعد مقتله في روما، وذلك لكي يعبد على أنه إله، ولكن بعد سيطرة أوكتافيوس أغسطس على الإسكندرية كرسه لنفسه، ولكن بقي المعبد محتفظا باسم قيصر وكذلك بوظيفته، وكرس لعبادة أغسطس والآلهة الرئيسية والأباطرة الأحياء، وبالرغم من تحفظات المؤرخين والكتاب على عبادة القياصرة الرومان وتأليههم أنفسهم، فإن فيلون الفيلسوف اليهودي كتب يمتدح فيها معبد قيصر[3] ويقول[4]:

إذا كان علينا أن نتخيل مرتبة الشرف الجديدة، لا يوجد مكان في الأرض كله من تكريم لأوليمبيا والمعابد والأضرحة والبساتين والأروقة يتفوقون بجمالهم وعظمتهم على جميع المباني التي كانت مخصصة قديما أو مؤخرا لقيصر سوى في مدينة الإسكندرية، في الواقع لا شيء يضاهي المعبد المسمى سيباستيون (Sébastion)، الذي أقيم في هذه المدينة لأغسطس، حامي الملاحة، يقع هذا النصب مقابل الميناء على ارتفاع ؛ إنه ضخم، رائع ، لا منافس له، وهو أكثر من أي دولة أخرى مليء بالقرابين واللوحات والتماثيل مزينة في كل مكان بالذهب والفضة، إنه فسيح، مزين برواق،

---

[1] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص95.

[2] محمد أحمد عنايات، المرجع السابق، ص274.

[3] كان هذا المعبد يتقدمه مسلتان مصريتان تعودان إلى عهد الملك تحتمس الثالث ارتفاع كل منهما 18.7 م، هاتان المسلتان أمر أغسطس بإحضارهما إلى الإسكندرية في العام 18 من حكم قيصر ويقابل العام 13 ق.م من حكم أغسطس، هاتان المسلتان أشتهرتا في الآداب العالمية بعد ذلك تحت اسم "مسلتا كليوباترا"، في عام 1877 م نقل الانجليز إحدى هاتين المسلتين إلى لندن، وفي عام 1879 م حصلت أمريكا على المسلة الأخرى، وهي تقف الآن في أهم ميادين نيويورك. أنظر: مانفريد كلاوس، **الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم**، تر نادى أحمد، مراجعة صلاح الخولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص153، 154.

[4] Philon**, Légation a Caïus ou Des Vertus**, 150, 151.

مكتبات،... كل شيء فخم بشكل مثير للإعجاب. هنا يكمن أمل الآتين إليه، هو مكان آمن عند الدخول أو الخروج منه".

وهكذا وفقا لفيلون معاصر تيبريوس وكاليجولا، كان في وقته قد تم الانتهاء من المعبد وتكريسه للعبادة، ومن الواضح أنه قد كُرّس للإله قيصر أغسطس[1] في عامي 12 و13 ق.م، حيث أدخلت عبادته مع عبادة قيصر على أنه إله أيضا، واحتفل بهذه المناسبة من قبل البحارة في مدينة بوتسوولي (Pozzuoli) الإيطالية جاؤوا من الإسكندرية[2]، وكان من أغاني البحارة أغنية فيها ثناء لقيصر ورفاهيتهم "نحن مدينون لك بخلاصنا وتجارتنا وحريتنا وجميع ممتلكاتنا"[3].

ولم تقتصر عبادة الأباطرة على هذا المعبد بل كانت تماثيلهم تقام في معابد الآلهة الكبرى وتصور على جدرانها، فعلى جدران معبد إسنا (Latopolis) نجد سلسلة من صور الأباطرة الرومان لعل آخرهم الإمبراطور ديكيوس[4].

الصورة رقم 10: واجهة معبد قيصرون.

ريهام عماد على، **معبد القيصرون**، https://www.civgrds.com/caesarion.html

---

[1] Tassos Demetrios Néroutsos, **Notice sur les deux obélisques qui étaient placés devant le césaréum à Alexandrie,** bulletin de correspondance hellénique, Vol 2, 1878, p177.

[2] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص157، 158.

[3] Suétone, **Vie des douze Césars Auguste**, Traduction française de M. Cabaret-Dupaty, Paris, 1893, (avec quelques adaptations de J. Poucet, Louvain), 2001, XCVIII, 2, 3.

[4] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص275.

وعند زيارة الإمبراطور فسباسيانوس إلى الإسكندرية عرض نفسه أمام الشعب على أنه إله حي وبصفة خاصة على أنه سيرابيس الحي، واستخدم سلسلة من معجزات الشفاء كدعاية لحكمه، ولنتابع أولا ما قاله سيوتون[1]:

" لذلك بدأ فسباسيانوس الحرب الأهلية أرسل جنرالاته وقواته إلى إيطاليا، وذهب إلى الإسكندرية للحصول على مفاتيح مصر، وبعد أن أبعد مرافقيه هناك دخل بمفرده لمعبد سيرابيس لاستشارته حول فترة حكمه وليتلقى آية إلهية، وعندما استدار بدى له المفرج باسيلديس قد أتى بأكاليل ومخبوزات الأضحية، وفقا للممارسة المعمول بها في المعبد...لم يتم الانتظار حيث مثَّل رجلان عاديان أحدهما أعمى والآخر أعرج أمام محاكمته، وتوسلوا إليه أن يشفيهم على تأكيد أن سيرابيس أعطاهم أثناء نومهم أن المرء سيستعيد بصره إذا أراد الإمبراطور...وأن الآخر سيقف ثابتا على ساقيه إذا كان يرغب في لمسه بقدمه فسباسيانوس..." .

وتعقيبا على ما قاله سيوتون أن أول شيء يراه المرء بعد أن يتحول عن الرب يعتبر نبوءة، وللحصول على هذه النبوءة ذهب فسباسيانوس إلى المعبد وكان راضيا بالخير الذي وصله، وكان اسم الرجل الذي قابله في خياله، مع الأخذ أن معجزة ظهوره تصبح واضحة وجلية، ويندرج تحت اسمه مصطلح باسيليدس وهو يساوي في معناه كلمة ملك، وحامل هذا الاسم يعلن أو يؤكد ما يعنيه هذا الاسم ويبشره بتوليه الحكم، وهو أن فسباسيانوس عن طريق الشرعية الإلهية هو فرعون مصر، وفي الوقت نفسه قيصر الإمبراطورية، وكان قد دخل أولا دون حاشية إلى السيرابيوم ليعرف مستقبل حكمه ثم ألقى خطبة على الشعب الذي رحب به، فعند ظهوره يتم تحيته بالأمنيات المباركة، وعند مخاطبته يتم ذلك بكلمة السيد وفي هذا إضفاء للألوهية على القيصر، ثم يتبع ذلك حفلات، وكانت المخاطبة له بابن آمون رع وبالشمس المشرقة، وقد ورد إلينا الترحاب الذي تردد عند ظهوره في مضمار السباق: السيد والقيصر، الإله، رجل الخير سيرابيس. وفي السياق نفسه تتم مخاطبته بكلمات الإله القيصر فسباسيانوس، وفي الختام تمدح الجموع الحاكم لأنه أرسل إليها هذا القيصر الإله في الإسكندرية[2].

مثل هذا الاحتفال بالجلوس على العرش في مصر والإسكندرية كان يتطابق مع تقاليد عمرها آلاف السنين، هذه الخلفية تتوافق مع تصوير القيصر الروماني على هيئة أبي الهول، وملامح فسباسيانوس

---

[1] Suétone, **Vie des douze Césars, Vespasien**, VII.

[2] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص179، 180.

بجبينه المقطّب التي ترمز إلى الجهود المبذولة والاهتمام الدائم بالدولة، تتفق مع صور التعبير المصرية العتيقة وعناصر التكوين كما هي هيئة أبي الهول الضخمة، ومن ناحية أخرى قد تم الربط بين ظهور فسباسيانوس في الإسكندرية وعبادة القيصر الروماني، حيث جاء وصوله مع مقدم فيضان النيل لأنه هو الواهب للحياة، وإجمالا يتناسب ظهوره مع البيئة السياسية والدينية في مصر والتقاليد الموروثة، وكان يتصرف كالإله سيرابيس الحي، فهو مثله يسيطر ويستطيع في الوقت نفسه الإتيان بأعمال خارقة للطبيعة، وبذلك أصبح بعد أحداث المعبد حاكما متوجا وإلها[1].

زار كثير من القياصرة الرومان مصر، ولكن إقامة القيصر المحب للأسفار هادريانوس هي التي تركت الانطباع الأقوى، ولا يهمنا تفاصيل رحلته فقد ما له علاقة بتقديسه ومظاهر الألوهية، حيث قام بأداء الشعائر الدينية، ودائما ما كانت مسكوكات مدينة الإسكندرية تسجل تفاصيل إقامة القيصر في مشاهد أظهرت هادريانوس في طبيعته المزدوجة كإنسان وإله، فيقوم بتقديم القرابين كإنسان، أما الجانب الإلهي للحاكم فجعلت منه العملات المعدنية موضوعا وهي تلك العملات التي تظهره داخل المعبد ومعه الإله سيرابيس [أنظر: الصور 1، 2، 3: **الصورة رقم 11**][2].

الصورة رقم 1 عبارة عن قطعة نقدية للإمبراطور هادريانوس يظهر على وجه القطعة صوب اليمين ملتحيا وله شارب، وقد تكلل رأسه بنبات الغار، ويحاط بالصورة كتابة نصها كالتالي:

AVT(οκράτωρ) ΚΑΙΣ(αρ) ΤΡΑΙΑΝ(ός) ΑΔΡΙΑΝΟΣ CEB(αστὸς)

وترجمتها: الإمبراطور قيصر تراجانوس هادريانوس أغسطس، وتصور الإله سيرابيس جالسا على كرسي العرش والمزين أعلاه بتمثالين للربة فيكتوريا إلهة النصر، وقد ظهر سيرابيس ملتحيا وله شارب، ويتجه ناحية اليسار ويعلو رأسه مكيال الحبوب، ويرتدي الهيماتيون الطويل، ويستند بيده اليسرى على الصولجان الطويل، بينما يمد يده اليمنى باتجاه **كربيروس**[3](Kerberos) الجالس عند قدميه.

---

(1) مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص182-184.

(2) نفس المرجع، ص ص189، 190.

(3) يظهر الإله سيرابيس في هذا الطراز بوصفه إلها جنائزيا وحاكما لعالم الموتى، وقد جاء إضافة تصوير الكلب كيربيوس إلى جانب الإله سيرابيس، للإشارة إلى ارتباطه بالإله بلوتو معبود العالم السفلي عند الرومان، ولإضفاء مزيد من الطابع الديني والجنائزي على الطراز، وقد عرف الكلب كيربيروس في الأساطير اليونانية القديمة بوصفه مسخ خرافي يحكم عالم الموتى يقف حارسا على بوابات هاديس، وهو ابن العملاق تيفون من التنينة إيكيدنا، وهو عبارة عن كلب يتوزع منه ثلاثة رؤوس أحدهما لأسد وثانية لكلب وثالثة

الصورة رقم 11: قطع نقدية للعملة المصرية في العهد الروماني.

https://www.coinarchives.com

لذئب. أنظر: خالد عصام الدين اسماعيل، **تصوير العناصر المصرية على عملة مصر تحت الحكم الروماني في الفترة من 30 ق.م وحتى 296 م**، رسالة لنيل درجة الماجستير من قسم الآثار، جامعة عين شمس، 2013، ص ص25، 26، 410.

أما الصورة رقم 2 فتمثل عملة مصرية توضح الإمبراطور هادريانوس على اليسار، وعلى اليمين تمثال نصفي للإله سيرابيس، وهي عملة جميلة ومثيرة للإعجاب[1].

أما الصورة رقم 3 فتوضح عملة سيرابيس والقيصر يقفان في مواجهة بعضهما البعض في معبد، ويحمل سيرابيس سلة ثمار في يسراه وصولجانا طويلا وكرة أرضية في يمناه الممدودة، ويقف أمامه القيصر مرتديا فوق رأسه إكليل الغار، وبينهما صندوق كتب عليه هادريانوس (AAP/IA/NON)،[2].

وتوجد لفافة بردية يبلغ طولها أكثر من مترين، وهي عبارة عن سجلات معبد جوبيتير الكابتوليني في الفيوم من عام 215 م، وقد أقيم في ذلك المعبد الذي شيد لكبير آلهة الرومان تمثال للإمبراطور الحاكم كاراكلا، وفيه كان يحتفل بالأعياد الرومانية، وبكثير من أعياد ميلاد أفراد الأسرة الإمبراطورية[3].

ونجد بعدما منح كاراكلا سكان الإمبراطورية حق المواطنة الرومانية نقوش ممجدة له، والتي عثر عليها بجزيرة أنتيرودس (Antirhodos) بالميناء الشرقي للإسكندرية تدخل في نفس السياق ومنها:

" إلى سيد الأرض والبحر وكل أرجاء المعمورة، حاكم الكون، المحب لسيرابيس، الخالد، القيصر ماركوس أورليوس سيفيروس أنتونينوس الإله".

وبهذا المضمون جاءت تلك النصوص التي عثر عليها في تلك الجزيرة، وتعد هذه الجزيرة ومعبد قيصرون مقرا بارزا لعبادة القيصر في الإسكندرية، وكانت نقوش التمجيد تلك لكاراكلا من صنع الكهنة القائمين على عقيدة قيصر بالمدينة وأيضا من الرومان والإسكندريين، وتم تلقيبه مباشرة بالإله، وأصبح الحاكم خالق الكون يتضمن فعلا إلهيا هو فعل سيرابيس[4].

وتعطينا وثائق بردية صورة واضحة لتقديس المواطنين الرومان للأعضاء المؤلهين من سلالة الأباطرة وزوجاتهم، ويتضح مما تقدم أن المركز الذي اكتسبه الإمبراطور بين رعاياه كان لابد أن يفقده في ظل الديانة المسيحية تلك المكانة، وبات ينظر على المسيحية أنها تهدد مركز الإمبراطور الديني والسياسي[5].

---

(1) https://www.coinarchives.com

(2) مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص189، 190؛ https://www.coinarchives.com

(3) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص96، 97.

(4) مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص212.

(5) عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص275.

ثانيا: ظهور المسيحية وعوامل انتشارها:

1. بداية التبشير بالمسيحية :

بدأت دعوة المسيح عليه السلام في وقت كثرت فيه الفتن والاضطرابات بين الناس، وساءت العلاقة بين الأفراد والطوائف والجماعات، ولذلك فإن حالة المجتمع في ذلك الوقت قد بلغت حدا من الانحطاط والانحدار لم تبلغه من قبل سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية[1].

كانت المسيحية تدعو للمساواة بين جميع الناس من بين معتنقيها، بينما عانى الكثيرون من رعايا الإمبراطورية من التمييز الاجتماعي تارة والسياسي والاقتصادي تارة أخرى، الأمر الذي جذب الكثير من رعايا الإمبراطورية الرومانية نحو اعتناق المسيحية ومن ثم انتشارها[2].

إذا بدأنا بالأحداث المبكرة في المسيحية وبداية انتشارها كديانة نجد أحداثها تغطيها مصادر مسيحية لاحقة ومتأخرة في تاريخها مثل الكاتب المسيحي **ترتليان**[3]، حيث يذكر في مؤلفه ما حل بالمسيح على اليهود وموقف الإمبراطور الروماني تيبريوس حينذاك ومجلس السناتو فيقول[4]:

"قام تيبريوس الذي دخل عهد المسيحيين في عصره، بإبلاغ مجلس الشيوخ عن الحقائق التي أعلنت من سوريا – فلسطين، وهي حقائق كشفت هناك عن حقيقة ألوهية المسيح، بعد أن أعطاهم تصويته لكن لم يوافق مجلس الشيوخ ورفض هذا الأمر فلم يسبق أن أقره من قبل، أما قيصر فقد هدد المتهمين المسيحيين بالموت".

---

(1) أحمد جستنية، **تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه**، ط1، دار القلم، دمشق، 2000، ص55.

(2) أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص121.

(3) **ترتليان**: يعد ترتليان من أعلام المسيحية القدماء وأبرز المدافعين عنها، مثقف، فضولي يحتل مكانا مهما بشكل خاص في تاريخ المسيحية، ولكن أيضا في تاريخ الكتابة اللاتينية، ولد في قرطاجة حوالي 160 م، درس البلاغة والمحاماة وتثقف ثقافة هيلينية لاتينية، وعلى دراية كبيرة بالفلسفة والتاريخ والشعر والأدب القديم، ولقد مكنته دراسته للبلاغة من الدفاع عن المسيحية، ولقد كتب ترتليان كغيره من المدافعين عدة رسائل كان معظمها مجرد اتهامات موجهة إلى الحكومة الرومانية ودفع الاتهامات عن المسيحية في رسالته المسماة باسم الدفاع (Apologeticus)، وحاول إبعاد التهم الأخلاقية التي ألصقت بهم، وأصدر أيضا كتابه المسمى في المسرح (De Spectaculis)، وهو وصف ساحر للمسارح الرومانية التي قال عنها حصون البذاءة. أنظر:

عمر عباس العيدروس، المرجع السابق، ص ص289، 290؛ https://www.universalis.fr/encyclopedie

(4) Tertullien, **Apologétique**, Apologie du christianisme écrite en l'an 197 après J.-traduction littérale ParJ. P. Waltzing, deuxième édition revue et corrigée, librairie Bloud et Gay, Paris, 1914, V, 2.

ويضيف ترتليان سبب رفض مجلس الشيوخ [1]:

" للرجوع إلى أصل القوانين من هذا النوع، كان هناك مرسوم قديم يحرم على الإمبراطور تكريس إله جديد إذا لم يوافق عليه مجلس الشيوخ".

حسب قول ترتليان وهو أمر أثار استهجانه وسخريته[2]:"**هي نقطة أخرى مفيدة لقضيتنا، إنها متعة جيدة للبشر أن تعتمد ألوهية رب على قرار بشر، إذا لم يرض البشر عن هذا الإله فلن يكون إله؛ لذلك يجب أن يكون الإنسان ملائما للإله".**

تروي الأسفار أن المسيح اختار من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثني عشر حواريا كلفهم بتبليغ رسالته إلى بني إسرائيل:

"[1]ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ.[2]وَأَمَّا أَسْمَاءُ الاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا فَهِيَ هذِهِ: اَلأَوَّلُ سِمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ[3]، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيُوحَنَّا أَخُوهُ.[3]يلُبُّسُ، وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا، وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، وَلَبَّاوُسُ الْمُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ. [4] سِمْعَانُ الْقَانَوِيُّ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَه. [5]هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا.[6]بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"[4].

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالته صادقين ما عاهدوا المسيح عليه ما عدا يهوذا الإسخريوطي الذي خانه وأرشد **الفريسيين**[5] والرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه حسب زعمهم، وحينئذ اجتمع نحو

---

[1] Tertullien, V, 1.

[2] Idem.

[3] **بطرس**: هو رسول المسيح، ولد بصيدا بالجليل عام 10 ق.م، سماه المسيح "كيفا" ومعناه بالآرامية الصخرة وترجمتها اللاتينية بيتروس "بطرس"، واختاره رئيسا للكنيسة وهي في مهدها، وقد قام بزيارة جماعات المسيحيين الأولين في السامرة وسواحل البحر المتوسط، وعندما بدأت اضطهادات هيرود واغريباس غادر أورشليم وتوجه إلى أنطاكية، والتقى هناك بشاول "بولس"، وحدث خلاف بينهما، ثم ذهب بطرس إلى روما وأقام فيها، سجن أيام حكم نيرون ومات شهيدا عام 64 م، ودفن جثمانه في هضبة الفاتيكان، في هذا الموقع الذي بنيت فيه كنيسة الفاتيكان في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول، وهي كنيسة القديس بطرس الحالية. أنظر: هنري س. عبودي، **معجم الحضارات السامية**، ط2، جروس برس، لبنان، 1991، ص491.

[4] إنجيل متى 10: 1-6؛ إنجيل لوقا 6: 13-16.

[5] **الفريسيون**: هي كلمة معناها المنعزلون والمنشقون، يناظرون إلى حد ما فرقة المعتزلة عند المسلمين، وقد أطلق عليهم أعداءهم هذه التسمية ولهذا يكرهونها وسموا أنفسهم "الأحبار" أو "الإخوة إلى الله" أو "الربانيون". وقد نشأوا عن فرقة الحسيديين- من الفعل حَسَدَ

مائة وعشرون من كبار أتباع المسيح برئاسة بطرس كبير الحواريين، ووقع اختيارهم على اثنين ليكمل عدد الحواريين الاثني عشر وهما: يوسف بارسابا الملقب "يوستس" و"متياس"، ثم بالقرعة خرج سهم متياس فوقع اختياره، بالإضافة إلى ذلك فإن هناك سبعين رجلا كلفهم بالتبشير بالمسيحية في قرى الجليل، وأطلق على هؤلاء اسم التلاميذ، وبجانب هؤلاء كان هناك من صاحبهم وكان له الأثر في المسيحية[1].

وقد كانت الجماعة الأولى قد حصرت دعوتها في بني إسرائيل، ولذلك كانت دعوة الجماعة النصرانية الأولى مركزة هناك وعلى اليهود والوافدين من الخارج:

" [5] هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا.[6]بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.[7] وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ"[2].

وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الجماعة الصغيرة لصغرها فلما تضاعف عددهم كما يذكر سفر الأعمال:**"[4] وَكَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا الْكَلِمَةَ آمَنُوا، وَصَارَ عَدَدُ الرِّجَالِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفٍ"**[3]، ومن ثم قبض على بطرس وغيره من الرسل، وجيء بهم أمام محكمة السنهدرين، فحكموا بجلدهم ثم أطلق سراحهم، وعزم الفريسيون على استئصال الجماعة الأولى بالقوة، واضطر أتباع المسيح باستثناء رؤساء الحواريين إلى الهروب من بيت المقدس إلى المناطق المجاورة:

"[1] وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِيًا بِقَتْلِهِ. وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ"[4].

ونقلت إلى العبرية بمعنى رأف والحسيديم تعني الأتقياء، تمثل هذه الفرقة القاعدة الصلبة اليهودية، وعليها يعتمد جمهور اليهود، وهم متعصبون أشد حدود التعصب، يقاومون كل تطور ويتمسكون بحرفية النص، ويعتقدون بالبعث وقيام الأموات والعالم الآخر، وقفوا في وجه أي دعوة إصلاحية وحاربوها، وكانوا السبب في أكثر من كارثة لليهود نعدد منها: ثورة المكابيين 200 ق.م، ثورة باركوخيا، وقاوموا عيسى عليه السلام أشد المقاومة لأنه جاء ليغير ديانتهم حسبهم. أنظر: يوسف عيد، **موسوعة الأديان السماوية والوضعية الديانة اليهودية**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص ص76، 77؛ عبد المجيد هو، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع سوريا، 2003، ص ص54-57.

[1] أحمد جستنية، المرجع السابق، ص55.

[2] إنجيل متى 10: 5-7؛ أحمد جستنية، المرجع السابق، ص77.

[3] أعمال الرسل 4: 4.

[4] أعمال الرسل 8: 1.

وكان اليهود هم الذين حملوا راية التصدي لدعوة المسيح واقتفوا آثارهم ليضطهدوهم، فأرسلوا إلى دمشق شابا اسمه "شاول" اشتهر بكرهه لهم وبيده رسائل إلى اليهود ليلحقوا الأذى بهم:"[3]**وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ**[(1)]" .

ثم بدأ الاضطهاد يأتي من السلطة الحاكمة في البلاد، حيث تزعم القضاء على النصرانية "أغريباس الأول" حفيد هيرودوس الكبير، والذي حكم من 41 إلى 44 م، وتم ملاحقة أتباع المسيح واضطهادهم وسجنهم وإلقاء التهم الكاذبة لإيجاد مبرر للقضاء عليهم:

"[1] **وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيئَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ،[2] فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ.[3]وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضًا...**".[(2)]

وإزاء تصاعد حملات الاضطهاد انتشرت الدعوة في المدن اليهودية والسامرة وغيرها على أيدى النصارى المضطهدين أنفسهم، ومن ثم بدأت تنتشر في فينيقيا وقبرص وأنطاكية[(3)]:"[4]**فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ**"[(4)].

ليس مفاجئا إذا اعتقد المرء أن **يهود الشتات**[(5)] قد اندمجت منذ فترة طويلة بشكل حيوي في العالم الهيلينستي وكانت لهم علاقات عميقة، وكان هؤلاء المسيحيين من فلسطين على وجه التحديد متجذّرون في الشرق الهيلينستي مثل **ستيفن**[(6)]، فيليب، نيكولاس بأنطاكية، **برنابا**[(1)]، أبولوس

[(1)] أعمال الرسل 8: 3.

[(2)] أعمال الرسل 12: 1-3.

[(3)] أحمد جستنية، المرجع السابق، ص ص78، 79.

[(4)] أعمال الرسل 8: 4.

[(5)] **يهود الشتات:** كان يطلق على الذين يعيشون خارج فلسطين، وقد بدأ التشتت (Diaspora) الرئيسي ما بين القرنين 8-6 ق.م، والشتات يأتي من الكلمة الإغريقية (Disperse) بمعنى تفريق وتشتيت، ويوجد المصطلح في سفر التثنية 28: 25. أنظر:
Elizabeth Knowles, **The Oxford dictionary of fhrase and fable**, Oxford University Press, print publication date 2005, published online 2006.
أما في العصر الهيلينستي فكان يطلق على الذين هاجروا من مملكة يهوذا وأقاموا خارجها وسط الوثنيين وكان تشتتهم وانتشارهم على نطاق واسع في المدن الهيلينستية ظاهرة هامة تميزت بها حياتهم في ذلك العصر، وقد زاد عدد يهود الشتات كثيرا عن عدد اليهود الذي بقوا في يهوذا فبلغ عددهم في سوريا ومصر أضعاف عددهم في يهوذا. أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص28.

[(6)] **ستيفن:** ستيفن هو الاسم الأول من مجموعة "الشمامسة" السبعة الذين يمثلون المؤمنين "الهيلينيين" الذين يتعايشون مع الجالية المسيحية في القدس إلى جانب "العبرانيين"، كل من الهيلينيين والعبرانيين مسيحيون من أصول يهودية، فالأولى هم من الشتات

بالإسكندرية، الذين كانوا من مروجي فتح المهمة خارج الحدود من فلسطين إلى العالم الوثني، وتطوير نقد الشرك الوثني ومظاهره الثقافية والتبشير بالمسيحية[2] .

بعد خروجهم من القدس بدأ التبشير في فينيقيا وقبرص وأنطاكية في سوريا، هذه المدينة على وجه الخصوص أصبحت نقطة الانطلاق للنشاط التبشيري، حيث تم إرسال الرسل لنشر الرسالة، ووظيفتهم هي الانتقال من مدينة إلى مدينة لإعلان الإنجيل[3] وإيجاد مجتمعات للمؤمنين، التي تحتاج إلى هيكل دائم، من بين هؤلاء الرسل واحد مميز بشكل خاص وهو **بولس**[4].[أنظر:**الصور رقم 12، 13**]

ويتحدثون اليونانية، بينما الآخرون من فلسطين ويتحدثون العبرية أو الآرامية، وهو واعظ اليهود في الشتات، وقد حكم عليه بالرجم حتى الموت. أنظر:

Simon Claude Mimouni, **Étienne et la diffusion du message de Jésus, parmi les « hellénistes » dans le monde judéen de la diaspora**, Presses Universitaires de France, 2006, pp187-189. https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page-187.htm

[1] **برنابا:** كان أكثر ارتباطا بمجموعة العبرانيين في القدس أكثر من ارتباطه بالهيلينيين، ومع ذلك قدم الرابط بين مجتمع أنطاكية ومجتمع القدس، وقد ساعد بولس على تنظيم مجتمع أنطاكية في المناطق المجاورة لها وخاصة قبرص والأناضول، ربما يكون قد أنشأ أول رسالة مسيحية في الإسكندرية، وبناء على إنجيل برنابا هو ضمن الحواريين الاثني عشر، وقد ورد اسمه في أعمال الرسل عدة مرات، وعرف بإنجيل برنابا الذي ترجم إلى اللغة العربية في القرن العشرين، ونسخته موجودة في مكتبة البلاط الملكي في فيينا، ونسبة هذا الإنجيل إلى برنابا أقوى من نسبة بقية الأناجيل إلى أصحابها الذي يختلف معهم هذا الانجيل في نقاط أساسية هي: أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله، وأن المسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد وذكر محمدا باللفظ الصريح، وأن يسوع لم يصلب وأن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن الذي شُبّه به وأزال الهوة التي أحدثها بولس في العقيدة المسيحية. أنظر:

Simon Claude Mimouni, **Les mouvances « chrétiennes » vers la fin du i er siècle (communautés et interprétations)**, Presses Universitaires de France, 2006, p214 : https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page-209.htm ;

طارق خليل السعدي، **دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام**، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 2005، ص ص197-203.

[2] Pier Franco Beatrice, **Hellénisme et christianisme aux premiers siècles de notre ère parcours méthodologiques et bibliographiques**, Kernos, Vol 10, 1997, p39.

[3] **الإنجيل:** هي لفظة دخيلة إلى العربية ذات أصل يوناني "أونجيليون" ومعناها الخبر الطيب أو النبأ المفرح أي "البشارة"، ومع أن المسيح الذي بشّر بالإنجيل فهو كلمة الله، فإن الكنيسة (جماعة المؤمنين بالمسيح وتعاليمه) لا تعتبر الإنجيل كتابا منزلا، وإنما هو كتاب مقدس وضعه أبرار قديسون بإلهام من الروح القدس، وهو منبع العقيدة المسيحية، وتطلق على الإنجيل تسميات عدة هي في الحقيقة نعوت وصفات أطلقها الرسل والمبشرون والمؤمنون الأوائل، والعهد الجديد قياسا إلى التوراة التي هي العهد القديم. أنظر: أسعد السحمراني وآخرون، **موسوعة الأديان الميسرة**، ط1، دار النفائس، لبنان، 2001، د.ت، ص106.

[4] **بولس:** ولد بولس في مدينة طرسوس عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغرى حوالي 2 م، واسمه العبري "شاول"، وهو عبراني من سبط بنيامين حيث يقول: "**مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ**" (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي 3: 5). وقد حصل بمولده على الجنسية الرومانية،

والذي قام بعدة رحلات ونظم عددا كبيرا من المجتمعات[1].

فكونوا في أماكن متفرقة جماعات قليلة العدد في أول أمرها، وانتقلت من أورشليم إلى الحواضر مثل روما والإسكندرية حوالي منتصف القرن الأول الميلادي [2]، وبين هاتين المدينتين انتشرت الكنائس في سوريا وآسيا الصغرى واليونان ومقدونيا، ولم تكن ولم تكن تجمع هذه الكنائس وحدة دينية، وإنما كانت أشبه ما يكون بالمنتديات أو الهيئات الدينية[3].

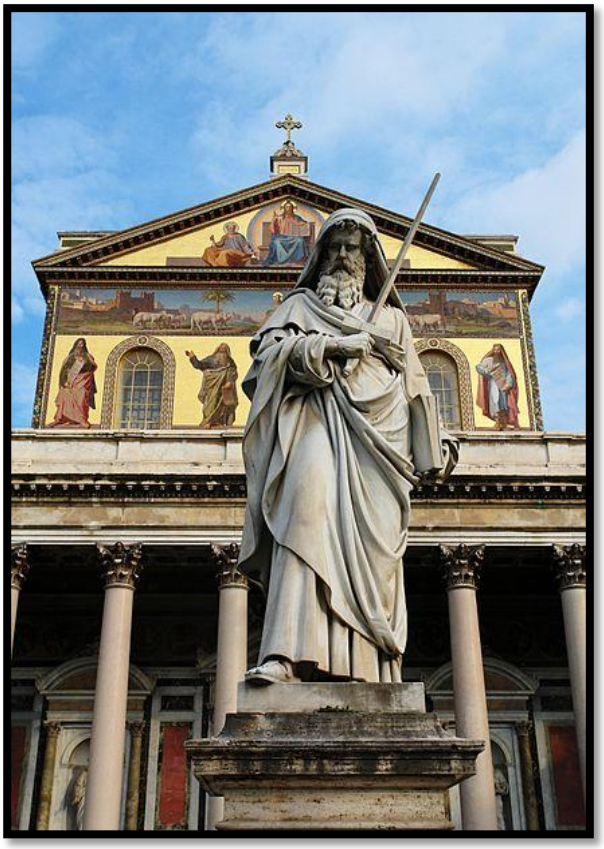

الصورة رقم 12: تمثال بولس أمام كنيسة القديس بولس في روما، وهو يحمل في يده السيف رمز الاستشهاد الذي قتله به الحاكم الروماني، وفي اليد الأخرى الإنجيل الذي بُشّر به.

الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص751.

والمعتقد أن بولس وبعد إكمال تعليمه في الثالثة عشرة أرسله والده إلى أورشليم ليدرس الناموس ككل على يد أشهر معلمي إسرائيل وهو "غمالائيل" الكبير. أنظر: الأب متى المسكين، **القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله**، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992، ص ص38-43.

[1] Pierre Maraval, **l'Organisation des communautes**, le christianisme des origines à Constantin, Presses Universitaires de France, 2006, p414: https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page-411.htm

[2] يعتبر بولس شخصية مؤثرة في التاريخ المسيحي وهو أول من قال بعالمية المسيحية وطور المبدأ الحر العالمي المطلق لها، وكان أكثر عملا من حيث الأقوال والأفعال، فهو الذي حمل رسالتها إلى العالمين اليوناني والروماني، بعد أن كانت محصورة في تخوم فلسطين، وقد بدأ جولاته بدعوة غير اليهود، وهذا كله حدث بعد المسيح، واستطاع أن ينشرها قولا وفعلا ويجعلها من اعتقاد المسيحيين اليوم. أنظر: Schaff, Philip, **History of the christian church apostolic christianity 1-100 A.D**, Vol I, Publisher: CCEL, 1882, pp177, 181 ;

محمد إبراهيم كركور، **تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس**، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006، ص74.

[3] أحمد جستنية، المرجع السابق، ص83.

الصورة رقم 13: قبة من الفسيفساء داخل كنيسة القديس بولس تمثل المسيح محاطا بالرسل القديسين: لوقا وبولس وبطرس وأندراوس.

الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص753؛ https://www.rome-passion.com/basilique-saint-paul.htm

ومن المعروف أن معلوماتنا عن تاريخ الكنيسة في عصرها الأول، وكذا انتشار المسيحية في أركان الإمبراطورية هي ضئيلة، وإن كان من الثابت أن الفضل يرجع إلى القديس بولس في تنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ووضع قواعد اللاهوت[1]، حيث كان كثير الجد في نشر الدين والتبشير بالمسيحية ويرسل الكتب والرسائل ويشرح فيها دعوته[2] .

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص31.

[2] محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرون**، مج 2، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص418.

وتجدر الملاحظة إلى أن بولس لم يكن من تلاميذ المسيح أو حواريه بل لم يرى المسيح في حياته، وكان عدوا لدودا للمسيحيين واضطهدهم، ثم أعلن دخوله فجأة بغير تمهيد للمسيحية، وقد تربى في مدينة **طرسوس**[1] في جو فلسفي يوناني، وأخذ حظا وافرا من العلوم الفلسفية التي انعكس أثرها في أفكاره بعد دخوله في المسيحية[2]، فكان له الفضل الكبير في تحريف المسيحية[3] عن مسارها وفي انتشارها إلى باقي الأمم، لأن بولس كان يبشر ولا يقيم وزنا للعقائد والطقوس، المهم أن يدخل أكبر عدد في الدين الجديد أيا كانت مِلّتهم ومذهبهم، لذلك تشتمل رسائله على كثير من اللاهوت خصوصا فيما يتعلق بالخلاص، وتدل على إلمامه بالثقافة الإغريقية، إلى جانب الثقافات الأخرى التي أدخلها وكيّفها مع المسيحية بتساهله وتفريطه في العقائد الأصلية[4].

وهكذا أخذت المسيحية تنتشر انتشارا كبيرا بحيث لم يكن ينتهي القرن الأول إلا وكانت كل ولاية رومانية مطلة على البحر المتوسط تضم جالية مسيحية، بل أن المسيحيين كوّنوا جالية ملحوظة في روما نفسها منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة 64 م، مما عرضهم لنقمة الإمبراطور نيرون واضطهادهم[5].

---

(1) **طرسوس**: عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغرى، كانت ذات شأن عظيم في أيام بولس الرسول، فهي أولا تعتبر أقدم المدن، وقد استوطنها الإغريق، وحازت على الحكم الذاتي في عهد بومبي عام 67 ق.م، وقد اندفعت المدينة في نهضة فكرية فلسفية عالية حتى فاقت أثينا والإسكندرية، وقد بلغ عدد الزوار والرواد لهذه المدينة طلبا للفلسفة أكثر من أهلها، فصارت طرسوس في نظر العلماء جامعة أكاديمية بحد ذاتها. أنظر: الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص38.

(2) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المرجع السابق، ص ص337، 339؛

(3) بدأ بولس بتأسيس ديانة جديدة على طراز هيلينستي إغريقي موجهة إلى الإغريق والرومان، فحوّل السيد المسيح من رسول من عند الله إلى إله إنسان، ليكون قريبا مما ألفته وتعودت عليه عقولهم، لقد أسقط الختان والسبت والغسل ومراسم عدة، وقدم للإغريق خارج فلسطين تشريعا جديدا فحلل الخمر والخنزير وخفف جرم الزنا وأباح كل ما هو موافق لأهواء الرومان:

"[19] **لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ**" (أعمال الرسل 15: 19)، "[21] **لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ !** [22]**الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ،** [23] **الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ**" (رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي 2: 21-23).

اتخذت دعوة عيسى عليه السلام منحى جديدا وخطيرا خارج فلسطين، فقد تحولت إلى عبادة إله هيلينستي جديد سماه بولس "**كريستوس**" (Chrestos) بمعنى الخير وتم قبول المسيح ضمن مصاف الآلهة، وأصبح فكر بولس عقيدة ودين في عام 325 م في مجمع نيقية،بصدور القرار من الإمبراطور قسطنطين باعتماد ألوهية عيسى رسميا.أنظر: أحمد شيخ البساتنة، **رؤية في أصول المسيحية– وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية إيطاليا 1981–**، ط1،التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2006، ص ص79-75.

(4) نعيمة إدريس، **أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007، ص ص149، 150.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص31.

2. دخول المسيحية إلى مصر:

كان ظهور المسيحية مع مولد الإمبراطورية الرومانية في الجزء الأخير من القرن الأول قبل الميلاد من أهم الأحداث وأكثرها تأثيرا في مظاهر الحياة وجوانبها، غير أن ظهورها كان خافتا أول الأمر يكتنفه كثير من الغموض، حتى أننا لا نعرف كيف نشأت وكيف انتشرت على وجه التحديد، فأصل المسيحية في الإسكندرية لا يعرف عنه سوى القليل، وفي نهاية القرن الثاني تقريبا يبدو أنها انتشرت بقوة والمرجح أنها وصلت إلى مصر منذ عهد مبكر جدا، فيوسيبيوس أكبر مؤرخي الكنيسة الأولين، والذي عاش في القرن الرابع الميلادي يروي[1] أن القديس مرقص[2] نفسه حضر إلى مصر وأول من بشّر بالدين الجديد في الإسكندرية[3] التي أقام أول كنيسة بها[4].

كان القديس مرقص من أوائل الذين تطوعوا لنشر المسيحية والتبشير بها[5]، وبدأ عملية التبشير مع الرسل السبعين حوالي سنة 40 م، حيث رافق القديس بطرس في أسفاره، فذهب معه في أورشليم ثم أنطاكية حوالي سنة 45 م ثم ذهب إلى قبرص ثم إلى جهات آسيا الصغرى ثم عاد إلى أورشليم، ليرسله بطرس إلى مصر والإسكندرية خاصة ليبشر فيها بالمسيحية قائلا له: " **قم وامض إلى مدينة الإسكندرية**

---

[1] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص232؛

Williston Walker and others, **History of the christian church**, fourth edition, Simon and Schuster, The United States of America,1985, p87.

[2] **مرقص**: اسم لاتيني معناه المطرقة وهو لقب ليوحنا، ويرجح أنه ولد في أورشليم لأن أمه سكنت هناك، وقد رافق بولس وبرنابا في رحلاتهم التبشيرية، وكان من الذين بشروا المسيحية بمصر وأسس بها كنيسة. أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، شركة Compubraill، د.ت، ص16؛

Bouillet.M.N., **Dictionnaire universel d'histoire et de géographie**, 26 Edition Paris, Librairie Hachette, 1878, p1181.

[3] ذهب القديس مرقص إلى الإسكندرية والعمل على نشر الديانة المسيحية وبها انتشرت إلى بقية أنحاء مصر، والعمل على تأسيس الكنيسة المرقصية بها لتكون أولى نقاط الارتكاز للمسيحية في الشرق، في حين قام القديسان بطرس وبولس بنشر الديانة الجديدة في روما. أنظر: عبد النور العمري، المرجع السابق، ص132؛ Alane k Bowman, op.cit, p191

[4] Eusebius Pamphilus, II, XVI.

[5] لمرقص إنجيل يسمى إنجيل مرقص، وهو أقصر الأناجيل وأقدمها ولكنه ليس كتاب رسول أي لس من الحواريين، وقد أخذ عنه مؤلفو الأناجيل الثلاثة خاصة متى ولوقا، وبالتالي يكون هناك احتمال بأن يكون إنجيل مرقص هو أول إنجيل كتب بين الأناجيل الأربعة، وفيه يشرح مؤلفه عن حياة عيسى ورسالته، وأهم ما في هذا الإنجيل هو تصويره لما روي عن صلب المسيح وموته. أنظر: موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، تر حسن خالد، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990، ص84؛ أحمد طاهر، المرجع السابق، ص30.

لتزرع فيها الزرع الجيد الذي هو كلام الله"[1].

قصد القديس مرقص مصر في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وذلك عن طريق الصحراء الغربية مارا بالوجه القبلي ومنها إلى بابليون التي أقام بها حتى سنة 58 م، وهناك كتب إنجيله باللغة اليونانية ثم غادرها إلى الإسكندرية وأخذ يبشر فيها بالمسيح، التي وصلها عام 61 م حيث وجد في مصر أرضا مهيأة لذلك[2]، وكان ذلك في عهد الإمبراطور نيرون (54-69 م)[3]، واتخذها مقرا ومركزا لأنها تجمع أجناسا مختلفة، كما أنها عاصمة مصر ومركزا هاما للتجارة، فضلا عن كونها مركزا علميا ممتازا.

وقد نزل القديس مرقص أول الأمر بأحد الحيين اليهوديين على إسكافي يهودي، إذ حدث أن اهترأ حذاؤه على طول السير، فطلب من هذا الإسكافي ويدعى أنيانوس (Annianus) أن يصلحه له، وأثناء قيام الإسكافي بإصلاح الحذاء دخل المخراز في إصبعه فأدماها، فصاح الإسكافي مستغيثا بعبارة "أيوس ثاوس" ومعناها "يالله الواحد أو قدوس الله"، وما إن سمع مرقص هذه الكلمات حتى اهتز فرحا، ودعا الله أن يبرئ الإسكافي، ثم دار حديث طويل بينهما واعتنق الإسكافي المسيحية على يديه، واتخذ القديس مرقص من بيته مركزا لنشر المسيحية في الإسكندرية[4].

إذن اهتدى على يدي مرقص صانع أحذية يهودي وهو الذي استشهد في عام 62 م بسبب تمرده على عبادة سيرابيس، ولا يوجد أي دليل على صحة هذا المعتقد، فبدايات الحركة الدينية كانت غامضة، ولم يكن لها أي علاقة بالطبقات الاجتماعية العليا، ولم تعرهم السلطات أدنى اهتمام إلا في حالة تمردهم على قوانينها، وكانت تعاليم هذه الحركة تختلط جزئيا مع اليهودية بالإسكندرية[5].

---

(1) ليلى عبد الجواد اسماعيل، **تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية– القبطية–**، دار الثقافة العربية، 2007، د.م، ص30.

(2) نفس المرجع؛ عبد النور العمري، المرجع السابق، ص132

(3) على أن القديس مرقص ما لبث أن سافر إلى روما تلبية لدعوة القديس بطرس، وظل بها حتى عام 67 م، وهو العام الذي استشهد فيه القديس بطرس في اضطهاد نيرون، ثم عاد القديس مرقص ثانية إلى مصر، وبعد عودته إلى الإسكندرية حقد عليه الوثنيون فدبروا مكيدة للقبض عليه، وفي أثناء احتفال القديس بعيد الفصح في 26 إبريل 68 م، وكان اليوم الذي يعبد فيه الوثنيون إلههم سيرابيس– والذي كانت عبادته أكثر شيوعا– فلما اجتمعوا للاحتفال بعيد سيرابيس خرج الوثنيون بعد أن انتهى الاحتفال، مندفعين نحو الكنيسة واقتحموها ووثبوا عليه وقبضوا عليه ووضعوا حبلا في عنقه، ثم وضعوه في السجن وفي اليوم التالي أخرجوه وجروه في الطرقات حتى توفي. أنظر: ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص32، 33.

(4) نفس المرجع، ص31.

(5) فورستر، **الإسكندرية تاريخ ودليل**، ترجمة حسن بيومي، مقدمة لورانس داريل، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، 2000، ص90.

في الواقع يذكر جيل دوريفال[1] (Gilles Dorival) أن هناك غموض يحيط ببدايات المسيحية في الإسكندرية، فأولا يجب أن نذكر أن الأصول المسيحية عموما غير مفهومة جيدا، فليس لدينا وثيقة وثنية عن المسيحيين قبل القرن الثاني الميلادي، فتاريخ المسيحية يعتمد في القرن الأول الميلادي على مجموعة من العهد الجديد، وعلى بعض الوثائق المسيحية خارج هذه المجموعة وعلى شهادات عبرية نادرة، وتعتبر بدايات المسيحية حالة غامضة بالإسكندرية بشكل خاص.

ويذكر كل مارسيل سيمون (Marcel Simon) وأندري بينوى (André Benoit) [2] أنه من الصعب أن نتصور أن الإسكندرية عاصمة الشرق والشتات اليهودي لم تتأثر بنشاط المسيحية التبشيري من الرسل، فصمت المصادر حول هذه النقطة يثير الاستغراب، ولكن وجود شظايا من ورق البردي المسيحي المبكر، والتي وجدت في مصر تشهد على وجود قديم للمسيحية في هذه المنطقة، في الواقع أن الرسالة إلى العبرانيين يمكن أن تكون قد كتبها مسيحي من الإسكندرية، وينطبق الشيء نفسه على رسالة برنابا، وهو دليل على تعليم مسيحي بها، والتي استخدمها يهود الإسكندرية على نطاق واسع، وربما يكون اللغز المحيط بالأصول المسيحية في الإسكندرية نابعا من حقيقة أن المسيحية ظهرت لأول مرة على أنها بدعة وفُضّل الصمت عنها، وتجدر الإشارة إلى أن تطور مدرسة اللاهوت في الإسكندرية في نهاية القرن الثاني للميلاد –التي سنذكرها بالضرورة– قد سبقه بالفعل تطور النظم والجماعات المسيحية.

إن الأحداث المرتبطة بالمسيحية في مصر خلال القرن الأول الميلادي فلا تكاد تصلنا معلومات ذات قيمة من المصادر التاريخية على الرغم من قرب مصر الجغرافي من فلسطين، وعلى الرغم من هروب **العائلة المقدسة**[3] من فلسطين إلى مصر خوفا من بطش الملك هيرود، الذي أخبرته نبوءة بمولد المسيح

---

[1] Gilles Dorival, **Les débuts du christianisme à Alexandrie**, Actes du 9ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 2 & 3 octobre 1998, publications de l'académie des inscriptions et belles lettres, Tome 9, 1999, p157.

[2] Marcel Simon, André Benoit, **l'Expansion chrétienne**, Le Judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998, pp108, 109 : https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-106.htm

[3] يعد مجيء السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى مصر من أهم الأحداث التي جرت على أرض مصر، وتحتفل الكنيسة المصرية القبطية الأرثوذكسية حيث تحتفل بعيد مجيء العائلة المقدسة إلى مصر في اليوم الرابع والعشرون من شهر بشنص– وهو يوافق الأول من شهر يونيو–، حيث يعد هذا العيد أحد الأعياد السيدية الصغرى– الأعياد السيدية هي الأعياد المرتبطة بالسيد المسيح ومنها الأعياد السيدية الكبرى مثل عيد الميلاد وعيد القيامة وعيد الغطاس وغيرها، ومنها الأعياد السيدية الصغرى مثل عيد دخول السيد المسيح أرض مصر، وفي ذكرى هذا اليوم تبتهج الكنيسة وتقول في تسبيحتها الكنسية الاحتفالية لهذا اليوم: "**افرحي وتهللي يا مصر، ويا أهل مصر وبنيها وكل تخومها، فإنه قد أتى إليك محب البشر الكائن قبل الدهور**".

في بيت لحم فأمر بقتل كل الأطفال الذين ولدوا هناك قبل عامين من مولده، ومع ذلك فهناك إشارات ضمنية في بعض المصادر وبعض المعلومات الغير المؤكدة من مصادر متأخرة لم ترد في المصادر المبكرة، فمثلا كما ذكرنا أورد يوسيبيوس أسقف قيصرية أن القديس مرقص كان أول من أقام كنيسة في الإسكندرية، وصارت هذه الرواية من بعده تقليدا سار عليه كل من كتب عن المسيحية من بعده، ولكن صيغة هذه الرواية كما وردت عن يوسيبيوس ضعيفة[1] إذ يقول[2]:

" **يقولون أن مرقص هذا كان أول من أرسل إلى مصر ليبشر بالإنجيل الذي شارك بنفسه في كتابته، وكان أول من أقام كنيسة بالإسكندرية**".

ولم يذكر يوسيبيوس مصدره في هذه المعلومة رغم أنه اعتاد في أجزاء كثيرة من مؤلفه التاريخ الكنسي أن يحدد مصادره ، ولكنه في هذه الحالة اكتفى بضمير الغائب في "يقولون" وتركه دون تحديد، بالإضافة إلى أن علماء اللاهوت من الإسكندرية ذاتها أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث الميلادي لم يشيروا إلى هذه المعلومة عن القديس مرقص مما يزيد من غموضها[3].

ونستدل كذلك بالوثائق المشهورة في مصر خلال القرن الأول الميلادي هو خطاب الإمبراطور كلوديوس التي سبق وأن تطرقنا إليه في الفصل الثاني، ورسالته إلى الإسكندريين بمناسبة النزاعات المشتعلة بين الإسكندريين واليهود في المدينة[4]، ويذكر في إحدى فقرات هذا الخطاب موجها كلامه لليهود[5]:

"**وعليهم ألا يجلبوا أو يقبلوا يهودا ممن يفدون إلى المدينة من سوريا إلى مصر عن طريق النهر،**

ولا شك أن رحلة العائلة المقدسة إلى أرض مصر ليست بالأمر الهين، فهي رحلة شاقة فقد سارت السيدة العذراء مريم حاملة الطفل السيد المسيح عليه السلام، وأما المذبح الكائن وسط أرض مصر فهو كنيسة السيدة العذراء مريم الأثرية بدير "المحرق العامر"، حيث مكثت العائلة في هذا المكان أكثر من ستة أشهر كاملة وسط المذبح، وهو الحجر الذي كان ينام عليه الطفل، كما أصبحت بمصر كنائس كثيرة خصوصا في الأماكن التي زارتها العائلة المقدسة وباركتها. أنظر: هاني حنا، **رحلة العائلة المقدسة في مصر**، مكتبة الإسكندرية، صفحة مصريات، ص ص7، 11، الموقع:

www.bibalex.org/archeology/attachments/ArcheologicalCulturalSeason

[1] محمد السيد محمد عبد الغني، **جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001، ص406.

[2] Eusebius Pamphilus, II, XVI.

[3] محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص406، 407.

[4] المرجع نفسه، ص407.

[5] خطاب كلاوديوس (Letter of Claudius to The Alexandrians):**P. Lond., VI, 1912**

وهو الإجراء الذي سيضطرني إلى الشك والريبة، وإلا فإنني سأقوم بكل الوسائل للانتقام منهم بوصفهم قوما ينشرون الوباء الشامل يصيب العالم بأسره".

وقد فسر البعض هذا الكلام على أنها إشارة للرسل المسيحيين الذين كانوا يأتون إلى مصر من أنطاكية فيتسببون في قلاقل واضطرابات في الجالية اليهودية في الإسكندرية، كما يتضح من كلمة وباء التي استخدمها الإمبراطور، ويتضح من خطاب الإمبراطور كلوديوس وغيره من الوثائق البردية أن اليهود السوريين- ونقصد هنا سوريا الكبرى التي تضم الساحل الفينيقي وفلسطين- كانوا يتدفقون على مصر وأن يهود الإسكندرية كانوا يذهبون أحيانا إلى أورشليم، ولابد أنه كان هناك مسيحيون بين هؤلاء وأنهم سعوا لنشر المسيحية بالإسكندرية[1].

ويذكر ناجي أثناسيوس هينين[2] (Nagi Athanasios Henein) أنه بعد نشر هذه الوثيقة لاحظ العلماء أهميتها الاستثنائية حول المسيحية في ذلك الوقت، والسؤال ألن يكون من الأصح في ضوء ما قيل أن نشك في أن هذا التحذير يتعلق بكل من اليهود وهؤلاء "اليهود" كانوا مسيحيين .

لا يستبعد إمكانية وجود مجتمع إسكندري علم بالمسيح خلال الأربعينيات والخمسينيات للميلاد، حيث ظلت هذه الجالية مرتبطة بعمق بالبيئة اليهودية في المدينة من نواح كثيرة، وبالتالي فالمسيحية المصرية المبكرة هي المسيحية اليهودية.

ويذكر جيل دوريفال[3] (Gilles Dorival) أن الفكرة القائلة بأن المسيحيين قد كونوا عدد كاف داخل يهود الإسكندرية حتى عام 41م لإحداث توترات تهدد النظام العام، في الواقع أن السياق يختلف هنا، فقد كان الخلاف بين اليهود والإغريق مما أدى إلى تدخل الجيش الروماني، وكان رد فعل كلوديوس هو الحرص على الحفاظ على الهدوء، فمنع بشكل طبيعي وصول يهود جدد إلى الإسكندرية.

وإن يعتبر المؤرخون محتملا أنه كان هناك تيار يهودي مسيحي داخل الجالية اليهودية في الإسكندرية في القرن الأول للميلاد، ففي هذا القرن قرأ اليهود أعمال فيلون، وفي نهاية هذا القرن كان المسيحيون هم الذين استشهدوا به، فمن مجتمع إلى آخر يفترض وجود وسط يهودي مسيحي، ولكن هل نجا هذا

---

[1] محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص408.

[2] Nagi Athanasios Henein, **Le Monachisme egyptien révélateur de l'âme copte**, sous la direction de : M. Jean-Pierre LEVET, M. Ashraf Alexandre Sadek , Thèse pour obtenir le grade de docteur, Université de Limoges, 2008, p214.

[3] Gilles Dorival, op.cit, p159.

الوسط من كارثة 117 م؟. (هنا يقصد بثورة اليهود الكبرى 115- 117 م).

جوزيف ميليز[1] (Joseph Mélèze Modrzejewski) لا يعتقد ذلك، ربما كان على حق، فيمكن أنه كان هناك مؤشر لصالح استمرار التيار اليهودي المسيحي في الإسكندرية، ومع ذلك فإن مصطلح «judaïsants» "تهويد" لا يشير بالضرورة إلى المسيحيين اليهود، ولكنه قد يشير إلى المسيحيين من أصل وثني يرغبون في تبني ممارسات معينة للدين اليهودي.

والحق أننا لسنا على يقين تام من تاريخ دخول المسيحية إلى مصر بالتحديد[2]، وهذا ما تذكره الروايات المسيحية مثل ما أشرنا لمؤرخي الكنيسة يوسيبيوس، ولكن ليس هناك أي دليل معاصر يثبت وجود المسيحية في مصر خلال القرن الميلادي الأول، ومع ذلك نحن ندرك أن عدم وجود دليل لا يعتبر شاهدا على عدم وجود المسيحية في مصر في ذلك الوقت، فإن المبادئ والأفكار كانت تنتقل بسرعة لا تقل عما تنتقل به الآن، فعبادة إيزيس مثلا انتشرت بسرعة هائلة مع انتشار تجارة الإسكندرية إلى أرجاء الإمبراطورية الرومانية، فليس مستغربا إذن أن تسري المسيحية من فلسطين وسوريا إلى مصر في مسرى التجارة أو في مواكب الجيوش عن طريق البحر والبر وكلاهما آمن ومنتظم[3].

كما أن الإسكندرية كانت أعظم ميناء في شرق البحر المتوسط، وكانت مدينة عالمية يبحر إليها الناس من كل حدب وصوب ولاسيما من سوريا وآسيا الصغرى واليونان[4].

---

[1] Joseph Mélèze Modrzejewski

نقلا عن: Gilles Dorival, op.cit, p171

[2] محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص176.

[3] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص232.

[4] محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص407.

3. عوامل انتشار المسيحية:

أ. العوامل الجغرافية والاقتصادية والدينية:

لم يكن عدد المسيحيين في أول الأمر إلا قليلا، ثم أخذت دعوة القديس مرقص إلى المسيحية في الانتشار، وذلك بفضل فصاحته وقوة إقناعه التي يمكن ملاحظتها من إنجيله المقدس، الذي يعد من أقدم الأناجيل على أغلب الظن وتزايد عدد أتباعه في الإسكندرية، وتم تأسيس أول كنيسة في تاريخ المسيحية في مصر وهي الكنيسة المرقصية بالإسكندرية[1].

ومن عوامل انتشار المسيحية أولها العامل الجغرافي المتمثل في قرب مصر من فلسطين، هذه الأخيرة التي كانت جزءا من مملكة البطالمة سابقا، وكانت هجرة اليهود ميسرة فتشكل حينها في مصر شتات جديد لليهود[2]، وتواصل ذلك إلى غاية العهد الروماني .

حيث يستخلص من سفر أعمال الرسل أن يهود مصر كانوا على اتصال دائم ببني جلدتهم بفلسطين:

" [5]وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ"،"[8] فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا؟[9] فَرْتِيُّونَ وَمَادِيُّونَ وَعِيلاَمِيُّونَ، وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، وَالْيَهُودِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّا[10] وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ وَمِصْر..."[3].

ففي الوقت الذي كان فيه السيد المسيح موجودا بفلسطين زار يهود الإسكندرية أورشليم وسمعوا بردود الفعل التي أحدثتها تعاليم السيد المسيح ومعجزاته، بل أن بعضهم رأوا بأعينهم المعجزات وسمعوا بآذانهم ما قاله السيد المسيح عن قوة الله وعجائبه وشاهدوا إرشاده وتعليمه، ومنهم من مكث في أورشليم، ومن الطبيعي أن أخذ هؤلاء اليهود بعد عودتهم إلى مصر يقصون ما سمعوه وما رأوه في أورشليم على أقاربهم وذويهم، وهكذا أخذت أخبار المسيحية تنتقل إلى مصر عن طريق اليهود[4]، إذن فلابد وأن وجود فلاسفة اليهود وجالية اليهود الضخمة في الإسكندرية قد تأثرت بظهور المسيحية في فلسطين، وإن لم يكن بعض أحبارهم قد أقبلوا على المسيحية يبشرون بها[5].

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص31، 32.

[2] جاك حاسون، **تاريخ يهود النيل**، ترجمة يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص ص29، 30.

[3] أعمال الرسل 2: 5، 8، 9، 10.

[4] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص27، 28.

[5] مصطفى كمال عبد العليم، **مصر الرومانية**، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، 1972، ص47.

كانت مدينة الإسكندرية عاصمة مصر ومدينة تجارية مهمة، يفد إليها التجار من كل مكان من سوريا ومن آسيا الصغرى وبلاد اليونان، فضلا عن ذلك كانت مدينة الإسكندرية أهم ميناء في حوض البحر المتوسط الشرقي، تستقبل السفن من بلاد الشام ومن موانئ شرق البحر المتوسط وغربه، ومن المعروف أنه عن طريق التجارة وعبر الطرق التجارية تنتشر الأفكار والمعتقدات من مكان لآخر، ونتيجة لازدهار الحركة التجارية ونشاطها بين مدن الإمبراطورية فقد ازدادت الصلات التجارية بين بلاد الشام وخاصة بين فلسطين وبين مصر من ناحية، وبين مصر وروما من ناحية أخرى، ومما لا شك فيه أن التجار الذي قدموا إلى مصر في تلك الفترة سواء من بلاد الشام أو روما كان منهم من اعتنق المسيحية أو لديه على الأقل معلومات عنها وعما تدعو إليه من أفكار، كذلك أن يكون عدد التجار المصريين سواء كانوا من اليهود أم من الوثنيين ممن ذهبوا بتجارتهم إلى فلسطين أو إلى روما قد سمعوا وهم في تلك البلاد عن هذه الديانة الجديدة، ومن ثم بدأت تتزايد المعلومات في مصر عن هذا الدين، وبدأت المسيحية تأخذ طريقها إلى الانتشار في مصر وبصفة خاصة بمدينة الإسكندرية قلعة التجارة والتجار[1].

نجد من بين العوامل الدينية الفراغ الروحي الذي عايشه المصريون في تلك الفترة خاصة بعد أن فتَرت الديانة المصرية القديمة، وحل محلها عدد من الديانات أو الآلهة الإغريقية والرومانية مثل زيوس وجوبيتر وعبادة الإمبراطور، وجاءت المسيحية لتتفوق على سائر الديانات الأخرى بتعاليمها الأخلاقية التي انفردت بها دون سائر الديانات الأخرى، علاوة على ذلك فإن العبادات الوثنية كانت بعيدة عن الواقع غارقة في الأساطير لا تهتم بالفرد وقضاياه ومشاكله، وكان الفرد يطلب الخلاص وينتظر المخلص، وكانت المسيحية هي الطريق لذلك، ومما ساعد أيضا على سرعة انتشار المسيحية أوجه التشابه في بعض عناصرها مع العقيدة المصرية مثل عقيدة البعث بعد الموت، والتي كانت مرتبطة من بين عوامل أخرى بالاحتفالات السنوية للربة إيزيس[2].

ساعدت هذه العوامل على انتشار المسيحية بمدينة الإسكندرية ومن ثم كان طبيعيا أنه بانتشار المسيحية بها أن تنتشر في أنحاء مصر، وذلك لأن معظم سكان مصر ارتبطوا بعاصمتهم ارتباطا وثيقا، ووفدوا إليها إما تجارا حيث كان بها أكبر سوق تجاري، أو لقضاء مصالح إدارية وإما للزيارة والترويح عن النفس، وإما للتعليم فقد كانت منارة للعلم والعلماء، ونظرا لأن المسيحية بدأت تنتشر في العاصمة كان

---

[1] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص28، 29.

[2] نافتالي لويس، المرجع السابق، ص108.

طبيعيا أن يسمع المصريون الوافدون بتلك الأفكار الجديدة التي تنادي بها، وينقلونها معهم إلى مدنهم وقراهم، وعن هذا الطريق بدأت المسيحية تنتشر من الإسكندرية إلى سائر أنحاء القطر المصري[1].

ونلاحظ كذلك أن ظروف الإمبراطورية الرومانية والأوضاع التي أحاطت بها كانت أكبر مساعد على انتشار المسيحية بين ربوعها، فقد كانت توجد شبكة واسعة من الطرق تربط جميع المقاطعات ومدن الإمبراطورية بطرقها البرية والبحرية وصلاتها التجارية، وكذا موانئها التي لعبت أيضا دورا مهما في نشر المسيحية، فضلا عن الأمن ونظام تجاري متقدم داخل الإمبراطورية الرومانية، هذا جلب أناسا من خلفيات وأديان وثقافات متنوعة، هذا كله عدا سيادة اللغة اللاتينية في الأجزاء الغربية واللغة الإغريقية في أجزائها الشرقية، مما جعل من اليسير انتقال الآراء والأفكار والمعتقدات بسهولة بين مختلف الأنحاء وانتشار المسيحية في سرعة فائقة[2].

إضافة إلى عوامل أخرى نذكر منها الجنود والفرق العسكرية التي كان يرسلها الرومان إلى مصر برا وبحرا لحمايتها والدفاع عنها، فقد كان من بين هؤلاء الجنود من اعتنق المسيحية أو لديه معلومات عنها، وباحتكاكهم بالمصريين بدأ المصريون يتعرفون على هذا الدين الجديد[3].

ب. البيئة الفكرية في الإسكندرية:

لقد كانت للظروف الدينية والفكرية التي سادت في الإسكندرية في ذلك الوقت تأثير كبير على المسيحية الناشئة، فبسبب توحيد العالم في ظل الإمبراطورية الرومانية وكثرة الانتقال والاتصال بين البيئات المختلفة سرت الأديان والأفكار من بيئة لأخرى، وكان من أهم المدن مدينة الإسكندرية، ففي هذه المدينة وجدت مدرسة فلسفية نامية تأثرت بهذه الظروف الدينية واستجابت لها، فاصطبغت فلسفتها بالطابع الديني والروحاني ومن أكبر أعلامها فيلون[4] سابق الذكر و**أفلوطين**[5].

---

[1] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص35.

[2] Fr.B.M.Thomas, **Expansion of christianity outside the roman Empire: Persian christianity persecution under Saphor II, Causes and effects**, Federated Faculty for research in religion and culture, Kottayam, 2015, pp1,2 ;

سعيد عاشور، المرجع السابق، ص32

[3] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص28.

[4] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص233.

[5] **أفلوطين:** من أبناء أسيوط بداية القرن الثالث الميلادي، درس الفلسفة في الإسكندرية ثم رحل إلى روما حيث أسس مدرسة لتعليم فلسفته، وكان قد قدمه صديق إلى أمونيوس سكاس مؤسس الأفلاطونية المحدثة في الإسكندرية فلازمة 11 سنة، وبعد ذلك التلميذ

كانت الإسكندرية مركزا لحركة فكرية وثقافية في العصرين البطلمي والروماني، لكن ما يميزها هو الحركة الفلسفية التي كانت جديدة عليها، وقد وجدت ظروف معينة في الإسكندرية ساعدت على بعث التفكير الفلسفي بين المثقفين، ولا نقصد بذلك سوى البيئة الدينية في الإمبراطورية الرومانية، إذ تحت ظروف توحيد الدول في ظل الإمبراطورية ونشاط الاتصال بين البيئات وفي الوقت نفسه نشأت دعوات دينية جديدة مثل الغنوصية- التي سنتطرق إليها في العنصر التالي- والمسيحية التي تدعو إلى نبذ الأديان القديمة، في مثل هذه المواقف يلجأ الإنسان إلى تفكيره الشخصي ليبحث عن الطريق الصحيح، وهذا ما دفع إلى إثارة التفكير الفلسفي في الإسكندرية متسما بطابع ديني[1].

ويتضح لنا أهمية الإسكندرية أنها كانت مركزا لانتشار وانتقال المعاني الفلسفية، وكما نعلم أنها منذ تأسيسها بمدارسها ومتاحفها ومكتبتها كانت مدينة مفتوحة على جميع الأجناس والديانات واحتضانها لجميع الاتجاهات المذهبية والثقافية، فهي ثمرة الروافد والأفكار الفلسفية الهيلينية الإغريقية- أفلاطونية وأرسطية- وفيثاغورية **ورواقية**[2]، بالإضافة إلى تيارات الفلسفة الهيلينستية الرومانية وروافدها والمؤولين من الأفلاطونيين المحدثين والأرسطيين المشائين، وكذا الفيلونية اليهودية والمذهب الهرمسي[3] الذي كان مشبعا

الأستاذ ليكون في صحبة الإمبراطور جورديان الثالث في حملته على الفرس، وكان أفلوطين يريد التعرف على الأفكار الهندية والفارسية فانتظم في الحملة الرومانية على الفرس، ولكن الجيش انهزم ففر إلى أنطاكيا ومنها إلى روما عام 224 م، ورغم هذا ارتبط اسمه دائما بالإسكندرية ومدرستها الفلسفية. أنظر: كامل محمد محمد عويضة، **أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص ص3، 85، حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ص137، 138.

[1] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص228.

[2] **الرواقية**: (Stoicism)كانت المدرسة الرواقية المعروفة أيضا باسم (Stoa) أو (The porch) أي الرواق، وقد تأسست في أواخر القرن 4 ق.م من طرف زينون كيتيون (Zeno of Kition) من لارناكا الحديثة (Larnaca) في قبرص، وكان زينون تاجرا فقَدَ جميع سلعته في حطام سفينة بالقرب من أثينا فشق طريقه إلى أغورا الأثينية، حيث بدأ في قراءة نسخة من زينوفون "ذكريات سقراط" وقال: "أين يمكنني أن أجد رجلا مثل هذا؟"، تقوم الفلسفة الرواقية على فن العيش، فإن الهدف النهائي للفلسفة هو تحويل حياة المرء إلى حياة شخص حكيم، يكون أقوى من كل شخص وأكثر ثراء وأكثر حرية وأكثر سعادة، والشخص الوحيد الذي يستحق لقب "الملك"، فالحكيم يفعل كل ما يفعله يقوم به بشكل جيد، ويتفق مع المنطق الصحيح وبطريقة تتوافق مع الفضيلة، فالحكيم إذن هو الشخص الذي أتقن فن العيش، وبالتالي يعمل دائما بشكل جيد في جميع مجالات حياته. أنظر:

Matthew J Sharpe, **The Stoic art of living,** https://www.academia.edu;
John Sellars **Stoicism,** Routledge, London and New York, 2014, pp36, 37.

[3] **الهرامسة**: اختلف الباحثون والمؤرخون من العرب والغربيين حول الهرامسة وألقابهم وتطور مذاهبهم عبر العصور، ولكن ثبت بالتحليل النقدي المقارن أن هؤلاء الهرامسة ينسبون إلى "هرمس" مثلث الحكمة كما عند الإغريق، وهو "أخنوخ" عند العبرانيين وهو النبي "إدريس عليه السلام" عند العرب، ويعرف بالديانة المصرية باسم تحوت إله الحكمة، وكان الهرامسة ينزعون في مقالاتهم إلى التصوف الممتزج بنزعة سحرية كيميائية على خلاص النفس الإنسانية وتمهيد الطريق أمام العقل للتأمل الذاتي الباطني، ويهدف للتطلع

بآثار الأفلاطونية وغيرها من الفلسفات، فظهر بما يسمى بفلسفة الإسكندرية التي سميت من ناحية أخرى باسم" الأفلاطونية المحدثة"، فأثّر هذا المزيج الثقافي الفلسفي في أفكار وعقائد فيلون وأفلوطين ومفكرين آخرين، بالإضافة إلى آباء الكنيسة الشرقية ولاهوتي الإسكندرية [1].

كانت مدرسة الإسكندرية الفلسفية تتميز بروافدها وتياراتها المختلفة، مما أدى إلى التوفيق بين الأفكار والمذاهب والعناصر الدينية الشرقية التي تلاقت فيها، فالدارس للبيئة الفكرية للإسكندرية يجد محاولات للتوفيق بين الأديان الشرقية والإغريقية والتوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة الإغريقية، والتوفيق بين الدين المسيحي حين ظهوره وازدهاره وبين الفلسفة، وذلك حسب مصطفى النشار[2] يعود في اعتقاده إلى تلك الروح الشرقية التي تميل دائما نحو الوسطية وتسعى دائما إلى التوفيق بين المتناقضات، مما كان له أثره على مدرسة الموعظين أو المدرسة اللاهوتية المسيحية –التي سنتكلم عنها في هذا الفصل.

إن البيئة الفكرية الفلسفية المتنوعة والتي كان أثرها على الفكر المسيحي من ناحية أو من ناحية انتشار المسيحية من خلال الجدالات والصراعات الفكرية، يحتم علينا الإشارة إلى هذه البيئة وأعلامها وفكرهم ولو بشكل مختصر.

درس فيلون الفلسفة الإغريقية وسائر الفلسفات التي كانت موجودة في الإسكندرية، وكان يلقب ب"أفلاطون اليهود" لأن فلسفته قامت على فلسفة أفلاطون والمذاهب المتأثرة ببعض الأفكار الشرقية القديمة، ومن ثم كان لفلسفته أثر كبير في الأفلاطونية الجديدة والأدب المسيحي، فجعل هدفه التوفيق بين الكتاب المقدس والدين اليهودي والفلسفة الإغريقية، ولكي يصل إلى غرضه هذا لجأ إلى المبدأ القائل أن جميع الحوادث والأخلاق والعقائد والشرائع المنصوص عليها في العهد القديم ذات معنيين مجازي

أو الوصول للامتزاج بالعقل الإلهي، ودخول عقل الإله في النفس ودخول النفس في عقل الإله حتى يصبح الكل واحد، وهي نزعة للفناء والقول بوحدة الوجود الإنساني والإلهي في وجود واحد يعني الكل في الكل، وقد اتضح تأثيرها لدى جماعات وطوائف يهودية ومسيحية وإسلامية فيما بعد. أنظر: أبو قحف محمد محمود، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الثقافي بين الفلسفة والدين"**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص ص126.

[1] ونجد هذا المزيج الفلسفي ومنه الهرمسي قد تسرب أيضا إلى المفكرين والفلاسفة الإسلاميين خاصة عند جماعة إخوان الصفا وابن طفيل، بالإضافة إلى الفلاسفة الصوفيين من أمثال السهروردي وتلميذه صدر الدين الشيرازي وابن عربي.... أنظر: محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، المرجع السابق، ص ص30، 122، 123.

[2] مصطفى النشار، **النزعة التوفيقية الدينية في مدرسة الإسكندرية الفلسفية القديمة أوريجين نموذجا**، مجلة تفاهم، العدد 61، 2018، ص ص171، 174.

والآخر حرفي، وأنها ترمز إلى حقائق أخلاقية أو فلسفية[1]، والذي يفترض مسبقا أن المعنى الحقيقي للكتاب المقدس مخفي ويجب فك شفرته، هذا المبدأ هو الذي غالبا ما يُقرّب لغة الكتاب المقدس من لغة الفلسفة، من خلال التأكيد أن الكتاب المقدس يحمل في حد ذاته مذاهب الفلاسفة، ويكون ذلك بالتخلي عن المعنى الحرفي له واستخدام لغة استعارية رمزية مجازية نجدها أكثر جرأة عند فيلون[2]، وهو ما يمكن تسميته **بالتأويل**[3] الرمزي والمجازي[4] للتوراة، وقد عرف هذا بالتأويل في المسيحية، إذ ساد الاعتقاد بأن الكتب السماوية تخاطب الناس جميعا، ولهذا فهي تلجأ إلى الرمز لتقريب الحقائق لفهم الناس فيقتنع العامة بظاهر النصوص، أما الخاصة فيأخذون بتأويل المعاني[5].

وعن أثر فيلون فيمكن القول أن شروحاته قد تأثر بها رجال الكنيسة في الإسكندرية، حيث تأكد لدى البعض أن الأسس الفلسفية اللاهوتية للمسيحية استفادت من أفكار فيلون، حيث أثرت نظرية **اللوغوس**[6] في العقيدة المسيحية، وأقبل فلاسفة المسيحية على كتب فيلون بوصفها تقويما دينيا للفلسفة الإغريقية، ومحاولة جديرة بالمحاكاة لتأويل الأناجيل تأويلا فلسفيا[1].

---

[1] لعموري شهيدة، **التأويل الرمزي في النص الديني –فيلون الإسكندري أنموذجا–**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد 11، 2019، ص12..

[2] Jérôme Moreau, **Abraham dans l'exégèse de Philon d'Alexandrie enjeux herméneutiques de la démarche allégorique**, Thèse de doctorat de langues, histoire et civilisations des mondes anciens, Université Lyon 2, 2010, pp12, 13.

[3] التأويل أو التأويلية– الهرمنيوطيقا–: وتأصيلها اللغوي نجدها مشتقة من الفعل اليوناني (Hermeneuein) ويعني يفسر، والاسم (Hermeneia) يعني التفسير، وكلاهما يتعلق بالإله هرمس (Hermes) رسول آلهة الأولمب، الذي كان ينقل الرسائل من زيوس إلى بقية الآلهة وينزل بها إلى مستوى البشر، والتأويل هنا يعني فهم وتفسير الرسائل الإلهية، ذلك أن ما هو لاهوتي يصعب فهمه بصورة مباشرة وموحدة بين جميع العقول، مما يتدخل وسيط يشرح ويفسر ويؤول المعاني ويكشف حقيقتها الخفية، ينتج ذلك انطلاقا مما تتضمنه هذه النصوص اللاهوتية من غموض وتناقض ظاهري. أنظر: لعموري شهيدة، المرجع السابق، ص12..

[4] إن الهدف من استعمال فيلون طريقة التأويل الرمزي والمجازي هو جعل الشريعة اليهودية شريعة عامة والرد على الخصوم الذين يستعملون التأويل الحرفي للكتاب المقدس وينزلون به حسب رأيه إلى منزلة القصة الأسطورية، والملاحظ أن هذا الرأي يعبر عن الروح المتعصبة للدين عند فيلون واليهود بأفضلية وعالمية اليهودية، على الرغم أنه عرف بمحاولاته الدائمة لملاءمة الأفكار بين الإغريقية واليهودية. أنظر: نفس المرجع، ص17؛

Emile Bréhier, **Les idées philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie**, Librairie Alphonse Picars, Paris, 1908, pp4, 249.

[5] إميل برهييه، **الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري**، ترجمة ومراجعة محمد يوسف موسى، عبد الحليم النجار، إدارة المعارف، د.م، 1904، ص1؛ حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص ص250، 251.

[6] **اللوغوس**: يرى فيلون أن الوسائط بين الله والعالم ثلاث وساط: الوسيط الأول هو "اللوغوس" أو الكلمة ابن الله ويليه "الحكمة

ولما كان اهتمامنا بتيارات الفلسفة الإسكندرية وتأثيرها على المسيحية فإن بزوغ مدرسة فكرية بدأ عند أمونيوس ساكاس، الذي درّس في الإسكندرية بين عامي 232-243 م وكشف لأفلوطين تلميذه عن الفلسفة الحقيقية، وإن كنا لا نعرف شيئا كثيرا عنه، فإن يوسف كرم[2] يكشف لنا شيئا عن منهجه وطريقته الفلسفية حيث يقول أنه أبرز أفلاطوني الإسكندرية، نشأ مسيحيا، ولما تفلسف ارتد عن المسيحية، وكان يفرض على تلاميذه كتمان تعاليمه تقليدا للأسرار الإغريقية، وكان يحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو في أهم نقاط وهي الله والعالم والنفس.

أما الشخصية الثانية التي كان لها تأثيرها البالغ وظلت في حوار مستمر بينها وبين غيرها من المذاهب الدينية المسيحية فهو "أفلوطين" الفيلسوف الكبير الذي يعتبر زعيم الأفلاطونية الحديثة، وقد كانت الوثنية بدأت تضعف أمام الاتجاه المسيحي الجديد، ولهذا تصدى لحل المشكلة الدينية عن طريق الفلسفة [3]، وآمن بالله مثل فيلون والمسيحيين، ولكن إلهه كان يمتلك ثلاث مراتب فكاد يقول أنه يؤمن بالثالوث ولكنه مختلف عن الثالوث المسيحي وأكثر صعوبة في الفهم؛ فالمرتبة الأولى والأسمى كان يسميها" الواحد"، هذا الواحد يعني الوحدة ولا يمكن التنبؤ به ولا حتى كونه موجودا وليس له صفات أو قوة مبدعة، وهو صالح فقط لأن يكون هدفا لطموحاتنا، ولكن من فيضه تنبثق المرتبة الثانية من الثالوث وهي " المبدأ العقلاني" له علاقة بما هو بعيد عن حياتنا، فهو العقل الكوني الذي لا يحتوي كل الأشياء بل يحتوي كافة الأفكار عن كل الأشياء، وهو يبدع من خلال التفكير ويفكر في المرتبة الثالثة أي " الروح الكلية"، وبهذه الروح الكلية نقترب من مملكة الإدراك، وهي التي خلقت كل ما ندركه بالحواس، وكل

الإلهية" آدم الله والملائكة ونفس الله وأخيرا "القوات" من ملائكة وجن تنفذ الأوامر الإلهية، وتعتبر هذه وسائط تحتل موقعا متوسطا بين الخالق والعالم المخلوق، وقد تطورت فكرة اللوغوس كثيرا عند الإغريق واليهود وعند فيلون والمسيحية، وقد استخدمت الفلسفة اليهودية كلمة اللوغوس بمعنى "كلمة الله" التي من أهم آثارها الخلق، وعندما امتزجت اليهودية مع الفلسفة الإغريقية أصبح معناها "العقل الإلهي"، وقد أشار إليها اليهود تحت اسم "ممرا" (Memra) التي سماها فيلون البرزخ أو الواسطة بين الله والعالم. ولقد أصبح اللوغوس في المسيحية هو ابن الله وصورته أو الروح المتغلغلة في الكون أو العالم والواسطة في خلق العالم، وتشخصت الكلمة في صورة المسيح، فبالإبن عن الإبن وفي الإبن ظهر كل شيء. بينما فيلون لا يحصر مدلولها في شخص بعينه ولا يتصورها متجسدة في إنسان من لحم ودم، غير أن تصوره كان شائعا ومعروفا لدى كتاب الأناجيل. أنظر: حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص ص255، 257.

[1] لعموري شهيدة، المرجع السابق، ص18.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص289؛ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، المرجع السابق، ص97.

[3] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص229؛ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، المرجع السابق، ص97.

هذه المراتب يصنعون ويؤلفون معا كينونة واحدة وهي "الله"[1].

وإذا علمنا أن أفلوطين أعجب بالمسيحية واعتنقها فإن رسائله[2]جاءت عبارة عن مجمل المذاهب أشبه بالعضة الدينية، ترد فيها العقائد بمناسبة موضوع معين، وكانت هذه الطريقة مألوفة عند المسيحيين وعند الفلاسفة الوثنيين كمرشدين ومصلحين، وتتضمن الرسائل الموضوعات المأثورة عن أفلاطون في الخير ونجاة النفس من سجنها المادي وانطلاقها من عالم الظواهر إلى موطنها الأصلي عالم الوجود والحقيقة[3].

لقد كان للإسكندرية ومدرستها الفلسفية الفضل الكبير في ذيوع شأن المسيحية سواء بظهور الداعين لها والمدافعين عنها أو بوجود من عارضوها وارتدوا عنها، فقد كان الجدل الذي احتدم بين هؤلاء وأولئك هو الوقود الذي تغذت به المسيحية في بداية ظهورها فانتشرت بين الناس[4].

ج. الحركة الغنوصية:

في هذه البيئة ظهرت دعوة جديدة على جانب كبير من الخطورة وهي **الغنوصية**[5]، والتي كانت كنتيجة طبيعية لتضارب الأديان في هذه الفترة من ناحية، ولانتشار المدارس الفلسفية من ناحية

---

[1] فورستر، المرجع السابق، ص 109؛

Michaelides, Pavlos **E, Plotinus' philosophical eros for the one: his unio mystica, ethos and legendary life**, international journal of multidisciplinary thought, 2018, pp60, 61.

[2] لأفلوطين مؤلفات تسمى التاسوعات (Enneades)، وسميت كذلك لأنها تتألف من ستة أقسام، كل واحد منها ينقسم إلى تسعة أجزاء أخرى، فيصبح المجموع الكلي 54 جزء تبحث في الإنسان أو الذات والعالم المحسوس، لكي يصعد بذلك إلى النفس ومنها إلى العقل إلى الواحد أو الخير:

القسم الأول: يبحث في الإنسان والأخلاق **القسم الثاني**: يبحث في العالم المحسوس

القسم الثالث: يبحث في العناية الإلهية **القسم الرابع**: يبحث في النفس

القسم الخامس: يبحث في العقل **القسم السادس**: يبحث في الواحد أو الخير

أنظر: محمد محمد عويضة، المرجع السابق، ص228، ولمعرفة التفصيل أكثر حول فلسفة أفلوطين أنظر:

Jean-Chrysostome Kanyororo, **Laval théologique et philosophique les richesses intérieures de l'ame selon Plotin**, le néoplatonisme, Vol 59, N 2, 2003, pp235-255.

[3] يلقب أفلوطين عند المؤرخين الإسلاميين باسم " الشيخ اليوناني"، إذ يذكر الشهرستاني كثيرا من أفكاره الفلسفية في الواحد الأول والعقل والنفس مشيرا إلى نظريته في الصدور والفيض. أنظر: محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968؛ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، المرجع السابق، ص97.

[4] مصطفى النشار، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص ص79، 80.

[5] محمد عباس عطيتو، المرجع السابق، ص269.

أخرى[1]، وقد ارتبط ظهورها في الإسكندرية بظهور المسيحية، ونافستها منافسة شديدة فكانت خطرا عليها طوال القرون الأربعة الأولى، فكان أول ظهورها في السامرة ثم في الإسكندرية، إلا أن ازدهار الغنوصية لم يكن إلا في أواسط القرن الثاني الميلادي على يد ثلاثة من مشاهيرها هم: **باسيلديس**[2] **وفالنتينوس**[3] **ومرقيون**[4]، ويقوم مذهبهم على التوفيق بين آراء دينية متعارضة امتزج فيها التراث الشرقي القديم وخاصة التراث المصري والتراث الإغريقي الفلسفي وخاصة فلسفتي فيثاغورس

---

[1] **الغنوصية** (Gnostisem): هي من الكلمة اليونانية (Gnosis) التي تعني المعرفة الحدسية الباطنية أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي، والعارفون هم الغنوصيون (Gnostics) الذين يتواصلون من خلال بصيرتهم الداخلية بالحقيقة الكلية، أما خصومهم فهم غير العارفين(Agnostics) الذين وقفوا عند ظاهر التعاليم الدينية ولم ينفذوا إلى باطنها، فإذا كان الخلاص عند اليهود يتأتى عن طريق الالتزام بالشريعة وعند المسيحيين من خلال الإيمان بيسوع فإن الخلاص عند الغنوصي عن طريق فعالية روحية داخلية تقود إلى معرفة النفس، وهي تقود إلى معرفة الطبيعة الإنسانية، وفي أعمق مستوياتها تقود إلى معرفة الله ذوقا وكشفا وإلهاما، عند ذلك يمكن تحرير الروح الحبيسة في إطار الجسد المادي لتعود إلى العالم النوراني الذي صدرت عنه. أنظر: فراس السواح، **الوجه الآخر للمسيح –موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد الجديد ومقدمة في المسيحية الغنوصية**، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2004، ص66.

[2] **باسيليدس** (Basilide): يعتبر من أنصار الغنوصية، نشر بدعته في الإسكندرية ما بين 120-140 م، وحاول الربط بين البوذية والهندوسية في نطاق المسيحية، ومن أهم آرائه: أن إله العهد القديم ما هو إلا رئيس الملائكة الأشرار، ويصدر عن الإله الأعلى ثمانية مجردات مشخصة منها الحكمة والعدالة والسلام، وأن الملائكة الأولى الصادرين عن الحكمة صنعوا السماء الأولى، والملائكة الصادرين عنهم صنعوا السماء الأولى، والملائكة الصادرين عنهم صنعوا السماء الثانية، وهكذا صنعت على التوالي 365 سماء، وذلك هو السبب في أن السنة تعد 365 يوما، كما سلم بالتجدد الروحي وأنكر بعث الأجساد، ومع أنه كان يؤمن بالمسيحية التي كانت عاملا رئيسيا لمذهبه إلا أن تفسيره للمسيحية كان بوذيا عميقا. أنظر: محمد عباس عطيتو، المرجع السابق، ص265.

[3] **فالنتينوس** (Valentinus): ولد في شمال مصر وتعلم بالإسكندرية ثم اتجه إلى روما وأقام بها 30 سنة ، وهناك انشق عن الكنيسة وكون شيعته، ومن آرائه أن الوجود المادي يعتبر خطأ ومجرد أغلوطة، كما أن المسيح لم يأت ليخلص البشر وحسب وإنما جاء ليعالج اضطرابات البشر، وأشار إلى أنواع مختلفة للنفوس منها النفوس التي ترتبط بالجسد وهي ليست نفوس ومصيرها الهلاك أو الفناء وهي أشبه بالبهائم، وهناك نفوس ذات طبيعة روحانية، وهي التي تحررت من الجسد، ذات عيشة أبدية خالدة، وبين هاذين النوعين من النفوس توجد نفوس ذات طبيعة لطيفة وهي وساطة بين عالم السماء وعالم الأرض، وأكد أن ارتباط النفس بالبدن مجلبة لكثير من الشرور والآلام، وأن التمييز أو الفصل بينهما إنما يكون بالخلاص. أنظر: نفس المرجع، ص276.

[4] **مرقيون** (marcion): هو شاب ثري من سينوب، ذهب إلى روما حوالي 140 م ليكمل ما بدأه القديس بولس وهو تخليص المسيحية من اليهودية، وقد افترض ثلاث مبادئ رئيسية: 1. الإله المتعالي أو المتسامى 2. الديموج أو الصانع 3. المادة الخالدة الأبدية، وذكر أن المبدأين الأخيرين رغم كونهما ناقصين إلا أنهما ليس بالضرورة شر، وأنكر أي ادعاء يقول المسيح من طبيعة بشرية، وكان يرفض العهد القديم، ويرى أن الأخيار هم الذين يفعلون مثل بولس فينبذون يهوه والشريعة اليهودية ويرفضون الكتب العبرانية ويتجنبون الزواج والملذات جميعها، ويتغلبون على الجسم بالزهد الشديد، ولقد عمل مرقيون على نشر هذه الآراء بإصدار عهد جديد يتكون من إنجيل لوقا ورسائل بولس، وأصدرت الكنيسة بحرمانه. أنظر: محمد عباس عطيتو، المرجع السابق، ص ص276، 277؛

وأفلاطون[1]، وهي عبارة تقريبا عن محاولة لرفض العهد القديم وصبغ الأناجيل بالصيغة الإغريقية وجعلها هيلينية، فرأى البعض أن الغنوصية تشكل مكانا وسطا بين الدين والفلسفة وبين الشرق والغرب، والغنوصيون هم الذين يدّعون أنهم الذين يملكون المعرفة السرية الإلهية الخفية عن الآخرين[2].

ويعتبر رودولف بولتمان[3] الغنوصية القضية الحاسمة اليوم في دراسة المسيحية المبكرة، تقليديا تم إطلاق هذا المصطلح على طائفة واسعة من الطوائف المسيحية، مدعية امتلاك معرفة باطنية خاصة، وكانت انحرافاتهم المختلفة ترجع في جزء كبير منها إلى تأثير الفلسفة اليونانية، وهي حركة دينية ظهرت قبل المسيحية وأصبحت كمنافس لها.

هذه الحركة الغنوصية شجعت على انتشار المسيحية لأنها دعت في البداية إلى ترك الأديان القديمة لقصورها، رغم أنها في البداية كانت تعتبر منافسا خطيرا للمسيحية[4]، فأدت بذلك للمسيحية مساعدة كبرى، إلا أن الغنوصية كانت من ناحية أخرى غامضة سلبية، كما كانت حركة مفككة تعتمد على العمل الفردي، ولهذا لم يتوفر لها عامل الإثارة والإيجابية الذي يلهب الحماس الديني في الجماهير، ورغم أنها هزمت في معركة الصراع الديني إلا أنها تركت في المسيحية أثرين مهمين:

1. الأول أنها فرضت على زعماء المسيحية في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي أن يعيدوا التفكير في أسس عقيدتهم وأن يرجعوا إلى جذور الفكرة المسيحية وأن يحددوها، لأن المسيحيين الأولين بعد المسيح مباشرة شغلهم الحماس الديني في انتظار عودة المسيح عن التفكير في جوهر الفكرة الدينية.

---

[1] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص81؛

S.Rhadha Krishnan, **Eastern religions and western thought**, Second Edition, Oxford University Press, London, pp201.202.

[2] وهي صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة، وترجع بأصلها إلى وحي أنزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا، وتعدهم بكشف الأسرار الإلهية وتحقيق النجاة، كما ادعوا أنهم يقدمون تعليمهم السري المعروف فقط للقلة، حيث يشير فالنتينوس إلى أن يسوع في حياته شارك مع تلاميذه أسرارا معينة، والتي كان يخفيها عن الغرباء، فوفقا لإنجيل مرقس قال يسوع لتلاميذه: **"أنتم قد أوتيتم أن تعرفوا سرّ ملكوت الله"**.(إنجيل مرقص4:11 ، ويزعمون أن المسيح بعد الصلب استمر في الكشف عن نفسه لتلاميذ معينين وانفتح عليهم من خلال الرؤى، فبولس يقول أنه من خلال اتصاله الروحي بالمسيح اكتشف "أسرارا خفية" و "حكمة سرية". أنظر:

Elaine Pagels, **The Gnostic Gosphels**, Vantage Books, New York, 1989, pp14, 15 ;

محمد عباس عطيتو، المرجع السابق، ص ص273، 274.

[3] Arthur Darby Nock , **Early gentile christianity and its hellenistic background**, Harper & Row publishers, New York, 1964, p XIII.

[4] حسين الشيخ، **دراسات** ...، ص100.

2. أما الأثر الثاني وتشترك فيه الغنوصية مع الفلسفة فهو قوة الاتجاه التصوفي والروحاني الذي عرف في المسيحية فيما بعد، وفي وسط هذا المعترك العنيف بين المذاهب والفلسفات والأديان المختلفة من ناحية، ومقاومة الدولة من ناحية أخرى شقت المسيحية طريقها وأصبح لها في الإسكندرية مركز ورئيس ومدرسة غير رسمية لتدريس تعاليمها[1].

ومن أشهر البرديات القبطية "برديات نجع حمادي" [أنظر: **الصورة رقم 14**] بمحافظة قنا، والتي تجمع بين الفكرين الغنوصي والمسيحي، والتي اكتشفت عام 1946 وهي مكتبة تحوي على 41 كتابا تحوي نصوصا أصلية من التعاليم والكتب الدينية، وتعتبر هذه المجموعة من أهم مجموعات البردي التي اكتشفت في مصر خلال القرن العشرين، وهي من أهم المخطوطات في العالم وهي الوحيدة التي تجمع بين الفكر الغنوصي والفكر المسيحي[2]، فقد كان يظن إلى وقت قريب أن مصر لم تعرف الفلسفة الغنوصية إلا بعد اكتشافها[3].

تحوي هذه المجموعات المكتشفة على كتابات مسيحية خالصة لبعض الجماعات التي ظهرت في القرن الأول الميلادي وعرفت باسم جماعات العارفين أو الروحانيين (Gnostic)، ومن المؤكد أن المسيحية عندما انتشرت في مصر فإنها انتشرت بين صفوف هؤلاء، وتعود مكتبة نجع حمادي للقرن الرابع الميلادي، وأن الرهبان قاموا بإخفاء مكتبتهم ودفنها خوفا من أن تحرقها السلطات الرومانية، حيث تم إحراق أغلب مخطوطات مكتبة الإسكندرية وحرق الكتابات المخالفة لتعاليم الكنيسة الرومانية[4].

---

[1] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ص234، 235.

[2] اعتنق مجموعة من أصحاب هذا الفكر الديانة المسيحية إلا أنهم لم يستطيعوا التخلص من كل أفكارهم القديمة، وكذلك لم يؤمنوا بكل ما جاء في المسيحية فمزجوا بين الفكرين. أنظر: عبد اللطيف أفندي، **البردي دراسة أثرية وتاريخية– طرق الترميم والصيانة–**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008، ص ص78، 79.

[3] نفس المرجع، ص 79.

[4] عثر في مكتبة نجع حمادي على عدد من الأناجيل غير المعروفة من قبل أو غير المعتمدة من أهمها إنجيل توما الذي يحتوي على 114 من أقوال المسيح، إنجيل مريم، إنجيل فيليب، إنجيل المصريين، إنجيل يهوذا، إنجيل الحق، كتاب جيمس، رؤيا بولس وخطاب بطرس إلى فيليب وغيرها من الأناجيل والكتابات، ومن أهم الأناجيل هو إنجيل توما باللغة القبطية فهو كامل ويحتوي على أقوال السيد المسيح، في بداية هذا الإنجيل وجد الباحثون هذه العبارة المكتوبة:" **هذه هي الكلمات السرية التي قالها يسوع الحي ودونها ديديموس جوداس توماس**". أنظر: أبو إسلام أحمد عبد الله، **أسطورة مخطوطات نجع حمادي وقمران**، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006، ص ص43، 44.

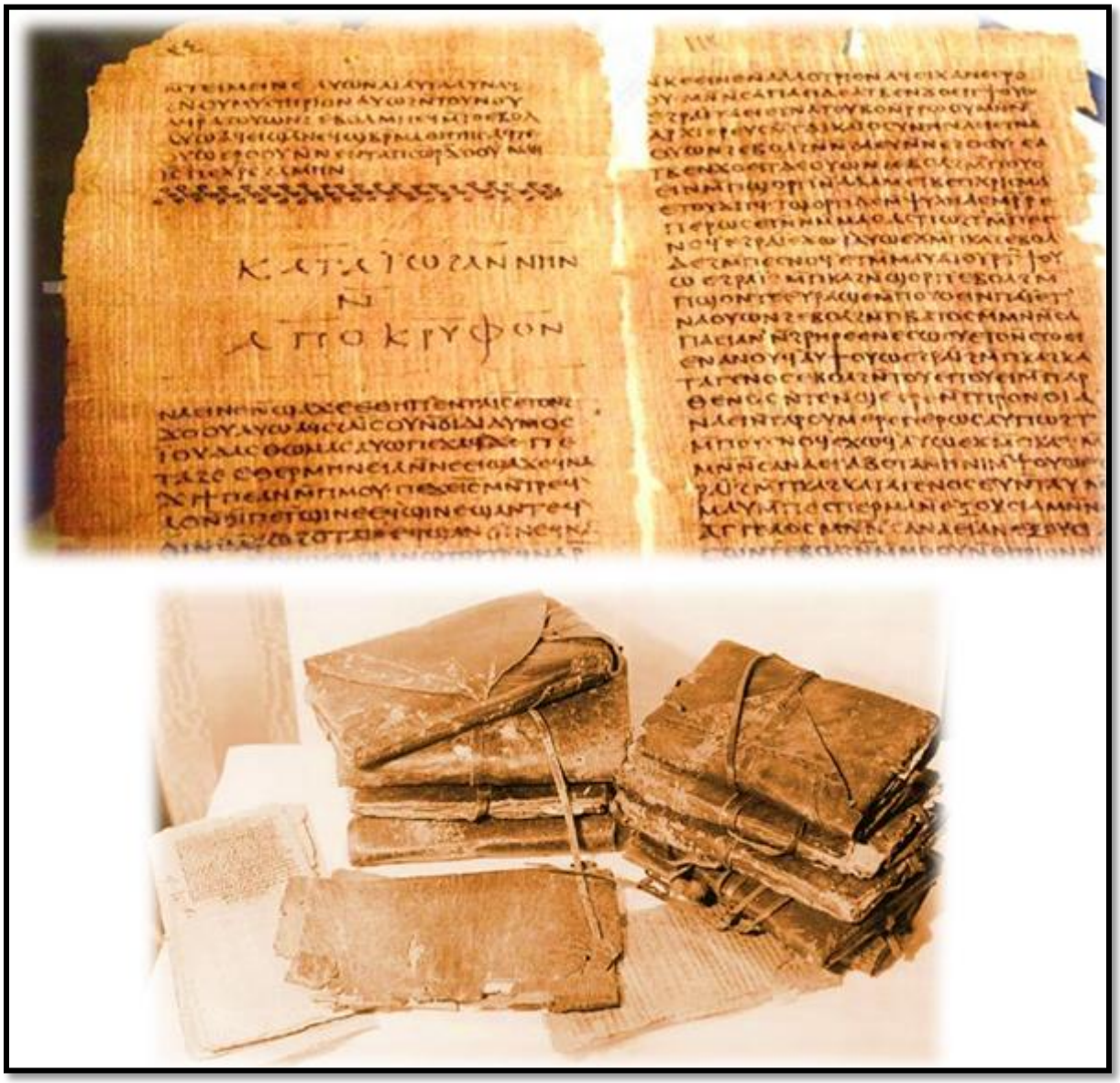

الصورة رقم 14: مخطوطات نجع حمادي.

https://www.elbalad.news/3573271 ; http://www.alnssabon.com/t5857.html

ثالثا: دلائل وجود المسيحية وانتشارها:

1. المؤسسات الدينية والبرديات المكتشفة:

أ. إقامة الكنائس والمدرسة اللاهوتية :

تعتبر معلوماتنا عن المسيحية في القرن الأول الميلادي طفيفة إلا أن تعليماتها بلا شك قد اتخذت صفة الثبات والاستقرار في القرن الثالث الميلادي، وأول الشخصيات المسيحية التاريخية هو **ديمتريوس** الذي كان أول أسقف لكنيسة الإسكندرية في السنوات الأخيرة من عهد الإمبراطور كومودوس، وفي عهد ديمتريوس الذي استمر طوال ثلاثة وأربعين عاما زادت أهمية المسيحية، وذلك نلاحظه من خلال إنشاء الكثير من الكنائس المسيحية التي بلغ عددها عشرين كنيسة بعد أن كانت ثلاث كنائس فقط في أول الأمر، وقد تأسست في عهد ديمتريوس مدرسة الإسكندرية المشهورة بدراسة اللاهوت والتي حملت اسم مؤسسها **بانتانيوس**[1](178-216 م)[2] و**كليمنت**[3] و**أوريجين**[4] الإسكندري[5].

---

[1] **بانتانيوس**: ولد بالإسكندرية وهو من أصل مصري في حين يرى بعض المؤرخين أنه من أثينا لاهتمامه بالفلسفة الإغريقية، ترجع شهرته إلى أنه من أوائل من تولى رئاسة المدرسة، فضلا على أنه قام بترجمة الكتاب المقدس إلى المصرية، وقد ساعده في العمل تلميذه كليمنت وكذلك أوريجين، ومن ثم فهو واضع الأبجدية القبطية، كذلك قام بانتانيوس بشرح أسفار الكتاب المقدس شفويا وكتابة، وتولى إدارة المدرسة المسيحية في الفترة ما بين 181- 190 م، وقد دعاه بطريرك الإسكندرية ديمتريوس للخروج إلى الهند والتبشير بالمسيحية هناك. أنظر: ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص244، 245.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، **مصر**...، ص48؛ مصطفى النشار، المرجع السابق، ص ص86، 87.

[3] **كليمنت**: ولد في أثينا في أواسط القرن الثاني الميلادي، ونشأ وثنيا واسع الثقافة الإغريقية متبحرا في الأدب والفلسفة، ثم حضر إلى الإسكندرية وبعد أن استمع إلى محاضرات في المدرسة المسيحية هناك اعتنقها وأصبح أستاذا بالمدرسة نفسها بعد ذلك، وقد امتازت دروسه وكتاباته بأثر الفلسفة الإغريقية، مما جعله معتدلا متسامحا واسع الأفق بعيدا عن التعصب، وفي سنة 203 م وهو في ذروة مجده العلمي والديني تعرض المسيحيون لاضطهاد شديد في عهد الإمبراطور سيفيروس، فاضطر كليمنت إلى أن يهاجر إلى فلسطين وأن يعيش متخفيا حتى يموت في ظروف لا نعرفها. أنظر: مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص235؛

Williston Walker and others, op.cit, p88.

[4] **أوريجين**: هو أعظم مفكري المسيحية في عصره، وقد نشأ اسكندريا مسيحيا، ورأى والده وهو في سن السابعة عشرة يستشهد أثناء اضطهاد سيفيروس، ولقد كان صاحب دراسة فلسفية عميقة وشديد التأثر بالغنوصية إلى جانب دراسة عميقة باللغة العبرية والتوراة، حتى أنه قام بدراسة مقارنة بين النص العبري والنص الإغريقي في الترجمة السبعينية عندما لاحظ اختلافا بين النصين، وقد اكتسب أوريجين شهرة عظيمة بين المسيحيين في عصره، حتى أنه كان يحل مشاكلهم حينما كانوا يختلفون حول قضية دينية، وبقي هناك حتى 232 م، حيث يبدو أن اتجاهه الفلسفي قد أوقعه في خلاف مع رجال الدين الآخرين وعلى رأسهم الأسقف ديمتريوس، فاضطر أن يترك الإسكندرية ويذهب إلى فلسطين حيث أكمل دراسته للكتاب المقدس. أنظر: نفس المرجع، ص ص235، 236؛

Williston Walker and others, op.cit, p89.

[5] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص ص93، 103.

وضع عمل كليمنت اللامع أساسا حيويا لتطوير اللاهوت المسيحي، ويمكن القول أنه كان سببا رئيسيا في التطور المستمر للعمل اللاهوتي الهام الذي قام به خلفاؤه في الإسكندرية – حتى القرن الخامس للميلاد على الأقل – ، وقد ترأس كليمنت المدرسة ولم يغادر الإسكندرية إلا إلى فلسطين، عندما اندلع اضطهاد المسيحيين في عهد الإمبراطور سيفيروس 201-202 م، لم يكن كليمنت مسؤولا فقط عن بدء اللاهوت المسيحي من خلال أعماله العلمية، بل وضع إصراره على الحياة الروحية القائمة على الانضباط الذاتي وقيم الإنجيل، وهي الأساس للحياة الرهبانية التي تطورت في العقود المقبلة[1].

وقد أعطى أوريجين دفعة قوية للمدرسة، فالمسيحية بفضله لم تعد دين وراحة للنفوس فقط، بل أضحت فوق ذلك فلسفة ناضجة كاملة النماء دعامتها الكتاب المقدس، ولكن تعتز باعتمادها على العقل، ففي نظر المؤرخين أنه ليس هناك أحدا ترك أثرا واضحا في اللاهوت بعد القديس بولس مثلما فعل أوريجين، إذ كان أثره في الفكر الديني المسيحي سواء لدى من قبلوا آراءه أو رفضوها، وكان لفكره اللاهوتي السيطرة داخل المدرسة بل وعلى الكنيسة المسيحية كلها لفترة طويلة من بعده[2].

عندما بدأ الإمبراطور ديكيوس عام 250 م موجة من الاضطهاد ضد المسيحيين أُلقي القبض على أوريجين وتعرض للتعذيب، لكنه نجا بطريقة ما وتوفي بعد بضع سنوات في صور، كتب أوريجين كتابه المتفرقات (Stomateis) ومقالة عن القيامة (Miscellanies)، وكتاب بعنوان "المبادئ الأولى" (De Principiis)، وهو عرض منهجي لمبادئ العقيدة المسيحية، ثم بدأ أيضا العمل على تعليق مكثف مكون من 32 مجلدا على إنجيل القديس يوحنا، حيث كرّس الكثير من الطاقة لدحض ادعاءات الغنوصيين، كما شارك أيضا في نقاش جاد مع الحاخامات اليهود، فقد كانت معرفته بالعبرية أداة لا تقدر بثمن في هذه التبادلات حول الكتاب المقدس[3].

وقد كان دوره في التبشير بالمسيحية في محاضراته التي تركت آثارها في المسيحيين وأثارت حماسهم، وإلى هؤلاء الأعلام نضيف من دعاة المسيحية الأوائل كل من باسيليدس وخليفته فالينتينوس، وكانا يبشران للمسيحية على عهد الإمبراطور هادريانوس (117-138 م)، ومما لا شك فيه أنه كان على

---

(1) Margaret Elizabeth Fogarty, **Egyptian christianity: an historical examination of the belief systems prevalent in Alexandria 100 B.C.E. - 400 C.E and their role in the shaping of early christianity**, thesis submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of master of philosophyancient Near Eastern studies), University of Stellenbosch, 2004, p127.

(2) مصطفى النشار، المرجع السابق، ص ص93، 103.

(3) Margaret Elizabeth Fogarty, op.cit, p129.

دعاتها أن يبرزوا وبشكل واضح أن المسيحية ليست مذهبا فلسفيا أو فرقة من فرق اليهود بل هي دين جديد يدعو إلى خلاص البشرية من المفاسد التي غزت المجتمعات[1].

وقد انتشرت المسيحية انتشارا سريعا وازداد عدد المنضمين إليها، فكان من الضروري أن يوضع التعليم المسيحي على أسس منهجية منظمة، وإعطاء الداخلين إلى المسيحية ما يؤهلهم للمعمودية والانضمام إلى الكنيسة، وكذلك لتثقيف المؤمنين بمبادئ الدين وتعاليمه، والتعمق في فهم الفلسفة واللاهوت، وهكذا تأسست مدرسة الإسكندرية للتعليم المسيحي، ولم تكن هذه الأسباب فقط هي الداعية لإنشائها، كان هناك سبب آخر لا يقل عنها خطورة، ذلك أن العالم الوثني كان يقف للمسيحية بالمرصاد، وواجهت الكنيسة هجمات فكرية شديدة من فلاسفة الوثنية ورجال السياسة، وكان لابد أن توجد مدرسة عليا تزود الكنيسة بقادة للفكر، وتقدم للمسيحيين المعرفة الكاملة التي تمكنهم من الرد على خصومهم سواء كان ذلك في مجادلات فردية وجماعية، أو حماية المؤمنين مما يثيرونه من شكوك[2].

أسست المدرسة اللاهوتية المسيحية بالإسكندرية وضرورة وجود مدرسة تناظر المدرسة الوثنية المعروفة بالرواق الاسكندري، وتقوم تلك المدرسة اللاهوتية بنشر المبادئ المسيحية والتعاليم[3] الانجيلية، وكانت مهمتها في البداية قاصرة على درس الكتاب المقدس وتعليم الديانة المسيحية على طريقة السؤال والجواب، ثم ما لبث أن اتسع نطاقها بعد ذلك، وصارت تشتغل بالعلوم والآداب والفلسفة [4].

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن هذه المدرسة لم تتخذ أكاديمية الإسكندرية الوثنية أنموذجا لها، ولم تحاول محاكاتها في شيء، ولم يكن غرض مؤسسيها أول الأمر تنشئة عدد من العلماء المدربين الذين يجادلون فلاسفتها، ولكنه منذ اعتنق الدين المسيحي كثير من الفلاسفة وبدأ هؤلاء يعملون لنصرة دينهم

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، **مصر** ...، المرجع السابق، ص ص49، 50.

[2] مراد كامل، **حضارة مصر في العصر القبطي**، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، د.ت، ص ص86، 87.

[3] وللوقوف على أهمية التعاليم المسيحية في الإسكندرية ينبغي إمعان النظر في تآليف القديس بطرس البطريرك وتآليف خلفه القديس إسكندر وتآليف القديس أثنايوس أشهر خصوم آريوس..والقديس مكاريوس الملقب بالشاب، ونونسبانبليس وذيذيموس معلم التعليم المسيحي والقديس كيرلوس البطريرك الخطيب الفصيح وسينيسيوس تلميذ هيباتيا الشهيرة، وزد على هؤلاء الفطاحل جماعة من المؤلفين يعتبرون في الغالب وثنيين من حيث نسق تآليفهم مع أنهم كانوا على دين المسيحية، وقد اشتهرت هذه المدرسة بالعلم أكثر من كل المدارس المسيحية التي أنشئت في القرون الأولى للميلاد. أنظر: عمر عباس العيدروس، **أضواء على مكتبة الإسكندرية القديمة من خلال إطلالة على التاريخ القديم**، مكتبة الإسكندرية، وزارة الإعلام والثقافة، أبو ظبي، 1995، ص ص214، 215.

[4] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص 32.

تولدت عندهم الرغبة في تنشئة أتباع بالعلوم العقلية، حتى يقدروا على تنصير فلاسفة الأكاديمية[1].

وقد عرفت في الإسكندرية بمدرسة الموعظين (Cathechesis)، وقد ذاع صيت هذه المدرسة باسم مدرسة المدافعين عن الدين (Schola Apologotica)، وهي تعتبر في نظر المؤرخين للمسيحية أول معهد علمي ذا أهمية كبرى للدراسات اللاهوتية في عالم المسيحية الأولى، حيث أضحى آباء الكنيسة مسؤولين عن صياغة اللاهوت المسيحي ووضع التفسيرات والشروح والتعريفات المحددة، وقد قدمت هذه المدرسة أول محاولة جادة لتنظيم تعليم مسيحي يكون مؤهلا لينافس تعليم المدارس الوثنية في الإسكندرية، وكان معلموها يستهدفون الدفاع عن العقيدة المسيحية ضد الملحدين والغنوصيين، فلقد كان أهم ما يشغل بال القائمين على هذه المدرسة مواجهة العديد من الديانات السائدة مثل عبادة الربة كيبلي (Cybele) الأم الفريجية وإيزيس المصرية وميترا الفارسي، وآراء الغنوصيين والديانات الأخرى في فارس والهند والحبشة وكذلك أفكار الخارجين على الكنيسة[2].

وأما المقصود الأصلي من إنشائها أن الدين المسيحي لقي في الإسكندرية ما لم يلق مثلها في غيرها، وكان لابد له من التغلب عليها، وسببها أن الشعب كان يكره دين اليهود- وقد تطرقنا في الفصل الثاني إلى اليهود وعلاقتهم بباقي السكان – الذي هو أساس المسيحية، وكان علماء الموسيون أقل الناس استعدادا لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحي، فرأى المسيحيون في الحال أنه لابد من إصلاح تعليمهم[3] إصلاحا خصوصيا للذين يريدون أن يتضلعوا في معرفة الدين، وفي أواخر القرن الثاني الميلادي انحاز بنتانيوس أحد **الرواقيين**[4] القدماء إلى تلك المدرسة التي كانت تناظر الموسيون في العلوم الأدبية والدينية وجُعل مديرا لها، وفي عهد كليمنت وأوريجين بلغت المدرسة أعلى درجات المجد وفاقت مدرسة

---

[1] محمد عبد المنعم، **الإسكندرية المكتبة والأكاديمية في العالم القديم**، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000، ص86.

[2] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص86.

[3] عمر عباس العيدروس، المرجع السابق، ص214.

[4] **الرواقية**: (Stoicism)كانت المدرسة الرواقية المعروفة أيضا باسم 'Stoa' أو ' The Porch ' أي الرواق، وقد تأسست في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد من طرف زينون كيتيون 'Zeno of Kition ' (لارناكا الحديثة 'Larnaca' في قبرص)، وقصة التأسيس منقولة عن ديوجنيس لارتيوس 'Diogenes Laertius'، وكان زينون تاجرا فقدَ جميع سلعه في حطام سفينة بالقرب من أثينا، ثم شق طريقه إلى أغورا، حيث بدأ في قراءة نسخة من زينوفون "ذكريات سقراط" وقال: "أين يمكنني أن أجد رجلاً مثل هذا؟" .

تقوم الفلسفة الرواقية علي فن العيش والهدف النهائي للفلسفة هو تحويل حياة المرء إلى حياة شخص حكيم، يكون أقوى من كل شخص يشتم وأكثر ثراء وأقوى وأكثر حرية وسعادة، والشخص الوحيد الذي يستحق لقب "الملك"، فالحكيم كل ما يفعله يقوم

أنطاكية، واعتنى علماء المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحي على الناس عرضا تعمقوا البحث عنه[1].

ولما كانت العقلية السائدة في الإسكندرية آنذاك هي العقلية الفلسفية والعلمية، فقد كان لزاما على المسيحية أن تتزين بثوب فلسفي يمنحها القبول لدى هؤلاء الناس، وقد حدث ذلك بعد أن دمجت بالفلسفة على يد المؤمنين بها من الإسكندريين سواء الغنوصيين أو ممن لقبوا أنفسهم بالموعظين أو المدافعين عن الدين، وقد تطور الأمر لدى هؤلاء فكان لهم الفضل في صياغة اللاهوت المسيحي، وتم القيام بأول محاولات التوفيق بين الدين المسيحي والفلسفة الإغريقية[2].

وقد برز في مدرسة الإسكندرية المسيحية اللاهوتية عددا من آباء الكنيسة والديانة المسيحية مثل القديس إثناسيوس وكيرلس وغيرهم ممن وقفوا في وجه الأباطرة، ومنهم من شهد المجامع المسيحية الكبرى، ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة بيروس الذي لقب بأوريجانوس أو أوريجين الجديد لعمق علمه، وكان أساتذة هذه المدرسة مثالا يحتذى بهم، إذ امتاز غالبيتهم بحبهم الشديد لحياة الزهد والرهبانية، ولم يكونوا مجرد محاضرين يلقنون الطلبة بل كانوا يهتمون بتقديم المشورة لهم في البحث مع المناقشة المستمرة، ولعبت بذلك المدرسة اللاهوتية دورا كبيرا في نشر الدين المسيحي في مصر[3]، وكان للمفكرين المسيحيين بها تأثير عظيم على تطور الفكر في الكنيسة، وقد لقوا معاملة سيئة أثناء الاضطهادات أواخر القرن الثالث للميلاد[4].

وأما الكنيسة فقد كانت كنائس الأقاليم تابعة لكنيسة الإسكندرية، وقد أشير إلى أسقف الإسكندرية في إحدى الخطابات بلقب "بابا"، مما يدل على أنه في ذلك الوقت كان رئيسا لجميع المسيحيين في مصر، ومن الطريف أن نذكر هنا أن لقب "بابا" أطلق أول مرة على أسقف الإسكندرية "هرقليس" (232-249 م) قبل أن يطلق على رأس الكنيسة في روما ذاتها[5]، وفي أوكسيرنخوس أين

به بشكل جيد، ويتفق مع المنطق الصحيح وبطريقة تتوافق مع الفضيلة، الحكيم إذن هو الشخص الذي أتقن فن العيش، وبالتالي يعمل دائما بشكل جيد في جميع مجالات حياته . أنظر:

Matthew J Sharpe, **The Stoic art of living,** https://www.academia.edu;
John Sellars **Stoicism,** Routledge, London and New York, 2014, pp36, 37.

[1] عمر عباس العيدروس، المرجع السابق، ص ص214، 215.

[2] مصطفى النشار، المرجع السابق، ص80.

[3] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص247، 248.

[4] زكي علي، المرجع السابق، ص45.

[5] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص237.

يوجد أغلبية الإغريق تؤكد برديات القرن الثاني والثالث الميلادي أنه كان هناك فقط كنيستان، في حين المقابل الوثني نجد حوالي عشرين معبدا وثنيا، ولكنه في القرن الرابع للميلاد أصبح هناك ما لا يقل عن 40 كنيسة أو ديرا[1].

لا يمكننا أن نفترض أن أقدم مجتمع مسيحي في الإسكندرية قد اتبع أسقفا واحدا معترفا به، لأن الأسقفية الملكية أصبحت أكثر أشكال القيادة المسيحية شيوعا خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد، يبدأ هذا في التغيير مع ديميتريوس الذي تعود أسقفيته إلى 189-231 م، ومع انضمام اثنين من المثقفين العظماء في المسيحية مثل كليمنت وأوريجين للحفاظ على السيطرة العقائدية وتعليم المرشحين الجدد، كان على الأسقف أن يثبت نفسه كرئيس بلا منازع لكنيسة الإسكندرية، وقد فرض أساقفتها أنفسهم كأعلى صوت لاهوتي داخل كنيستهم، فكانت هناك خلافات داخل الأسقفية ولكن كانت الوحدة ضرورية حين وقع الاضطهاد الإمبراطوري[2].

مارست الإسكندرية تأثيرا متزايدا على المسيحية في مصر، وقد ساعد في ذلك جغرافيتها وتاريخها، التي فضلت المركزية إلى حد أكبر مما كانت عليه في مناطق أخرى من شرق البحر الأبيض المتوسط وكأكبر مركز حضاري، على عكس منافستها أنطاكية التي لم يحقق أساقفتها نفس القوة المحلية على المدن المحيطة، فكان رجالها من بين الممثلين الرئيسيين للإيمان المسيحي وسلطتهم راسخة، وما يدل على ذلك لقب البابا الذي استخدم لأسقف الإسكندرية[3].

حقيقة أن الإسكندرية أنتجت العديد من المفكرين ومركزا رئيسيا للعلم والثقافة، وظلت مكانا ازدهرت فيه الأفكار، وكان الجو بها مليئا بالنقاش الحاد، في هذه المدينة كانت الأسئلة المتعلقة بالهوية المسيحية منها بالحياة المسيحية المناسبة للفقراء، العلاقة الإلهية بالمادة، العقل، العلاقة بين الكيانات داخل المفهوم في التفكير المسيحي من حيث علاقة الأب والابن، والجدل داخل المجتمع المسيحي نفسه، وتفسير الكتاب المقدس، كما لا ننسى الجوّ المعادي لليهود والعداء بين المسيحيين واليهود، فالجالية اليهودية كان لهم حضور مهم في المدينة[4].

---

[1] محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص177.

[2] David M. Gwynn, **Athanasius of Alexandria: bishop, theologian, ascetic, father,** Oxford University Press, New York, 2012, p21.

[3] Ibid, p22.

[4] Revd Dr David Ivan Rankin, **From Clement to Origen: the social and historical context**

قُدّر للإسكندرية أن تؤدي في المسيحية دورا بارزا في الفكر إلى الحد القول بأنه ليس هناك بلد أثر في تطور العقيدة المسيحية مثلما فعلت مصر، وليس ثمة مدينة تركت بصماتها على المعتقد المسيحي بصورة أشد عمقا من الإسكندرية، وليس من المبالغة في شيء القول أنها كانت تمثل عقل العالم المسيحي وقدمت له تراثا صبغ فترات من تاريخه الفكري[1].

ب. بردیات العهد الجديد المكتشفة في مصر:

لم يعترف إلا في الآونة الأخيرة بالأهمية الكاملة لبرديات العهد الجديد، فقد كانت أوراق البردي (Oxyrhynchus) المنشورة حتى الثلاثينيات مجزأة للغاية، بحيث لم تحفز اهتمام العلماء للمحافظة عليها، على الرغم من أنها تغطي عددا كبيرا من كتب العهد الجديد، لكن النص المحفوظ بها سمح لنا بالمضي قدما نحو المقارنة بما يكفي لاستخلاص النتائج والتفسير الأكثر ترجيحا من نصوص العهد الجديد[2].

وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة[3] إلى القرن الثالث الميلادي، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي 60- 120 م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها، والكُتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم، وثمة تناقض[4] كبير بين الأناجيل وأن فيها

---

of the church fathers, Ashgate Publishing , Great Britain, 2013, pp114, 116.

(1) لم يكن للإسكندرية أن تتخل في ظل الدين الجديد عن مركزها المرموق ومكانتها في آفاق الفكر والفلسفة، ولما كانت واسطة بين الشرق والغرب فقد أضحت تمثل بؤرة الثقافات المختلفة والعديدة، وساعدها على ذلك أن سلطان أثينا من الناحية الفلسفية أخذ يضعف منذ أواخر العصور القديمة، وذلك بعد انتشار الفلسفة وشيوعها في حوض البحر المتوسط بين آسيا الصغرى وروما ثم كانت الإسكندرية مركزا لهذا الانتشار والانتقال. مصطفى النشار، المرجع السابق، ص79.

(2) C. Clivaz, J. Zumstein, **Reading new testament papyri in context. lire les papyrus du nouveau testament dans leur contexte**, bibliotheca ephemeridum theologicarum lovaniensium, Uitgeverij Peeters, Paris, 2011, p281.

(3) ليست الأناجيل الأربعة الرسمية هي الأناجيل الوحيدة التي كتبت في القرون الأولى للمسيحية، فهناك أناجيل عديدة منها الإنجيل المعروف بإنجيل "العبريين"، وهو عمل آرامي أي يقوم على اللغة التي يتكلمها المسيح وهي الآرامية، وقد استخدم هذا الإنجيل الحواريين الأوائل الذين كانوا يعرفون بالناصريين، وكانوا ينكرون ألوهية عيسى ويعتبرونه رسولا، وفي نهاية القرن 2 م اعترفت الكنيسة بأناجيل مرقص ومتى ولوقا ويوحنا، ورفضت الأناجيل الأخرى واعتبرتها كفرا وإلحادا وزندقة. أنظر: أحمد طاهر، المرجع السابق، ص50.

(4) لمعرفة التفاصيل حول النقاط التي حرفت في الإنجيل سواء بالزيادة أو النقصان، وكذا التناقض بين الأناجيل الأربعة أنظر: سارة بنت حامد محمد العبادي، **التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة**، ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، 2003، ص ص 111-

نقاط تاريخية مشكوكا في صحتها[1].

يحتل تاريخ متن الإنجيل في الدراسات المسيحية مرتبة عظيمة ذات أهمية فريدة وستظل هذه الدراسات تدين بالكثير للبردي، لأنه هناك شواهد حول متن الإنجيل الذي تم العثور عليه في مصر، وهي أقدم بكثير من تلك التي جاءت من أي مصدر آخر، وهناك اكتشافات حديثة تمكننا من أن نتتبع تاريخ متن الإنجيل[2]، حيث استعمل البردي في كتابة المخطوطات الإغريقية خلال القرن الأول والثاني الميلاديين، ويصل عددها إلى 75 بردية للعهد الجديد أكثرها من أصل مصري، وأهم هذه البرديات[3]:

1. **بردية Raylands**: وهي أقدم شذرة من الشذرات البردية للعهد الجديد من إنجيل القديس يوحنا[4] تتضمن الإصحاحات 18 من الأعداد 31-33 و37-38، وقد جرى نشرها سنة 1935، وهي محفوظة في مكتبة John Raylands بمانشستر ويرجع تاريخها إلى 130 م من بينها :

- بردية رقم p52 وتتضمن جزء من إنجيل يوحنا يعود تاريخها إلى القرن 3م [أنظر: **الصورة رقم 15**].
- بردية رقمp13 وتضم جزء من الرسالة إلى العبرانيين، يرجع تاريخها إلى القرن 3 م.

2. **برديات شيستر بيتي Chester Beatty** : عددها اثنتا عشرة، ثلاثة منها في دبلن وتتضمن نصوصا من العهد الجديد ويرجع تاريخها إلى القرن 3 م وهي:

- بردية رقم p45 ومقدارها 30 صفحة، تضم الأناجيل وسفر الأعمال وفق الترتيب التالي: متى، يوحنا، لوقا وسفر الأعمال [أنظر: **الصورة رقم 16**].

---

186 وأيضا: ص ص207-286.

[1] ول ديورانت، **قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية**، تر محمد بدران، ج3، م3، د.د.ن، بيروت، تونس، د.ت، ص207؛ أحمد طاهر، المرجع السابق، ص ص50-52.

[2] س. هـ. روبرتس، **قصة البردي اليوناني في مصر (في العصرين اليوناني والروماني)**، ترجمة وتقديم محمود إبراهيم السعدني، ط2، المركز القومي للترجمة، 2009، ص ص 28، 29.

[3] يوسف الكلام، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**، المنهل، 2009، د.م، ص ص124، 125.

[4] س. هـ. روبرتس، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

الصورة رقم 15: بردية جون رايلاند لإنجيل يوحنا من الجهتين رقم 52.

http://commons.wikimedia.org.

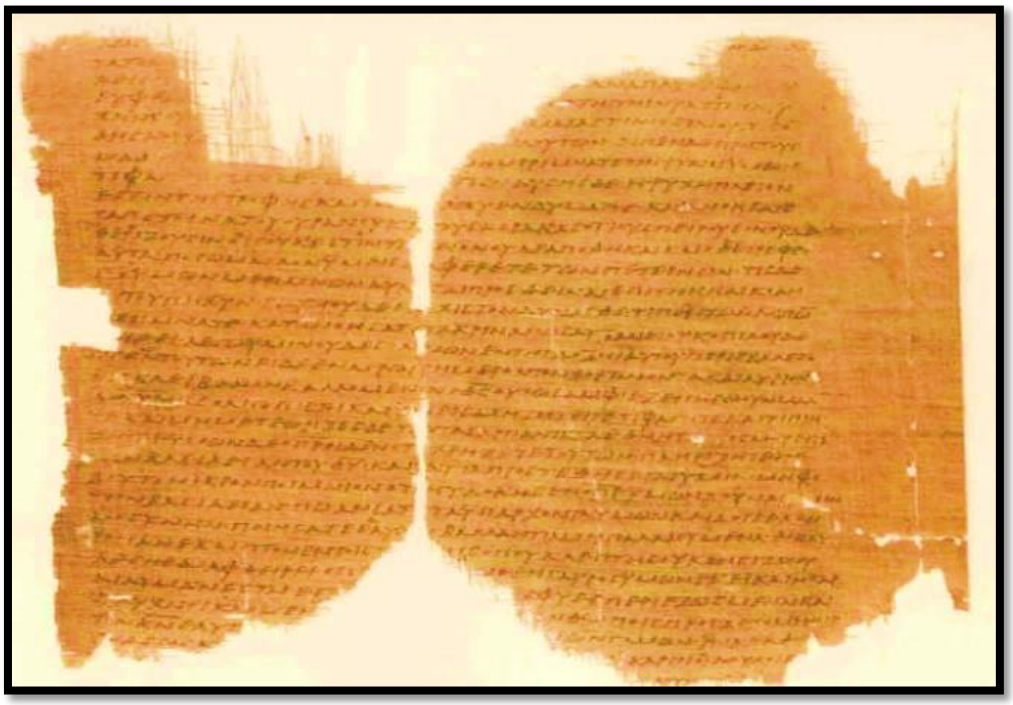

الصورة رقم 16: بردية Chester Beatty رقم 45 تمثل سفر لوقا الإصحاح 12، الأعداد 18-37.

Frederic G.Kenyon, **The Chester Beatty biblical papyri descriptions and texts of twelve manuscripts on papyrus of the greek bible**, Emery Walker limited, London, 1933, p19.

- بردية رقم p46 [أنظر: **الصورة رقم 17**] ومقدارها 86 صفحة، تحتوي على 104 صفحة وتشمل رسائل بولس ومنها الرسالة إلى العبرانيين [1].

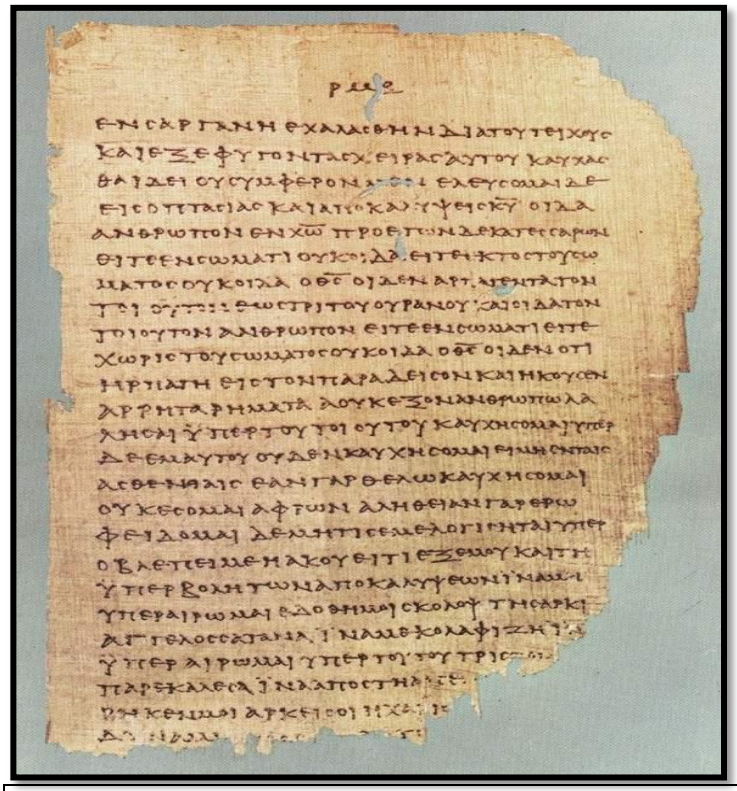

وقد أعلن عن اكتشاف مجموعة البرديات هذه والمعروفة باسم شستر بيتي في 19 نوفمبر 1931، وهي عبارة عن 12 مخطوطا تم شراؤها من قبل السيد أ. تشيستر بيتي، والتي تضمنت عناصر من الكتاب المقدس اليوناني المسيحي، لم يكن من الممكن حتى الآن معرفة المكان الدقيق الذي تم فيه إنجاز العمل، فمن المحتمل أن يكون ذلك نتيجة لعمليات التنقيب السرية التي أجريت في أحد الأديرة القديمة العديدة التي تغطيها اليوم الرمال خاصة في الفيوم[2].

الصورة رقم 17:

بردية Chester Beatty رقم46 تمثل رسائل بولس. http://commons.wikimedia.org

وتنسب كلها بين القرن الثاني والرابع الميلادي، وتحتوي سبعة من هذه الكتب على أسفار العهد القديم: التكوين والعدد والتثنية وحزقيال ودانيال وأستير وإشعيا وإرميا، وسفر من الأسفار الغير المعتمدة وهو سيراح، وتحتوي ثلاثة منها على أجزاء من العهد الجديد، أحدها كان كما ذكرنا من الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل والثاني على الجانب الأكبر من رسائل القديس بولس والثالث على سفر رؤيا يوحنا، وأما الكتاب الأخير فيحتوي على أجزاء من سفر أخنوخ الذي وصلنا أصله اليوناني ناقصا[3] .

---

[1] يوسف الكلام، المرجع السابق، ص ص124، 125.

[2] Paul-Louis Couchoud, **La plus ancienne bible chrétienne : les papyrus chester beatty,** revue de l'histoire des religions**,** Vol 109, 1934, p207.

[3] عبد اللطيف أحمد علي، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص168.

3. **بردية p66 أو بردية بودمير Bodmer II** : وقد نشرت بجنيف عام 1956، ويعد حدثا مهما للنقد النصي للإنجيل الرابع، فالبردية تضم إنجيل يوحنا من البداية إلى الإصحاح 14 العدد 26، ويرجع تاريخها إلى 200 م. [أنظر: **الصورة رقم 18**] [1].

الصورة رقم 18:

بردية بودمير والصفحة الأولى من البردية لسفر يوحنا 1: 1-13 والكلمات الافتتاحية.

https://legacy.earlham.edu ; http://www.bible-researcher.com/papyrus66.html

[1] يوسف الكلام، المرجع السابق، ص ص124، 125 ;

M.-E. Boismard, **Le Papyrus Bodmer II**, Revue Biblique, Vol. 64, No. 3, 1957, p363.

2. الجماعات المسيحية في مصر:

دخل في تكوين مصر عنصر مسيحي هام، وقد كانت مصر التي حمل إليها مرقص المبشر بالرسالة المسيحية خليطا من طرازين مختلفين في البيئة، فمن ناحية كان هناك سكان المدن الذين يتكلمون بالإغريقية وبخاصة في الإسكندرية، وهم من الإغريق وكذلك المصريين المتشبهين بالإغريق، وهؤلاء تأثروا بالمؤثرات الدينية والثقافية السائدة في القرن الأول للميلاد، وهناك البيئة المصرية في الصميم، التي كان شغلها إقامة الشعائر التي تتطلبها عبادة أوزريس وغيرها من الطقوس، ولكن نجد أن العقيدة المسيحية لقيت حرارة وإيمانا من طرف عامة الشعب في الحضر والريف[1].

أثبتت الاكتشافات البردية في مدن الفيوم المختلفة، ومن البهنسا ومن أنتينوبوليس– الشيخ عبادة في محافظة المنيا– وغيرها أن تحول المجتمع المصري إلى المسيحية جاء تدريجيا منذ القرن الثاني الميلادي وبخاصة في مصر الوسطى والعليا[2]، ولما انتشرت الديانة المسيحية في وادي النيل توجه المبشرون إلى الواحات فلقيت دعوتهم إقبالا كبيرا، وساعد على انتشارها بعد الواحات عن مضطهدي الكنيسة[3]، ثم نجد كذلك رجال مثقفون بالثقافة الإغريقية في الإسكندرية خاصة الذي ظهروا في القرن الثاني للميلاد دافعوا عن المسيحية ووضحوا حقائق الدين الجديد وأهميته، فتوالوا بالشرح والتفسير وقاموا بترجمة المعتقدات المسيحية إلى المصطلحات الفنية الخاصة بالفلسفة الهيلينية وتقريبها لجمهور الناس[4] .

ونجد أن انتشار المسيحية في أوائل عهدها اتخذت اتجاها أفقيا من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا، فالغالبية العظمى ممن اعتنقوا المسيحية في الأول كانوا من الطبقة العاملة[5]، حيث يذكر جورج فيليب الفغالي[6] أن الوثنيين الأوائل الذي اعتنقوا المسيحية لم يكونوا من أولئك الذين كانوا يتمتعون على الأرض بل كانوا من المنبوذين والمقهورين والفقراء والمساكين تماما مثلما كان أوائل المسيحيين من اليهود:

---

(1) محمد شفيق غربال، **تكوين مصر عبر العصور**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، 1990، ص ص83-86.

(2) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص176.

(3) عاصم أحمد حسين، **الواحات المصرية في العهد الروماني**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الأول، 1951، ص ص191-193.

(4) محمد محمود أبو قحف، المرجع السابق، ص101.

(5) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص32.

(6) جورج فيليب الفغالي، **موسوعة الحضارة المسيحية– ولادة لمسيحية ونشأتها–**، دار نوبيلس، بيروت، ص ص134، 135.

"28 تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ."[1]،"24 اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ"[2]، "30 وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ"[3].

تكوّن في القرنين الثاني والثالث الميلادي مجتمع مسيحي مهم، فالجماعات الغنوصية كان عددها كبيرا كما تدل على ذلك مكتبة نجع حمادي، ولكن توحيد العقيدة وبتأثير مدرسة الإسكندية وأساتذتها أكسب المعركة أشواطا بعيدة، وقد ترأست طائفة ثرية كانت تملك دور العبادة في الإسكندرية، والمسيحيون في مدينة العلم هذه انتموا إلى مختلف الطبقات الاجتماعية، وكان أوريجين يحتفظ بتلامذة الصفوف المتفوقة والمثقفة تثقيفا مسيحيا عاليا، ثم سرعان ما عمت المسيحية بشكل واسع المدن والقرى والأرياف ووادي النيل وواحات الصحاري، وسوف يلعب الرهبان في نهاية القرن الثالث للميلاد دورا كبيرا في نجاح التبشير[4].

صحيح أن عدد من كان يعرف في المجتمع القديم من مساكين وعبيد كانوا كثر بين المسيحيين، لكن عددهم هذا إذا قيس بمجتمع ذلك العصر يعد قلة، والآباء المدافعون في مؤلفاتهم عن العقيدة، والذين فتحوا حوارا مع الفكر اليوناني أظهروا بوضوح أن المبشرين المسيحيين قد حاولوا الاستجابة لتوقعات الطبقة المثقفة، وبالتالي أن التنصر قد لامس كل الأوساط، لكن يجب أن نضيف إلى هذا تأكيد أن مناهضة المسيحية استمر طويلا في الطبقات الأرستقراطية كما في الطبقات الشعبية[5].

ولكن نجد أن المعلومات عن المسيحيين الأوائل قليلة لندرة الوثائق البردية من القرنين الأول والثاني الميلادي، لأن المسيحيين في تلك الفترة كانوا يعتنقون ديانتهم بشكل سري حتى لا يتعرضوا للمضايقات من قبل الإدارة الرومانية، وهذا يعني أن المسيحية لم تنعكس في وثائق ومراسلات معتنقيها، بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك أية إشارات عن المسيحية في الوثائق القانونية والإدارية، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض القرائن المتصلة في بعض البرديات مقتطفات من إنجيل يوحنا، كما أن هناك بردية من قرية كرانيس

---

[1] إنجيل متى 11: 28.

[2] يوحنا 5: 24.

[3] يوحنا 8: 30.

[4] حبيب بدر آخرون، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، مراجعة وتدقيق نسيب عون، ط2، مجلس كنائس الشرق الأوسط، برنامج الدراسات والأبحاث، لبنان، 2002، ص72.

[5] نفس المرجع، ص ص71، 72.

القديمة بالفيوم هي عبارة عن أنشودة غنوصية عن المسيح من القرن الثاني الميلادي، مما يدل على وجود مسيحيين في مصر الوسطى في هذا القرن، ومما يدل على انتشار المسيحية هو حاجة التجمعات المسيحية إلى كتابة وتدوين الأناجيل المعروفة للتعرف على شؤون دينهم[1].

وهناك مجموعة من الصلوات المسيحية المبكرة، وهي عبارة عن تعبيرات صريحة عن شعور الملتمسين المسيحيين بالانتماء إلى المجتمع الديني المتميز، يمكن تتبعها في البردي ونذكر نماذج منها[2]:" **امنحنا أن نحقق الصوم بشكل صحيح، بقلب نقي، لكي نخلص من كل مكائد الشيطان، ولكي نصبح كاملين في المسيحية. امنحنا أن نلتزم بك حتى أنفاسنا الأخيرة من خلال وكالة كاهن أرواحنا يسوع المسيح، الذي من خلاله مجدك وشرفك وقدرتك في كل وقت. آمين**".

وفي صيغة أخرى: " **الله سبحانه وتعالى خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيه، ساعدني ، ارحمني ، امسح خطاياي، خلصني الآن وفي الزمان اللاحق بوصية يسوع المسيح ربنا ومخلصنا، من خلال ما هو (لك) المجد والقدرة في كل الأبدية. آمين**".

وتذكر أنستازيا مارافيلا[3] (Anastasia Maravela) أن هذه الصلوات تمثل الهوية وعلى أنها الإحساس والتعبير عن الانتماء إلى مجتمع ديني يمتلك سمات تميز أفراده عن أولئك الذين ينتمون إلى مجموعات دينية أخرى، وحتى عند مخاطبة الله والتواصل معه بصوت فردي؛ فإن المسيحي لا يغيب أبدا عن كونه عضوا في مجتمع يرأسه يسوع بصفته شفيعا بين البشر، وتتطور الصيغة التي تقدم دور يسوع الشفيع مع تمجيد الله إلى سمة مميزة للصلوات المسيحية المبكرة، وهي تنطلق من الإنسان إلى المجال الإلهي، أي توجيها مزدوج، فمن خلال هذه التعبيرات يتأكد نظام متميز من المعتقدات والممارسات منها الإيمان بالله، الصوم مع الحرص على تأمين وكالة يسوع من أجل المثابرة على الإيمان، مع الأدعية لله بالمساعدة والرحمة ومحو الخطايا والدعوة بقدرة الله وتجليه في خلق الكون.

ويحفظ لنا المؤرخ يوسيبيوس عن جماعة **الثيرابيوتا** اليهودية التي آمنت بالمسيح، والتي كانت تعيش خارج الإسكندرية حول بحيرة مريوط نقلا عن فيلون الذي يقول[4]:

---

(1) محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص391، 392.

(2) Anastasia Maravela, **Christians praying in a graeco-egyptian context: intimations of christian identity in greek papyrus prayers**, **in early christian prayer and identity formation**, Mohr Siebeck, Tübingen, Germany, 2014, pp295-301.

(3) Ibid.

(4) Eusebius, II, XVII, 7-9.

"في كل منزل يوجد مكان مقدس يسمى بيت ديني ودير –منستر (Monastere)[1]–، ومن ثم يجلسون لممارسة حياتهم المقدسة وحدها، إنهم لا يجلبون معهم أي شراب ولا طعام ولا أي شيء ضروري لاحتياجات الجسم، بل الشرائع وأقوال الأنبياء والترانيم[2] وغيرها من الأشياء التي يمكن أن تساعدهم على زيادة المعرفة والتقوى. وكان الوقت من الفجر حتى الغسق هو وقت الزهد يقرأون الكتب المقدسة، ويفسرون فلسفة أسلافهم بطريقة رمزية، يعتقدون أن الكلمة نفسها هي رمز الأشياء الخفية التي تظهر في الرمز، لديهم أيضا كتابات من قدماء طائفتهم الذين تركوا آثارا عديدة بشكل رمزي، وكانوا يتخذونهم قدوة ويقلدون فلسفتهم".

استطاعت المسيحية أن تتغلغل في نفوس المصريين، ولم يجدوا أية صعوبة في تقبلها وفهمها، فنجد أن كثير من معتقدات المسيحية كانت لها شبيه ونظير لها مثل فكرة البعث والخلود والثواب والعقاب في العالم الآخر،[3]ونجد فكرة الثالوث مجسّدة عندهم مثل ثالوث "أوزيريس وإيزيس وحورس"، وقابلوا فكرة ولادة المسيح من عذراء من فكرة ولادة أبيس الذي تحل فيه روح الإله بتاح، هذا فضلا عن الصليب

---

[1] الشيء الملفت للنظر أن كلمة (موناستيريون) تظهر لأول مرة في التاريخ المصري النسكي مرتبطة بالثيروبيوتاي وتحديدا بما صار يعرف اليوم بالمحبسة–، وموناستيريون تعنى حرفيا (مكان التوحد) من الكلمتين (موناس) بمعنى واحد و(تيريون) بمعنى مكان، وهي اللفظة التي شاعت بعد ذلك كتعبير عن الأديرة الرهبانية كوحدة كلية تتكون من قلالي يسكنها مجموعة من الرهبان، ويتوسطها قلاية المرشد الروحي للجماعة وهو الشكل الذي شاع في القرن الرابع الميلادي، فقلاية الراهب تنقسم لقسمين: صالة خارجية يمارس فيها حياته العادية من أكل وشرب واشتغال بالعمل أو استقبال للزوار وتسمى **مَضيَفَة**، ومحبسة داخلية لا يمارس فيها إلا حياة النسك و العبادة والتأمل في كلمات الله ولا يدخلها إلا هو وأب اعترافه. أنظر: مايكل ميلاد، **الثيرابيوتاي والحياة الليتورجية والنسكية المصرية**، على الموقع:http://kings-reader.blogspot.com/2015/12/2.html

[2] غالبا ما يكون المقصود بهذه الكتب هو " أسفار التوراة"، وقد ذكرت في النص اليوناني بمعنى شريعة وأقوال الأنبياء، وكان هذا تقليدا يهوديا يختص بخدمة المجتمع اليهودي قراءة من الشريعة، ثم من الأنبياء والترانيم، ربما إشارة إلى "البركات الثماني عشرة" التي كانت تتلى باللحن عقب كل خدمة. أنظر: يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص16.

[3] هناك العديد من المفاهيم الدينية النموذجية الموازية للمسيحية، مثل مخاطبة "الابن الحبيب" للإله، وهو صفة تم تبنيها في وقت لاحق ليسوع، ففي نصوص الأهرام تظهر مقارنة واضحة لقصة الإنجيل، إلهة السماء" نو" تتحدث من السماء فيما يتعلق بالمتوفى أوزوريس: " هذا هو ابني، ولدي الأول هذا هو حبيبي"، يمكن مقارنة ذلك بالموجود في إنجيل متى 17:3: " وها هو صوت من السماء قائلا: "هو ابني الحبيب الذي سررت به " هذا" ابن الله" ، و"شمس الله" ، وبالتالي فإن المسيحية هي واحدة من الأديان الرئيسية التي نجد فيها الكثير من التأثير المصري في أساطيرها وطقوسها مثل العديد من الديانات الأخرى، تشترك الأديان المصرية والمسيحية في موضوع عام قوي هو الخير مقابل الشر والضوء مقابل الظلام، في حالة الدين المصري تجلى الخير والشر في العديد من الآلهة خاصة حورس وست، في حين نجد نظرائهم من المسيحية يسوع والشيطان. أنظر:

D. M. Murdock, Acharya S, **Christ in Egypt: The Horus-Jesus connection**, Stellar house publishing, The United States of America, 2008, pp31, 67.

الذي هو رمز الحياة الروحية في المسيحية كان رمز الخلود عند المصريين، إذ صورت آلهتهم وفي يدهم الصليب المعقوف الرأس وهو علامة "**عنخ**"[1] ورمز الحياة عندهم [أنظر: **الصورة رقم 19، 20**] ، فانتشرت المسيحية بينهم[2]، كما نجد أسطورة إيزيس وأوزوريس وابنهما حورس من أشهر الأساطير في مصر القديمة، فنجد تلك الآلهة المحبوبة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالأم العذراء المقدسة عندهم[3] .

ولا أدل على انتشار المسيحية ذلك اكتشاف أربع برديات حفظت لنا نصان من **إنجيل يوحنا**[4]، وكذلك ما جاء في بردية أهناسيا من أقوال المسيح:"...**ارفع قطعة الخشب فسوف تجدني، واقلب الحجر تجدني...**"، وهذا ما يدل على انتشار المسيحية بينهم ومعرفة السيد المسيح في مصر في أوائل القرن الثاني الميلادي[5].

كما نجد أن الجماعات المسيحية المحلية كانت على اتصال مستمر بالحركة المسيحية بالإسكندرية والتي كانت بدورها واسطة الاتصال مع المسيحية في الخارج، وتكشف بردية تحتوي على خطاب كتبه

---

(1) **علامة عنخ**: عنخ في جوهره مجموعة من الرموز المشتركة في العديد من الثقافات والتقاليد، فهو يجمع بين اثنين من أكثر الرموز وهو الصليب والدائرة، مشتق منه الصليب التقليدي يسمى العنخ أحيانا (Crux Ansata)، يتم تشكيله عن طريق وضع دائرة أو حلقة فوق T أو Tau، وتاو هو الحرف اليوناني T.

ظهر الصليب لأول مرة في علامات الكهوف منذ آلاف السنين قبل أن يتعلم البشر الرسم والنحت، على الرغم من أن أصله الدقيق غير معروف، إلا أنه سرعان ما أصبح رمزا لجميع الأشياء التي تأتي في أربع اتجاهات أي عناصر الحياة الأربعة.

يُعرف الصليب الذي يتألف من النصف السفلي من عنخ باسم Tau، وهذا هو العهد القديم للصليب المسيحي، وقد تم استخدامه من خلال ثقافات متنوعة من الوثنيين والكهنة والمسيحيين، وكان يعرف بشكل مختلف كرمز لشجرة الحياة والحياة الأبدية، يمثل الصليب كما أيدته الكنيسة المسيحية التي يطلق عليه غالبا الصليب اللاتيني –صلب المسيح–. أنظر:

Weiser Books, **Ankh: key of life**, introduction by Lon Milo Duquette, Weiser Books, China, 2007, pp7, 8.

(2) ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص35.

(3) Jill Kamil, **Christianity in the land of the Pharaohs: the coptic Orthodox church**, Psychology Press, London, New York, 2002, pp14, 15.

(4) **إنجيل يوحنا**: هو رابع الأناجيل وأكثرها أهمية، فهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة بأسلوبه ونقل الأحداث وتواريخها، ويرى المحققون أن كتابة إنجيل يوحنا كانت ما بين 68–98 م، ولإنجيل يوحنا مكانة خاصة بخلاف الأناجيل الأخرى فيذكر القس إبراهيم سعيد أن إنجيل لوقا كتب لليونان ومتى كتب لليهود ومرقص كتب للرومان وإنجيل يوحنا كتب للكنيسة عامة، فالأناجيل الثلاثة قبله متشابهة إلى حد كبير، أما هذا فيختلف عنها بأنه ركز على قضية واحدة وهي: إبراز دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله بنظرة فلسفية وبتصريح واضح. أنظر: أحمد طاهر، **الأناجيل دراسة مقارنة**، دار المعارف، القاهرة، 1991، ص ص30، 40، 41؛ سعود عبد العزيز الخلف، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1997، ص136.

(5) أحمد زايد، **مختصر الكلام فيما مر على مصر من عصور وحكام**، دار نشر يسطرون، مصر، 2017، ص ص87، 88.

شخص له مكانته يبعث إلى جماعة المسيحيين إلى منطقة الفيوم وهو يخاطبهم بلفظ "إخواني" وهو تعبير مسيحي جديد في لغة الخطابات، ويطلب إليهم أن يجمعوا مبلغا من المال لإرساله إلى الإسكندرية، وفي الخطاب إشارة إلى البابا" ماكسيموس" الذي كان أسقفا بها. هذا الخطاب يبين نوعا من التعاون بين البيئات المسيحية الأولى، وحين قامت الكنيسة في الإسكندرية كانت كنائس الأقاليم تابعة لها، فالإشارة إلى أسقف بلقب بابا يدل على أنه في ذلك الوقت كان رئيسا لجميع المسيحيين في مصر[1].

الصورة رقم 19: صورة توضح إيزيس وهي تقود نفرتاري إلى عالم الموتى، ثم تضع في فمها علامة عنخ لتستنشق روح الحياة.

Weiser Books, op.cit, p2.

[1] البردية: **TheAmberst Papyri, 1.3** نقلا عن: مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص237.

الصورة رقم 20: صورة توضح مخطوطة قبطية لسفر أعمال الرسل وشكل الصليب القبطي.

https://www.alamyimages.fr/photos-images/coptic-manuscript.html

3. بداية الاضطهاد الديني وأسبابه:

ساعدت نظرة الرومان الأولى إلى المسيحية على نمو بذورها في العالم أجمع وفي مصر خاصة، فقد نظر الرومان إلى المسيحية في بداية الأمر على أنها مجرد نزعة دينية يهودية فلا لا ضرر منها ولا يوجد ما يثير الخوف منها، واعتبروا المسيح عليه السلام رجل يهودي جاء ليكمل الوحي، ولكن سرعان ما تغيرت هذه النظرة بعد أن كشفت المسيحية عن نفسها وأنها ديانة جديدة لا تعترف بقيصر كإله ولا بآلهة الرومان، وإنما تؤمن بالله الواحد خالق السماء والأرض، لذلك بدأ الرومان يعتبرون المسيحية ديانة محرمة وأنه لا حق للمسيحيين في الحياة والوجود[1].

في كل الأحوال فإن بداية انتشار المسيحية لم تستدع من الرومان اتخاذ موقف منها بل اتسم الأمر بالتسامح كما هو الحال مع باقي الديانات والمعتقدات المتعددة الأخرى، غير أنه وقبل انتهاء القرن الأول الميلادي بدأوا يظهرون كأصحاب ديانة مختلفة وليست فرعا من اليهودية[2].

حتى منتصف القرن الثالث الميلادي كانت حلقات الاضطهاد قصيرة ومتقطعة، حيث كان انتشار المسيحية عبر الإمبراطورية غير مكتمل، مما يعني أن بعض المناطق مثل آسيا الصغرى وشمال إفريقيا بها مجتمعات مسيحية كبيرة، في حين أن مناطق أخرى مثل البلقان أو شمال الغال بالكاد توجد فيها؛ ومن هنا نشأ الاضطهاد في الغالب في المناطق التي كان المسيحيون فيها مرئيين بشكل كاف، وجذبوا الانتباه العدائي من جيرانهم غير المسيحيين، وبهذا تعكس طبيعة الاضطهادات المبكرة[3].

ويؤكد سعيد عبد الفتاح عاشور[4] أن الاضطهاد الروماني لم يكن سببه ديني بأي شكل من الأشكال وإنما مرجعه إلى سبب اجتماعي، حيث بدت المسيحية كثورة اجتماعية خطيرة تنادي بمبادئ من شأنها تقويض دعائم المجتمع الروماني كله، وأخذوا يجتمعون سرا لمباشرة طقوسهم الدينية، والمعروف أن أية حكومة تعتبر الاجتماعات السرية الخاصة التي يعقدها فريق من رعاياها أمرا يخشى منه على

---

[1] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص33، 34.

[2] محمود مدحت، **مصر القبطية**، تقديم يونان لبيب رزق، مراجعة سليمان نسيم، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة، 1998، ص 126.

[3] Mark Humphries, **Christianity and paganism in the roman empire 250-450 C.E**, A companion to religion in late antiquity, Forth coming in Nicholas Baker-Brian and Josef Lössl (eds), p6.

[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص33، 34.

كيانها، لاسيما إذا كانت تضم الطبقات الفقيرة التي انتمى إليها معظم المسيحيين الأوائل، ونجد نظرة الحكومة الرومانية إلى المجتمعات المسيحية الصغيرة في أول أمرها كانت لا تعدو الاستخفاف بها والتهوين من أمرها، بعكس ما أصبح الحال عندما ازداد انتشار المسحية وكثر أتباعها، وعندئذ تحولت نظرة الحكومة إلى نوع من الخوف والشك في أمرها.

ويتساءل بول هارتوغ (Paul Hartog) هل كان المسيحيون الأوائل مستهدفين من قبل السلطات الرومانية؟. يمكن الإجابة على ذلك من خلال ما ذكرته الباحثة كونديدا موس[1] (Candida Moss) التي تميز بشدة بين الاضطهاد (persécution) والملاحقة القضائية (poursuites)، حيث ترى أنه لم يتم إيذاء المسيحيين بسبب معتقداتهم الخاصة، لكن تم القبض عليهم لفرض القوانين العامة (تقترح العدالة القديمة بدلا من الاضطهاد الديني)، وتضيف أن الاضطهاد الحقيقي يجب أن يشمل الإعدام الناتج مباشرة عن الاعتراف بالإيمان المسيحي، علاوة على ذلك فإن الاضطهاد يعني أن مجموعة معينة تستهدف بشكل غير عادل الهجوم والإدانة، وذلك عادة بسبب الكراهية العمياء، وتؤكد أن الاضطهاد هو "كراهية غير عقلانية وغير مبررة".

يتفق المؤرخون على أن الحكام الرومان كان لديهم أسبابهم، وأنهم شعروا بالتبرير الشخصي في ردة فعلهم، وتضيف أن قمع المسيحية بموجب قوانين دقلديانوس كانت الفترة الأولى والوحيدة من الاضطهاد التي تتلاءم مع الأفكار الشائعة عن الاضطهاد في الكنيسة الأولى .

على سبيل المثال لم يكن ديكيوس يستهدف المسيحيين أنفسهم بقدر ما كان يهدف إلى العودة إلى العادات الدينية التقليدية وخوفا من أن تصبح المسيحية "دولة داخل الدولة"، حيث تقول كونديدا موس:

" إن المسيحيين جربوا وفسروا تصرفات ديكيوس على أنها اضطهاد، لا يعني ذلك أنه يعتزم اضطهادهم، إذا كنا سندين الرومان على اضطهادهم للمسيحيين، فمن المؤكد أنهم يحتاجون إلى فعل ذلك عن قصد أو على الأقل كانوا يدركون أنهم يفعلون ذلك ".

---

[1] Candida Moss, **The Myth of persecution: how early christians invented a story of martyrdom**.

نقلا عن:

Paul Hartog, **The maltreatment of early christians: refinement and response**, southern baptist journal of theology, Vol: SBJT 18:1, 2014, p56.

وتضيف دعما أكثر على كلامها أنه بدلا من القول أن المسيحيين تعرضوا للاضطهاد فإنهم تعرضوا للمقاضاة، فيمكن للمرء أن يضع تمييزا مختلفا وهو التمييز بين الاضطهاد المقصود والاضطهاد المتمرس، فبالرغم من أن السلطات لم تكن تستهدف المسيحيين على وجه الخصوص، فقد يفهم المرء كيف شعروا كضحايا مستهدفين[1].

من جهتنا يمكننا التعقيب على ما ذكرته كونديدا موس في القول بأنها تعطى مفهوما ونظرة أخرى حول الاضطهاد الديني للمسيحيين، وكأنها تبرر أفعال السلطة الرومانية وأن تصرفها كان غير مقصودا ومبررا، صحيح أنه في البداية لم يستهدف الرومان المسيحيين بالذات كفئة دينية بل كانت ردة فعلهم ذات طابع سياسي وأنهم أُعتبروا خارجين عن النظام العام وتهديدهم لسلطة ومركز الامبراطور، وتضيف أنه بدلا من مصطلح الاضطهاد الديني الذي يكون في نظرها غير مبرر وظالم، فعوضته بمصطلح "الملاحقة القضائية" باعتبار ردة فعل الرومان هنا مشروعة، ولكن نحن لا نوافقها تماما باعتبار أن الفترات اللاحقة تبين أن هذه الملاحقات أصبحت تستهدف المسيحيين بعينهم، فالاضطهاد يعني تجاوز السلطة في استخدام القوة والتعسف والقمع بوحشية، والاضطهاد الديني هو الإجبار والقمع الذي يقوم على أساس ديني، فنجد أن السلطة الرومانية فيما بعد أصبح اضطهادها غير مبرر، وتم منع المسيحيين من ممارسة طقوسهم الدينية بالتعذيب والسجن والقتل وإجبارهم بالقوة على ترك دينهم، وهذا ما سنراه في الفصل التالي.

وبهذا يمكن هنا أن نحدد أكثر أن أسباب الاضطهاد الروماني للمسيحيين في البداية عموما وفي مصر على وجه التحديد لأسباب سياسية واجتماعية:

أولا: ذلك أن رفض ممارسة الشعائر الدينية الرسمية للدولة المتمثلة في عبادة الإمبراطور إنما كانت تعني رفض الرمز من رموز وقوة وهيمنة الدولة على رعاياها[2]، فقد كان اليهود يقدمون قربانا سنويا في الهيكل من أجل الإمبراطور، وكان ذلك لغاية وهي المحافظة على سلامة وضعهم داخل الإمبراطورية، أما المسيحيين فقد كان الولاء وألوهية الإمبراطور عقيدة دينية لا تتفق مع عقيدتهم، ومن هنا نشأ سوء التفاهم بينهم وبين الرومان [3].

---

[1] Paul Hartog, op.cit, p57.

[2] محمود مدحت، المرجع السابق، ص138.

[3] بسمة أحمد جستنية، المرجع السابق، ص86.

ثانيا: يضاف إلى ذلك أن الرومان اعتبروا اعتزال المسيحيين للحياة العامة إنما يعني هروب المسيحيين من أداء الواجبات الخاصة بالدولة، مما يضعفها، ولذلك اعتبرتهم السلطات الرومانية خارجين عن النظام العام للمجتمع وبالتالي يشكلون خطرا على الدولة.

ثالثا: رفض المسيحيين تولي المناصب العامة في الدولة ورفض الأداء العسكري دفاعا عن الدولة[1]، وكانت تهمة الخيانة العظمى من بين التهم الموجهة للمسيحيين، وقد كانت تهمة شائعة منذ العهود المبكرة، وتنطوي على ممارسات لا أخلاقية متدنية ولا إنسانية مثل أكل لحوم البشر والزنا بالأقارب والقتل وغيرها، ومن جراء هذه الفكرة ترسبت حول المسيحية في أذهان ونفوس العامة، فإذا ما لحق بالدولة أي أخطار أو كوارث فإنه بسبب المسيحيين وأن الآلهة غاضبة، فكان ذلك يعد دافعا يضاف لبقية دوافع اضطهاد المسيحيين[2]، ويعبر عن ذلك ترتليان تعبيرا صريحا فيقول[3]:

"إذا ما فاض نهر التبر ووصل إلى الأسوار، وإذا لم يفض النيل في الريف، وإذا بقيت السماء بلا أمطار، وإذا ما زلزلت الأرض أو حدثت مجاعة أو طاعون ارتفعت الصيحة على الفور "ألقوا بالمسيحيين للأسود! ماذا! الكثير من الرجال لأسد واحد".

وبذلك أخذت الحكومة الرومانية تغير نظرتها وتعتبرهم فئة هدامة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها، وبدأت تعتبر اعتناق المسيحية جرما في حق الدولة، فمنعت اجتماع المسيحيين وأخذت تنظم حملات الاضطهاد ضدهم[4].

ويعدد أسقف الغربية الأنبا يؤانس[5] أسباب الاضطهاد أنه إلى جانب طبيعة الدين الجديد في تأثيره على الناس من حيث ربطه بين الشعائر الدينية وأعمال الإيمان، مما يعني رفضا قاطعا للديانات الوثنية ومنها الديانة الرسمية، ويذكر أيضا أن الديانة المسيحية كانت منذ بدايتها ديانة عالمية بمعنى تساوي البشر أمام الله، وهو ما يتعارض مع التقسيم الطبقي والعرقي والديني الذي وضعه الرومان، ثم يشير إلى سبب آخر مهم هو أن المسيحية في جانب من جوانبها قد عملت على فصل الدين عن الدولة، بحيث لم

---

[1] محمود مدحت، المرجع السابق، ص ص138، 139.

[2] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص402.

[3] Tertullien, XL, 2.

[4] بسمة أحمد جستنية، المرجع السابق، ص87؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص34.

[5] الأنبا يؤانس، **الاستشهاد في المسيحية**، ط4، دار الكتب، مصر، د.ت، ص ص63-66؛ محمود مدحت، المرجع السابق، ص ص139، 140.

تعترف في تنظيمها الكنسي بوظيفة الكاهن الأعلى أو تقبل بأن تعين الدولة رئيس كنيستها مثلما كانت تفعل مع الديانات الوثنية الأخرى، وأنها فرقت بين طاعة الله وطاعة قيصر اتباعا لقول المسيح:

"**أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ**[1]"، ومن ثم ظهر الرفض للانخراط في الجيش الإمبراطوري ورفض العمل في بعض المهن، بالإضافة إلى رفض المسيحيين مبدأ استعباد الشعوب العاجزة وبيع الرقيق فحدث اصطدام وتباين في المبادئ والسلوكيات بين الثقافة والحياة الرومانية والثقافة والحياة المسيحية، فجاء اضطهاد المسيحيين وحرمانهم من المواطنة وإنزال ألوان العذاب بهم، ولكن رغم ذلك كله صمد المسيحيون وانتشرت ديانتهم انتشارا واسعا، وحولت الكنيسة المصرية إلى مؤسسة قومية ودينية لها نظامها وسلطانها الكنسي والديني والتعليمي[2].

في الحقيقة كانت الرومان إجمالا متسامحين في موضوع الدين، فقد ازدهرت في الإمبراطورية أديان شرقية عديدة إلى جانب الدين الرسمي، وحصل اليهود مثلا على نظام خاص يسمح لهم بممارسة شعائرهم، بينما المسيحية بالمقابل كانت عرضة لملاحقات واضطهادات شتى استمرت بصورة متقطعة حتى القرن الرابع للميلاد للأسباب التي ذكرناها آنفا، وكانت تصدر أحيانا كثيرة عن جماعات معادية تترافق مع إجراءات ظالمة يتخذها قضاة محليون أو حكام المقاطعات وحتى الأباطرة، ولذلك فإن نمط حياة المسيحيين أوجب عليهم في الواقع مخاصمة الكثير من الوثنيين تخللتها الكثير من الاضطهادات[3].

وفي الأخير يتبين أن هناك عدة عوامل ساهمت في اضطهاد الرومان للمسيحيين، ما بين الأسباب الدينية والسياسية والاجتماعية، وخاصة بعد انتشار المسيحية بشكل يلاحظه الجميع، ونجد أن المجتمع المصري بدأ يتحول تدريجيا من مجتمع وثني الى مجتمع مسيحي، ولكن المسيحيين في البداية كانوا يعملون في الخفاء سواء في مصر أو في أنحاء الإمبراطورية، خوفا من التعرض للاضطهاد على يد السلطات الرومانية كما سنرى ذلك في الفصل الرابع.

---

(1) "[14]**فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟**[15] **فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: "لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ اِيتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ."**[16] **فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: "لِقَيْصَرَ".**[17] **فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ".** أنظر:إنجيل مرقص 12: 14-17.

(2) محمود مدحت، المرجع السابق، ص ص28، 29، 127.

(3) حبيب بدر، المرجع السابق، ص ص72، 73.

الفصل الرابع:

حركة الاضطهاد الروماني للمسيحيين في مصر

أولا: الاضطهادات العامة الأولى للمسيحيـــــة.

ثانيا: الاضطهـــادات الأعنف ومراسيم التسامح.

أولا: الاضطهادات العامة الأولى للمسيحية:

1. حريق روما وبداية الاضطهاد 64 م:

تميزت السياسة الرومانية بطابع التسامح الديني اتجاه مختلف العقائد والديانات الموجودة داخل الإمبراطورية، إلا إذا كانت هذه العقيدة أو تلك تتنافى مع المبادئ الأخلاقية أو تتعارض مع مصالح الدولة، أي أن أمر الحظر والاضطهاد كان يستند إلى أمور دنيوية منها مصالح الإمبراطورية الرومانية[1].

يشار إلى أن المسيحيين تعرضوا لاضطهادات عدة بدأت من 64 م إلى غاية سنة 313 م، وهي السنة التي يسميها المسيحيون "سنة البراءة"، تعاقب عليها كثير من الأباطرة [أنظر: **الملحق رقم 5**] وإن كان الاضطهاد وقع في فترات متقطعة وكذا فترات من التسامح الديني[2].

لم يكن هناك اهتمام من العالم الخارجي إلى المسيحيين لمدة قرن من الزمان، وكان ينظر على أنهم غير مختلفين عن اليهود وأنهم طائفة منهم، وهناك حقائق تكشفها كلمة "كريستوس" (Christos) اليونانية التي تعني "الممسوح بالزيت"، وقد انتقل معناها المرتبط بالمسيح في أذهان الوثنيين وحتى المثقفين الرومانيين على أنها خاصة بقائد يحمل اسم كريستوس وكان اليهود يتبعون أوامره، وقد افترض أغلب المعاصرين مما سمعوه أو رأوه من المجتمعات المسيحية الأولى أن السبب في الربط بينهما يرجع إلى ممارسة نوع من أنواع الشعوذة[3].

ومن القرائن التاريخية حول المسيحية نجد المؤرخ سويتونيوس[4] الذي يذكر أن الإمبراطور كلوديوس قد طرد من روما اليهود الذين كانوا يثيرون القلاقل بتحريض شخص يدعى كريستوس.

ومن الواضح أن المقصود بهؤلاء هم المسيحيين الذين لم يكونوا معروفين ومميزين آنذاك كأتباع دين مستقل، وكان يعتقد أنهم طائفة من اليهود، هذه الإشارة إلى المسيحيين تدل على أن أتباع المسيحية قد انتشروا مبكرا في روما بدرجة استفزت الإمبراطور جعلته يطردهم من روما، كما يشير سويتونيوس.

---

(1) محمود مدحت، المرجع السابق، ص138؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص38؛
Philip Schaff, **History of the christian church**, Vol 2, the ages digital library historical, USA,1997, p50.

(2) الربيع عولمي، **المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ القديم، ج1، جامعة باتنة 1، 2016/2015، ص273.

(3) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص109، 110؛ Philip Schaff, op.cit, p51

(4) Suetonius, **Claudius**, XXV, 12.

وهناك فقرة من يوسيبيوس تدل على مدى انتشار المسيحية بعد تيبريوس حيث يقول[1]:

" **في جميع المدن والقرى نعثر على كنائس بسرعة ومزدحمة بالعديد من الناس مثل الطوابق الممتلئة** ".

هذا الخلط بين المسيحيين واليهود من جانب الإدارة الرومانية جعلها تغض الطرف عنهم، مما مكنهم من الانتشار في هدوء بعيدا عن أعين الحكومة[2]، ولكن فيما بعد غيرت الدولة سياستها واعتبرتهم مواطنين يملؤهم الشر وعنصرا خطيرا على المجتمع، وبعبارة أخرى رأت في المسيحية ثورة اجتماعية تعمل على تهديم أركان المجتمع الروماني بنظمه وتقاليده[3].

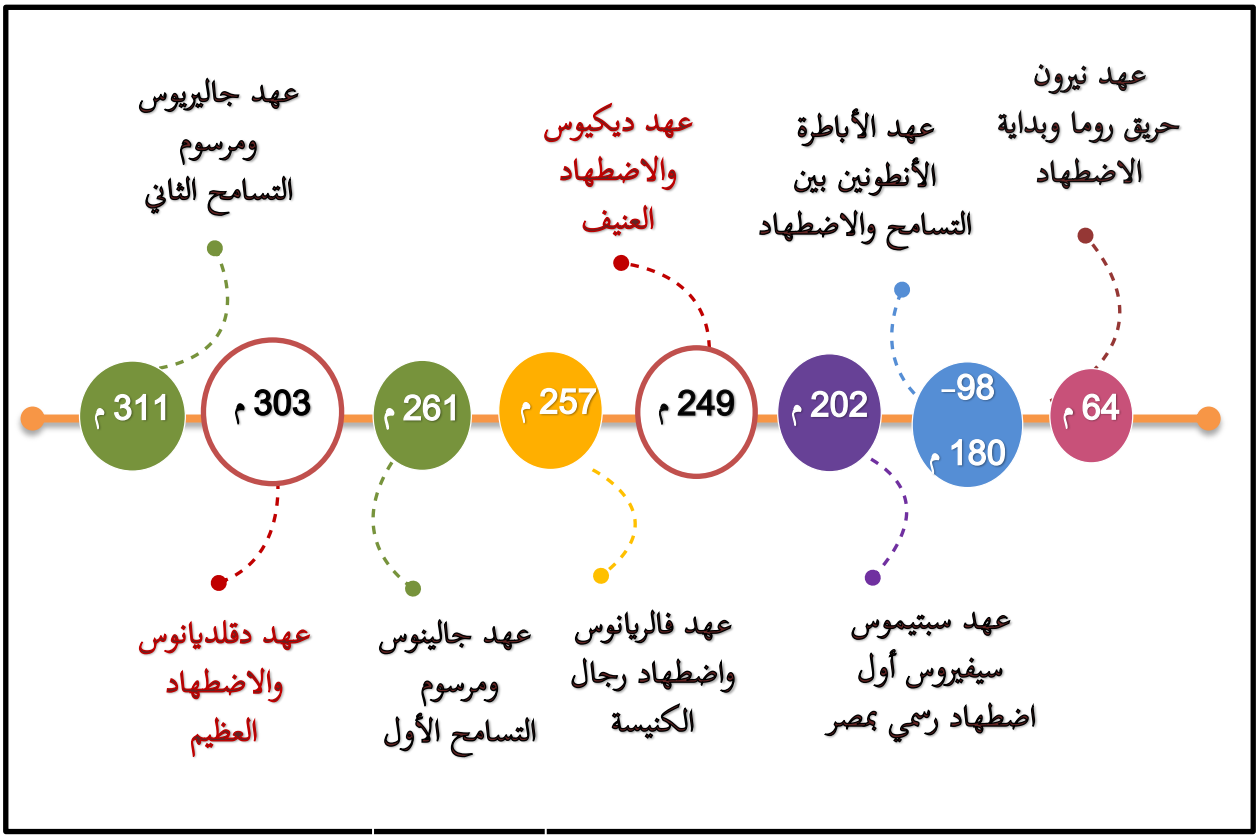

المخطط رقم 5: كرونولوجية الاضطهاد والتسامح الروماني اتجاه المسيحيين.

كان أول اضطهاد لحق بالمسيحيين هو اضطهاد الإمبراطور نيرون (54- 68 م) ، والذي يبدو أنه استمر لسنوات عدة ولم يقتصر على روما فقط[4]، وقد حدث في عام 64 م، حيث حل حريق كبير

---

[1] Eusebius, II, III, 1.

[2] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص397.

[3] محمود محمد الحويري، **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص59.

[4] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص398.

في روما قضى على ما فيها من قصور ومعابد، ولم يسلم منها سوى أربعة أحياء من المدينة، واتجهت أصابع الاتهام نحو نيرون خاصة بعد أن أمر بذبح أخيه وأمه وزوجته أوكتافيا وأستاذه سينيكا، ولكي يبرأ الإمبراطور نفسه[1] ألقى اللوم على المسيحيين بهذه الفعلة وأوقع بهم أشد أنواع الاضطهاد، حيث حشد جنوده ليقبضوا على المسيحيين، ورؤيتهم بأشكال مختلفة من أنواع العقاب، وأمر جنوده بتعليق الرسول بطرس وقطع رأس بولس لاحقا، وقد استمد سعادته من رؤية المسيحيين وهم يعانون [2].

وإذا كان مسيحيو روما قد نظرت إليهم السلطة الرومانية على أنهم مجموعة وطائفة فوضوية واتهموا جماعيا بحريق روما، فليس غريبا على هذه السلطة أن تبحث خارج روما في المقاطعات الأخرى عن فروع هذه الديانة وامتداداتها وتشعباتها، وبدأ تعذيب واضطهاد المسيحيين يأخذ الشكل القانوني بأوامر من الإمبراطور [3].

كل ما يعرفه سويتونيوس[4] عن هذا الاضطهاد هو أنه تعذيب ألحق بالمسيحيين، وهي خرافة جديدة شريرة ومؤذية (يقصد بهذه الخرافة الديانة المسيحية).

أما المؤرخ الذي ذكر بعض التفاصيل عن هذا الاضطهاد عام 64 م ويربط بين الاضطهاد وبين حريق روما، وإن حامت الشكوك أنه هو الذي أضرم النيران في المدينة لسمعته الرديئة، وفي هذا الصدد يقول تاكيتوس عن حريق روما واضطهاد المسيحيين[5]:

"...ولا احتفالات تكفي لإسكات الصراخ العام بأن نيرون قد أمر بالحريق، ولتهدئة هذه الشائعات قدّم جناة آخرين، وأوقع أقسى أنواع التعذيب على فئة من الرجال المكروهين بسبب فظائعهم، والذين أطلق عليهم العامة مسيحيون، يأتي اسمهم من السيد المسيح، الذي تم تسليمه للعذاب في عهد تيبريوس من قبل الحاكم بيلاطوس البنطي، بعد أن تم قمعها للحظة كانت هذه الخرافة اندلعت مرة أخرى ليس فقط في يهوذا حيث كان مصدرها ولكن في روما نفسها، حيث يتدفق إليها من العالم كل ما هو خسيس ومن الأمور المرعبة التي تجد مؤيدين لها، أولا أولئك الذين اعترفوا بطائفتهم تم القبض عليهم وعلى ما كشفوه، ليس بسبب تهمة إضرام الحريق وإنما بتهمة

---

[1] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص39؛ Philip Schaff, vol 1, op.cit, p234

[2] Praise Samuel, **Persecution of the earlier church,** p7, https://www.academia.edu/

[3] الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 277.

[4] Suetonius, **Neron**, XVI, 3.

[5] Tacite, **Les Annales**, XV, 44.

كراهية الجنس البشري فتعرضوا للتعذيب، وكان بعضهم يلف بجلود الحيوانات ليهلكوا وتلتهمهم الكلاب؛ مات آخرون على الصلبان أو غلّفوا بمواد قابلة للاشتعال، وفي آخر اليوم يحترقون بدلا من المشاعل، وكان نيرون يقدم حدائقه لرؤية هذا المشهد، كما لو أنه يقدم في الوقت نفسه ألعابا في السيرك، حيث كان يختلط مع الناس في لباس سائق عربة، ولذلك على الرغم من أن هؤلاء الرجال كانوا مذنبين ويستحقون أسوأ العقاب، لكن تعاطفت معهم القلوب معتقدين أنه لم يكن من أجل الصالح العام، بل لقسوة رجل واحد ضحى بهم".

يفهم مما قاله تاكيتوس أن المسيحيين متهمين بكراهية الجنس البشري، وأن عدم شعبية دينهم والافتراءات المنتشرة ضدهم بين الناس كانت السبب الحقيقي للإدانة التي لحقتهم، وأنهم أدينوا بجريمة الحرق العمد، ليس على أساس وجود أدلة مباشرة ولكن لأنه افترض أن المسيحيين قادرون على جميع الجرائم، لذلك كان الحكم عليهم كمسيحيين واعتبرهم الإمبراطور كأعداء، ولأول مرة تنتقل الشائعات الغامضة ضد الدين الجديد[1].

بالرغم من أن روايات تاكيتوس للأحداث غالبا ما يعتمد عليها بالمقارنة مع المصادر الأخرى، إلا أنه في هذه الرواية نجده يميل للتضليل ليس في ذكر الحقائق وإنما في تفسيرها، فمما لاشك فيه أن الحريق الكبير قد حدث وأن نيرون قد حامت حوله الشكوك في ارتكاب ذلك، وأن المسيحيين بحديثهم عن قرب نهاية العصر بهذا الحريق يبدون ككبش فداء ملائم للغاية، ويؤخذ على تاكيتوس أنه أراد أن يشوه صورة نيرون عن طريق إيجاد أكثر التفسيرات عدوانية عند ذكر موضوع الاضطهاد، حيث استخدم المسيحيين كعصا يضرب بها نيرون دون أن يكون في نفسه تعاطف أو فهم حقيقي لهم، فهو لا يعترف بالمسيحيين ولم يخطر على باله أن يكونوا على صواب[2].

ويسجل المؤرخون المسيحيون أن نيرون كان أول امبراطور يضطهد المسيحيين ويشنون هجوما عليه ويذكرون فضائعه، فالمؤرخ ترتليان[3] يذكر مخاطبا معارضي المسيحية من الرومان في قوله:

"راجعوا تواريخكم وسوف تجدون أن نيرون هو أول من نشر سيفه الإمبراطوري ضد طائفتنا عندما ارتفع شأنها بالتحديد في روما، إن أخذ هذا الرجل زمام المبادرة لإدانتنا إنه بالنسبة لنا

---

(1) Paul Allard, **Histoire des persécutions pendant les deux premiers siècles**, troisième édition, librairie Victor Lecoffere, Paris, 1903, p61.

(2) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص399، 400.

(3) Tertullien, V, 3.

لقب المجد، لأنه من يعرف ذلك الرجل يستطيع أن يفهم أنه مالم يكن الشيء فيه خيرا فلن يدينه نيرون".

أما الأسقف يوسيبيوس[1] فيهاجم نيرون ويقول أن الكثيرين قد سجلوا تاريخه بغاية الدقة، ومن خلال ذلك يمكن إدراك مدى غضبه وجنونه الغريب مما جعله يقدم على قتل الكثير، ووصل إلى هذه الدرجة من الشراسة مع أقرب أصدقائه وعائلته، وتسبب لهم بالقتل والتعذيب وبطرق مختلفة كما لو كانوا أعداء ومنافسين، إضافة إلى كل هذه الجرائم فإنه أول إمبراطور أعلن نفسه خصما اتجاه الله.

كما يضيف أن القديس بولس والقديس بطرس قد استشهدا في روما أثناء اضطهاد نيرون الأول بقطع رأسه والثاني بصلبه [أنظر: **الصورة رقم 21**]، وأنه لشرف أن يعلن العدو الأول لله عذابه للرسل[2]، ويقول بولس[3] قبل موته عندما قُدَم للمحاكمة:

"[16] فِي احْتِجَاجِي الأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي. لاَ يُحْسَبْ عَلَيْهِمْ.[17] وَلكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِي وَقَوَّانِي، لِكَيْ تُتَمَّ بِي الْكِرَازَةُ[4]، وَيَسْمَعَ جَمِيعُ الأُمَمِ، فَأُنْقِذْتُ مِنْ فَمِ الأَسَدِ".

وبذلك يعتبر اضطهاد نيرون أول الاضطهادات الرومانية للمسيحيين، ويرتبط به استشهاد رسولين من أعمدة الكنيسة هما بطرس وبولس، وتعتبر أبشع حركات الاضطهاد التي عاناها المسيحيون في القرن الأول الميلادي[5]، ولكن لا ندري ما إذا كان نيرون في اضطهاده للمسيحيين كان يدرك أنهم أتباع ديانة مستقلة أو باعتبارهم أتباع طائفة خارجة من طوائف اليهود في روما، ولكن التمييز بين الديانتين اليهودية والمسيحية يبدو أنه كان واضحا وملموسا في عهد الإمبراطور فسباسيانوس، كما يتضح من فقرة كتبها مؤرخ متأخر هو "سولبكيوس فسباسيان" يتحدث فيها عن عقد تيتوس بن فسباسيانوس لمجلس حرب،

---

(1) Eusebius,II, XXV, 2-4.

(2) Idem, II, XXV, 5.

(3) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس 4: 16، 17.

(4) بولس الرسول يقصد هنا أن المحاكمة كانت فرصة لأن يكرز بالإنجيل (الكرازة هي المناداة والدعوة علنا بالانجيل)، وأن يسمع كل الحاضرين في قاعة المحاكمة، وأن يسمعوا صوت المسيح بأعلى صوت لا لكي ينفي عن نفسه تهمة الحريق أو الفتنة، "وأنقذت من فم الأسد"، لا يقصد هنا أنه يأمل في النجاة ولكن يقصد أنه حقق في المحكمة ذاتها تكميل كرازته، لأن أمر الإقلاع قد صدر. أنظر: الأب متى المسكين، المرجع السابق، ص ص750، 753، 454.

(5) حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص39.

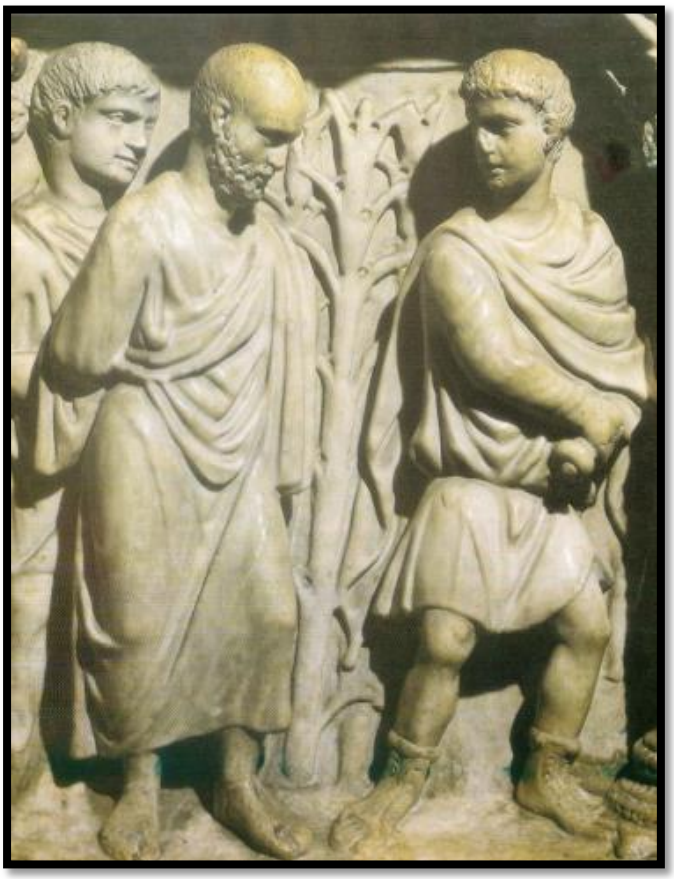

الصورة رقم 21: نحت من القرن الرابع للميلاد يظهر القديس بولس وهو يقتاد لتنفيذ حكم الموت خارج أسوار روما.

لكي يقرر ما إذا كان سيدمر المعبد اليهودي في أورشليم أم لا[1]:

"يقال أن تيتوس استدعى مجلسه الاستشاري– قبل أن يفعل أي شيء–وأخذ يتدبر في الأمر عما إذا كان سيدمر معبدا بمثل هذه الصنعة الرائعة، فقد كان يتراءى للبعض بأنه لا ينبغي تدمير معبد مقدس وعلى درجة من الروعة تفوق كل أعمال البشر، فإذا ما تم الحفاظ عليه سيكون ذلك برهانا على اعتدال روما ورصانتها، أما إذا هدم وخرّب فسيكون وصمة أبدية على قسوتها، وكان هناك آخرون من بينهم تيتوس نفسه يعارضون ذلك ويعتقدون أن تدمير المعبد كان على درجة قصوى من الأهمية من أجل القضاء كلية على ديانة اليهود والمسيحيين، وكان رأيهم أن هذه الديانات رغم أنها كانت متعارضة مع بعضها إلا أنها بدأت من نفس المنابع، أي أن المسيحيين قد خرجوا من عباءة اليهود وأنه بتدمير الجذر سوف يموت الساق بسهولة ويسر".

هذه الفقرة رغم أنها تظهر أن تيتوس –حسب زعم كاتبها– كان يدرك أن اليهودية والمسيحية ديانتان مختلفتان بل ومتعارضتان، إلا أنه كان يصنف المسيحية على أنها بصورة أو بأخرى طائفة من اليهود خارجة عن الديانة الأم لابد من القضاء عليها[2]، وأن المسيحيين هم المروجين الرئيسيين للحرب

---

[1] la Chronique de Sévère (II 30.6-7).

نقلا عن: محمد السيد محمد عبد الغني، **أضواء على المسيحية المبكرة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص ص13، 14.

[2] ذكرنا سابقا أن الضريبة التي كان يساهم فيها اليهود في صيانة معبدهم في أورشليم تحولت إلى ضريبة تدفع من أجل معبد جوبيتر في

اليهودية، والتي تتلاءم بشكل جيد مع الخرافات الموجودة في مكان آخر، لذلك يجب القضاء على الجذر وهو اليهودية بتدمير المعبد من أجل موت الفرع والجذع المنبثق عنه ألا وهو المسيحية، وبذلك يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد[1].

2. بين التسامح والاضطهاد المتقطع:

أ. عهد أباطرة الأسرة الأنطونية:

1- عهد الإمبراطور تراجانوس (98-117 م):

كان تراجانوس أول امبراطور أعلن أن المسيحية ديانة محرمة بالإضافة إلى أنه قد اهتم بإحياء التشريعات الصارمة ضد جميع الهيئات والجماعات السرية، وقد تعرض المسيحيون لاضطهادات عنيفة في سوريا وفلسطين ومصر، فمن أولى الوثائق التي تصور لنا بداية عهد المسيحيين بالاضطهاد تلك الرسالة التي أرسلها بلينوس الأصغر[2] إلى الإمبراطور تراجانوس يفيده بوجود إدانات معينة وكان يستجوبهم بمطالبة المتهمين بالتضحية للآلهة ولقيصر، وأنه يعتبر رفضهم العنيد نوعا من التمرد، مع التهديد بإدانة من لا ينكر المسيحية وإعدام الذين امتنعوا عن ذلك وإطلاق سراح من ارتدوا، وبلينوس يعطي سببا لإدانتهم وهو عنادهم، بالرغم من أن العناد ليس نفسه جريمة كبرى، فلم يكن لدى بلينوس سبب أفضل لتبرير إدانة المسيحي، بصرف النظر عن الجرائم التي يزعم من الشائعات أنها ارتكبت من المسيحيين[3].

روما، وخصص صندوق لهذا الغرض (Fiscus Judaicus) كانت أمواله تجبى بصورة قاسية، ومن المرجح أنه على إثر هذا التشديد والقسوة بدأ الفرق يتضح بين اليهود والمسيحيين في فلسطين وغيرها، فعند استجواب الشخص لمعرفة ما إذا كان يهوديا وبالتالي عرضة لدفع هذه الضريبة، حيث كان يوجه إليه السؤال إن كان ختن أم لا، فإذا أنكر شخص مختون أن يكون يهوديا فما عساه يكون؟ إنه مسيحي، وهل للمسيحيين ميثاق خاص مثلما لليهود؟ وهل لهم الحق في أن يعيشوا كمسيحيين؟ لا. وبهذه الطريقة تكرر وتدعم الحكم والموقف الذي اتخذه نيرون في الأصل من المسيحيين. أنظر: محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص14، 15.

[1] نفس المرجع، ص14؛

Enrico Tuccinardi, **Ben Netser et un fragment de Tacite dans Sulpice Sévère**, cahier N. 260 du cercle Ernest Renan, centre d'histoire des religions, de critique biblique et de recherche des origines du christianisme, 2012, p2.

[2] بلينوس الأصغر هو صاحب مجموعة من الرسائل الأدبية جمعت في عشرة كتب، وهذا الخطاب موجه من بلينوس الأصغر (61-114 م) إلى الإمبراطور تراجانوس عن المسيحية وانتشارها في بيثينيا بآسيا الصغرى، ففي عام 110 م قلق الإمبراطور بشأن الأوضاع المالية لمدن بيثيا، فبعث بصديقه بلينوس الأصغر في مهمة خاصة ليكون حاكما عليها، وكان محاميا ورجلا مثقفا، ولما تولى الحكم وجد في انتظاره بعض الصعوبات الخطيرة منها قضية المسيحيين. أنظر: محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة**...، ص408.

[3] Alfred Loisy, **La Naissance du christianisme**, Émile Nourry, éditeur, Paris, 1933, p245.

وقد راسل الإمبراطور قائلا من خلال هذا النص[1]:

"من عادتي سيدي أن أشير إليكم في جميع القضايا التي لا أشعر فيها بالثقة، لمن يمكنه توجيه شكوكي بشكل أفضل أو إعلامي بجهلي؟. لم أكن أبدا حاضرا في أي استجواب قانوني للمسيحيين، وأنا لا أعرف ما هي العقوبات المعتادة التي تفرض عليهم أو حدود تلك العقوبات، أو كيف يتم إجراء التحقيق، لقد ترددت كثيرا في النظر فيما إذا كان ينبغي التمييز بين الأعمار وفقا لسن المتهم، أيجب أن يعاقب الضعيف بشدة مثل الأقوى، إذا تخلوا عن إيمانهم أيجب العفو عنهم، أو أن الشخص المسيحي لن يفيده شيئا التراجع، أيجب أن يعاقب على الاسم نفسه (كونه اعترف أنه مسيحيا) حتى لو كان بريئا من الجريمة، أو يتم العقاب عن الجرائم التي تقترن بالاسم.

في هذه الأثناء هذه هي الخطة التي اعتمدتها في حالة هؤلاء المسيحيين الذين مثلوا أمامي، أسألهم إن كانوا مسيحيين؛ إذا قالوا نعم، ثم أكرر السؤال مرة ثانية وثالثة محذرا من العقوبات التي تتبعها، وإذا استمروا أطلب نقلهم إلى السجن، لأنه لا أشك في أنه بغض النظر عن طبيعة الجريمة التي قد يعترفون بها يجب معاقبتهم على إصرارهم وعنادهم.. بعد ذلك عادة، بقيامي حقيقة بتولي هذه القضية ازدادت الاتهامات، وتم تقديم مجموعة متنوعة من الحالات أمامي، تم إصدار كتيب مجهول يحتوي على أسماء عدد من الناس، أولئك الذين أنكروا أنهم لم يكونوا ولم يسبق أن كانوا مسيحيين، بعد أن يدعو الآلهة بالصيغة المعتادة وفقا لما أتلو عليهم ويقدموا البخور والنبيذ أمام صورتك، التي أعطيت أوامر لتقديمها لهذا الغرض جنبا إلى جنب مع تماثيل الآلهة، وبعد أن يكونوا قد لعنوا المسيح، وهناك آخرون ممن أعطيت أسماءهم أنهم قالوا أولا أنهم كانوا مسيحيين وأنكروا بعد ذلك ولكنهم لم يعودوا كذلك منذ سنوات عدة...،

لقد عبدوا جميعا تمثالك وتماثيل الآلهة ولعنوا اسم المسيح، ولكنهم أكدوا أن كل ذنبهم وخطأهم لم يصل إلى هذا الحد، وأنهم اعتادوا أن يجتمعوا في يوم محدد قبل الفجر وأن يقرأوا ترنيمة فيما بينهم للمسيح كما لو كان إلها، وأن يلزموا أنفسهم باليمين بعدم ارتكاب أي جريمة، كان قسمهم الامتناع عن السرقة والزنا ومخالفة الإيمان،...، وبعد ذلك كانوا يلتقون مرة أخرى لتناول الطعام، ولكن لم يكن له طابع خاص وغير ضار تماما، وقد أوقفوا هذه الممارسة بعد أن أصدرت مرسومي حظرت فيه التجمعات السرية وفقا لأوامرك، لذلك اعتقدت أنه من الضروري للغاية معرفة الحقيقة في هذه التصريحات من خلال تقديم امرأتين كانوا يطلقون عليهما شمامسة،

---

[1] Pliny the Younger, X, Letter 96.

واستخدمت في ذلك التعذيب لكنني لم أجد شيئا سوى خرافات تحمل أبعاد كبيرة، لذلك قمت بتأجيل المحاكمة واستشرتك على الفور، الأمر يبدو جديرا باهتمامك وخاصة أن هناك الكثير من الأشخاص المتورطين ويتهددهم الخطر، فهناك الكثير من جميع الأعمار ومن كلا الجنسين على السواء يدخلون في دائرة الخطر وسوف يدخل غيرهم، بالنسبة لعدوى هذه الخرافة فهي لم تنتشر في المدن فقط بل في القرى والأرياف، ومع ذلك يبدو لي أنه يمكن التحقق منها بشكل صحيح، مما لا شك فيه أن المعابد التي كانت مهجورة تقريبا قد بدأت مرة أخرى تعج بالمصلين، وأن الطقوس المقدسة التي انقطعت طويلا عادت من جديد، وأنه أصبح سوق للحوم الأضاحي التي لم يكن يعثر على مشتر لها بالكاد حتى وقت قريب، من هذا المنطلق أدركت أن العدد الهائل من الناس يمكن إصلاح شأنهم إذا تم إعطاؤهم فرصة للتوبة فقط".

في هذه المراسلة التي وجهها بلينوس إلى الإمبراطور يعترف فيه بأنه لم يحضر من قبل لتعذيب المسيحيين، وبالتالي فهو يجهل كيفية عقابهم وكيفية التحري عنهم، ونظرا للالتباس الذي يحيط بالمشتبه به إن كان مسيحيا أو مرتدا، وهل يعاقب المسيحي حتى وإن لم يرتكب جريمة؟ أم أنه يعاقب لأنه مسيحي؟. ويعترف بلينوس بأنه كان يسأل من يشك في مسيحيته مرة أو مرتين وثلاث، وإن أقر بمسيحيته يعدم أو يرغم على عبادة الآلهة، كما أنه منع التجمعات المختلفة، وكان رد الإمبراطور بعد أن بلغه بأنه اتبع الإجراء الصحيح[1]. ورد عليه بقوله[2]:

"لقد اتبعت المسار الصحيح عزيزي بلينوس، في دراسة حالات أولئك الذين تم إدانتهم كمسيحيين لا يمكن وضع قاعدة صارمة وسريعة لمواجهة مسألة بهذا القدر، المسيحيون لا يجب تعقبهم، إذا تم إحضارهم أمامك وثبتت الجرم فيجب معاقبتهم، ولكن بتحفظ إذا أنكر أحد أنه مسيحي ويوضح أنه لا يفعل ذلك من خلال تقديم الصلوات للآلهة فيجب العفو عنه بسبب تراجعه، مهما كان الشك في سلوكه السابق، لكن الكتيبات المنشورة دون الكشف عن هويتها يجب ألا تحمل أي أهمية مهما كان وبغض النظر عن التهمة...ولكنها لا تتفق مع روح عصرنا".

نكشف في رد تراجانوس أن بلينوس استخدم قسم الولاء[3] لإدانة المسيحيين، ومع ذلك لم

---

[1] عمران عبد الحميد، **الديانة المسيحية في المغرب القديم– النشأة والتطور–**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2011/2010، ص105.

[2] Pliny the Younger, X, Letter 97.

[3] كانت الأهمية السياسية لعبادة الحاكم أكبر من المعنى الديني لأنها كانت بمثابة شهادة على الولاء، في الواقع لم يطلب الرومان من

يوافق تراجانوس على استخدام القسم في هذا الشأن، وأجابه بأنه لا يجب البحث عن المسيحيين وأنه يجب تجاهل الاتهامات المجهولة ضدهم: "... **كل من ينكر أنه مسيحي، ويثبت ذلك من خلال تقديم الصلوات لآلهتنا أن يحصل على العفو وعلى درجة توبته وأن يطلق سراحه**".

في حين أن هذا يقدم دليلا أن عبادة الإمبراطور كانت مسؤولة مباشرة عن الاضطهاد ضد المسيحي[1].

تعتبر رسالة بلينيوس غنية بالمعلومات وترصد لنا ظواهر مهمة في تطور انتشار المسيحية، بحيث أنها أصبحت تهدد الديانة الوثنية الرسمية بصورة جادة لا يمكن غض الطرف عنها، والأهم من ذلك أن المسيحية أصبحت واضحة في أوائل القرن الثاني الميلادي تماما كديانة ولا لبس أو غموض بينها وبين اليهودية، وكانت تجرى محاكمات لأتباعها وأصبح الاضطهاد مركزا عليها، ويبدو أن أشخاصا من كافة الأعمار ومن كلا الجنسين قد اعتنقوها، ومن الأمور التي تثيرها الرسالة يتبين كذلك انتشارها في المدن والقرى والريف وكثرة أعدادها وإصرارهم رغم الضغط ألا ينكروا دينهم، ومنهم من مارس ما طلب منه من طقوس الوثنية ولعن المسيح ورضخ للاضطهاد.

ويبدو أن الاضطهاد كان فرصة لتصفية بعض الحسابات والثأر، فظهرت وثائق غير موقعة من مجهولين تتهم البعض باعتناق المسيحية حتى يتعرضوا للتعذيب، وهو الأمر الذي استهجنه الإمبراطور من هذه البلاغات المجهولة، فطالما أنكر هذه التهمة وصلى للآلهة الوثنية (حتى ولو كان ذلك ظاهريا)، بغض النظر عن ماضي الشخص وإن سبق اعتناقه للمسيحية، ثم يبين بلينوس جهوده في تطويق المد المسيحي، وذكر أن المعابد تم هجرها ولحوم الأضاحي لم تجد من يشتريها، مما يعني أن المسيحية صارت منافسا للوثنية، وإن كان يذكر أن الظواهر قد قلت بعد إجراءاته[2].

ومن جهتنا يتضح من قول بلينوس أنه لم يسبق له حضور محاكمات المسيحيين أن ذلك لم يكن مألوفا قبل حكم تراجانوس، وأنه لم يحدث أن استدعى مسيحيين للمحاكمة من باب أنه أساسا لم يكن

أي شخص أن يعبد الإمبراطور، فقد سمحوا للناس بالاحتفاظ بمعتقداتهم الدينية، بدلا من ذلك كانت عبادة الإمبراطور طوعية ويمكن تجنبها بسهولة من قبل المسيحي العادي لأنها لم تكن جزءا من الحياة اليومية، ظهرت المشاكل فقط في أواخر القرن الأول الميلادي عندما تم استخدام عبادة الإمبراطور كاختبار للولاء، فقد تطلب السلطات الرومانية من المسيحيين أن يقسموا قسم الولاء لقيصر كبديل لتقديم أضحيات لصورة الإمبراطور، فقسم الولاء الإمبراطوري يتم استخدامه كوسيلة لتحديد الاضطهاد. أنظر:

John Toone, **The Roman empire: the defender of early first century christianity**, A senior thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for graduation in the honors program , Liberty University, 2011, pp24, 25.

[1] Ibid.

[2] محمد السيد عبد الغني، **أضواء**....، ص ص21-23.

هناك تفريق بينهم وبين اليهود، وأنهم لم يكونوا منتشرين بشكل يلفت الانتباه، حتى بدأوا يظهرون كطائفة منفصلة خطيرة تهدد الوضع العام.

عودة إلى رد الإمبراطور يتبين أنه رده يحمل من التسامح وغض الطرف عن انتشار المسيحية، وقد ظل هذا المبدأ الذي أرساه تراجانوس في التعامل مع المسيحيين ساريا حتى حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي، مع اعتبار اعتناق المسيحية خروجا عن القانون[1]، وقد نظر تراجانوس إلى المسيحيين على أنهم أهم شيعة يهودية خطرة، ونظرا لأن اليهود قاموا بالكثير من الثورات ضد الرومان وعملوا تخريبا ودمارا، فإنه اضطهدهم مع اليهود في ثورة 115 م، والتي تطرقنا لها في الاضطرابات الاجتماعية لظنه أنهم منهم، ونتيجة لذلك تعرض المسيحيون في الإسكندرية ومصر لاضطهاد عنيف[2].

كما تشير شهادات المسيحيين أن الجزء الرئيسي من الاستجواب كان في سؤال المتهم عما إذا كان مسيحيا، وفقا للسلطات الرومانية لم تكن المسألة في التحقق من قناعات المتهم، ولكن لمعرفة ما إذا كان قد اعترف بالانتماء إلى طائفة تحت اسم مسيحي، وأن السلطات لم تتدخل قبل إبلاغها بشكاوى مبررة، علاوة على ذلك نظرا لأنه لم يسمح للجمعيات بالانضمام إلى بعضها البعض، حيث لم يكن من الممكن محاكمة جميع المسيحيين في كامل الإمبراطورية[3].

2- عهد الإمبراطور هادريانوس (117- 138 م):

في عهد الإمبراطور هادريانوس نجد نفس النهج الذي اتبعه تراجانوس في تعامله مع المسيحيين، حين سأله حاكمه في آسيا الصغرى "سيرنييوس جارانيوس" عن محاكمتهم كما فعل بلينوس، ومن القرائن حول المسيحيين في مصر، هناك خطاب منسوب إلى الإمبراطور هادريانوس في 134 م يقول فيه[4]:

" **إن هؤلاء الذين يعبدون سيرابيس هم مسيحيين، وهؤلاء الذين يدعون أنهم أساقفة المسيح مكرسون لخدمة سيرابيس**"، ويستمر الخطاب:" **وليس هناك مشرف واحد على صومعة يهودية كما لا يوجد سامري واحد أو كاهن مسيحي لا يعمل منجما أو مشعوذا، والناس في غاية العناد**

---

[1] محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة**....، ص ص413، 414.

[2] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص39.

[3] Christiane Saulnier, **La persécution des chrétiens et la théologie du pouvoir à Rome (Ier - IVe s.)**, revue des sciences religieuses, Tome 58, N°4, 1984, p261.

[4] **SHA. Saturninus 8:VIII** نقلا عن: محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص415، 416؛ فورستر، المرجع السابق، ص ص90، 91.

ويتسمون بالغرور والاستعلاء، أما المدينة فهي غنية ثرية مرفهة...إن لهم ربا واحدا اسمه المال وهو المعبود الذي يتعبد له في الحقيقة الكل من مسيحيين ويهود ووثنيين على حد سواء".

مما يعنينا من هذا الخطاب هو حديثه عن المسيحيين وهو حديث ما يثير الغرابة فيه، حيث يذكر أن المسيحيين يعبدون الإله سيرابيس واتهامهم بالتنجيم والشعوذة وحب المال، ورغم هذه الأمور باستثناء عبادة سيرابيس لم تكن قاصرة على المسيحيين وإنما شملت اليهود أيضا، ولكن وجب التساؤل: هل كان مسيحيو الإسكندرية يعبدون سيرابيس فعلا؟، وهل رأى هادريانوس ذلك عند زيارته لمصر؟. وهل يكون قد علم بوجود مسيحيين وتساهل معهم أم أنهم أرادوا أن يضللوا الإمبراطور عن هويتهم الحقيقية كمسيحيين فتعبدوا الإله سيرابيس؟.

وهل لو كان الأمر كذلك يكون ما فعله المسيحيون تضليلا للسلطات التي كانت تضعهم تحت المراقبة، أو أن ذلك حقيقي وأنه نتيجة للديانات والفلسفات المتعددة الموجودة في المدينة واتصالها ببعضها البعض جعل المسيحية تتأثر ببعض هذه العبادات كعبادة سيرابيس مثلا. عموما فإن كل هذه الاحتمالات واردة وليس هناك شواهد أو قرائن ترجح أيا من هذه الاحتمالات[1]، وإن كان من وجهة نظرنا يعتبر نوعا من الخلط بين المسيحيين وغيرهم من الوثنيين باعتبارهم لم يكونوا طائفة واضحة المعالم، أو يمكن اعتبار ذلك نوع من التشويه والطعن في المسيحيين بإخراج الإشاعات ضدهم لإدانتهم كما مر بنا في بيثينيا.

3- عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (138- 161 م):

نجد الأحداث اتجاه المسيحية تسير في القرن الثاني الميلادي بين التسامح وعدم السعي إلى إثارة وإشعال الاضطهاد ضد المسيحية، مع اضطهاد متقطع من حين لآخر، فكلما حدثت كوارث في الإمبراطورية يعتقد العامة أن المسيحيين هم سبب البلاء، ولعل في خطاب الفيلسوف جستين، الذي كان يعيش في روما في عصر الإمبراطور أنطونيوس بيوس، ما يلقي الضوء على الكراهية التي كانوا يتعرضون لها من الشعب، رغم تسامح الحكومة وغضها الطرف عنهم إذ يخاطب الإمبراطور قائلا[2]:

" إلى الإمبراطور تيتوس إيليوس هادريانوس أنطونيوس بيوس وقيصر أوغسطس وفريسيموس ابنه الفيلسوف...إلى مجلس الشيوخ المقدس وإلى جميع أهل الرومان: بالنسبة للرجال من جميع الأعراق الذين يكرهونهم ويعتريهم الظلم، أنا واحد منهم جستين ابن بريسكوس ابن باخيوس المولود في

---

(1) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص416، 417؛ Nagi Athanasios Henein, op.cit, p216

(2) Eusebius, IV, XII, 1.

فلافيا التابعة لنيابوليس بسوريا الفلسطينية أتقدم بهذا الطلب. أعتقد أن الإمبراطور نفسه الذي طلبه الإخوة الآخرون في آسيا تعرضوا لجميع أنواع العنف من جانب سكان تلك المقاطعة، وأنه من المناسب معالجة هذه الرسالة أمام الجمعية الآسيوية".

هذه مقدمة دفاع جستين عن المسيحيين إلى الإمبراطور، وتعليقا على هذه الفقرة يذكر يوسيبيوس[1] أن نفس هذا الإمبراطور كان قد تلقى التماسات أخرى من مسيحيين تعرضوا لأنواع الإهانة والأذى، فكان منه أن أصدر مرسوما فحواه ألا يتدخل أحد في شؤونهم إذا لم يثبت أنهم قاموا بشيء ضد السيادة الرومانية، وأن من يصر على ذلك وجب اتخاذ الإجراءات ضد هؤلاء الأشخاص، فيعاقب من وجّه له الاتهام ويطلق سراح المتهم.

هذه الشواهد مهمة جدا وتبرز أمرين: **أولهما:** أن انتشار المسيحية كان نشيطا، وهو ما أكدته لنا مصادر غير مسيحية مثل مراسلات بلينوس، وأن انتشار المسيحية كان يقلق حكام المناطق من الرومان مما جعلهم يرسلون مخاوفهم، بل أن الخوف كان من عامة الناس من الوثنيين، وهو ما أدى إلى مضايقات وكراهية للمسحيين نجدها ترد في شكاويهم.

وثانيهما: وهو أن هذا التسامح وغض الطرف من انتشار المسيحية من جانب الأباطرة مرتبط ما إذا لم يفكر المسيحيون في التآمر على الإمبراطورية، وما أورده يوسيبيوس في عهد الإمبراطور بيوس هو أن المسيحية لم تعد تهمة يعاقب عليها وإنما العقاب هو التآمر على الحكومة الرومانية، وهي في الواقع تهمة يتعرض لها المسيحي وغير المسيحي على حد سواء، وإن صحت رواية يوسيبيوس فذلك يعد اعترافا ضمنيا بالمسيحية يكاد يرقى إلى مرتبة الاعتراف الصريح بها كإحدى ديانات الدولة الرومانية[2].

وبهذا استطاعت حكومة الأباطرة الأنطونين على العموم أن تتجنب الاتهامات وشر هتافات الجماهير اتجاه الكنيسة، حيث نصت مراسيم هادريانوس وأنطونينوس بيوس بعدم جواز التسليم بصوت الجماهير كدليل قانوني لإدانة المسيحيين، بسبب مبالغتهم في إيذائهم والوشاية بهم، وفي حالة ما إذا

---

[1] Eusebius, IV, XIII, 6 ; Justin, **Apologies**, traduction française, introduction et index par Louis Pautigny, Alphonse Picard et Fils éditeurs, Paris, 1904, I, LXIII, 6.

[2] رغم التسامح من الناحية الرسمية لكن قلق الوثنيين من انتشار المسيحية في عهد أنطونيوس بيوس أسفر عن اضطهاد وقتل المفكرين المسيحيين البارزين في ذلك الحين مثل المعلم ورجل الدين المسيحي "بوليكارب" في آسيا الصغرى بسميرنا– أزمير–، وتعرض لقدر كبير من الترغيب والترهيب والتعذيب على يد البروقنصل الروماني لكي يتنازل عن مسيحيته، لكنه أبى فأصدر قرارا بإحراقه وسط هتاف وتهليل الوثنيين واليهود. أنظر: محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص ص27، 28 ;Eusebius, IV, XVI, 1-5

أثبتت التهمة عليهم فإنه بإمكانهم أن يغيروا الإدانة بارتدادهم سواء بالرضى أو بالعنف[1].

4- عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161- 180 م):

كانت بداية عهد ماركوس أوريليوس اتجاه المسيحيين باتباع سياسة التسامح الديني، حتى أنه شبه بأخلاق المسيح وحبه للخير والسلام، ،كما تعرّف على معالم المسيحية وقرأ عنها وعن أتباعها، مما أدى إلى استبشار المسيحيين خيرا به وأملوا في مرحلة جديدة من التسامح والاستقرار الديني خلال حكم هذا الإمبراطور[2]. وفي هذا الصدد يقول ترتليان[3]:

"**على العكس من ذلك يمكننا أن نذكر من بينهم حامين للمسيحيين، إذا كنا نرغب في البحث عن خطاب ماركوس أوريليوس ذلك الإمبراطور الحكيم للغاية...في حين أنه لم يلغِ صراحة مرسوم الاضطهاد ولكنه تخلص منه بطريقة أخرى ألا وهي إلحاق الإدانة بمن يتهمونهم بل وبطريقة أشد قسوة**".

وهي نفسها طريقة أبيه بالتبني أنطونيوس بيوس، كما يدين ترتليان[4] القوانين التي كانت تطبق ضد المسيحيين ومن يقوم بتطبيقها من الحكام بالظلم والوحشية والقسوة، ويعدد الأباطرة الذين أحبطوا تطبيق هذه القوانين وحظروا تعقب المسيحيين وكان منهم تراجانوس.

من كل ما سبق ندرك أن الإدارة الرومانية في القرن الثاني الميلادي المتمثلة في الأباطرة الرومان لم يتخذوا موقفا متشددا من المسيحية، بل غضوا الطرف عن أتباعها طالما لم يصدر عنهم ما يهدد الحكومة الرومانية، وكان لهذا التسامح أثره في انتشار المسيحية في أرجاء الإمبراطورية رغم وجود اضطهاد من طرف الجماعات الوثنية المتعصبة التي كانت تخشى منها[5].

---

(1) حميدة نشنش، **الاضطهاد الديني المسيحي في بلدان المغرب القديم من نهاية القرن الثاني ميلادي إلى بداية القرن الرابع ميلادي**، مجلة الباحث، المجلد 6، العدد 12، 2012، ص ص283، 284.

(2) ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص40.

(3) Tertullien, V, 6.

(4) Idem, V, 7 ;29 محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص

(5) المرجع نفسه، ص29.

ب. الصراع الفكري بين المسيحية والوثنية:

إن محاولات مضايقة واضطهاد المسيحيين لم تصدر فقط عن عامة الشعب وإنما كذلك من رجال فكر وثنيين ومثقفين حاولوا القضاء عليها والتقليل من قيمة المسيحية كديانة ومذهب فكري، وبحثوا عن الثغرات ونقاط الضعف، وقد تولى مفكرون مسيحيون الرد على مزاعمهم وترويجهم للاتهامات، مثل الممارسات غير الأخلاقية من أكل لحوم البشر والزنا بالأقارب والقتل وذلك لينفر منهم الناس، وخاصة أن هذا الصراع انتشر خاصة في منتصف القرن الثاني الميلادي الذي عرف بتسامح وتساهل الأباطرة من عهد تراجانوس حتى كومودوس، ونجد أن الوثنيين لم يرحبوا كثيرا بهذا التساهل، فكان دافعا للفريقين للكتابة تأييدا لمعتقدات كل منهما ، فالمسيحية أصبحت لا تشكل خطرا على الفكر الوثني فحسب بل على الوجود الوثني ذاته، وقد استفاد مفكروا المسيحية من مناخ التسامح السائد وكتبوا كتابات مضادة ردا على الوثنيين ومزاعمهم، بل تجاوزوا مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم على الوثنية وتقويض أركانها[1].

نجد من المثقفين الرومان المؤرخ تاكيتوس الذي يعتبر من أوائل الذين انتبهوا للمسيحية ونظر إليها نظرة ازدراء واعتبرها خرافة، تعكس نفور الرومان من كل ما هو جديد[2]:"...**بعد أن تم قمعها للحظة كانت هذه الخرافة اندلعت مرة أخرى ليس فقط في يهوذا حيث كان مصدرها ولكن في روما نفسها...**".

أما بداية الهجوم على المسيحية فنبدأ مع الخطيب **لوكيان**[3] الذي يقول[4]:

"**في ذلك الحين تعلّم معارف المسيحيين المدهشة من خلال اختلاطه بقساوستهم وكُتابهم في فلسطين، ولكن ماذا في ذلك؟. فقد جعلهم جميعا يبدون كأطفال وأصبح عرافا وزعيما دينيا ورئيسا للكنيس وكل شيء، وكان يشرح بعض كتبهم وقام حتى بتأليف الكثير منها، وكانوا يقدسونه كإله واستفادوا منه كمشرع وجعلوه حاميهم، وهم بعد ذلك لا يزالون يعبدون الرجل الذي صلب في فلسطين وأدخل الديانة الجديدة إلى العالم...وعلاوة عن ذلك فقد أقنعهم المشرع الأول (المسيح) بأنهم جميعا أخوة لبعضهم البعض بعد أن أنكروا للأبد الآلهة اليونانية وعبدوا ذلك**

---

[1] محمد السيد عبد الغني، نفس المرجع، ص ص30، 31.

[2] Tacite, **Les Annales**, XV, 44.

[3] **لوكيان:** هو خطيب ولد في ساموساطا –سيميساط- بسوريا عام 120 م، ويتمثل هجومه على المسيحية عندما يروي قصة حقيقية عن أحد الفلاسفة في عصره اسمه "برويتوس" الذي اعتنق المسيحية لبعض الوقت حين مر بفلسطين، وأطلق عليه اسم الغريب وقصته أسماها "موت الغريب" أو "نهاية الغريب". أنظر: محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص32.

[4] Lucian of Samosata, **The Passing of Peregrinus**, 11, 13: http://www.tertullian.org

المصلوب نفسه والعيش في ظل قوانينه، لذلك فإنهم يحتقرون كل الأشياء بشكل عشوائي، وقد تلقوا مثل هذه التعاليم التقليدية دون أي دليل محدد، لذلك فإذا أتاهم أي دجال أو محتال قادر أن يكتسب بسرعة ثروة مفاجئة ويفرض نفسه على قوم بسطاء".

من خلال هذا النص فإن لوكيان يصور المسيحيين في عصره على أنهم سذج بسطاء يستطيع أي أن يندس بينهم شخص محتال منهم ويصبح ثريا بالنصب عليهم، مستغلا حماستهم لديانتهم بل ويتبوأ مكانة كبيرة بينهم، كما فعل المسيح الذي يسميه بالغريب، وأنه احتال على السذج والبسطاء، وبذلك يهاجم المسيحية ويلمح إلى أن عقيدتهم لم تكن قوية أو على أسس راسخة وأنهم لم يتلقوا تعاليمهم من برهان وأصل دقيق، وإذا كان لوكيان قد هاجم المسيحية بصورة عارضة، فإن كاتبا آخر في حوالي 185 م هاجم العقيدة المسيحية هجوما عنيفا وهو **سيلسوس** (Celsus)[1] في رسالته التي كتبها في الطعن بالمسيحيين، وأخذ هجومه محمل الجد وليس في صورة اتهامات أخلاقية وانطباعات سطحية[2]، حيث يذكر أن الأوساط التي بلغتها المسيحية كما يدعيها كانت تضم من المجتمع إلا الطبقات المنحطة من أناس بسطاء أميين ومعظمهم جهلة[3].

وقد تصدى له أوريجين في كتابه (Contra Celsum) وأصبح مصنفا بشكل خاص على أنه مدافع عن المسيحية ضد الهجمات الساخنة من قبل سيلسوس، الفيلسوف المناهض للمسيحية[4].

ومن بين النقاط المختصرة التي طرحها سيلسوس في هجومه على المسيحية أنه اعتبرها من وجهة نظره لا تقدم جديدا فيما تطرحه من تعاليم أخلاقية وأنها سطحية بالمقارنة مع الفلسفات الأخرى، كما

---

[1] **سيلسوس**: كان فيلسوفا وثنيا وضع كتابا اسمه "كلمة الحق"، هو مفقود إلا أنه يمكن جمع عناصره من رد أوريجين، وقد درس كل معتقدات وكتابات المسيحيين حتى الكتاب المقدس، ويعرف جيدا الخلافات الكائنة بين الكنيسة والشيع الغنوصية، وقد بدأ هجومه بإقامة حوار يهودي يشرح اعتراضه ضد المسيح، وتطور بعد ذلك أن هاجم اليهود والمسيحيين معا، مع ذلك فهو لا يمانع من قيام المسيحية إلا بشروط: أن يكون للمسيحيين دور إيجابي في الحياة السياسية والدينية للحضارة والمدنية الرومانية، ويرى أن سلبيتهم قد تسببت في انقسام الدولة الرومانية، ولم يهاجم أخلاقيات المسيحيين كما فعل غيره وإنما هاجم معتقداتهم على أساس فلسفي ورفعه إلى جدال ومناظرة. أنظر: محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص37-42؛ يعقوب المقاري، **تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من القرن الأول إلى القرن الخامس**، ط1، ج1، دار مجلة مرقس، القاهرة، 2016، ص51.

[2] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص37.

[3] l'Origène, **Contre Celse ou défence de la religion chrétienne contre les accusations des païens**, traduit du grec par Elie Bouhéreau, chez Henry des Bordes, Amesterdam, 1700, L III, VIII, 1.

[4] Margaret Elizabeth Fogarty, op.cit, p129.

يذكر أنها ديانة غير أصيلة وأن مصدرها من الأفكار والمعتقدات القديمة وهي من اليهودية، وأنها ورثت منها أسوأ ملامحها، ثم يوجه هجومه إلى السيد المسيح ويشكك في نسبه، ويسخر من اعتقاد المسيحيين في ألوهيته وكونه ابن الرب وأنه تعلم السحر في مصر، وهي اتهامات رددها اليهود من قبله، ثم يناقش إنجيل متى والأناجيل والكتابات الغنوصية مناقشة منطقية ويبرز فيها ما يعتبره من تناقضات وسخافات باعتبارها أدب تبشيري، كما يبرز الانشقاقات الداخلية في الكنيسة وانقسام المسيحيين، ثم يهاجم صلب العقيدة المسيحية في تناقض فيما يتعلق بإله المسيحيين، كما يثير العديد من الجدل اللاهوتي محاولا إخضاعه لمنطقه هو، فتصدى لآرائه وهجماته أوريجين أبرز آباء الكنيسة في الإسكندرية[1].

وكان من ردود أوريجين[2] كالتالي:

"....**إني تعهدت بالدفاع عن المسيحيين ودعم إيمانهم ضد الاتهامات الخاطئة من الكتابة المسيئة لسيلسوس...فقد سعيت قدر الإمكان تقديم اعتراضات وإجابات له، والتي بدت لي أكثر ملاءمة للإطاحة به، على الرغم من أنني أعلم أنه لا يمكن أن تهز إيمان أي مؤمن بكلماته أو أي شخص، بعد أن تجد في قلبه الشعور بالحب الذي أظهره الله لنا في يسوع...وقد قمت بصياغة خطة لوضع هذه المقدمة على رأس كتابي لتحذير القراء، لأنني لم أؤلفه للمؤمنين الحقيقيين وإنما كتب لمن ليس لديهم دراية على الإطلاق بالمسيح أو لأولئك الذين يصفهم بولس بأنهم ضعاف الإيمان...**".

وقبل أوريجين كان هناك من تصدى للمخالفين ودافع عن المسيحية وأتباعها، ولكنه كان دفاعا من نوع آخر إنه دفاع عن المسيحية ضد اضطهاد وقهر الحكام الرومان والتفرقة التي يمارسونها في معاملتهم مع البقية وهو ترتليان[3]، وفي حوالي 197 م ألف رسالة في الدفاع عن المسيحية (Apologeticus)، وسعى من ورائه حماية المسيحيين من هجمات العامة ومن الإجراءات القانونية عند مثولهم أمام المحاكم، واستخدم في ذلك مزيجا من عاطفته المتأججة كمسيحي وسخريته اللاذعة[4]، ففي ذكره لكثرة أعداد المسيحيين وانتشارهم في كل مكان وعلى كافة المستويات يقول[5]:

---

(1) Celsus, **On the true doctrine : a discourse against the christians**, translated by R. Joseph Hoffmann, Oxford University Press, New York 1987, pp33-44.

نقلا عن: محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص39، 40.

(2) l'Origène, Introd 1.3.

(3) محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة...**، ص436.

(4) محمد السيد عبد الغني، **أضواء....**، ص43.

(5) Tertullien, I, 7.

" يقال أن الدولة محاصرة بنا، في الريف وفي القرى المحصنة وفي الجزر، لا يوجد سوى المسيحيين إنهم من كل جنس وعمر من أي حالة ومن كل رتبة ...".

ويقول في موضع آخر في نفس السياق[1]:" **إننا أبناء الأمس، وبالفعل قد ملأنا الأرض وكل ما لكم: المدن والجزر والقلاع والقرى والبلدات والمصارف بل ومعسكرات وقبائل وعشائر وقصور ومجلس السناتو والمنتدى، وتركنا لكم سوى المعابد**".

وعن تعسف وظلم الحكام الرومان يذكر أمثلة ويرى أن الإمبراطور تراجانوس مثلا كان متناقضا [2]:

" أوه. موقف غريب غير منطقي بالضرورة! يقول أنه لا يجب تعقبهم كما لو أنهم أبرياء ثم يأمر بعقابهم كما لو كانوا مجرمين، إنه يتظاهر بأنه لا يراهم ثم يعاقبهم. لماذا، يا رقيب تتناقض مع نفسك؟ إذا كنت تدينهم فلماذا لا تتعقبهم أيضا؟ إذا لم تقم بذلك فلماذا لا تعفيهم أيضا؟ ".

وعن التفرقة في المعاملة بين المسيحيين وغيرهم يقول[3]:

" لماذا إذا قارنتمونا بالفلاسفة من وجهة نظر التعاليم، فلماذا لا نضع أنفسنا على قدم المساواة في الحرية والإفلات من العقاب؟ أو مرة أخرى لماذا لا يضطر الفلاسفة مثلنا إلى الوفاء بهذه الواجبات، التي لا يمكننا الهروب دون التعرض للخطر في حياتنا؟. وبالفعل ما الذي يجبر الفيلسوف على التضحية...إنهم يهدمون آلهتكم علنا ويهاجمون خرافاتكم في كتاباتهم وأنتم تصفقون لهم، وكثير منهم ينبحون ضد أباطرتكم فتدعمونهم وتكافئونهم بالتماثيل والمنح بدلا من إدانتهم وإلقائهم للضواري، حقا! فهؤلاء يسمون فلاسفة وليسوا مسيحيين".

ثم يتطرق للتفرقة في الإجراءات القضائية المتبعة مع المسيحيين مقارنة بغيرهم من سكان الإمبراطورية[4]:

" إذا كنا مجرمين كبار فلما نعامل بطريقة مختلفة عن الآخرين، أي المجرمين الآخرين؟ في الواقع إذا كانت الجريمة هي نفسها يجب أن تكون المعاملة هي نفسها، عندما يتهم الآخرون بجميع الجرائم التي نتهم بها فإنهم يستخدمون فصاحتهم لإثبات براءتهم ويكون لهم حرية الرد على التساؤلات وطرح الأسئلة، لأنه لا يجوز أبدا إدانة المتهم دون أن يدافع عن نفسه ومن غير أن يُسمع، لا يسمح للمسحيين وحدهم بقول شيء للدفاع عن الحقيقة ولمنع القاضي من الظلم، يتوقع المرء

---

(1) Tertullien, XXVII, 4.

(2) Idem, II, 8.

(3) Idem, XLVI, 4, 5.

(4) Idem, II, 1-5.

سوى شيء واحد وما هو ضروري لإثارة كراهية العامة ألا وهو الاعتراف باسمهم (الهوية الدينية) وليس التحقيق في جريمتهم، وعلى العكس فإذا كنتم تحاكمون أي مجرم لا يكفي أنه يعترف بأنه مذنب بارتكاب جريمته من قتل أو تدنيس أو انتهاك حرمته أو عداء للدولة– أشير هنا للاتهامات التي توجه ضدنا– فيسأل عن الظروف وعدد المرات والمكان والزمان والشهود والشركاء، ولا شيء من هذا القبيل معنا ومحاولة استخراج اعترافنا بهذه الجرائم المنسوبة إلينا بشكل زائف..".

وفي موضوع آخر يقول[1]:

" ...وهكذا بعد أن دحضت الشر سأظهر الخير، نحن نشكل مجتمعا يشعر بإحساس ديني واحد وبوحدة التنظيم ويربطنا رابط مشترك وهو الأمل...نعقد اجتماعات وجمعيات من أجل الصلاة لله...كما نصلي من أجل الأباطرة ووزرائهم وللسلطات ولوضع عصرنا ولسلام العالم ولتأجيل النهاية، نلتقي لقراءة الكتاب المقدس...وبهذه الكلمات المقدسة نغذي إيماننا ونرفع أملنا ونقوي ثقتنا ونشدد انضباطنا من خلال غرس المبادئ في هذه اللقاءات...و بالفعل فلأحكامنا وزن كبير لأننا على يقين من أن نكون بحضور الله ". ويضيف[2]: **"... أنظر هكذا يقولون كيف يحبون بعضهم البعض، لأنهم هم يكرهون بعضهم البعض، كما يقولون أنهم مستعدون للموت من أجل بعضهم البعض لأنهم هم على استعداد لقتل بعضهم البعض".**

وكانت هذه مقتطفات عن دفاع ترتليان عن المسيحية ضد خصومهم من الوثنيين، وقد ذكر بعض المؤرخين أن ترتليان قد وقع في التناقضات والخطأ في خطابه، باستخدام كلمات خفية نارية في كثير من الأحيان واستغلال بلاغته[3].

---

(1) Tertullien, XXXIX, 1-4.

(2) Idem, XLVI, 7.

(3) Paul Allard, **Histoire des persécutions pendant les deux premiers siècles**, librairie Victor Lecofere, Paris, 1903, p165.

3. أول اضطهاد رسمي في مصر 202 م:

يمثل اضطهاد سبتيموس سيفيروس (193-211 م) نموذجا للأزمة وتدهور الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي، وكذا الانتشار السريع للمسيحية في المنطقة الشرقية ووجود أعمال عنف وتمرد في تلك المناطق من اليهود المناهضين للرومان في أورشليم وقورينة ومصر، ومن هنا نجد نظرة السياسية الرومانية للمسيحية بدأت تفصلها عن الكيان اليهودي وتقرنها بأمن وسلامة ولاياتها ومنها مصر، وبالتالي في حالة حدوث خلل بأمن الإمبراطورية تكون حجة الأباطرة وراء قيام اضطهاد ضد المسيحيين، من هنا اتجه سيفيروس لتأمين المنطقة بعد أن شعر ببوادر تمرد تتمثل في رفض المسيحيين دخول الجيش وهروب بعض الجنود، وتمرد من قبل اليهود في أورشليم والإسكندرية ومن ثم حدث الاضطهاد[1].

كان أول حادث مهم في تاريخ المسيحية في مصر هو اضطهاد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، وهو أول اضطهاد رسمي تقوم به السلطة الرومانية ضد المسيحيين في مصر بصفة خاصة، وتتمثل حوادث هذا الاضطهاد في أن سيفيروس قام بزيارة مصر عام 202 م، وأثناء هذه الزيارة أفزعه كثرة عدد المسيحيين في مصر على الإمبراطورية، لذلك عهد إلى الحاكم الروماني "ليتوس" الذي بذل جهده لكي يجعل هذا الاضطهاد قاسيا، وركز على الإسكندرية بنوع خاص باعتبارها مركز المسيحية [2].

أصدر سيفيروس قانونا صارما عام 202 م ضد الانتشار المتزايد لكل من المسيحية واليهودية، وقد أدى هذا إلى اضطهاد عنيف في مصر وشمال إفريقيا، وكان ممن استشهدوا ليونيدس والد أوريجين حيث تم قطع رأسه[3]، وعن هذا الاضطهاد يقول يوسيبيوس[4]:

" أثار سيفيروس اضطهادا موجها ضد الكنائس، وشهد مصرع شهداء بارزين من كل مكان، ولكن كانت كثرة منهم في الإسكندرية على وجه الخصوص، حيث أرسل إلى هناك أبطال الرب من مصر ومن كل طيبة، الذين تحملوا بشجاعة مجموعة متنوعة من العذاب والموت فتوجهم الرب بأكاليله، كان من بينهم ليونيد والد أوريجانوس، كان قد قطع رأسه وترك طفله صغيرا...".

وكان من المفكرين الذين تعرضوا للاضطهاد كليمنت ففي سنة 203 م وهو في ذروة مجده الديني

---

[1] حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، **المصريون والرومان رؤية حضارية**، دار المعرفة الجامعية، 2007، ص ص207، 208.

[2] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص 40، 41.

[3] Philip Schaff, **History of the christian church**, Vol 2, the ages digital library historical, USA, 1997, p65.

[4] Eusebius, VI, I, 1.

والعلمي تعرض للاضطهاد فاضطر إلى التخفي وهاجر إلى فلسطين، وقد رأى أوريجين كذلك والده يستشهد أثناء اضطهاد سيفيروس، فقد كان الاضطهاد شديدا على مدرسة الإسكندرية[1]، وقد تفرغ بعد ذلك أوريجين لتنشيط مدرسة التعليم الوعظي، وكانت هناك خطورة شديدة في ذلك وخاصة أن مرسوم سيفيروس مازال ساريا على كل من يتقدم لتغيير ديانته إلى المسيحية، فيقول يوسيبيوس[2]:

"وبينما كان مشغولا بالتدريس، كما يقول هو في كتاباته لم يلتق بأي شخص آخر في الإسكندرية للتعليم، لقد تم إبعاد الكل بسبب تهديد الاضطهاد، وجاء إليه بعض الوثنيين لسماع كلمة الله، من بين هؤلاء بلوتارخ الذي حظي بشرف القديس الشهيد؛ في المركز الثاني هيراكلاس شقيق بلوتارخ. هذا الأخير أعطى مثالا رائعا عن حياة التقشف والزهد".

فكان هؤلاء من تلاميذه من الوثنيين الذين تحولوا إلى المسيحية :بلوتارخ وكيرينوس، هيراكليدس هيرو، بوطامينا وإيرائيس، وقد سعى أوريجين لمساعدة هؤلاء المعتقلين[3]، حيث يقول يوسيبيوس[4]:

"لقد حاول مساعدتهم ليس فقط أثناء وجودهم في السجن بل حتى أثناء استجوابهم وصدور الحكم الأعلى بالموت".

من خلال ما قاله يوسيبيوس يتبين أن السلطات لم تتعقب جميع المسيحيين أو حتى الذين يمارسون التبشير، فأوريجين نفسه كان يعلم تلامذته ولم يلاحق بسبب ذلك، مما يدل على أن الحكام كانوا لا يطبقون إلا الأحكام العادية[5].

نجد كذلك أن المدرسة اللاهوتية المسيحية أغلقت أبوابها نتيجة لهذا الاضطهاد وتشتت طلابها، وفرّ العديد من الأساتذة إلى الخارج، كما حرم المسيحيون من الامتياز الذي تمتع به يهود الإسكندرية وهو إعفاؤهم من إحراق البخور أمام تمثال الإمبراطور في المناسبات، وضاعف الحاكم اضطهادهم، وتعرضوا لشتى أنواع الاضطهاد من الصلب وتقطيع رؤوسهم أو إحراقهم في النار أو قدموا للحيوانات المفترسة، ولكن هذا الاضطهاد لم يؤت ثماره بل العكس زاد من إيمان المسيحيين وإصرارهم على التمسك بدينهم، وفشلت الجهود للقضاء على المسيحية، وليس أدل على ذلك أن عدد أساقفة الإسكندرية ارتفع

---

[1] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص235.

[2] Eusebius, VI, III, 1.

[3] يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص ص44، 45.

[4] Eusebius, VI, III, 3.

[5] حبيب بدر، المرجع السابق، ص74.

من 3 إلى 20 أسقفا في نهاية حكم سيفيروس[1].

نستنتج من اضطهاد سيفيروس بأن غايته الأولى هي التصدي لتلك العقائد الجديدة ولكن ليس بمفهومها الديني بل لموقفها من السياسة الرومانية، ومحاولتها إضفاء نوع من التوحيد الديني في مصر تحت عقيدة واحدة وكيان واحد، وهو ما يعزز الانتماء الوطني والرغبة القوية في الاستقلال، وهو اتجاه غير مرغوب بالنسبة لأمن الإمبراطورية، وخاصة أن مصر تعتبر موردا هاما لاقتصاد للرومان[2].

ثانيا: الاضطهادات الأعنف ومراسيم التسامح:

بدأت المسيحية تتنفس الصعداء في عهد الإمبراطور جورديان الثالث (238- 244 م)، عندما اتبع تلك السياسة الحكيمة التي تمثلت في حرية العقيدة للجميع، وقد بقي الوضع على ما هو عليه حتى حكم الإمبراطور فيليب العربي (244- 249 م)، ولكن تلك الفترة تعتبر بمثابة مرحلة الهدوء الذي يسبق العاصفة، وهي التي بدأت ملامحها منذ عهد الإمبراطور ديكيوس (249- 251 م)[3].

كانت الاضطهادات القليلة والمتفرقة التي جرت إبان القرنين الأول والثاني هي استجابة لعوامل تحددها الظروف المحلية والشعور العدائي من الناس اتجاه المسيحيين، أما ابتداء من عام 250 م مارست الدولة الاضطهاد بشكل رسمي نتيجة اتجاهات معينة من الأباطرة، أملتها عليهم المفاهيم السياسية التي تمثل الفكر السياسي الروماني، وزادت حدة الاضطهاد من تعاليم الكنيسة التي أصبح لها قوة المعتقد، فكان لابد أن يقع الصدام بين الدولة والكنيسة، وخاصة أن المسيحيين لم يعودوا يشتركون في تقديس الأباطرة، حيث كانت المسألة بالنسبة لهم تتصل بجوهر العقيدة، حيث رأت الكنيسة في عبادة الإمبراطور جزء من الوثنية، وأصبح ولاء المسيحيين لدينهم فوق ولائهم للدولة[4].

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص 41، 42.

[2] حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص209.

[3] عاصم أحمد حسين، **العلاقات الرومانية المسيحية بين اللامبالاة والاضطهاد والاعتراف**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 38، مصر، 1995، ص15.

[4] رأفت عبد الحميد، **بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة**، ط1، عين للدراسات البحوث الإنسانية والاجتماعية، د.م، 1997، ص ص31، 32.

1. مرسوم ديكيوس 249 م:

أ. تقديم البراءات Libelli:

في أواخر عام 249 م أصدر الإمبراطور ديكيوس مرسوما يطالب سكان الإمبراطورية الرومانية بالتضحية للآلهة، وبموجب هذا المرسوم بدأ أول اضطهاد عام ضد المسيحيين على نطاق واسع بسبب طبيعته المحلية والمخصصة، ويعتبر هذا المرسوم مؤشرا للتحول في تاريخ الاضطهاد المسيحي[1].

دعى ديكيوس إلى التضحية الشاملة، والتي لم تكن عملا مبتكرا، فقد كان لهذا جذوره واستخدم كأداة للتوحيد منذ بداية الإمبراطورية تحت حكم أوكتافيوس أوغسطس، وهو مرسوم لم يكن غير عادي بالنسبة لإمبراطور جديد، ويبدو أنه كان مهتما باكتساب الشرعية الإلهية والسياسية من خلال استعادة سلام الآلهة (pax deorum)، فكان ينظر إلى المسيحيين على أنهم فشلوا في المشاركة في الطقوس الرومانية التقليدية، وبالتالي تم اختيار هذه السياسة لضمان الحفاظ على الممارسات الرومانية في جوهرها واستمرار الخير الإلهي[2].

أجبر مرسوم ديكيوس جميع سكان الإمبراطورية على التضحية بالآلهة، بما يسمى بـ (Libelli)، وهذه شهادات تتبع نسقا معينا إلى حد ما، حيث قام هؤلاء الأفراد بأداء تضحيات مع التاريخ بالضبط وتوقيع من قبل الشهود، حيث يشهد على ولائهم للآلهة من خلال حلفهم بأنهم كانوا متحمسين من قبل للتضحية، ويبدو أن جميع السكان اضطروا إلى القيام بذلك في يوم محدد، كما هو الحال في نظام تسجيل التعداد أو تحصيل الضرائب[3].

وقد بدأ دور الوثائق البردية في إلقاء الضوء على المسيحية، وتكثر هذه الوثائق في أواخر القرن الثالث والرابع الميلادي، وتصدر شهادات لمن قدموا هذه الأضحيات من الموظفين المحليين تثبت تنفيذهم للأمر الإمبراطوري، وكان يطلق على هذه الشهادات بالاسم اللاتيني (Libelli) أي البراءات[4].

---

(1) J. B. Rives, **The Decree of Decius and the religion of empire**, the journal of roman studies, Vol 89, 1999, p135.

(2) Nicola Rose Holm, BA Hons I, **Pagan emperors and religious policies: A.D. 249-363**, A Thesis submitted for the degree of master of philosophy, school of historical and philosophical enquiry, The University of Queensland, 2017, pp17, 21.

(3) Olivier Hekster, **Rome and its empire, ad 193–284**, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2008, p70.

(4) محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة**....، ص ص453، 454.

وكان كل شخص سواء أكان رجلا أم امرأة صغيرا[1] كان أم كبيرا مطالبا بالمشاركة في الطقوس الوثنية، بحضور لجنة خاصة خصصت لذلك في كل منطقة، وكانت هذه اللجنة تشهد امتثاله لهذا الأمر، أما هؤلاء الذين يرفضون تنفيذ ذلك فيتم معاقبتهم لأنهم يكشفون بذلك عن اعتناقهم للمسيحية، وكان الذين يمتثلون لذلك الإجراء فيحصلون على شهادات بذلك، وقد عثر على العديد منها في مصر لوحدها[2]، وقد دونت جميعها بخط رفيع على شريحة من ورق البردي، ولا يستغرب من ذلك لأن صاحبها كان من المفروض عليه أن يحملها معه ويظهرها عندما تطلب السلطات منه الاطلاع عليها.

كانت أجهزة الحكم في مصر تنفذ أوامر الاضطهاد وخاصة أنها صدرت من الإمبراطور، وفي هذه الوثائق التي تأخذ شكل التماسات إلى هذه اللجان يذكر الشخص، اسمه، اسم القرية أو المنطقة التي ينتمي إليها، ثم يذكر ما يفيد أنه مواظب على الدوام في تقديم الأضاحي، ثم يطلب من أعضاء اللجنة التوقيع[3] له أدناه بما يفيد قيامه بهذه الأمور[4].وقد تمت صياغتها وفقا للنموذج التالي[5]:

"إلى المشرفين على القرابين في قرية ثيادلفيا Theadelphia من أوريليا بلياس Aurelia Bellias ابنه بيتريس Betres وابنتها كابينيس kapinis: لقد قمنا بتقديم القرابين للآلهة الآن في حضورك وطبقا للأمر فإنني أقوم بسكب القربان وتقديم الأضحية وتذوق ما قدم من قرابين، ونرجو تسجيل لنا ذلك. نشهد نحن أوريليوس سيرنيوس Ayrelius Sernus وأوريليوس هيرماس Aurelius Hermas أننا شاهدناك تقومين بتقديم القرابين. 21 جوان 250 م".

---

(1) وفقا للأمر الإمبراطوري يقوم القُصّر بذلك مع ذويهم وخاصة أمهم كما يظهر في بعض الوثائق، وفي بعض الأحيان نرى هؤلاء القُصّر يقومون بهذا الإجراء بمفردهم كما نرى في حالة صبي في الحادية عشرة من عمره من قرية تابعة لأوكسيرينخوس، وصدّق له على ذلك لجنة مشكلة من ستة أفراد أقرت قيامه بالطقوس المطلوبة. أنظر: الوثيقة: نقلا عن: **Knipfing, no.7 and no,30** محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص58.

(2) لقد تم تجميع 31 وثيقة من هذه الوثائق ونشرت معا عام 1923، ثم بعد ذلك ظهرت 4 وثائق أخرى نشرت في أماكن متفرقة، ومعظم هذه الشهادات من إقليم الفيوم وخصوصا من قرية فيلادلفيا، حيث وصلنا منها 24 شهادة من هذا النوع، وبعضا من إقليم أوكسيرينخوس. أنظر: محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص58.

(3) وأحيانا لا نجد هذه التوقيعات مرفقة مما يدل على أن الوثيقة التي وصلتنا ربما ليست الأصل الذي قدم لأعضاء اللجنة وأنها مجرد مسودة، من خلال هذا الشكل يمكن أن نتوقع أن الأفراد الذين كانوا على استعداد للقيام بهذه الطقوس الوثنية حسب مرسوم الإمبراطور، وكانوا يعدون هذه الالتماسات سلفا ويأخذونها معهم وهم في طريقهم لأداء هذه الطقوس، وبمجرد قيامهم بها كانوا يأخذون عليها توقيع وتصبح شهادة معتمدة. أنظر: نفس المرجع، ص63.

(4) نافتالي لويس، المرجع السابق، ص109؛ محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص63..

(5) الوثيقة: **P.Mich** نقلا عن: نافتالي لويس، المرجع السابق، ص ص109، 110؛

من هذه الشهادة يتبين أن على حاملها أن يقدم القرابين أمام الآلهة، وكولاء للإمبراطور لابد من تذوقها، مما يعني أنه غير مسيحي، وتشرف على ذلك لجنة تتكون من خمسة أفراد تصدر أوامرها إلى أي فرد مشكوك فيه وفي عقيدته، وإذا قدم كل ما سلف ذكره تمنحه اللجنة شهادة أو براءة من أي اتهام[1].

كما نجد مدى التشابه في هذه البراءات لدرجة الاعتقاد أنها ربما كانت قد أعدتها اللجنة بصيغة موحدة مع ترك فراغات بيضاء لكتابة الأسماء والتوقيعات، وتجدر الإشارة إلى أن الأبناء الذين هم نتيجة زواج مختلط عليهم كتابة أسمائهم المصرية والإغريقية، ونجد البراءة إما فردية أو جماعية وتختلف نوعيتها في مصر عن باقي الولايات الرومانية الأخرى، في الحالة الأولى كان يصدق عليها مندوب واحد، أما الحالة الثانية فكان هناك اثنان من المندوبين المعنيين بمراقبة الأضحية، وتعطينا إحدى البرديات من أوكسيرنخوس نصا لإحدى البرديات على النحو التالي[2]:

"إلى المشرفين على القرابين والأضاحي في المدينة من أوريليوس Aurelius ابن ثيودوروس Theodorus وكذلك بانتونيميس Pantonymis من المدينة السالفة الذكر. إنها عادتي أن أقدم الأضاحي والمسكوبات المباركة للإلهة الآن وفي حضورك وطبقا للأمر الإمبراطوري، أني أقوم بصب المياه الطاهرة وأضحي وأتذوق القرابين أنا وابني أورليوس ديوسكوروس Aurelius Dioscorus وكذلك أوريليا لايس Aurelia Lais ولذا ألتمس منك اعتماد تقريري. أول عام من سنين حكم الإمبراطور قيصر جايوس كوينتوس ترايانوس ديكيوس بيوس فليكس أغسطس".

ويلاحظ محمد السيد عبد الغني[3] أن هذا الاختبار لم يكن مقتصرا على من يشك في اعتناقهم المسيحة، ومما يؤكد ذلك بشكل قاطع أن كاهنة وثنية من مدينة الفيوم طلب منها إقامة هذه الطقوس ونورد نص التماسها إلى اللجنة المسؤولة عن ذلك:

" إلى أعضاء اللجنة المنتخبة للإشراف على الأضحيات من أوريليا أومونس ابنة ميستيس كاهنة بيتيسوخوس الإله الأعظم الخالد وآلهة موريس في حي مويريس. إنني أقوم على الدوام بتقديم

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص42.

[2] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص ص276، 277؛

Arthur Verhoogt, **Early christian texts in the university of Michigan papyrology collection**, Saint Nicholas Greek orthodox church, 2013, pp10, 11.

[3] الوثيقة: **Wilcken, Chrestomatie 125 ; J.R.Knipfing, art, cit, no 3** نقلا عن: محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص58، 59. أنظر أيضا:

Anthony Alcock , **Edict of Decius** :https://www.academia.edu/34848962/Edict_of_Decius

الأضحيات للآلهة طوال حياتي، والآن – وفقا للأمر الصادر وفي حضوركم– قدمت الأضحيات وسكبت قربانا وتذوقت لحوم الأضحيات، وأطلب منكم أن ترفقوا توقيعاتكم".

هذه الوثيقة تؤكد أن هذا الاختبار لم يكن فقط على من يشك في اعتناقهم المسيحية لاسيما وأن هذه السيدة كاهنة، وصيغة تعبيرها عن الموقف تنم عن دهشة –وربما استنكار– لذلك التصرف حيالها لأنه بالنسبة لها أمر غير منطقي إذ تذكر: "**إنني أقوم على الدوام بتقديم الأضحيات للآلهة طوال حياتي** "، أي أن ذلك أمر بديهي بالنسبة لها وأنها تفعل ذلك بشكل طبيعي وطوال حياتها دون انتظار أن يطلب منها وبمرسوم امبراطوري، مما يدل على أن هذا المرسوم كان شاملا على كل سكان الإمبراطورية بغير استثناء، وينطبق أيضا على من لا يحوم الشك حول اعتناقهم المسيحية[1].

كانت أهمية هذه الشهادات بمثابة إحصاء إجباري لسكان الإمبراطورية ولاسيما مصر، وهي مرحلة تطهير أمني للعناصر المناوئة للحكومة الرومانية، مقابل ذلك ظهرت فئة من الذين استغلوا احتياج المصريين لتلك الرخصة وقاموا ببيعها بأثمان غالية[2].

والسؤال المطروح هو: ما هو الهدف من هذا المرسوم ومن تطبيقه على الإمبراطورية بأسرها؟ وهل كان الدافع وراء ذلك سياسيا كما يؤكد يوسيبيوس عندما يعزو الدافع إلى مرسوم ديكيوس إلى كراهيته لسلفه فيليب العربي الذي اعتقد يوسيبيوس أنه ربما كان مسيحيا؟[3]، حيث يقول [4]:

" **ولكن بعد أن حكم فيليب لمدة سبع سنوات كان لخلفه ديكيوس الذي أثار اضطهادا...وذلك بدافع الكراهية لفيليب**". ويقول عن اعتقاده عن فيليب العربي[5] أنه مسيحي[6]:

"**يقال أنه كان مسيحيا وأنه في آخر يوم من عيد الفصح أراد المشاركة مع الحشود في الصلوات التي قيلت في الكنيسة؛ لكن رئيس المكان لم يسمح له بالدخول قبل الاعتراف والتسجيل بين أولئك الذين تم تصنيفهم في رتبة الخطاة واحتلوا المكان المخصص للتوبة؛ خلاف ذلك إذا لم يقم**

---

[1] محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص ص59، 60.

[2] حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص215.

[3] محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة**....، ص456.

[4] Eusebius, VI, XXXIX, 1.

[5] كان هذا الإمبراطور متزوجا من مسيحية هي أوتاكيليا سيفيرا، وكان على علاقة طيبة بالكنيسة، كما اشتكى الوثنيون من قلة حماسه عندما احتفل بالعيد السنوي لنشأة روما عام 247 م. أنظر: محمد السيد عبد الغني، **جوانب من الحياة**....، ص452.

[6] Eusebius, VI, XXXIV, 1.

الأمير بذلك فلن يتلقاها أبدا...".

إن معظم القرائن ترجح أن ديكيوس أصدر هذا المرسوم كإجراء مضاد للمسيحية، ويرى جوزيف فوجت (Joseph Vogt) [1] أنه من الأباطرة الذين يمكن أن نطلق على نظرتهم للدين والآلهة أنها نظرة قديمة وعفا عليها الزمن، والتي تفسر سبب الكوارث العديدة بعدم رضا الآلهة، وأنه لابد من إرضائها من أجل استعادة الأمن، وأن مصدر هذا السخط الإلهي هو من المسيحيين كما رأينا في قول ترتليان سابقا.

ب. الاضطهاد ما بين الصمود والارتداد:

كانت شراسة أساليب اضطهاد ديكيوس قد أجبرت فريقا من السكان على تقديم البراءات لعجزهم عن مقاومة السلطة الرومانية، فإن فريقا آخر صمدوا وأصروا على عقيدتهم، فكان منهم الكثير من الشهداء ولاسيما في منطقة الشرق، وقد توجه ديكيوس إلى تصفية المسيحيين ذوي المراكز المهمة، فيوسيبيوس ينقل لنا صورة حية للمعاناة التي عاناها ديونيسيوس[2] (Dionysius) رئيس أساقفة الإسكندرية حيث يقول عن ذلك[3]:

" فيما يتعلق بالاضطهاد الذي حدث في عهده بقوة كبيرة، وما تحمّله ديونيسيوس مع الآخرين من أجل إله الكون، سيتم شرحه في الكلمات التي خاطب بها في رسالة طويلة إلى جرمانوس أحد الأساقفة المعاصر له، الذي حاول الطعن فيه، وينص على ما يلي: "أواجه خطر الوقوع حقا في جنون وحماقة عظيمين، لاضطراري إلى الإخبار عن عناية الله العجيبة بنا لكن بما أنه يقال: "[7] أَمَّا سِرُّ الْمَلِكِ فَخَيْرٌ أَنْ يُكْتَمَ، وَأَمَّا أَعْمَالُ اللهِ فَإِذَاعَتُهَا وَالاِعْتِرَافُ بِهَا كَرَامَةٌ". (سفر طوبيا 12: 7.) **فإنني سأذيع ظلم جرمانوس. إنني لم أذهب وحدي إلى إمليانوس (حاكم مصر)؛ رافقني زميلي في الكهنوت ماكسيموس والشمامسة وفستوس ويوسابيوس وكريمون، حتى أحد الإخوة من روما الذين**

---

(1) Joseph Vogt, **Zur Religiosität der Christenverfolger im Römischen Reich**, p21.

نقلا عن: محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص ص60، 61.

(2) **القديس ديونيسيوس الكبير**: (247-264 م) أعظم أساقفة الكنيسة في القرن الثالث ومعلمه أوريجين، عين مديرا لمدرسة الإسكندرية من سنة 232 م حتى 246 م، ثم اختير للبطريركية بعد "أنبا هيراكليس"، وكان عمره حوالي 30 سنة عندما تولى التعليم في مدرسة الموعظين، وضع كتابا اسمه "الطبيعة" يرد فيه على الأبيقوريين القائلين بنظرية الذرات والجسيمات في تفسير خلق الكون والطبيعة، وله رسائل وكتابات حفظها لنا يوسيبيوس. أنظر: يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص ص60، 76؛

Schaff Philip, op.cit, p68.

(3) Eusebius, VII, XI, 1-5.

كان بيننا لم يخبرني إميليانوس في البداية: لا تجتمعوا من جديد [الإخوة]، لقد كان حقا أمرا مساعدا له وسارع إلى الذهاب أولا إلى الهدف النهائي، لم يتحدث عن تجمع الآخرين ولكنه أمرنا بالتوقف على أن نكون مسيحيين؛ فإذا غيرت معتقداتي فإن الآخرين سيتبعونني أيضا.
لكنني أجبت بشكل طبيعي وبكلمة قصيرة: "من الأفضل أن نطيع الله أكثر من الناس"، وقبله أدليت بشهادة أنني أحب الإله الوحيد الموجود ولا غيره، وأنني لن أتغير وأنني لن أتوقف أن أكون مسيحيا. وعلى ذلك أمرنا بالذهاب إلى قرية بالقرب من الصحراء تدعى Képhro..."

ثم يتحدث عن المكان الذي نفي إليه في صحراء ليبيا حيث يقول[1]:

"وبعد ذلك لكننا بمساعدة الرب لم نمتنع عن الاجتماعات العلنية، من ناحية بل دعوت بحذر شديد أولئك الذين كانوا في المدينة كما لو كنت معهم، كنت غائبا بالجسد ولكن حاضرا بروحي. من ناحية أخرى في كيفرو اجتمعت بنا كنيسة كبيرة، كانت تتألف أولا من إخوة من مدينة الإسكندرية الذين تبعونا، ثم أولئك الذين أتوا من مصر، مرة أخرى فتح الله لنا بابا للكلمة، في البداية تعرضنا للاضطهاد والضرب بالحجارة، ولكن في وقت لاحق ترك عدد كبير من الوثنيين المحترمين الأوثان وتحولوا إلى الله، لأنهم لم يتلقوا حتى الآن الكلمة الإلهية التي وزعناها نحن أولا".

وكذلك عرض حال المسيحيين في مصر، وذلك من خلال عرض الرسائل الخاصة بهذا القديس، والتي كانت أول ممارسة لتبادل الخطابات الإدارية بين كنيسة الإسكندرية وأنطاكية، ومنها خطابا إلى فابيوس أسقف أنطاكية يخبره عن قصص الشهداء الذين قاسوا الأمرين من جراء التعذيب[2]، ومما يقوله يوسيبيوس عن الاضطهاد والصدمة التي أحدثها المرسوم[3]:

"وفي الواقع كان المرسوم يشبه ما توقعه ربنا أن يكون سريعا ورهيبا للغاية...شعر الجميع بالرعب. كثير من الأشخاص المهمين قدّموا أنفسهم على الفور؛ لقد خضعوا بدافع للخوف وآخرين كانوا موظفين حكوميين فتصرفوا بحكم وظائفهم، وآخرون دفعه ذلك حسب محيطه، دعوا بأسمائهم، ذهبوا إلى تضحيات نجسة وآثمة، كان البعض شاحبا ومرتجفا، ليس مثل الأشخاص الذين اضطروا للتضحية ولكن كما لو كانوا هم أنفسهم ذبائح لها، ومحاصرين بضحك وسخرية العديد من الناس حولهم، وكان من الواضح أنهم كانوا جبناء على كل شيء، وكذلك الموت والتضحية.".

---

[1] Eusebius, VII, XI, 12. 13.

[2] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص ص278، 279؛ حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص213.

[3] Eusebius, VI, XLI, 10, 11.

وجد العديد من الضحايا في المدن المصرية، وكثير من المسيحيين هربوا إلى الصحراء ولقى الكثير حتفه إما جوعا وعطشا وإما فتك به قطاع الطرق والحيوانات المفترسة، ويصف يوسيبيوس كيف كان الرجال والنساء يضربون بالعصي وأعينهم بأغصان مدببة وحادة ويسحبون على الأرض الخشنة من الشوارع حيث يرجمون أو يحرقون حتى الموت[1]، ونقتطف مما قاله يوسيبيوس عن ذلك[2]:

" والشيء نفسه في رسالته إلى فابيان أسقف أنطاكية يروي بهذه الطريقة معارك شهداء الإسكندرية في عهد ديكيوس: "لم يكن الاضطهاد قد بدأ من قرار إمبراطوري، بل سبقه بسنة كاملة، وقد حذّر حرفي من شرور هذه المدينة، لقد أثار وحمّس ضدنا حشد من الوثنيين...حتى أنهم قبضوا أولا على رجل مسن اسمه ميترا (Métra) وأمروه أن يقول كلمات كافرة: لقد رفض ثم ضربوه بالعصي، وبقصب حادة جرحوا وجهه وعينيه، ثم أخذوه إلى الضاحية ورشقوه بالحجارة، ثم أحضروا امرأة مسيحية اسمها كوينتا (Quinta) إلى معبد التماثيل وأجبروها على العبادة؛ التفتت بعيدا وأظهرت لها الاشمئزاز، ثم ربطوها بالقدمين وجروها في جميع أنحاء المدينة على الرصيف الخشن، وكدموها بالحجارة وقاموا بجلدها بالسياط، ثم قادوها إلى نفس مكان مترا ورجموها بالحجارة". ثم يضيف أيضا[3]:"

" ثم يندفعون جميعا إلى منازل المسيحيين، الكل يقتحم الجيران الذين يعرفونهم ثم يسرقوهم ونهب أغلى الأشياء المحفوظة...والخشب يتم إلقاؤه وإحراقه في الأحياء لإعطاء مظهر لمدينة يستولي عليها الأعداء...لكنهم أيضا قبضوا على أبولونيا، وهي عذراء تستحق الإعجاب...، أوقعوا أسنانها بضربة على فكيها، ثم أشعلوا نارا في المدينة وهددوا بإلقائها على قيد الحياة إذا لم تقل صيغ كافرة، اعتذرت لفترة وجيزة ثم قدمت تضحياتها وهرعت إلى النار، قُبض على سيريبيون أيضا في المنزل وتم تعذيبه بقسوة، تم كسر جميع مفاصل أطرافه وأُلقي من الغرفة العلوية ورأسه إلى الأمام. لم يكن هناك طريق ولا شارع كان في متناولنا ليلا أو نهارا؛ صياح بلا توقف وفي كل مكان... وهذه الشرور بقيت لفترة طويلة بنفس الحدة، ثم جاءت الثورة بعد ذلك لهؤلاء الأشرار، وانقلبت الحرب الأهلية عليهم بسبب القسوة التي تعرضنا لها...".

يسرد لنا يوسيبيوس أقوال الأسقف ديونيسيوس وهو يصور معاناته ومعاناة المسيحيين في مصر،

---

[1] حبيب بدر، المرجع السابق، ص75؛ محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص61.

[2] Eusebius, VI, XLI, 1-4.

[3] Idem, VI, XLI, 5-9.

ويتبين من مراسلته إلى أسقف أنطاكية أن الاضطهاد كان عنيفا في عهد ديكيوس مملتكاتهم وحريتهم وحتى حياتهم، وأجبروا على التضحية للآلهة وعذبوا بمختلف الأساليب ليرتدوا عن ديانتهم، وقد تركزت بشاعة الاضطهاد الأكثر عنفا في مدينة الإسكندرية وبعض المدن مثل منف وطيبة وأوكسيرينخوس وفيلادلفيا- الفيوم-، وكانت مقاومة كنيسة الإسكندرية للاضطهاد وتلك القساوة أفضل بكثير منها من أي مكان آخر وبالذات روما، حيث كانت الكنيسة منظمة تحت توجيه الأسقف والكهنة[1].

ويبدو أن المرسوم الإمبراطوري كان بمثابة تفويض مطلق للوثنيين في الإسكندرية في القيام بأعمال عدائية ضد المسيحيين وتنفيذ هذه الجرائم، واعتبر مقتل ديكيوس سنة 251 م انتقاما إلهيا (Ultio Divina)، حيث يقول ميشال غرانت[2] (Michael Grant):

" **أفضل لي أن أتلقى أنباء من منافس لي في العرش من أن أسمع بأسقف آخر في روما**".

ويضيف أن ديكيوس لم يأمر المسيحيين بالتخلي عن عقيدتهم ولكنه لم يكن ليتسامح مع من يرفض المشاركة في الطقوس الوثنية العامة، وهذا ما يعتبره محمد السيد عبد الغني[3] تناقضا لأن الإمبراطور يعلم جيدا أنه إذا قام مسيحي بتلك الطقوس الوثنية فمعنى ذلك أنه ارتد عن مسيحيته -ولو ظاهريا على الأقل- لأنه لا يمكن للفرد أن يجمع بين المسيحية والوثنية معا، حتى ولو لم يذكر ذلك صراحة، فإقامة تلك الطقوس في حد ذاتها تخل عن المسيحية، كما أن هذا الرأي يتناقض وأساليب التعذيب واضطهاد المسيحيين في عصره، كما رأينا في رواية الأسقف يوسيبيوس عن تعذيب مسيحيي الإسكندرية وعن تعذيب أوريجين الإسكندي ووفاته عام 253 م، حيث يقول يوسيبيوس عن اضطهاده[4]:

" **كم كان عظيما أثناء الاضطهاد الذي وقع لأوريجانوس؛ ماذا كانت النهاية؟ كيف هاجمه الشيطان الشرير بكل جيشه، إلى أقصى درجة كافح ضده بكل ما لديه من قوة وبراعة...وكم كانت المعاناة التي تحملها هذا الرجل من أجل كلمة المسيح: السلاسل والتعذيب والألم المبرح الذي تعرض له جسده، والعقوبات التي تعرض لها بالحديد في السجن لعدة أيام، ووضع قدميه في حفرة وتهديده بالنار، كم من الآلام الأخرى التي تعرض لها من الأعداء وواجهها بشجاعة...**".

---

[1] حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص214؛ يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص62.

[2] Michael Grant, **The roman emperors**, P157.

نقلا عن: محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص62.

[3] نفس المرجع.

[4] Eusebius, VI, XXXIX, 5.

ونلاحظ من جهتنا أن يوسيبيوس قد تأثر بما قاساه أوريجين الذي لاقى أشد أنواع الاضطهاد، ويفتخر بصموده في وجه التعذيب الذي لاقاه، وكيف لا وهو أبرز شخصية في تاريخ المسيحية المصرية بل ورجالات الكنيسة، ولعل السبب في ثباته وصلابته على عقيدته بحسب محمد عنايات[1] هو رؤيته لاستشهاد والده في الإسكندرية في عهد سبتيموس سيفيروس، ولا يفوتنا ونحن بصدد الحديث عن بعض نماذج من الشهداء المسيحيين[2] في مصر نذكر أن أول مسيحي ناسك هو القديس بول (Paul) الطيبي الأصل، الذي فر من الاضطهاد إلى الصحراء، وكانت هذه النماذج توضح مدى استعداد معتنقي المسيحية لمواجهة الموت، فقد كان شعارهم الذي كانوا يرفعونه في وجه السلطات: " **أن أعدادنا لتتزايد بالقدر الذي يستشهد منا لأننا ننبت من الأرض التي ترويها دماء الشهداء المسيحيين**".

ويعتبر أدق تصوير عن اضطهاد ديكيوس أن إجراءاته لم تسمح للمسيحيين من الإفلات فعانوا وتحملوا أشد العذاب من أجل دينهم، ويصف محمد السيد عبد الغني[3] تلك الإجراءات أنها كالشبكة ذات الثقوب الدقيقة لا تسمح بالإفلات، فكان عليهم أن يقدموا أضحيات للآلهة أو على الأقل يستصدروا شهادات تفيد بأنهم قدّموا ذلك، صحيح أن المرسوم كان يطبق على كافة سكان الإمبراطورية ولكن كان من بين أهدافه الأساسية غير المباشرة كشف المسيحيين وتعقبهم.

– الاختلاف حول المرتدين:

كان تصرف المسيحيين متفاوتا اتجاه المحن التي تعرضوا لها، إذ ارتد كثيرون تحت هول الاضطهاد وقاموا بالطقوس الوثنية المطلوبة مما هدد استقرار الكنيسة بصورة خطيرة، أمام بشاعة التعذيب بكافة أنواعه من حرق وجلد وصلب وسلخ ورجم وقطع أعضاء وتهشيم أسنان وإلقاء إلى الحيوانات المفترسة وسجن، وغير ذلك اضطروا إلى تقديم البراءات المزورة، والتي يبدو أنهم حصلوا عليها عن طريق الرشوة دون أن يكون لهم أي دور فعلي في التضحية سواء بلمسها أو تذوقها، ففي اعتقادهم أنهم غير آثمين وكانوا مضطرين، ويبدو أن الحصول على هذه البراءات المزورة كان أمرا يسيرا، حيث يتقاضى المندوب المختص بمراقبة الأضاحي من أصحاب هذه البراءات الرشاوي، على أن يقوم بالتوقيع على البراءة والإقرار بأن صاحبها قدم القرابين، ويحصل على براءة مزورة وبذلك يمتثل ظاهريا للإمبراطور، ولكن كان ذلك

---

[1] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص279.

[2] كان اضطهاد ديكيوس اضطهادا عاما استشهد فيه أسقف روما وأسقف أرشليم وأنطاكية والإسكندرية، كما شمل الإمبراطورية بأسرها، هذا في حين كان الاضطهاد يتسم فيما سبق بالطبع المحلي. أنظر: ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص43.

[3] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص62.

يعرضهم لمتاعب شتى من قبل الذين ثبتوا على الإيمان المسيحي، وذلك بحرمانهم من دخول الكنيسة ما لم يعلنوا عن توبتهم، وحتى إذا تابوا فقد كان أمر توبتهم مشكوكا فيه من رجال الكنيسة، وأصحاب هذه البراءات أطلق عليهم اسم (Libellatici) أي حملة البراءات المزورة[1].

بالإضافة إلى هؤلاء كان من تحمل الاضطهاد والتعذيب واعترفوا بمسيحيتهم، وأطلق عليهم في الكنيسة لاحقا اسم "المعترفون" (Confessores)، وهناك من صمدوا فلم يفروا ولم يقدموا أضحيات وشاءت الظروف ألا يحبسوا وأطلق عليهم "الصامدون"(Stantes)، ولكن بعد أن انتهى الاضطهاد بدأت بوادر الأزمة والانشقاق داخل الكنيسة بسبب اختلاف الآراء حول من ارتد من المسيحيين مؤقتا أيام الاضطهاد ومن ارتد شكلا بشراء الشهادات الوثنية المزيفة، وهل يجوز إعادتهم للكنيسة وللمسيحية بعد مواقفهم هذه أم يطردون من الكنيسة؟، حيث لا ينبغي أن يستوي من اعترفوا بمسيحيتهم وتحملوا السجن والتعذيب وممن صمدوا ولم يستجيبوا لهذا المرسوم الإمبراطوري بمن ارتدوا عند الاختيار أو لجأوا للحيلة والرشوة لشراء الشهادات[2].

وقد أثارت مشكلة المرتدين الأساقفة، فالأسقف ديونيسيوس الإسكندري تبنى حلا وسطا فلم يستبعد أحدا من التكفير، هذا الرأي المعتدل والإنساني الذي كان أصحابه يرون أنه متى أثبت الشخص ندمه الخالص على ما فعل وضعفت عزيمته أثناء الاضطهاد، فينبغي السماح له بالرجوع إلى المسيحية، لكن أساقفة شرقيين آخرين كفابيوس أسقف أنطاكية كانوا أكثر تشددا وانضموا إلى "نوفاسيان"، وهو كاهن روماني انشق عن الكنيسة ورفض كفارة المرتدين، وكان هذا هو الرأي المتشدد داخل الكنيسة، ولكن انتصر التيار المعتدل ولكن على حساب انقسام وحدة الكنيسة[3].

ونجد ترتليان يشيد بالمسيحي الذي يقبل أن يموت بسبب إيمانه، ويذكر أنه في أوقات الاضطهاد من الأفضل الفرار من مدينة إلى أخرى بدلا من أن يتم القبض عليه والارتداد تحت التعذيب، ولكنه يفضل أولئك الذين لديهم الشجاعة للموت من خلال حمل شهادة سعيدة عن استشهادهم، ويذكر فابيان دافير[4] (Fabien Davier) أن ترتليان يستخدم لتسمية الشهيد مفردات غنية ومتنوعة يستعيرها

---

[1] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص63؛ عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص ص277، 278.

[2] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص64، 65.

[3] حبيب بدر، المرجع السابق، ص ص75، 76؛ محمد السيد عبد الغني، **أضواء**...، ص ص64، 65.

[4] Fabien Davier, **Les Ecrits catholiques de Tertullien : formes et normes**, Thèse en vue de l'Obtention du titre de docteur en histoire, vol I, Université de Franche-Comté, école doctorale « langages, espaces, temps, sociétés », 2009, pp303, 304.

جزئيا من قاموس القانون الجنائي الروماني: iustus، testis، uocatus، والتي يتم استخدامها بشكل ضئيل، ويعد مصطلح iustus هو الأكثر شيوعا، ويتم تعيين الشهيد من الصالحين لأنه يتبع شريعة الله، فيوستوس iustus في معناها التقليدي نابعة من القانون الجنائي الروماني وتتوافق مع القانون، وهذا يعني أن هذا التصرف مشروع على سبيل المثال ويعتبر قانونيا بموافقته الموت من أجل إيمانه وسفك دمه.

وفي الأخير نتبين أن التأريخ لأحداث الاضطهاد كانت من أكبر مؤرخي الكنيسة وهو يوسيبيوس، ولكنه عاش في فترة لاحقة لديكيوس، ولذلك لم يكن شاهد عيان أو معاصرا للأحداث، وباعتباره مسيحي فإنه سينجر بعاطفته كمسيحي، وهو ما يؤثر على توضيح صورة الاضطهاد بكل موضوعية مطلقة، وما يلفت النظر في مرسوم ديكيوس أنه نجح في إحداث ردة فعل بين المسيحيين بين الارتداد والصمود، وفي خلق متاعب للكنيسة لاحقا فيما يخص إعادة قبول المرتدين .

2. اضطهاد رجال الكنيسة:

بدأت ملامح الاضطهاد للمسيحية تعود إلى سابق عهدها وربما تحقق ذلك بصورة شبه كاملة على يد الإمبراطور فالريانوس (253- 260 م)، الذي ضيق الخناق على المسيحيين بإصدار قرارات تعسفية [1]، وسار على نفس طريق ديكيوس وجعل عقوبة معينة لكل واحد حسب موقعه الكهنوتي إذا ما أصر على التمسك بعقيدته[2].

تم الإعلان عن أول سياستين دينيتين في عهد فاليريانوس، التي تبين المشاعر المعادية للمسيحيين، الذين كان ينظر على أنهم مذنبون بسبب رفضهم المشاركة في الممارسات الدينية الوثنية، حيث أعلن عن المرسوم الأول عام 257 م وتم نفي كبار مسؤولي الكنيسة وأمر جميع المسيحيين بالمشاركة في التضحية، ويمكن افتراض أن هذا يتبع نفس مرسوم ديكيوس للتضحية إن لم يكن بنفس الشكل، فقد كان يستهدف المسيحية على وجه التحديد، وأما المرسوم الثاني فهو عبارة عن رسالة نصية موجهة إلى مجلس الشيوخ وتتضمن عقوبات أشد صرامة، فلن يقتل المسيحيين الذين رفضوا الاعتراف بالآلهة الرومانية فحسب بل سيتم معاقبة أعضاء النخبة الرومانية أيضا، وشمل ذلك أعضاء من مجلس الشيوخ والفرسان وأفراد الأسرة الإمبراطورية، وإذا رفض هؤلاء الأفراد الارتداد فسوف يفقدون ممتلكاتهم وألقابهم [3].

---

[1] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص15.

[2] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصرين الهيلينستي**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992، ص287؛ Christiane Saulnier,op.cit, p272

[3] Nicola Rose Holm, BA Hons I,op.cit, p27.

حظر على المسيحيين التجمع أو غلق مقابرهم الخاصة، وبرسالة إلى مجلس الشيوخ أمر بتجريد الأساقفة والكهنة والفرسان الرومان من ممتلكاتهم، وإذا أصروا أن يضلوا على مسيحيتهم فيجب أن تقطع رؤوسهم، وأما من العامة فيجب أن يحرموا من ممتلكاتهم ونفيهم، وإذا اعترفوا يقيدون بسلاسل للعمل القسري في مزارع قيصر[1]، وبعد أن تم اعتبار التدابير الأولى غير فعالة تم استخدام الإعدام، ومن هنا يتبين أن هاذين المرسومين في عهد فالريانوس، تم الحفاظ على أحكامهما بشكل جيد إلى حد ما، فظهر الأول في أغسطس لعام 257 م، والثاني بعد عام أي 258 م، والذي يركز مباشرة على كبار رجال الدين والأساقفة والكهنة والشمامسة، وتم إلزامهم بالتضحية للآلهة الإمبراطورية وتكريمها، شريطة أن يكرموها على وجه الخصوص خارج أي اجتماع للعبادة[2].

كان المرسوم الثاني حسب مانفريد كلاوس[3] خطوة أخرى في طريق العداء للمسيحية، فلأول مرة تضع الدولة الرومانية عقوبات محددة لأولئك الذين يمتنعون عن تقديم القرابين، وهي على معرفة دقيقة بالتركيبة الدينية للجالية المسيحية، وتتحدد العقوبة حسب الوضع الاجتماعي، فالقساوسة يتم إعدامهم وأعضاء مجلس الشيوخ والفرسان كانوا يفقدون مناصبهم ورتبهم وثرواتهم، أما القائمون بالأعمال الإدارية للدولة فكان يهددون بمصادرة ممتلكاتهم والعمل الإجباري.

وبالتالي يعتبر المرسوم الثاني هو الأشد والأقسى فقد صدر في الشرق وقام مجلس الشيوخ بتعميمه على حكام الولايات، وهذا المرسوم جعل رجال الكهنوت المسيحي عرضة للإعدام، ويتبين أن هذا الامبراطور قام بالاضطهاد بصورة جادة ولكن هذه المرة الضربة كانت موجهة إلى كبار رجال الكنيسة، ربما ليصرف الانتباه عن الكوارث التي أصابت الإمبراطورية، ولكي يفرض بالقوة الاعتراف بالديانة الرسمية للدولة كعلاج لهذه الأزمات، وربما كان قد ساند الإمبراطور ديكيوس من قبل في إجراءاته ضد المسيحيين، ومن بين الذي استشهد من جراء هذا المرسوم البابا "سيكستوس الثاني" و"سان لأورينس" الذي أحرقا حتى الموت في روما و"كبريان "الذي أعدم في قرطاج[4]، أما ديونيسيوس الإسكندري وبعضا

---

(1) Henry Bettenson, **Documents of the christian church**, the world classics, Oxford Univesity Press, New York, 1947, pp19, 20.

(2) L. Duchesne, **Histoire ancienne de l'eglise**, Tome I, troisième édition, E. De Boccard, éditeur, Paris, 1923, p387.

(3) مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص227.

(4) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص65، 66؛ Olivier Hekster,op.cit, p74

من الكهنة فقد تم نفيهم إلى ليبيا، حيث يقول ديونيسيوس وهو يستجوب[1]:

"...إذا غيرت قناعاتي فإن الآخرين سيتبعونني أيضا. لكنني أجبت بشكل طبيعي تماما بالكلمة القصيرة: "من الأفضل أن تطيع الله أكثر من البشر"، وقبله أدليت بشهادتي بأنني أعشق الإله الوحيد الموجود وليس غيره، لن أتغير ولن أتوقف على أن أكون مسيحيا، مع ذلك أُمرنا بالذهاب إلى قرية بالقرب من الصحراء تدعى كفرو Kephro...".

ويضيف[2]: **"قال له إميليان الذي يعمل في مكتب الحاكم : من الذي يمنعك من عبادته، إذا كان الله مع الآلهة الذين هم بطبيعته؟ لأنك أمرت بعبادة الآلهة والآلهة التي يعرفها الجميع. أجابه ديونيسيوس: نحن لا نعبد أي إله آخر. قال له إميليان بصفته حاكما: أرى أنك لا تشعر بالامتنان ولا تراعي تسامح أغسطس، هذا هو السبب في أنك لن تبقى في هذه المدينة، وسيتم إرسالك إلى منطقة ليبيا في مكان يسمى كفرو Kephro، لأنني اخترت هذا البلد بأمر من أغسطس ولن يسمح لك أبدا أو للآخرين بعقد الاجتماعات أو الدخول للمقابر".**

وبالتالي فإن مرسوم 258 م كان صارما بإنزال عقوبة الموت لكل المعاندين وتدابير صارمة ضد المسيحيين من ذوي الشأن، ويخبرنا ديونيسيوس أن حاكم مصر لم يتوقف عن قتل المسيحيين وسجهم وتعذيبهم لكن لم يعطنا أية تفاصيل دقيقة حول الضحايا، ويبدو أنه هو تمكن من الإفلات من الملاحقة[3] حيث يقول يوسيبيوس عن ديونيسيوس[4]:

"أنه حتى الآن لم يتوقف الحاكم، عندما يتم إحضار بعضهم أمامه أو إعدامهم بقسوة أو تمزيقهم أو تعذيبهم، أو جعلهم يعانون في السجن وبالسلاسل ويمنع أي شخص من الاقتراب منهم، ويتأكد من عدم وجود أحد هناك، ومع ذلك فإن الله وبفضل شجاعة وإصرار الأخوة يعطي القليل من الراحة للمتضررين".

وبعدها حدث أن وقع الإمبراطور نفسه في أسر الملك الفارسي عام 259/258 م، وهو ما اعتبره الوثنيون سوء حظ في حين نظر إليه المسيحيون إشارة للانتقام الإلهي على من اضطهدهم، وبالرغم

---

(1) Eusebius, VII, XI, 4, 5.

(2) Idem, VII, XI, 9, 10.

(3) حبيب بدر، المرجع السابق، ص76.

(4) Eusebius, VII, XI, 25.

من أن المسيحية فقدت بعضا من مسيحييها سواء بالعودة إلى الوثنية خوفا من الموت أو بسبب الثبات على العقيدة، إلا أنها نهضت من الاضطهاد أقوى مركزا وتأثيرا[1].

3. مرسوم التسامح الأول 261 م:

إذا كان القرن الثالث الميلادي قد عرف اضطهادات كبرى ضد المسيحيين، فإن هذه الاضطهادات قد توقفت في سنة 260 م، وعرفت الديانة المسيحية حينذاك أربعين سنة تقريبا من السلم ، فأخذت المسيحية بالانتشار وتم تحديث المدافن وشيدت الكنائس[2].

انقلب الإمبراطور جالينوس (260-268 م) على سياسة أبيه فالريانوس في اضطهاد المسيحيين وأصدر مرسوما سمي " بمرسوم التسامح الأصغر"، وبدأت مرحلة الاستقرار والهدوء وسلام الكنيسة، وعرفت فترة حكم جالينوس بفترة التسامح الديني مع أصحاب الديانات المختلفة[3].

ومن الأسباب التي دفعته إلى ذلك هو الأخطار الخارجية التي كانت تهدد الإمبراطورية في عهده، ومنها هجوم القوط على الحصون الدفاعية على طول الراين والدانوب، أما في الشرق فقد تعرضت حدود الإمبراطورية لهجمات الفرس، إلى جانب مشاكل الإمبراطورية الخاصة متمثلة في انتشار قطاع الطرق في الأحراش والصحاري لقطع الطريق على القوافل، وانهيار الاقتصاد نتيجة انتشار الأوبئة ببعض أقاليمها كمصر ، وبذلك أقر هذا المرسوم أن المسيحية مسموح بها، وسمح للمسيحيين بممارسة شعائرهم مع عدم تعرض الوثنيين لأماكن عبادتهم، وأمر كذلك برد ما كان قد صودر من أملاك المسيحيين، ونتيجة لذلك دخل الكثير من الأغنياء للمسيحية وشيدت الكنائس الضخمة[4]، حيث يعود أول ذكر لكنيسة مصرية في بردية من البهنسا سنة 300 م[5]، بل وتولى المسيحيون بعض الوظائف العامة بل أصبحوا حكاما للولايات واحتل عدد منهم المناصب العليا في البلاط الإمبراطوري، كما أتاحت فترة السلام والهدوء للكنيسة أن تستكمل تنظيمها الداخلي[6].

---

(1) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص ص65، 66؛ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص287.

(2) أندريه إيمار، جانين أبوايه، **تاريخ الحضارات العام**، نقله إلى العربية فريدم داغر، فؤاد .ج. أبو ريحان، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986، ص600.

(3) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص66؛ عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص16.

(4) ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص44.

(5) الوثيقة:**P.Ox.no.43** نقلا هن، مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 239.

(6) ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص44.

وقد وجهت رسالة كمرسوم من الإمبراطور جالينوس إلى الأسقف ديونيسيوس، ومخاطبته مباشرة[1]:

" من القيصر بوبليوس ليسينيوس جالينيوس المتدين إلى ديونيسيوس وبيناس وديمتريوس وبقية الأساقفة، أمرت تنفيذ نعمة هديتي في العالم كله وأن تنسحب (الدولة) من الأماكن المحددة لإقامة القداس، ولهذا يسمح لكم باستخدام نسخة من أمري حتى لا يتمكن أحد من مضايقتكم، وكان هذا المرسوم المسموح لكم استخدامه تنازلا منذ فترة طويلة، وعليه يستولي أوريليوس كيرينيوس (Aurelius Quirinus) القائم على الشؤون المالية مراقبة تنفيذ أمرى".

يعتبر هذا المرسوم مهم من عدة أوجه، فهو يؤكد على الدور الواضح بالفعل لكنيسة الإسكندرية في ذلك الوقت، وتم فيه منح الحرية لدور العبادة وعدم منحها بوضوح للمدافن، حيث ذكرنا سابقا أن فالريانوس منع القساوسة بشكل قاطع دخول المدافن ودُوُر العبادة، لأنه أراد إعاقة جميع التجمعات المسيحية، وبينما استطاعت السلطات غلق أماكن العبادة وختمها بالشمع الأحمر إلا أنها لم تستطع فعل نفس الشيء مع المدافن، ولهذا لم يكن جالينوس مضطرا لإعادة الحرية لها تحديدا، وبالتالي فإن هذا المرسوم يمنع مضايقة المسيحيين، فإذا كان تراجانوس قد سمح بأمر منه بعدم البحث عن المسيحيين وبهذا منع ملاحقتهم، فقد خطى جالينوس خطوة أخرى، بأن جعل للمسيحيين حقوق والذين لم يكن لهم الحق في تكوين وتملُّك دور العبادة والمدافن.

وتجدر الإشارة إلى أن السياسة الدينية في الولايات تركت للحكام إلى جانب مهامهم السياسية، فمنهم من غض الطرف عن المسيحية طالما أن الأمور مستقرة، ومنهم من اتخذ لنفسه نمطا دينيا محددا ومنهم من اتخذ موقفا ضد المسيحيين أو لم يلتفت إلى طلباتهم وتظلماتهم[2].

يتبين في الأخير أن جالينوس يعتبر من أول الأباطرة الذين قاموا بإجراءات عملية لإنهاء الاضطهاد، مما يدل على أن الأباطرة الرومان لم ينظروا للمسيحية بنفس النظرة واختلفت رؤيتهم لمواجهتها، وإن يعود كذلك للظروف الداخلية والخارجية للإمبراطورية، ويعتبر المرسوم خطوة أساسية في التسامح اتجاه المسيحيين ويعتبر انتصارا أوليا للمسيحية وكبداية لأولى مراسيم التسامح، وسيصير المنطلق لمراسيم أخرى لاحقة، وتبين كذلك مدى قوة كنيسة الإسكندرية ومكانتها بين الكنائس، وذلك يعود بالطبع إلى أساقفتها الذين امتازوا بقوتهم الفكرية والدينية وكلمتهم العليا في توجيه المسيحيين.

---

[1] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص230.

[2] نفس المرجع، ص231؛ عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص16؛ L. Duchesne, op.cit, p387

4. الاضطهاد الأكبر في عهد دقلديانوس:

أ. مراسيم الاضطهاد:

تولى الإمبراطور دقلديانوس (284-305 م) حكم الإمبراطورية الرومانية في فترة كانت فيها مصر تتميز بانعدام الأمن وتردي الأوضاع الاقتصادية، ولذلك عندما تقلد الحكم كان لابد أن يقوم بعدة إصلاحات[1] إدارية واقتصادية وعسكرية، ودخلت الإسكندرية كمركز لثورة منسقة ضد السلطة الإمبراطورية، التي كان لابد من قمعها من قبل الإمبراطور دقلديانوس والحضور بنفسه لإخماد هذه الثورة [2]، فحاصرها لمدة ثمانية أشهر فأصابها الكثير من الخراب والوباء والقحط[3]، وقد اندلعت هذه الثورة نتيجة السياسة الاقتصادية المجحفة التي أقرها وفي غلاء الأسعار والضرائب التعسفية، هذا بالإضافة إلى أن دقلديانوس قد قضى أيضا على الثورة الاجتماعية التي عرفت باسم الثورة **المانيخية**[4]

---

[1] ساعد عهد الإمبراطور دقلديانوس المستقر نسبيا من عام 284 م حتى عام 305 م الإمبراطورية الرومانية على الخروج من أزمة القرن الثالث الميلادي، فقام دقلديانوس بإعادة تنظيم كل من الحكومة والحدود في محاولة لتحقيق الاستقرار الدائم للإمبراطوري، بعد تمرد خطير في مصر عام 297 م، وأصبح مقتنعا بأن هناك حاجة لحكام متعددين، فكان الغرض من هذا النظام هو السماح لعدة حكام بالتعامل مع تهديدات متعددة في نفس الوقت. أنظر:

Justin Ott, **The Decline and fall of the western roman empire**, A Thesis submitted to the graduate faculty in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of arts, Iowa State University, Ames, Iowa, 2009, pp9, 10.

واستهدفت إصلاحاته تقوية سلطة الإمبراطور وإقامة جهاز إداري دقيق والفصل بين السلطة العسكرية والمدينة، وقسم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي، حكم كل منهما حاكم يحمل لقب أوغسطس، وتولى دقلديانوس القسم الشرقي بينما تولى صديقه ماكسيميانوس القسم الغربي، وتم تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقسام إدارية عرفت باسم (Préfecture) الأولى منها هي إيطاليا وعاصمتها ميلان والثانية غالة وعاصمتها تريف (Triev) الواقعة على نهر الراين، والثالثة إليريا وعاصمتها سرميوم (Sirmium) وهي بلغراد حاليا، أما الرابعة منها على الجانب الشرقي وعاصمتها نيقوميديا الواقعة على الشاطئ الآسيوي للبوسفور، هذا وتولى وظيفة القيصرين جاليريوس (Galerius) الذي تبناه دقلديانوس وقسطنطينوس الذي تبناه ماكسيميانوس. أنظر: محمود سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص ص19، 20.

[2] استطاع أحد القواد الرومان دومتيانوس (Lucius Domitius Domitianus) والذي اشتهر باسم أخيليوس (Achiliens) من الثورة ضد الإمبراطور وأعلن نفسه إمبراطورا في الإسكندرية، تمثل هذه الثورة خطرا حقيقيا، نظرا لأنها تهدف إلى إيجاد إمبراطور جديد أولا وأنها تتخذ مصر مركزا لها، وفي ذلك تهديد صريح يمنع إرسال القمح إلى روما، ويكفي للدلالة على خطورة هذه الثورة أن دقلديانوس حضر بشخصه في الحال إلى الإسكندرية. أنظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص ص245، 246.

[3] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص282؛ Christopher Haas, op.cit,p6.

[4] **المانيخية:** عرفت بهذا الاسم نسبة إلى المبشر ماني (Mani) الذي ظهر في بارثيا وبشر بالصراع بين الشعب والحاكم الظالم، وقد ولد ماني بقرية تعرف ب "مردى نو" بالقرب من بابل، وقد رفض التوراة وقبل بالإنجيل فقط، والعالم في المانيخية قائم على أصلين هما الخير والشر أو النور والظلمة، وكانت ديانته مركبة من معتقدات وديانات مختلفة وألف بينها، فانتشرت هذه الديانة أول الأمر في بابل

(Manchaean)، والتي كان المسيحيون قد شاركوا فيها مثلما شاركوا في الثورة الأولى، فإن ذلك حفزه على إنزال أشد صنوف العذاب بالمسيحيين[1].

بعد القضاء على هذه الثورة أمكن تطبيق السياسة والنظم الجديدة في مصر، ومن بين محاولات دقلديانوس في إعادة تنظيم وبناء الإمبراطورية على أساس متجانس ويبعد عنها الاختلافات والانقسامات هو في القضاء على الحركة المسيحية النامية في ذلك الوقت، فكما حاول إصلاح الإدارة والاقتصاد عن طريق وضع مبادئ ونظم جديدة كذلك حاول إصلاح الحالة الدينية بوضع مبدأ ديني جديد وهو زيادة الصفة المقدسة لشخص الإمبراطور، وأطلق على نفسه لقب جويوس (Jouius) ومعناها ممثل جوبيتر على الأرض[2].

جاء دقلديانوس إلى العرش عام 284 م، ولكن ما يقرب من عشرين عاما بقي الإمبراطور صامتا بشأن المسيحية، بعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى نصفين الشرقي والغربي[3]، ومع ذلك لم يسارع إلى الاضطهاد بل بقي فترة طويلة من حكمه تبلغ 20 عاما تقريبا دون أن يتعرض للمسيحيين بأذى كبير حتى إذا كان عام 298 م قام بمحاولة محدودة لتطهير الإدارة والجيش من المسيحيين[4]، بينما كان يستعد لحرب الفرس، ولكن في سنة 303 م نجد دقلديانوس ييأس من الوسائل السلمية في حل مشكلة الانقسام الديني في الإمبراطورية ويبدأ أقسى اضطهاد عرفه المسيحيون[5].

تعددت الآراء داخل البلاط الإمبراطوري وتباينت حول الموقف الذي ينبغي اتباعه حيال

ثم انتقلت بعد ذلك إلى سوريا وفلسطين ثم في مصر بعد ذلك ومنها إلى طرابلس وقرطاجة فبلاد الغال وإيطاليا، وبقي لهذه الديانة أتباع في آسيا حتى عصر الخلفاء الراشدين، وقد أظهر رجال الدين المسيحي عداءا شديدا لديانة ماني. أنظر: عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص21؛ حسن بيرنيا، **تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني**، تر محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص ص417، 418.

[1] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص21؛ عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص282.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص ص246، 247.

[3] Adam Tippett, **Christian persecution**, submitted to Dr. John Doe, in partial fulfilment of the requirements for the completion of history of christianity I, Liberty University, 2017, p5.

[4] أصدر دقلديانوس أمرا إلى الجيش بأن يلزم عناصره بأن يدينوا بالوثنية، وكان من نتيجة ذلك أن فر كل من يدين بالمسيحية من صفوف الجيش، وكانت هذه الدعوة إلى التمرد على أوامر السلطة الزمنية سابقة في الزمن والمتصفة بفرض الوثنية في الجيش، وكان لذلك دور تحريضي على عصيان السلطة الامبراطورية. أنظر: عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص120.

[5] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص ص246، 247.

المسيحيين هل ينبغي تجاهلهم أو استرضاءهم أو القضاء عليهم، وكانت هيئة المجلس تتكون من أربعة أعضاء: دقلديانوس وكونستانتيوس وماكسمليانوس وجاليريوس، وانتصر الأخيرين فأصدر دقلديانوس عام 303 م مرسوم[1] **نيقوميديا**[2]، حيث شب حريق من هذه السنة في نيقوميديا بالقصر الإمبراطوري، وألقيت التهمة على المسيحيين فانطلق الاضطهاد على شاكلة اضطهاد ديكيوس وفالريانوس ولكن بصورة أكثر عنفا وشمولا، وصدرت الأوامر بجمع نسخ الكتاب المقدس لحرقها وتدمير الكنائس ومنع المسيحيين من الاجتماع واحتجاز الأساقفة، وقد نفذت الأوامر بقسوة بالغة في كثير من الأحيان[3].

ويصفه كايوس كيتارو (Caius Cuţaru)[4] بأنه واحد من أسوأ الاضطهادات للمسيحيين المعروف على الإطلاق، حيث بدأ الاضطهاد بعد نشر مرسوم 24 فبراير 303 م، وكان يُعنى بتدمير جميع الكنائس والمنازل المسيحية وحظر التجمعات للاحتفال بعيد الميلاد، وهناك من فقدوا امتيازاتهم القانونية وتعرضوا للتعذيب بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي، وهناك من تم إلقاء القبض عليهم وأحرقوا، حيث كانت الحشود كثيرة جدا لأنهم أحرقوا في مجموعات وليس بشكل فردي، وكانت السجون ممتلئة وأمام قاعات المحاكم كانت هناك مذابح للأضحيات، وكانوا يحثونهم على تقديم ذبائح للآلهة، ويضيف أنه لم يتم حذف اضطهاد دقلديانوس من ذاكرة الكنيسة حتى الآن، حيث كان يُشار إليه منذ قرون أنه علامة فارقة في تاريخ الجرائم ضد المسيحيين.

---

(1) جون مارلو، المرجع السابق، ص230.

(2) **نيقوميديا:** كانت نيقوميديا القديمة على مر التاريخ من الجسور الرئيسية على الطرق البرية والبحرية بين أوروبا وآسيا وكذلك بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، إلى جانب موقعها العسكري واللوجيستي والاستراتيجي، وكانت هناك ثلاث طرق برية تمتد من الشمال الغربي والجنوب والشرق من نيقوميديا تربط الطريق الشمالي لوسط أوروبا، الذي يمر بين بيزنطة في الغرب وبيثينيا وبحر مرمرة في الشرق، والآخر هو الطريق الأسرع للحجاج المسافرين من أوروبا إلى الأراضي المقدسة، وهناك الطرق البحرية من نيقوميديا ووصلت إلى الإسكندرية وروما وأفسس وفينيقيا وغيرها.

تظهر أهمية نيقوميديا كنقطة انطلاق أو وجهة لطرق الشحن في التجارة البحرية للبحر المتوسط، فبفضل موقعها المميز على الطرق البحرية والبرية، يظهر الجيش الروماني والحملات العسكرية كعناصر حاسمة في تشكيل العلاقة بين نيقوميديا ومنطقة غرب البحر الأسود مع الخطر الناشئ عن الشرق، وازدادت الأهمية الاستراتيجية لنيقوميديا بشكل أكبر في عهد تراجانوس. أنظر:

V. Cojocaru and Others, **The Economic activities of roman Nicomedia and connectivity between the propontic and the pontic world,** in interconnectivity in the mediterranean and pontic world during the hellenistic and roman periods, Cluj-Napoca, 2014.

(3) مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص240؛ محمد عبد الغني، **جوانب من الحياة**...، ص ص464، 465.

(4) Caius Cuţaru, **Christianity and greco-roman polytheism in the fourth century. the role of emperor Constantine the great in the imposition of christianity**, Teologia, Vol 3, 2013, p77.

تضمن الاضطهاد أربعة مراسيم: المرسوم الأول يقضي بتدمير الكنائس المسيحية وإحراق الأناجيل والكتب المقدسة ومصادرة الكنائس، وحرمان المسيحيين من التمتع بامتيازات الطبقة التي ينتمون إليها، هذا فضلا على أنه اعتبر المسيحيين خارجين عن القانون وحرمانهم من حق الدفاع عن حقوقهم أمام المحاكم، أما المرسوم الثاني والثالث فينصان على القبض على كافة رجال الإكليروس بمختلف طبقاتهم وعدم الإفراج عنهم إلا بعد أن يقدموا القرابين للآلهة، وقد صدرت هذه المراسيم الثلاثة في عام 303 م، أما المرسوم الرابع في عام 304 م الذي يلزم كل فرد في الدولة بتقديم الأضحيات للآلهة وبتعذيب كل من يتمسك بالمسيحية وإطلاق سراح من يكرم الآلهة [1]، حيث يقول يوسيبيوس عن ذلك[2]:

"... والآن دعنا ننتقل لوصف في سرد موجز عن الصراعات المقدسة لشهود الحقيقة الإلهية. كانت السنة التاسعة عشرة لعهد دقلديانوس وشهر ديسترووس (Dystrus) الذي يسميه الرومان مارس...عندما تم نشر كل المراسيم الإمبراطورية بهدم الكنائس وحرق الكتب المقدسة، وقد استهدفت أيضا أولئك الذين كانوا في مراكز شريفة وعدم إطلاق سراحهم وحرمانهم من حريتهم إذا واصلوا تمسكهم بالمسيحية. أول مرسوم ضدنا كان من هذا النوع. ولكن لم يمض وقت طويل قبل صدور مراسيم أخرى حيث تم الأمر بأن جميع الأساقفة في كل مكان يجب أولا أن يسجنوا وبعد ذلك كل واحد يُكره على تقديم الأضحية للآلهة".

يلاحظ أن القرارات الثلاث التي أصدرها دقلديانوس ضد المسيحيين قد طبقت بنسب متفاوتة في جميع ولايات الإمبراطورية، حيث طبقها جاليريوس بكل دقة وقسوة في الشرق، ونفذ القرار الأول في حين تباطأ في تنفيذ القرارين لشعوره أن بعض الوثنيين في مصر والشرق قد بدأوا يتعاطفون مع المسيحيين ويساعدونهم [3].

نلاحظ من المراسيم كذلك أنها صدرت في فترة وجيزة تقل عن سنة واحدة، مما يدل على مدى العنف والمقاومة التي تبديها الدولة الرومانية ضد المسيحية، باعتبار أن الوقت قد حان لاتخاذ الضربة القاضية ضد المسيحية وإلا ستنهار الديانة الوثنية، وكان المرض قد اشتد على دقلديانوس وصار شريكه جاليريوس، فأصدر المرسوم الرابع بإجبار كل مسيحي بدون تمييز على تقديم القرابين للآلهة مع التهديد

---

[1] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص47.

[2] Eusebius, VIII, II, 3.

[3] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص24.

بفرض أقصى العقوبات للمتخلفين والمتهربين، وهذا يعني التعذيب حتى الموت[1].

بدأ دقلديانوس سنة 303 م أطول الاضطهادات وأكثرها دموية التي عرفها المسيحيون حتى ذلك الحين، ليس من السهل اكتشاف الأسباب الكامنة وراء هذا التغيير المفاجئ في موقف دقلديانوس، حيث يدان جاليريوس بسبب تعصبه الديني، في حين ينسب ذلك بسبب دقلديانوس أولا ثم إلى جاليريوس وأخيرا إلى دقلديانوس مسؤولية مراسيم الاضطهاد[2].

ويتساءل السيد أحمد علي الناصري[3] ما الذي جعل دقلديانوس ينهي فجأة أربعين عاما من التسامح الديني؟. والذي كان سائدا منذ قرار الإمبراطور جالينوس عام 260 م والخاص بالتسامح مع الديانات، وينهي بذلك حكمه المسالم بأكبر عمليات التصفية الجسدية للمسيحيين، ويضيف أن هذا التصرف الذي قام به دقلديانوس لا يتنافى وطبيعته التي تميل إلى الحفاظ على التقاليد والتراث، ونحن نعلم أنه أعلن نفسه جوبيتر في صورة بشر، وأنه فعل ذلك لأنه لا يمكن إحياء الإمبراطورية عسكريا بدون إحياء العقائد الوثنية التي قامت عليها والمجد الروماني العريق، ولذلك قرر تصفية المسيحيين بناء على ذلك وخاصة وأن المسيحية تسللت داخل الجيش الإمبراطوري وداخل أجهزة الدولة الإدارية، كما أن التنظيم الدقيق الذي قامت عليه الكنيسة جعلها دولة داخل دولة، ولهذا يعتقد أن دقلديانوس قام بذلك من تأجيل تصفية المسيحية إلى بعد الانتهاء من باقي إصلاحاته.

وهذا ما يشير إليه أحمد غانم حافظ أحمد[4] في أن الاضطهاد الذي حدث في عهد دقلديانوس إنما يعود إلى علو شأن ونفوذ المسيحية، وأن دافعه لم يكن مقته للمسيحية ولكن خشية أن تؤدي إلى هدم صرح الإمبراطورية الرومانية، لذلك اعتزم محاربتها وأذية معتنقيها.

ويذكر ول ديورانت[5] أن جاليريوس كان يرى أن المسيحية هي آخر العقبات التي تحد من

---

[1] يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص92.

[2] Jacques Moreau, **La Persécution du christianisme dans l'empire romain**, Presses Universitaires de France, Paris, 1956, p113.

[3] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص ص420، 421؛ Jacques Moreau, op.cit, p114

[4] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار**، تقديم حسين أحمد الشيخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص93.

[5] ول ديورانت، المرجع السابق، ص378؛ آيدرس بل، المرجع السابق، ص158.

السلطة المطلقة، فأخذ يحرض دقلديانوس للعودة إلى العهود الرومانية السابقة، وأن دقلديانوس تردد في الأخذ بهذه المشورة لأنه كان أكثر من جاليريوس تقديرا للأخطار، ويتفق مع هذا الطرح آيدرس بل الذي يذكر أن الاضطهاد الأكبر لم يحدث بناء على رغبة شخصية من دقلديانوس، فقد قام به وهو كاره له أشد الكراهية وتحت ضغط شديد من جاليريوس، هذا الأخير الذي استغل فرصة إصابته بمرض خطير وإصدار قرار جديد يفرض عقوبة الإعدام على المسيحيين.

وهذا يعني أن دقلديانوس في نظر بعض المؤرخين أنه لم يكن صاحب فكرة الاضطهاد الكبير، وإنما انساق وراء جاليريوس شريكه ونائبه في الحكم[1]، وفي نظرنا أن اضطهاد دقلديانوس كان محكوما بدوافع تخص أمن الامبراطورية وحفظ النظام العام، وإن اختلف المؤرخون حول دوافع الاضطهاد وخاصة أن بدايات حكمه لم تسجل فيها حالات الاضطهاد ضد المسيحيين إلا بعد أن تأزمت الامبراطورية إداريا واقتصاديا وعسكريا، إضافة إلى الرغبة في إعادة مجد الإمبراطورية وهيبة الإمبراطور أمام المد المسيحي، وإن كان قد وافق ذلك حماس جاليريوس ألد أعداء المسيحية في تسريع الاضطهاد.

لقد كان الجزء الأخير من حكم دقلديانوس زمن اضطراب وقلاقل في مصر بالنسبة إلى اضطهاد المسيحيين الذي زاد عددهم لدرجة كبيرة، وقد عمدت السياسة الرومانية في ذلك الوقت إلى تثبيت مركز الإمبراطور باعتباره إلها، إلا أن السياسة وجدت مقاومة من جانب المسيحيين[2].

كانت ملاحقات دقلديانوس الأولى من نوعها التي استحقت هذه التسمية، فإجراءاته الحاسمة كانت تلك التي هاجمت المقدسات المسيحية عام 303 م، والتي يمكن تلخيصها في أهم قراراتها التي وجهت في البداية ضد أعضاء الدين: مثل تحريم الاجتماعات، تدمير أماكن العبادة، مصادرة أملاك الأقليات والمؤلفات وجميع منشآت العبادة، إلقاء القبض على الأشخاص الذين يثبت أنهم مسيحيون وتجريدهم من حقوقهم، وكان يتم القبض على القساوسة ويجبرون على تقديم الأضاحي، كما تم صدور الأوامر بأن يقدم كل شعب الإمبراطورية الأضاحي [3].

---

[1] أحمد علي عجيبة، **تأثر المسيحية بالأديان الوضعية**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006، ص ص80، 81.

[2] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص282.

[3] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص270، 271.

ب. عصر الشهداء :

بلغت قوة الديانة المسيحية أهمية بالغة في الإسكندرية، وتحت التهديد طلب من المسيحيين المعروفين أو المشكوك في أنهم مسيحيون أن يقوموا بالشعائر وتقديم الأضاحي في المعبد الوثني، وهو فعل علني لإظهار الخضوع المؤقت (Occasional Conformlty)، لكن سواء ذلك كان بدافع العناد والبطولة أو بدافع الإيمان الحقيقي اختار المئات منهم طريق الاستشهاد، وكان أبرز هؤلاء الشهداء فيلوموروس (Philomorus)، وهو موظف روماني رفيع المستوى كان يتولى منصب المحصل العام للضرائب في الإسكندرية، وهو أعلى منصب روماني في مصر بعد الحاكم، وكانت الرغبة الجنونية في الاستشهاد هي السمة الغالبة، وهذا ما يفسر كثرة عدد الشهداء في الإسكندرية وفي غيرها من المدن [1].

ونظرا لأن حاكم مصر في ذلك الوقت كان من الحزب المتعصب في مقاومته وكراهيته للمسيحيين فقد كان الاضطهاد في مصر أشد قسوة من بعض الولايات الأخرى، وراح ضحيته الكثير من شتى الطبقات[2]، ويصف يوسيبيوس الاضطهاد في مصر بقوله[3]:

"ومثل هذا أيضا كانت شدة النضال الذي تحمّله المصريون الذين كافحوا من أجل الإيمان المجيد، لكن لا يسع المرء إلا أن يتعجب من أولئك الذين عانوا في أرضهم الأصلية، حيث تعرض الآلاف رجالا ونساء وأطفالا، الذين كرهوا الحياة من أجل تعاليم مخلصنا وتعرّضوا للموت بأشكال مختلفة، بعضهم بعد تعذيبهم بالكشط وبالمخلعة بشكل مريع وغيرها من المعاناة التي لا حصر لها، والتي قد يرتجف أي أحد لسماعها، وألقوا في النيران وبعضهم غرقوا في البحر، بينما عرض آخرون رؤوسهم طواعية على الجلادين، بينما مات آخرون في أثناء عذابهم وبعضهم من الجوع وآخرون مثبتون على الصليب، البعض في الواقع أعدموا كما كانوا يفعلون عادة مع المجرمين؛ وآخرون بأكثر قسوة ووحشية تم تثبيت الرأس إلى أسفل على الصليب حتى تم تهشيمهم والموت جوعا".

وقد استشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط [أنظر: **الصورة رقم 22**] والمخالب الحديدية أو أحرقت بالنار أو قطعت إربا، أو غير ذلك من ألوان العذاب، وقد سمي عصره بعصر الشهداء[4]، وكانت مدينة طيبة قد استشهد فيها الكثير وبلغت قسوة الاضطهاد أن الوثنيين

---

[1] جون مارلو، **العصر الذهبي للإسكندرية**، تر نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص ص228-231.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص240.

[3] Eusebius, VIII, IX, 1-3.

[4] حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص42.

أنفسهم أشفقوا عليهم فكانوا يساعدونهم على الاختفاء، وفعل الوثنيين من المصريين هو نوع من الاحتجاج الصامت ضد القوة المضطهدة، فكان هذا الاضطهاد قوة إضافية وأدت في الجيل التالي إلى سرعة تحول من تبقى في الوثنية إلى المسيحية[1]، وقد وصف لنا يوسيبيوس الاضطهاد الذي حدث في طيبة بشكل مفصل حيث يقول[2]:

"لا توجد قصة تساوي الغضب والعذاب الذي تعرض له شهداء طيبة، استخدمت الصدفات بدل مسامير الحديد لتمزيق أجسادهم بالكامل حتى فقدوا حياتهم، كانت النساء مقيدات من قدم واحدة مرفوعة في الأعلى ورؤوسهم إلى أسفل بواسطة آلات وهن عاريات تماما دون ملابس، وقدمن إلى أولئك في مشهد بشكل فضيع وقاسي ولاإنساني. وآخرون ماتوا مرتبطين بفروع الأشجار، في الواقع أحضر الجلادون أقوى الفروع بواسطة الآلات إلى مكان واحد وثبّتوا على كل منهم أرجل الشهداء، ثم يتركون الفروع لتعود إلى وضعها الطبيعي؛ لقد تخيلوا أن يمزقوا في ضربة واحدة أعضاء أولئك الذين كانوا يحاولون ذلك.

ولم تدم جميع هذه العذابات بضعة أيام أو فترة قصيرة من الزمن، ولكن لسنوات طويلة، في بعض الأحيان كان أكثر من عشرة وأحيانا أكثر من عشرين ضحية يتم إعدامهم، وفي أحيان أخرى لم يكونوا أقل من ثلاثين وحتى كانوا يقتربون من ستين، وفي أحيان أخرى ارتفع العدد في يوم واحد إلى مائة رجل مع العديد من الأطفال والنساء الذين حُكم عليهم بالعقوبات المختلفة".

ثم يضيف يوسيبيوس ويصف أولئك الذين تحملوا العذاب [3]:

" عندها شاهدنا الحماس الأكثر إثارة للإعجاب، القوة الإلهية الحقيقية وحماسة أولئك الذين آمنوا بمسيح الله في الوقت نفسه، في الواقع حالما يصدر الحكم ضد الأول يهرع الباقون إلى محكمة القاضي ويعترفون بأنهم مسيحيون، دون القلق بشأن الآلام الرهيبة والأنواع المتعددة من التعذيب الذي سيتعرضون له، لكنهم كانوا يتكلمون بجرأة عن دين الله إله الكون ويستقبلون بفرح وبابتسامة على شفتيهم وبروح مرحة حكم الموت النهائي، كما غنوا التراتيل وقدموا الشكر لإله الكون إلى النفس الأخير. كانوا بالتأكيد يستحقون الإعجاب لكن البعض الآخر كان أكثر من ذلك بكثير. أولئك الذين تميزوا بالثروة والنسب والمجد والبلاغة والفلسفة، ومع ذلك وضعوا

---

[1] يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص93.

[2] Eusebius, VIII, VIII, 1.

[3] Idem, VIII, IX,5-8.

كل هذا في المرتبة الثانية بعد الدين الحقيقي والإيمان بمخلصنا والرب يسوع المسيح...قام عدد كبير جدا من أقاربهم وأصدقائهم، وكذلك ذوو المراكز الرفيعة والقاضي نفسه بمناشدتهم وحثهم أن يشفقوا على أنفسهم وأطفالهم وزوجاتهم، لم تؤثر أبدا مثل هذه الاعتبارات لتفضيل حب الحياة واحتقار المبادئ التي وضعها منقذنا فيما يتعلق بالاعتراف والإنكار، وبكل شجاعة وبروح دينية ومحبة لله قاوموا كل تهديدات القاضي وإهاناته ... ".

الصورة رقم 22: جلد قديس بالسوط في حضور الامبراطور دقلديانوس، وهي لوحة جدارية (Affresco) من سرداب كنيسة سانتا ماريا في فيالاتا متحف روما (Crypta Balbi).
http://iconaimmaginedio.blogspot.com/2013/11/roma-crypta-balbi-museo-s-erasmo.html.

إذن حظيت فترة الاضطهاد الأعظم هذه لدى يوسيبيوس بنصيب وافر من التفصيل باعتباره شاهد عيان لما جرى، وخاصة وأنه كان يقيم وسط منطقة الإمبراطور الرومانية تعرضا للعذاب إضافة إلى مصر، لهذا لم يكن غريبا أن يصف أشكال الاضطهاد وإيراد أسماء أولئك الذين نالوا الشهادة من أجل الرب من رجال الدين أو لحقهم العذاب[1]، ونجد يوسيبيوس يستخدم عبارة واحدة على امتداد صفحات مؤلفه ويطلقها على أولئك الأباطرة وهي أنهم "أعداء الله والدين"[2]، وليس هذا بمستغرب

[1] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص13.

[2] Eusebius, II, 25; IX, 11.

فالذين سجلوا هذه الأحداث كلها كانوا في جملتهم من رجال الكنيسة، ولا شك أنه كان يثير خنقهم ما يرونه يحل بجماعتهم من اضطهاد على يد الأباطرة[1].

لقد فاق تأثير الملاحقة على الأخص في الجزء الشرقي عما عداها، وذلك بسبب انتشار المسيحية مناطق كثيرة، وعلى الرغم من أنه ليس بإمكاننا أن نعطي أرقاما صحيحة لا مطلقة ولا نسبية على أعداد المواطنين المسيحيين- سواء في الإسكندرية أو في مناطق أخرى-، فإنه بالتأكيد لم يعد ممكنا استمرار تجاهل المسيحيين في ذلك الوقت، وبات من الصعب التعايش السلمي بين المسيحيين والوثنيين، وما يقرب ما بين 303 م و311 م كانت الملاحقات مستمرة ونتج عنها الكثير من الشهداء وبقيت طويلا في ذاكرة المسيحيين الجماعية[2].

كان للإسكندرية أيضا شهداؤها، ففي في عام 311م كانت ضاحية كانوب شاهدة على استشهاد ستة أشخاص، ففي روايات المسيحيين أن المسيحي كيروس (Cyrus) ولد في الإسكندرية وذاع صيته فكان يعالج الفقراء وكان يوعظ بحماس عن الديانة المسيحية، وعندما تم تقديم شكوى ضده عند الحاكم فر إلى الصحراء، وهناك قابل يوحنا (Johannes) وهو جندي من إديسا (Edessa) كان عائدا من فلسطين وسمع عن كيروس وانضم إليه، وقد علما أنه تم القبض على سيدة اسمها أثناسيا (Athanasia) مع بناتها الثلاث وذهبا إليهن في السجن ثم تم القبض عليهما، ثم أصدر الحاكم قرارا بقطع رؤوس هؤلاء الستة، ومنذ ذلك الحين يتم الاحتفال بهؤلاء القديسين الذين تم جمع أشلائهم ودفنوا في كنيسة القديس مرقص[3].

كانت السنوات العشر من 303-313 م صعبة جدا على المسيحيين، وكفيلة بأن تلهب لدى أدباء المسيحية ومؤرخيها مشاعر الكراهية والحقد اتجاه الحكومة الرومانية، وسميت هذه السنوات ب "**عصر الاضطهاد الأعظم**" و"**عصر الشهداء**"، واتخذت الكنيسة المصرية بصفة خاصة من سنة اعتلاء دقلديانوس العرش في سنة 284 م لتقويم مستقل جعلته تاريخا يخصها[4]، وذلك لكثرة عدد المستشهدين ولشدة عنف الاضطهاد الذي تعرض له أتباع المسيحية من جهة أخرى، حيث يبدأ التقويم القبطي بيوم

---

[1] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص14.

[2] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص271.

[3] نفس المرجع، ص ص271، 272.

[4] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص12.

29 أغسطس من سنة 284 م وهو نفس اليوم الذي يوافق أول شهر تحوت بداية السنة المصرية القديمة –ذكرى استشهاد العديد من المسيحيين–[1].

إذن هلك الآلاف من الاضطهاد بسبب العذاب وارتد الكثير من المسيحيين عن دينهم، ويقال أن مرسلينس (Marcellinus) أسقف روما نفسه أرغم من التعذيب والترهيب على أن يرتد عن دينه، ولكن معظم من لقوا الاضطهاد ثبتوا على دينهم، وكان ذلك سببا في شد عزيمة المترددين وضم أنصار جدد للجماعات الدينية المضطهدة[2].

وقد صيغت حول هذه الأحداث وما سبقها العديد من الروايات والأقاويل حتى اختلطت الحقيقة بالخيال والتاريخ بالأسطورة، وضاعت الحقيقة أو كادت وسط الحماسة الدينية الجارفة عند هؤلاء الكتاب رغم ما في بعضها من جوانب الصدق، فنذكر البلاغي الإفريقي **لاكتانتيوس**[3] (Lactantius) الذي عايش هذه الأحداث، يضع رسالته عن "موت المضطهدين" (De Mortibus Persecutorum)، و تناول فيها الكيفية التي مات بها أولئك الأباطرة الرومان الذين مارسوا سياسة الاضطهاد ضد المسيحيين، فتركت رسالته على هذا النحو انطباعا لدى الجميع أن الاضطهاد قد امتد إلى قرنين ونصف من الزمان، وفي صورة تراجيدية بنهاية مأساوية يحدثنا لاكتانتيوس عن كل الأباطرة الرومان الذين لقوا حتفهم بميتة غير طبيعية، معللا ذلك بانتقام السماء، حيث يكتب في افتتاحية رسالته[4]:

---

[1] محمود محمد الحويري، **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص64.

[2] ول ديورانت، المرجع السابق، ص380.

[3] **لاكتانتيوس**: هو مفكر مسيحي كان يقيم في قصر دقلديانوس في نيقوميديا حوالي 300 م، أشرف على تربية الأمير قسطنطين ابن قسطنطيوس نائب الإمبراطور في الغرب، وقد استقال من منصبه بعد تحوله إلى المسيحية، وجه أصابع الاتهام إلى جاليريوس نائب دقلديانوس في الشرق وألد أعداء المسيحية وإلى هيراقليس حاكم ولاية بيثيا، والذي بعث إلى دقلديانوس طالبا منه الشروع في تصفية المسيحية، كان أكثر مهارة في إظهار التعارض في الوثنية أكثر من ترسيخ التعليم مسيحي، كتب جيروم عنه"... **أنه نهر شيشروني (Ciceronian) من البلاغة، و كان قادرا على دعم قضيتنا بنفس البراعة التي قام بها بإسقاط قضية خصومنا!**".

كان الغرض المعلن من كتابات لاكتانتيوس هو تقديم المسيحية بشكل يكون جذابا للوثنيين الفلاسفة، نتج عن ذلك مزيج غير مستقر من المسيحية والأفلاطونية والرواقية والفيثاغورية، وجهات نظره أدت إلى إدانته بعد وفاته باعتباره زنديق، وقد تم إحياء الاهتمام بأعماله خلال عصر النهضة ليس بسبب محتواها اللاهوتي المتميز ولكن بسبب "أسلوبها اللاتيني الممتاز".

أنظر: عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص23؛ https://earlychurch.org.uk/lactantius.php

[4] Lactance, **Histoire de la mort des persécuteurs de l'eglise primitive**, écrite en Latin par L. C. F. Lactance, traduite en français par Jacques Basnage, sur la traduction angloise de M. le Dr Burnet, Autrecht, 1687, I.

"... ولأولئك الأشقاء الذين أبدوا إيمانهم إلى الأبد باعتراف مجيد...تم استعادة السلام في كل مكان، الكنيسة المنكوبة تستيقظ...لقد منحتنا العناية الإلهية الأمراء الذين ألغوا الطغاة المتعطشين للدماء، والذين يعتنون بأرواح هؤلاء الرجال الذين بعد أن بددوا ظلام العصور الماضية أشرقوا علينا بأنوار السلام، بعد الصدمات الرهيبة لعاصفة عنيفة يتم تنقية الهواء...، يمد الله يد العون إلى المنبوذين ويمسح دموع المنكوبين...هؤلاء الرجال الأشرار الذين سكروا في كثير من الأحيان بدماء المسيحيين جعلوا أرواحهم مجرمة في خضم التعذيب الذي يستحقونه بحق؛ لقد أجّل الله عقابهم ليكونوا لمن خلفهم شاهدا وأنه يوجد إله واحد فقط، وأنه بموتهم الرهيب يعرف كيف ينتقم من الأباطرة الأعداء، ومن تلك الوفيات التي أتجرؤ الكلام عن فقدان أعداء الله، ولن يكون هناك سبب يدعو للشك في جلالته وقدرته؛ هذا هو ما سنظهره في إشارة إلى العقوبات القاسية التي أصدرها القاضي السماوي ضد مرتكبي الاضطهاد الذي أصاب الكنيسة منذ ولادتها".

لذلك فالأحداث التاريخية التي تعرضت لها الإمبراطورية على عهود الأباطرة الذين عدهم مضطهدين مساحات هامشية، وفي إطار أنها الأداة الطبيعية لعدالة السماء، وإذا كنا نصدق لاكتانتيوس فيما يرويه من ميتة معاصريه جاليريوس وماكسنتيوس (Maxentius) وماكسيمينوس دايا لقربه من هذه الأحداث ومعايشته إياها، إذ كان معلما للبيان في نيقوميديا العاصمة الإمبراطورية في الشرق آنذاك، فكيف له أن يروي هذه التفاصيل الدقيقة عن الأشلاء المبعثرة والأطراف المقطوعة والرؤوس المتطايرة والآذان المبتورة لأباطرة روما الذين "صنعوا الشر في عيني الرب" والذين سبقوه بقرنين من الزمان، رغم أنه لا يذكر لنا مصدرا واحدا اعتمد عليه في كتابة رسالته هذه، لاشك أنه استخدم بلاغته وخياله، وقد أدرك أحد الباحثون المحدثون[1] الذين توفروا على دراسة رسالة لاكتانتيوس عن موت المضطهدين، وكتب عن ذلك تعليقا دقيقا يقول فيه:

"إن الصورة التي يرسمها لاكتانتيوس لموت أولئك الأباطرة تشير ما كان يؤمن به المسيحيون ويتمنونه من أن هؤلاء لابد أن يموتوا على هذا النحو بالذات دون غيره"[2].

ويهمنا من كل هذا سرده لممارسات الاضطهاد ضد المسيحيين حيث يقول[3]:

---

[1] Christenson, Lactantius the Historian, pp68-71.

نقلا عن: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص13.

[2] نفس المرجع، ص13.

[3] Lactance, IX, X.

"...إليكم مصدر الاضطهاد الذي أثاره ضد المسيحيين (ويقصد جاليريوس) في عهد دقلديانوس... الذي كان يقدم الأضحيات باستمرار، وسعى للبحث عن المستقبل من خلال أحشاء الضحايا، بعض ضباطه الذين كانوا مسيحيين والذين حضروا هذه الاحتفالات الدنيئة، تميزت جباههم بعلامة الصليب الرائعة مما جعل الشياطين يفرون واضطرب الحفل، صرخ الكهنة مذهولين لأنهم لم يعثروا على العلامات المعتادة في أحشاء الوحوش على الرغم من أنهم ضحوا...أخيرا يقال .. أن السماء لم تسمع لصلواتهم لأن وجود بعض الأشخاص الدنيئين يلطخ نقاء التضحيات، لم يأمر دقلديانوس الغاضب جميع المساعدين فحسب بل جميع أولئك الذين كانوا في قصره بالتضحية، وأدانوا بجلد أولئك الذين ينكرون برفضهم. حتى أنه كتب إلى قادة جيوشه وأمرهم بإجبار الجنود على هذه الرجاسات، بأوامر لكسر العصاة وذهب غضبه إلى أبعد من ذلك ...ثم جاء إلى الشتاء في بيثيا حيث ذهب جاليريوس إلى هناك كذلك لإحياء غضب هذا الرجل العجوز ضد المسيحيين...". ويقول في موضع آخر[1]:

"في اليوم التالي صدر مرسوم أعلن فيه أن جميع الذين يؤمنون بالديانة المسيحية سيئوا السمعة ..وينبغي تعريضهم للتعذيب، وسيسمح لجميع الناس باتهامهم ويُمنع القضاة من تلقي شكاويهم في الإهانة أو السرقة أو الزنا ؛ أخيرا حُرم المسيحيون من الحرية من سماع كلمتهم. لقد كان فرد أكثر شجاعة قام بجرأة بتمزيق هذا المرسوم إلى أجزاء...لقد تم أخذه ولم يتم مساءلته فحسب، بل تم وضعه على الشواية ثم حرقه، وقد عانى بثبات رائع". ويستكمل أيضا[2]:

"لم يكن جاليريوس – ماكسيميان قيصر راضيا عن صرامة هذا المرسوم، فقد وضع فخا آخر لدقلديانوس، أضرم النار سرا في القصر...وحرق جزء من هذا المبنى الرائع واتهم المسيحيين بذلك، لم يمتد غضب هذا الإمبراطور إلى عبيده فحسب بل شمل جميع الأشخاص، فأجبر ابنته فاليريا وبريسكا زوجته على التضحية...تم إلقاء القبض على الكهنة وبدون دليل أو اعتراف مروا على أيدي الجلادين، تعرض الناس من جميع الجنسين وجميع الأعمار إلى النيران؛ بسبب أعدادهم الكبيرة لم يتم حرقهم بشكل منفصل ولكن أمام حشد من الناس، وأُلقي آخرون في البحر بحجر حول رقبتهم، الاضطهاد لم يرحم أحدا، جميع القضاة كانوا في المعابد وأجبروا الناس على تقديم أضحيات للآلهة، كانت السجون مليئة بأشخاص منبوذين، كل يوم يتم اختراع أمور جديدة

---

(1) Lactance, XIII.

(2) Idem, XIV ; XV.

لتعذيبهم...".

يتبين من سرد لاكتانيوس لممارسات الاضطهاد في عهد دقلديانوس أن إجراءاته كانت شديدة على المسيحيين أكثر من أي فترة أخرى، واخترعت أنواع عدة من العقاب والتعذيب لإجبارهم على الارتداد وتقديم الأضحية للآلهة، وكان غضب دقلديانوس أكثر خاصة بعد أن تسربت المسيحية إلى الجيش، وهذا الدليل على أن المسيحية في أوائل القرن الرابع قد بلغت من الشأن والقوة والانتشار جعلت حدة الاضطهاد يكون أكثر عنفا.

من زاوية مختلفة تضيف بعض الوثائق البردية أدلة معاصرة تؤدي إلى فهم أفضل للوضع على أرض الواقع، وهي ورسالة خاصة من رجل إلى زوجته – تقدم نظرة ثاقبة وتكشف الاستراتيجيات الدقيقة للامتثال والمقاومة التي واجه بها المسيحيون مراسيم الإمبراطورية، بدلا من البطولية الواضحة للشهداء المسيحيين في أعمال يوسيبيوس، وهي المستمدة من الحياة اليومية وتأثير الاضطهاد على أفراد مختارين في مصر، وهذه البردية (P.Oxy. XXXI 2601) هي خطاب خاص والوحيدة التي تعطي لنا منظورا شخصيا عن الاضطهاد، فجميع أوراق البردي الوثائقية الأخرى المتعلقة بالاضطهاد رسمية، وتكمن فائدتها في حقيقة أن المرسل وهو رجل يدعى كوبريس (Copres) يخبر زوجته سارابياس (Sarapias) كيف قدم شخصا آخر أضحية نيابة عنه[1] حيث كتب[2]:

"كوريس لأخته سارابياس تحيات كثيرة جدا. قبل كل شيء أصلي أمام الرب الإله بأنك (بصحة جيدة). أريدك أن تعرفي أننا وصلنا في الحادي عشر وأُبلغنا أن الذين يمثُلون أمام المحكمة مضطرون للتضحية، وقدمت توكيلا إلى أخي، وحتى الآن لم نحقق شيئا، لكننا أوعزنا إلى محامٍ في اليوم الأول حتى يتم تقديم المسألة إلى المحكمة في اليوم الرابع عشر".

من خلال هذه الفقرة يقدم كوبريس كلمة إلى سارابياس في أوكسيرينخوس (حيث تم العثور على الرسالة) حول ما حدث له بعد وصوله، ولا يذكر مكان وجوده، لكن من المفترض أنه كان في الإسكندرية، لابد أن تكون سارابياس المرأة التي خاطبها بأخته هي زوجته، وقد ذهب لأجل قضية

---

(1) Annemarie Luijendijk, **Papyri from The great persecution: roman and christian perspectives**, Journal of early christian studies, The Johns Hopkins University Press, 16:3, 2008, pp343, 357.

(2) البردية: **P.Oxy. XXXI 2601** نقلا عن: نفس المرجع، ص357.

قانونية تتعلق بقطعة أرض[1]، ويتبين أيضا أن الإدارة الرومانية وضعت كل الإجراءات لتقديم الأضحيات في كل مكان يقصده المسيحي منها المحكمة التي توجه إليها كوبريس، ويبدو أن المسيحيين قد وجدوا طريقة للتخلص من تقديمها نيابة عنهم وعن طريق الرشوة، وهذا يعني على ما يبدو أن الإدارة الرومانية لم تضع إجراءات رادعة لمثل هذه الممارسات وإلا لما تمكن كوبريس من فعل ذلك.

في الأخير يمكن القول أن اضطهاد دقلديانوس يعد من أشد وأصعب الاضطهادات على الكنيسة والمسيحيين، بعد الاضطهادات المتتالية من طرف أباطرة الرومان، أما الأرقام حول عدد المسيحيين الذين كانوا ضحية الاضطهاد فلم يمر علينا رقم مؤكد من مراجع أو مصادر إلا بعض الإشارات غير الموثوقة، وخاصة أنه يمكننا القول أن الكتاب المسيحيين كثيرا ما يصفون أنواع العذاب والاضطهاد الذي وقع سواء في مصر أو غيرها بشكل مبالغ فيه نوعا ما، ولذلك علينا الحذر في استنباط الحقائق والأرقام الصحيحة.

ج. الارتداد والانقسام الميليتي:

كان من نتائج الاضطهاد العنيف في الشرق أن ارتد البعض مؤقتا عن المسيحية كما حدث في عهد ديكيوس وسمي هؤلاء المرتدون (Lapsi)، وحدث الخلاف والانشقاق بين رجال الكنيسة في مصر حولهم، ولم يكن هذا الانشقاق عقائديا أو مذهبيا وإنما اندلع في أثناء الاضطهاد الأكبر في عهد دقلديانوس عام 305 م، وكان محوره هؤلاء الذين ارتدوا عن المسيحية وكيفية معاملتهم بعد ذلك، إذ كان **بطرس**[2] أسقف الإسكندرية يمثل التيار المعتدل بينما ميليتوس أسقف ليكوبوليس- أسيوط- يمثل التيار الأكثر تشددا، والغريب أن أيا من الطرفين لم يقترح استبعاد هؤلاء المرتدين نهائيا من الكنيسة، كما لم يفكر أي منهما في السماح لهم بالعودة ثانية دون قيد أو شرط، وإنما كان الخلاف بينهما حول الفترة التي يبقون خلالها مستبعدين حتى يسمح لهم مرة أخرى بالعودة للكنيسة، ورغم ذلك فإن إصرار كل

---

[1] يبدو أن كوبريس كان يمكنه تحمل تكاليف السفر والإقامة في الإسكندرية، وكان قادرا على استئجار محام، وكانت لديه دعوى قضائية، وهذه الرسالة ربما صاغها بنفسه وهذا إشارة إلى أنه تلقى التعليم، وهو ما يتناسب بشكل جيد مع الانطباع العام عن وضعه الاجتماعي، وحتى الكتابة المسيحية على وجه التحديد التي استخدمها تشهد على أنه كان لديه أيضا بعض التعليم أو الخبرة المسيحية. أنظر: Annemarie Luijendijk, op.cit, p357.

[2] **بطرس**: تطلق عليه الكنيسة القبطية لقب خاتم الشهداء، وكان السابع عشر في عداد البطاركة، ليس لأنه آخر شهيد مسيحي وإنما لأن قتله كان ختاما لحركات المذابح العامة التي استشهد فيها آلاف المسيحيين، ولأنه أيضا كان آخر من استشهد من بطاركة الإسكندرية، سنة 311 م. أنظر: مراد كامل، المرجع السابق، ص33.

طرف على رأيه جعل الخلاف ينتهي بانشقاق بين الطرفين[1].

أصدر بطرس عقب دقلديانوس قانونا عرف باسم "قانون التوبة"، بغرض العفو عن المسيحيين الذي ارتدوا عن المسيحية في فترات الاضطهاد[2]، وهي عبارة عن 15 قانونا- سنعرض بعضا منها- وهي القوانين المعروفة في مجموعة القوانين الكنسية (Nomo-Canon)، وكانت ضمن رسالة الفصح التي اعتاد أساقفة الإسكندرية إعلانها للرعية، وتتلخص هذه القوانين في المبادئ التالية:

1. الذين قبض عليهم وحكم عليهم بالسجن والعذاب لرفضهم تقديم العبادة للأوثان، وأصابتهم العذابات الشديدة حتى أفقدتهم الشجاعة وانهاروا وأنكروا الإيمان يستحقون المغفرة لأنهم لم يستسلموا إلا بسبب ضعف الجسد وخيانته وليست إرادتهم هي التي استسلمت...وقد مضت عليهم الآن ثلاث سنوات وهم نادمون على غلطتهم (بدأ الاضطهاد سنة 303 م وبذلك تحدد تاريخ هذه الرسالة سنة 306 م)، وهذا وحده كاف لذلك، لهذا يوصى أنهم من يوم تقدمهم للأسقف والسلطات الكنسية يفرض عليهم قانون توبة لمدة أربعين يوما كمثال للرب يسوع مخلّصنا الذي بعدما تعمّد صام أربعين يوما، وخلال هذه الأربعين يدرّبون ذواتهم بالصوم مع السهر في الصلاة والتأمل في قول المخلص الذي حاول إبليس أن يجرّبه ويسقطه ليسجد له، فكان رد الرب عليه:" **اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**"[3].

2. الذين ألقوا في السجون والمناجم وعاشوا تحت ضيق المكان والرائحة النتنة الكريهة، ولكن بعد ذلك بدون مواجهة أية عذابات أسروا بانكسار قلوبهم وضعف قوتهم، حتى أن بصيرتهم قد عميت فجحدوا وأنكروا؛ هؤلاء يضاف على مدة توبتهم ستة أيام أخرى على ما تقدم كقانون توبة، وذلك لأنهم رضوا واستسلموا..

3. وأما أولئك الذين لم يتألموا بشيء من مثل هذا ولم يظهروا شيئا من ثمر إيمانهم، بل استسلموا من ذواتهم للأشرار بتأثير الجزع والجبن والآن يطلبون التوبة، هؤلاء يلزم ويليق أن نقدّم لهم مثل شجرة التين عديمة الثمر كما يقول الرب: "**6وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: "كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. 7 فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَ ذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا!**

---

[1] محمد السيد محمد عبد الغني، **جوانب من الحياة**...، ص466.

[2] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص93.

[3] إنجيل متى 4: 10.

لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضًا؟[8] **فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً**[9] **فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا"**[(1)].

فعلى هؤلاء أن يضعوا هذا المثل نصب أعينهم ويظهروا الثمر اللائق بالتوبة لينتفعوا بهذه المهلة الطويلة.

4. الذين استعملوا وسائل التحايل والمكر والخداع صنعوا مثل داود الذي تظاهر بالجنون "[13] **فَغَيَّرَ عَقْلَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَتَظَاهَرَ بِالْجُنُونِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَخَذَ يُخَرْبِشُ عَلَى مَصَارِيعِ الْبَابِ وَيُسِيلُ رِيقَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ"**[(2)]، وذلك ليتفادوا الموت وهم في الحقيقة لم يكونوا مجانين وأيضا لم يجحدوا إيمانهم صراحة أو علانية بل كانوا في ضيقة ومحنة حقيقتين، هؤلاء يشبهون أولادا حكماء وأذكياء بين أطفال أغبياء، وقد هزأوا بفخاخ أعدائهم سواء مرّوا على المذابح دون أن يقدّموا فيها شيئا أو يكتبوا أوراقا بذلك أو أرسلوا وثنيين قدّموا عنهم البخور والذبائح بدلا منهم، أو تفادوا بأي طريقة أن يلمسوا النار بأيديهم ويقدموا البخور للشياطين الأنجاس، وبذلك استطاعوا أن يتهربوا من مراقبة مضطهديهم بمثل هذه الأفعال كما اعترفوا بذلك لرفقائهم في السجن من المؤمنين المعترفين، فمثل هؤلاء يعطى لهم قانون توبة لمدة ستة أشهر.

الصورة رقم 23: بابا الإسكندرية بطرس.
يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص105.

5. الذين دفعوا عبيدهم المسيحيين أن يقدموا البخور للأوثان نيابة عنهم، وقد فعل ذلك العبيد خوفا من سادتهم المسيحيين، فيفرض على العبيد قانون توبة لمدة سنة يظهرون هذه المدة توبتهم لكي يتعلموا فيها أيضا أنهم عبيد للمسيح، وينبغي عليهم أن يصنعوا مشيئته ويخشونه، وذلك تكميلا لقول الرسول

---

(1) إنجيل لوقا 13: 6-9.

(2) سفر صموئيل الأول 21: 13.

بولس:" [6]**مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب، عبدا كان أم حرا**"[(1)].

6. أما الذين أُسلِموا بدون إرادتهم ثم جحدوا، وكذلك الذين تقدّموا من أنفسهم إلى ميدان الاستشهاد معترفين أنهم مسيحيين وعذبوا وطرحوا في السجون؛ فهؤلاء يليق بنا الفرح وتهليل القلب أن نشترك معهم في كل شيء، في الصلاة وفي جسد المسيح ودمه وفي المحادثات التشجيعية، حتى يرسخوا أكثر فأكثر في الإيمان ويصيروا مستحقين ل"[14]**أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوع**"[(2)]، لأنه مكتوب أن :"**الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم**" (عدد يمثل الكمال والاستمرارية).

7. هناك أيضا فئة يطلق عليها القديس بطرس "الغافلون أو النائمون"، وهم الذين يرون الاضطهاد قد يهدأ أو يطول أمدَه فيستيقظون فجأة ويندفعون للجهاد بطريقة تثير الحكام عليهم، هؤلاء باندفاعهم يضرمون نار الاضطهاد أكثر فأكثر ضد إخوتهم، ومع ذلك يوصي القديس بأن يعاملوا بالرحمة وأن يشترك معهم الإخوة في الصلاة ولا يتركوهم لأنهم يتألمون لأجل المسيح المبارك أيضا، مع أنهم غير فاهمين أنهم بأعمالهم هذه ينقضون وصية المسيح قائلة :" **لا تُدخلنا في تجربة**" لأن المسيح نفسه لم يسلم نفسه إلى صالبيه بل انتظر حتى سلموه للصلب وكثيرا ما كان يفعل ذلك".

8. ما يختص بالإكليروس: فإذا تقدم أحد الإكليروس من نفسه للاستشهاد ثم فشل ولم يحتمل قسوة الاستشهاد مما جعله ينكر الإيمان ويجحده ثم يتوب إلى رشده ثانية ويتقدم ويعترف بالمسيح، فلا يحق له بعد ذلك أن يمارس خدمته لأنه تخلى عن وظيفته وتقدم من ذاته للاستشهاد في الوقت الذي كانت رعيته محتاجة إليه أشد الاحتياج في زمن الاضطهاد[(3)]، والقديس بولس يقول عن ذاته:"[23]**فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنَ الاثْنَيْنِ: لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا**"[(4)].

ما نلمحه من هذه القوانين أنها متفقة مع المبادئ الأساسية للكنيسة الأولى التي لا تشجع على الاندفاع والتهور وتحدي السلطات، كما تبيح الهروب والنجاة من الاضطهادات وتتسامح مع الذين بسبب ضعف الجسد يضعفون ويستسلمون طالما بقيت الإرادة قوية ولم تستسلم مع الجسد وتلقي السلاح، فهذه القوانين ليست فلسفية بل كتابية ينبني عليها القانون التأديبي[(5)].

---

(1) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 6: 8.

(2) رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي 3: 14.

(3) يعقوب مقاري، المرجع السابق، ص ص96-100.

(4) رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي 1: 23.

(5) يعقوب مقاري، المرجع السابق، ص100.

وفي أثناء الاضطهاد عام 306 م حاول ميليتيوس أن يزيد عدد أتباعه خارج نطاق أسقفيته في أسيوط حين كان عدد الأساقفة في السجون ثم استشهدوا، ففي هذا العام توجه إلى الإسكندرية حيث كان بطرس مختبئا فشرع ميليتيوس في عزل وحرمان عدد من القساوسة، ولكن بطرس كتب لرعيته أن يعتبروا ميليتيوس معزولا ومحروما كنسيا، وفي وقت لاحق ألقي القبض على ميليتيوس ونفي عدد من أتباعه إلى مناجم فلسطين[1]، وظل هناك إلى أن أصدر جاليريوس مرسوما بالتسامح مع المسيحيين عام 311 م، ولكن سرعان ما تجدد الاضطهاد بمجرد وفاة جاليريوس على يد خليفته ماكسيمين الذي كان أول ضحاياه الأسقف الإسكندري بطرس، وقد استمر الانشقاق بين الفريقين حتى بين المنفيين في فلسطين، حيث لم يكن هناك اتصالا بينهما، وكان ميليتيوس يعين أساقفة وقساوسة من طائفته والتي حملت لقب كنيسة الشهداء، وبعد وفاة بطرس فإن جماعة ميليتيوس حافظت على تنظيمها وإن كانت علاقتها بالفريق الآخر لم تكن فيما يبدو معادية تماما تحت أسقفية خليفة بطرس وهو إسكندر[2].

فإذا كان الانقسام قد حدث بسبب المرتدين فينبغي أن نتعرف على نماذج من الصامدين (Confessores)، وقد لقى الكثير منهم حتفهم دفاعا عن العقيدة المسيحية ولم يضعفوا أمام التهديد والوعيد والموت، ربما هي أمثلة رائعة في الدفاع عن العقيدة التي جعلت الأسقف ميليتيوس يتشدد مع من ضعفوا وارتدوا لبعض الوقت في وقت الاضطهاد، ولم يتقبل أن يتساوى هؤلاء في نهاية المطاف أو حتى يقتربوا من مكانة من صمدوا وتحملوا قسوة الاضطهاد سواء من لقي حتفه أو من ظل على قيد الحياة، فمن الأمثلة التي صمدت أمام الاضطهاد في مصر الأسقف "فيلياس" أسقف تمويس في مصر–الأمديد في الدهلقية حاليا–، والذي استدعي للمحاكمة خمس مرات لقي بعدها حتفه، وقبل أن يستشهد تعرض لمساءلة في المسيحية من جانب حاكم الإسكندرية "كولكيانوس" ولكن دون جدوى فأمر بإعدامه، وهناك برديتان كتبتا بعد خمسين عاما من استشهاده احتفظت بها ذاكرة بعض معاصريه من

---

[1] حاول القديس بطرس أن يحل مشكلة الراجعين والمرتدين في رسالة الفصح سنة 306 م حسبما ذكرناه في المتن، فكانت النتيجة أن مليتيوس اتخذ موقفا مناقضا ونصب نفسه بطلا للمتشددين والمتحمسين ضد رجوع التائبين مثلما حدث في كنيسة روما إبان اضطهاد ديكيوس، وانشقاق نوفاتيان ضد بابا روما الشرعي بسبب تساهله مع المرتدين هكذا فعل ميليتوس، وعندما اشتد الاضطهاد مرة ثانية نفي ميليتوس وأنصاره إلى مناجم النحاس في صحراء فلسطين وواصل دعايته ونشاطه بين المنفيين هناك، وكوّن كنيسة منشقة سماها "كنيسة الشهداء". أنظر: يعقوب مقاري، المرجع السابق، ص101؛

Samuel Sharpe, **The history of Egypt under the romans**, Harvard college library, London, 1842, p136.

[2] محمد السيد محمد عبد الغني، **أضواء**...، ص ص67، 68؛

الأحياء[1] نستشهد بواحدة منها بمقتطفات متفرقة لنقف عن نصها بالتحليل:

"الدفاع الذي قام به فيلياس أسقف ثمويس وأرخون الإسكندرية حينما أوتي به إلى المحكمة للمرة الخامسة وبعدها لقي حتفه. ففي دفاعه الأول وجه إليه قدر كبير من السباب على أيدي الهيجيمون (أي الحاكم) وقدر كثير من الصياح، وشد الرجال القائمون على التعذيب جسده على مخلعة (أداة تعذيب قديمة) مثبتة على أربعة خوازيق عدة مرات، ثم ألقوه في سجن ثمويس لمدة يومين، ثم طافوا به وهو حافي القدمين... ورغم الإهانات التي وجهت إليه والضربات لم يتزحزح عن موقفه، وكذلك كان الحال في الاستجوابين الثالث والرابع، فبعد العديد من الإهانات والصفعات قيل لفيلياس" لقد قتلت الكثير من الناس لأنك لم تقدم الأضحيات، وأنقذ بيريوس الكثيرين حين أذعن...".

يتبين من نص الوثيقة أن الأسقف فيلياس بقي على إيمانه ولم يردع لمختلف أنواع العذاب الشديد الذي لحق به، ويبدو أن أحدهم اسمه بيريوس استسلم للعذاب وقدم الأضحيات، ويقصد من إنقاذه لكثير من الناس أنه رجل دين في المجتمع له كلمته وأتباعه، وبرضوخه يرضخ الكثير من الناس الذين كانوا يتبعونه ويرشدهم للإيمان.

"وحين استدعي للمرة الخامسة مع جماعة القساوسة الذين كانوا معه وعددهم عشرين تولى الحاكم مساءلة فيلياس" ألا يمكن أن تكون متعقلا في نهاية المطاف؟ فقال فيلياس: إنني متعقل على الدوام وأدرب نفسي على التعقل، فقال الحاكم: فالتقدم الأضحيات، رد فيلياس: لن أقدم الأضحيات، قال كولكيانوس:...إن التضحية تتم في أورشليم فقط والآن كذلك فإن اليهود ينتهكون القانون حين يقيمون شعائرهم ويحتفلون بها في مكان أجنبي، قال كولكيانوس: أي نوع من الأضحيات يتطلبها الرب إذن؟ قال فيلياس: قلب نظيف وروح طاهرة وحواس تجلب للمرء أفعالا تتسم بالورع والعدل، وفي سبيلها سوف يثاب كل فرد، قال كولكيانوس: هل نحن بذلك نبدي اهتماما بالروح؟ رد فيلياس: لقت قلت لك أننا نفعل ذلك لكي نحصل على المكافأة والثواب من أعلى إذا أحسسنا. قال كولكيانوس الروح وحدها أم الجسد أيضا؟ فيلياس: الروح والجسد، كولكيانوس هذا الجسد؟ فيلياس: نعم .كولكيانوس: هذا الجسد؟ فيلياس: نعم. كولكيانوس: هذا الجسد سوف يبعث ثانية؟ قالها وهو مدهوش ثم كررها مرة أخي: هذا الجسد سوف ينهض ثانية؟ قال فيلياس: هذا الجسد سوف ينهض مرة أخرى...بين الخطائين؟...عذاب أبدي أو ...الخير...والحياة الأبدية. قال كولكيانوس: أنج بنفسك وكل فرد من شعبك وقدم الأضحيات،

---

[1] السيد محمد عبد الغني، **جوانب من الحياة...**، ص ص478-484.

قال فيلياس: لا أقدم الأضحيات"...

كولكيانوس: هل كان يسوع إلها ؟ فيلياس: نعم. كولكيانوس: حسنا إذن كيف لم يقل عن نفسه أنه إله؟ فيلياس: لأنه ليس بحاجة إلى هذه البينة لأنه يؤدي أعمال الرب بقدرة متمكنة. كولكيانوس: ماذا فعل؟ فيلياس: لقد طهر المجذومين وجعل العميان يبصرون والصم يسمعون والعجزة يسيرون والبكم ينطقون والضعفاء المهزولين يصحون. لقد طرد الشياطين المخلوقات بأمره وجعل المشلولين يستردون عافيتهم وأعاد الموتى إلى الحياة وقام بعدد من الإيماءات والمعجزات.

كولكيانوس: ولكن كيف يكون إلها ثم يصلب؟ فيلياس: إنه كان يعلم أن...وأنه سوف يجلد ويضرب ويهان، وارتدى تاجا من الأشواك وتحمل المعاناة في صبر وجلد، كما قدم بذلك نموذجا لخلاصنا وقدم نفسه لذلك عمدا من أجلنا، وهذه الأمور قائمة وموجودة في الكتاب المقدس الذي يعتمد عليه اليهود: لقد تنبأوا بقدومه...، كولكيانوس: وهل كان بولس إلها؟ فيلياس: لا، كولكيانوس: حسنا إذن من كان هو؟ فيلياس: إنه كان أول من نادى بالعدل بين البشر فقد كانت فيه روح الرب كقوى ربانية. لقد كان على علاقة طيبة بالقوة الإلهية والروح، ألم يكن شخصا غير متعلم ويتحدث الأرامية؟ فيلياس: لقد كان يهوديا وكان أول الرسل وتحدث الإغريقية وكان أول الإغريق، كولكيانوس: ألم يكن شخصا قليل الخبرة؟ إنه لم يكن بالتأكيد من عينة أفلاطون؟ فيلياس: لقد فاق أفلاطون، إذ لم يكن أكثر فلسفة وحكمة من أفلاطون بل أيضا من كل الفلاسفة، كما أنه أقنع كل البشر وإن شئت أخبرتك بكلماته: كولكيانوس: فالتقدم الأضحيات الآن في نهاية الأمر، فيلياس: لا أضحي ولن أفعل ذلك مطلقا، كولكيانوس: هل لك ضمير؟ فيلياس: نعم، ثم كررها ثانية هل لديك ضمير؟ فيلياس: لقد قلت نعم. كولكيانوس: لماذا لا تجعل ضميرك متيقضا فيما يتصل بأطفالك وزوجتك وإخوانك؟ فيلياس: لأن ضميري نحو الرب أكثر أهمية وله الأولوية على كل ما عداه. إن الكتاب المقدس يقول: "لسوف تحب الرب الذي خلقك".

كولكيانوس: أي رب؟ فيلياس رافعا يديه نحو السماء: الرب الذي خلق السماء والأرض والبحار وكل ما فيهم، وهو الخالق الذي لا يرى ولا يمكن التعبير عنه المعصوم من الخطأ والزلل، الراسخ الذي لا يحيط به أحد، الذي تخدمه وتخضع له جميع الكائنات والمخلوقات سواء في السموات أو على الأرض أو تحت الأرض...لأنه هو نفسه الحاكم الأوحد لكل شيء وليس هناك حاكم سواه...وعندما لم يصبح بالإمكان تحويله أو زحزحته عن موقفه فإن المحامين وكل هيئة المحكمة مع اللوجيستيس (موظف قضائي) طلبوا من الحاكم منحه وقتا للتفكير وتدبر الأمر، فقال كولكيانوس: هل تريد مني أن أمنحك وقتا للتفكير ؟، فيلياس: لقد تدبرت الأمر كرارا وهذا ما اخترته. وعند

ذلك فإن المحامين والمحكمة طلبوا من فيلياس المبارك وحاولوا إقناعه بأن يذعن لما أمر به. ولما لم يتحول عن موقفه بدأوا يشتمونه ويكدرونه حتى يفكر في الأمر والسلام على كل القديسين.

في محاكمته للمرة الخامسة حاول الحاكم بكل سبل النقاش والتهديد بمساءلة فيلياس في العقيدة المسيحية لكي يرضخ ويقدم الأضحيات للآلهة، مع ما نراه نوعا من استغراب أو نقول استخفاف منه في البداية مما قاله حول البعث في الحياة الآخرة، ثم مساءلات متتالية حول ما يخص عيسى عليه السلام وبولس، ويبدو أن الأسقف فيلياس كان مؤمنا بشكل كبير وضليعا بالعقيدة والديانة المسيحية.

وكان الأسقف فيلياس كتب عن الاستشهادات في الإسكندرية حيث يقول يوسيبيوس عن ذلك[1]:

" قلنا أن فيلياس بسبب معرفته بالعلوم العلمانية كان موضع تقدير كبير...ويصف بدقة أكثر من الاستشهادات التي حدثت في عصره بالإسكندرية:

كل هذه الأمثلة هذه النماذج هذه التعاليم الجميلة هي لنا في الكتاب المقدس، لذلك لم يتردد الشهداء المباركون أصحابنا، ثبتوا أعين أنفسهم بإخلاص لإله الكون وقبولهم الموت من أجل الدين ، ثبتوا بحزم في دعوتهم لأنهم وجدوا ربنا يسوع المسيح الذي أصبح انسانا لأجلنا، أولا لتدمير أي خطيئة ومن ثم يمدنا بمكان في رحلة الحياة الأبدية. "[6]الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لله[7] لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. [8]وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ"[2]. ويضيف[3]:

"وهذا هو السبب في أن الشهداء الذين حملوا المسيح، والذين كانوا يرغبون في الحصول على فوز أكبر، تحملوا كل الأحزان والعذاب ليس مرة واحدة فقط بل بعضهم مرتين، لقد كان الحراس ينافسون بعضهم البعض في جهودهم بكل أنواع التهديدات، ليس فقط بالكلمات بل بالأفعال، لكنهم لم يدعوا تصميمهم يتعثر لأن الحب المثالي يضع الخوف إلى الخارج.
لقد كان مشهدا من الاعتداءات والإساءة، في الواقع تم ربط أيديهم خلفهم بقطعة من الخشب وتم تمديد كل عضو بواسطة آلة؛ ثم في هذه الحالة كان للجلادين أمر للعمل على الجسم كله ... ولكن أيضا قاموا بتمزيق البطن والفخذين والخدين بأدواتهم، وتم ربط الآخرين وتعليقهم من إحدى

---

[1] Eusebius, VIII, X, 1, 2.

[2] رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي 2: 6-8.

[3] Eusebius, VIII, X, 3, 5, 6, 10.

يديهم؛ من بين كل المعاناة كان الأمر أشد قسوة لأنه كان لديهم المفاصل والأطراف منتفخة، تم ربط الآخرين بالأعمدة وكانت وجوههم تتجه نحو بعضهم البعض، ولكن دون أن تلامس أقدامهم الأرض، فإن ثقل الجسم أجبر القيود التي ربطوا بها على التمدد والتشديد. وتحمّلوا ذلك ليس فقط أثناء استجواب الحاكم لهم دون منحهم الراحة ولكن طوال اليوم تقريبا، لأنه عندما ينتقل إلى آخرين، سمح لموظفين تحت سلطته مع أول من يرونه قد غلبه العذاب ويبدو عليهم الاستسلام ويأمر بأن يوثقوا بالسلاسل دون رحمة، وأولئك الذين استسلموا بعد ذلك يتم إسقاطهم عن طريق جرهم إلى الأرض...كذلك عندما أُمروا باختيار إما لمس التضحيات الدنسة سيحصلون على الحرية الملعونة من الخصوم، أو إذا لم يضحوا بأنفسهم يحكم عليهم بالموت. دون تردد وبفرح ذهبوا للموت، لقد أدركوا حقا ما يصفه لنا الكتاب المقدس: "لأنه يقال[1]:"[20] مَنْ ذَبَحَ لآلِهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحْدَهُ، يُهْلَكُ.[3] لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي". ويضيف أيضا:[2]

"هذه هي الكلمات التي كتبها الشهيد الفيلسوف الحقيقي وصديق الله، قبل الحكم الأعلى، الذي ما زال في السجن وكتب إلى إخوان كنيسته في نفس الوقت التي تعرض فيها للمعاناة ، كان لا يزال يحثهم على الحفاظ على دين المسيح دون عوائق حتى بعد أن رأى موته وشيكا...".

تبين حقا هذه المعلومات التي يوردها يوسيبيوس نقلا عن الأسقف فيلياس، الذي كان شاهد عيان بل كان في موقف الاستجواب والاضطهاد، ويروي لنا بشاعة أساليب السلطة الرومانية في إخضاع المسيحيين من أجل أن يرتدوا ويقدموا الأضحيات، ويبدو من يوسيبيوس أنه كان متؤثرا بذلك، ولكن لم يخف افتخاره بإصرار المسيحيين على إيمانهم ورفع كلمة المسيح رغم كل الآلام الشنيعة التي تعرضوا لها.

---

[1] سفر الخروج 22: 20/ 20 : 3.

[2] Eusebius, VIII, X, 11, 12.

5. مرسوم التسامح الثاني 311 م:

لقد استمر اضطهاد المسيحيين في عهد خلفاء دقلديانوس، وقد عرفوا بكراهيتم الشديدة للمسيحية وملاحقة أتباعها بالقتل والتعذيب وأبرزهم الإمبراطور جاليريوس (Galerius)، الذي حكم من 305-311 م، ثم خلفه نائبه ماكسيمينوس، الذي استمر فترة حكمه كنائب للإمبراطور السابق ثم امبراطورا مستقلا [1].

وأما عن سياسة الإمبراطور جاليريوس اتجاه المسيحيين، فمن المعروف أنه كان يكن للمسيحية والمسيحيين عداء كبيرا منذ أن كان في عهد الإمبراطور دقلديانوس، وأنه كان المحرك الأول لعمليات الاضطهاد التي حدثت في عصره، وعندما اعتلى العرش تمادى في عدائه للمسيحيين في كافة أرجاء الإمبراطورية ومن بينها مصر، فأصدر في عام 306 م أمرا يقضي بإلزام جميع الأفراد بتقديم القرابين وأمر بقتل كل من يرفض تقديم الأضاحي للآلهة بما في ذلك النساء والشيوخ والأطفال، واستخدم وسائل التعذيب والتشويه إلى الأعمال الشاقة[2]، وقد كان الاضطهاد شديدا وكان يساعده في ذلك نائبه ماكسيمينوس دايا، الذي حاول إنشاء كنيسة وثنية على نفس التنظيم الكهنوتي الذي قامت عليه المسيحية، وإحياء المعابد القديمة وبناء معابد كبرى جديدة للآلهة[3].

غير أن جاليريوس ما لبث أن غير سياسته اتجاه المسيحيين إذ أصدر في أفريل عام 311 م مرسوم التسامح الديني إذ جاء فيه[4]:

"... ونحن نأذن لهم بالمجاهرة بمعتقداتهم الخاصة وبأن يمارسوا طقوسهم الدينية في جمعياتهم دون خوف ونحميهم من أن يتعرضوا للأذى طالما أنهم يظهرون الاهتمام الواجب للقانون والحكومة... ونأمل بقرارنا هذا بالعفو والتسامح للمسيحيين سوف يدعوهم إلى الابتهال للمعبود الذي يقدسونه لكي يمن على شخصنا بالسلامة وعليهم وعلى الإمبراطورية جميعا بالسعادة والرخاء". ويقول لاكتانتيوس على لسان جاليريوس[5]:

"على الرغم من أننا عملنا دائما بشكل كبير لما فيه خير الدولة وفائدتها، لم يكن لدينا شيء في

---

[1] عنايات محمد أحمد، المرجع السابق، ص283.

[2] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص51.

[3] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص85.

[4] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص51.

[5] Lactance, XXXIV.

القلب لاستعادة الأشياء في النظام القديم، ولإعادة المسيحيين إلى دين آبائهم الذين انفصلوا عنه، لأنهم لم يكتفوا باحتقار الاحتفالات التي كانت مؤلفة من طرف أسلافهم، فقد وصلوا إلى ذروة الحماقة لسن قوانين لأنفسهم ولعقد تجمعات مختلفة في المقاطعات؛ وذلك ما دافعنا عنه عن طريق مراسيمنا وعن طريق إصدار أوامر لهم بالعودة إلى المسار الصحيح، انصاع الكثيرون لهذه الأوامر خوفا، ورفض الكثيرون أيضا فعل ذلك وعوقبوا، لكن علمنا أن هناك عددا كبيرا من المسيحيين الذين أصروا في عنادهم، والذين لا يحترمون دين الآلهة ولا إله المسيحيين نفسه، وفي التفكير في رأفتنا اللطيفة وعاداتنا الأبدية في تسامح الرجال، ولقد كانت جيدة بما يكفي لننشر على الفور آثار الخير التي لدينا، هذا هو السبب في أننا نسمح لهم بممارسة الديانة المسيحية وعقد اجتماعاتهم شريطة ألا يتم عمل شيء ضد القوانين، بإعلان آخر سوف نُعلم ضباط العدالة بمعرفة كيف التصرف اتجاههم، بالاستفادة من تساهلنا والسماح لهم بالصلاة إلى الله من أجل صحتنا، ومن أجل ازدهار إمبراطوريتنا والحفاظ عليها، بحيث تعيش الإمبراطورية إلى الأبد وفي سلام".

يتبين من كلام لاكتانيوس أن جاليريوس توقف عن سياسة الاضطهاد التي ربما لم يكن يتوقعها منه المسيحيون أبدا، وخاصة وأن له اليد الطولى في دفع دقلديانوس للتعامل مع المسيحية بكل شراسة وإخضاع معتنقيها لأشد أنواع التعذيب وبطرق متنوعة، ويلاحظ ذكره في مستهل كلامه عن أفعال المسيحيين اتجاه الوثنية وعدم اتباعهم النظام القديم، وفي ونفس الوقت يعترف بعجزه عن ردع المسيحيين الذين أثبتوا إصرارهم على التمسك بدينهم، وقد كان ذلك بعد أن أصيب بمرض خبيث فوصفه الكُتّاب المسيحيون بأنه انتقام من الرب على الظلم الذي أوقعه بالمسيحيين، حيث أدرك أثناء مرضه عدم جدوى الاضطهاد بل أنها أتت بنتيجة عكسية، إذ ازدادت الكنيسة قوة وسرت في المسيحيين "شهوة الاستشهاد" والإصرار على العقيدة، فقرر وقف المذابح البشرية ضدهم لعدم جدواها[1].

ويذكر كنايفين[2] (Knipfing) أن جاليريوس كما هو معروف بشكل عام أعلن مرسومه الشهير بالتسامح، ربما أفضل تفسير له هو خيبة الأمل المتكررة لآرائه الطموحة، وتجربة ست سنوات من الاضطهاد وانعكاسه، وقد اقتنع بأن أكثر أعمال العنف استبدادا غير كافية لإبادة شعب كامل.

لكن نائبه وماكسيمينوس دايا استمر في الاضطهاد بمصر وفلسطين وسوريا لأنه كان أكثر تعصبا للوثنية،

---

[1] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية**...، ص432.

[2] J. R. Knipfing, **The Edict of Galerius (311 A. D.) re-considered**, revue belge de philologie et d'histoire, Tome 1, Fasc 4, 1922, p693.

فاعتقل البابا بطرس وألقي في السجن في انتظار الإعدام، ومن الجدير بالذكر أن هذا المرسوم صدر باسم "جاليريوس وليكينيوس وقسطنطين"، وقد سمح هذا المرسوم للمسيحيين أن يجهروا بمعتقداتهم الخاصة ويمارسوا شعائرهم الدينية دون خوف، وفتح كنائسهم في جميع أنحاء الإمبراطورية وإصلاح ما تهدم منها، وإصدار عفو شامل عن جميع المسيحيين وإخراجهم من السجون[1].

أوضح جاليريوس الدوافع الدينية لملاحقة المسيحيين[2] واعترف في الوقت نفسه بفشلها، كما أوصى بالاعتراف العلني والقانوني بالعقيدة المسيحية، وهكذا ضمن المسيحيون الحماية في إطار قانوني، وهي الحماية التي كانت تسري على أعضاء طائفة دينية مصرح بها، فقد تمت معاملتهم على أنهم رابطة مسجلة وأصبح بإمكانهم أن ينضموا تحت إمرة رئيس مسؤول، وكذلك عقد لقاءاتهم في أماكن خاصة بهم، ويمكنهم بناء مقابر منفصلة خاصة بأعضاء رابطتهم، وتلك الرابطة كانت معترفة بها طبقا للمعايير القانونية الرومانية على أنها تندرج تحت الملكية الخاصة[3].

وتكمن أهمية مرسوم جاليريوس في جوانبه القانونية أنه يمثل حقبة ونقطة تحول في تاريخ ومصير المسيحية، التي أصبحت عبادة مسموح بها قانونيا على قدم المساواة مع الأديان الأخرى[4]، وقد ربط جاليريوس إجراءاته هذه بشرط ألا يرتكب المسيحيون أي شيء ضد النظام العام، وأن يذكروا القيصر في صلواتهم، ولكن يجب التأكيد أنه في القسم الشرقي للإمبراطورية أن الملاحقات الدامية للمسيحيين بقيت في بعض المناطق فترة من الزمن بعد إصدار مرسوم التسامح[5].

يعد هذا المرسوم اعترافا صريحا من جانب جاليريوس بما أقدم عليه اتجاه المسيحيين، ويعتبر ذلك دليلا واضحا على فشل سياسة الاضطهاد التي سار عليها، والتي استمرت سنوات دون جدوى، كما أنها أدت إلى تعطيل مصادر الدخل في مجال الزراعة والصناعة والتجارة وتدهور الحياة الاجتماعية وانتشار المجاعة، إلى جانب إضعاف الجيش مما جعل جاليريوس يدرك خطورة هذه السياسة على الإمبراطورية [6].

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص 52.

[2] تذكر الكاتبة ليلى عبد الجواد اسماعيل أن دافع جاليريوس إلى إصدار هذا المرسوم هو أنه داهمه مرض عضال فاعتقد أن إله المسيحيين قد انتقم منه بهذا الداء، وفي أثناء مرضه أدرك عدم جدوى الاضطهاد، فقرر وقف المذابح البشرية ضد المسيحيين وإصدار قرار التسامح. أنظر: نفس المرجع، ص52.

[3] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص273.

[4] J. R. Knipfing, op.cit, pp704, 705.

[5] مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص273.

[6] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص51، 52.

الفصل الخامس:

آثار الاضطهاد الروماني والاعتراف بالمسيحية

أولا: نتائج الاضطهاد الروماني للمسيحيين.

ثانيا: قسطنطين الأول ونهاية الاضطهـــاد.

ثالثا: مصير الكنيسة بعد الاعتراف بالمسيحية.

أولا: نتائج الاضطهاد الروماني للمسيحيين:

1. قوة المسيحية وانتشارها:

كان لحسن حظ المسيحيين أن الأباطرة والحكام كانت مجهوداتهم ضدهم تتميز بعدم التناسق والتردد في بعض الأحيان، ولم تكن شاملة لكل أنحاء الإمبراطورية، حتى في أشد الفترات في عهد دقلديانوس، بحيث استطاعت الكنيسة دائما أن تستجمع قوتها عقب كل محنة، وتستغل الفترات التي تتخلل الاضطهاد في نشر دعوتها لمفهوم الاستشهاد، وكان للاضطهاد دون شك آثاره التي تجلت في كثرة الشهداء بين المسيحيين نتيجة الحماس الديني وكذلك الارتداد المؤقت[1].

يعتبر الاضطهاد عاملا على انتشار المسيحية وتوسعها جغرافيا واجتماعيا على حد سواء، حيث ساهمت عمليات ترحيل المسيحيين رجالا ونساء إلى المحاجر ومناجم مصر العليا، وكذلك الواحات الليبية وطيبة أثناء الاضطهاد الكبير بلا شك في نشر القضية المسيحية عند الجميع، واستمر حتى القرن الرابع الميلادي تحول العديد من الوثنيين الى المسيحية[2]، ويشير ديونيسيوس إلى وفرة عدد المسيحيين في الفيوم في القرن الثالث الميلادي، ولم ينته هذا القرن حتى صارت مصر إقليما مسيحيا، بل إن الاضطهاد يعتبر من عوامل انتشار المسيحية، إذ أن بطولة الشهداء جذبت عددا كبيرا من الوثنيين، ففي هامش بعض البرديات التي ترجع إلى القرن الثالث الميلادي شروح انجيلية باللغة القبطية، وفي هذا دلالة على أن بعض المصريين كانوا يترجمون من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية[3].

يمكن القول أن المسيحية قد انتشرت في الإمبراطورية الرومانية، وكانت تضم إليها أعضاء جدد خصوصا في الأقاليم الشرقية، حيث كانت الإسكندرية وهي المدينة الثانية في الإمبراطورية منبعا لنشاط

---

[1] شارل جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، تر عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص170.

[2] Annick Martin, **Aux Origines de l'eglise copte :l'implantation et le développement du christianisme en Egypte (Ie - IVe siècles)**, revue des etudes anciennes, Tome 83, N°1-2, 1981, pp42, 43.

[3] الواضح أن الكنيسة كانت على اتصال وثيق بالعنصر المصري من السكان، ولاشك أنها استخدمت اللغة القبطية في الثلث الأخير من القرن 3 م، ومن الدليل أن القديس أنطونيوس عاش شطرا من حياته في هذه الفترة، وعلى الرغم من أنه لم يعرف اليونانية فإنه لم يلجأ إلى الصحراء إلا بعد استماعه لما يتلى من المواعظ الكنسية، والراجح أن الدروس كانت باليونانية، ثم يجرى ترجمتها إلى القبطية، ولم يلبث الإنجيل أن ترجم إلى القبطية، وما كاد يستهل القرن 4 م حتى أصبحت اللغة القبطية كافية لتحقيق الأغراض الدنيوية والكنسية. أنظر: السيد الباز العريني، **مصر البيزنطية**، دار النهضة العربية، د.م، د.ت، ص ص15، 16، 24.

تبشير كبير[1]، ومن الصعوبة بمكان تقبل الأرقام التي تسوقها الكنيسة المصرية عن أعداد الشهداء، فهي في تقديرها فقد تراوحت ما بين 144 ألف و 800 ألف شهيد، وأمام هذا الكم الهائل من الأرقام يصعب على المؤرخ أن يرصد عدد الشهداء[2]،

يذكر رأفت عبد الحميد[3] بأنه لا يجب أن ننساق وراء المبالغة في الأعداد التي ذهبت ضحية الاضطهادات، كما جرت عند تناول هذه الفترة بالدراسة، فحتى القرن الرابع الميلادي لم يكن عدد المسيحيين يتجاوز عُشر سكان الإمبراطورية.

ولكن يمكن ذكر أهم أسماء الشهداء على سبيل المثال لا الحصر مثل القديسة صوفيا، وهي من أهالي بلدة منف التي استشهدت في عهد البطريرك السابع أومنيوس (129-151 م)، وكان معاصرا لكل من الإمبراطور هادريانوس وأنتونينوس بيوس، وقد تم نقل جثمان صوفيا في مرحلة لاحقة إلى مدينة القسطنطينية من طرف قسطنطين، وشيدت الكاتدرائية الكبرى باسمها تخليدا لذكراها، كذلك هناك القديسة دميانة ابنة حاكم إقليم شمال الدلتا، والتي كانت قد دخلت الدير مع أربعين امرأة وتم قتلهن جميعا في عهد دقلديانوس، ولا يزال موقع دير القديسة دميانة الشهيدة مزارا شعبيا للأقباط حتى اليوم[4].

تعتبر مصر من أكثر الأماكن التي خسرت فيها عددا من الشهداء الذين قاسوا عنف الاضطهاد خاصة في عهد دقلديانوس، وقد كتب كاهن من قرطاجة لو وضع كل شهداء العالم في كفة ووضع شهداء مصر وحدهم في الكفة الأخرى فإنهم يزيدون عن الآخرين جميعا، ولأجل ذلك نجد التقويم القبطي يبدأ من سنة 284 م التي يبدأ فيه حكم دقلديانوس ويسمى بعصر الشهداء، ونجد في مجموعة تواريخ الشهداء والقديسين الأقباط 184 اسما تذكرهم الكنيسة أيام الاضطهاد منهم القديسة دميانة السابقة الذكر والقديسة كاترين من الإسكندرية التي استشهدت سنة 308 م، ونقلت رفاتها إلى سيناء حيث أقيم دير يسمى "دير سانت كاترين"، وهناك الشهيد مارجرجس القائد الروماني وهو يحظى بتكريم الكنيسة، وبالقرب من الجيزة توجد كنيسة "الخمسة ووالدتهم" على اسم خمسة أبناء وأمهم ماتوا من أجل إيمانهم في عصر الاضطهاد، وهؤلاء يعتبرون عينة قليلة من الذين تذكرهم الكنيسة بإجلال[5].

---

[1] كاميللو بالين، المرجع السابق، ص146.

[2] عزيز سوريال عطية، **تاريخ المسيحية الشرقية**، تر إسحاق عبيد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص41.

[3] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص18.

[4] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص42.

[5] جون لوريمر، **عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس**، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013، ص ص204- 206.

لقد تغيرت الأحوال في مطلع القرن الرابع الميلادي، عندما أصدرت مراسيم التسامح منذ 311م وسنة 313 م اتجاه المسيحية، فازدادت قوة وانتشرت وازداد المسيحيون تمسكا بدينهم، فقد جذبت سير أولئك القديسين الشهداء وبطولاتهم عددا كبيرا من الوثنيين ودفعتهم إلى اعتناق الديانة المسيحية، وعلى هذا النحو أتى الاضطهاد بنتائج عكسية، إذ ساعد على انتشار المسيحية انتشارا واسع النطاق وخاصة في مدن مصر وقراها[1]، وذلك ما جعل منهم جماعة متحدة لها قوة تضغط بها دون أن تجد أمامها جماعات أخرى لها موقف المقاومة[2].

أصبح الدخول إلى المسيحية جماعيا، أي أن طالبي العماد صاروا جماعات كثيرة، فرجال الدولة وقادتها ومسؤولوها مسيحيون، وأصبحت القيود والتحديات لا وجود لها، وتبع ذلك تطبيق التشريعات المسيحية، وقد حظيت المحكمة الأسقفية منذ عام 318 م بالاعتراف الحكومي كجهة فصل في المسائل المدنية وحتى وإن كان فقط أحد الطرفين المتنازعين مسيحيين[3].

بدأ وشيكا وقوع اتحاد بين الكنيسة والدولة وتغلب المسيحية التام على الوثنية، وخاصة أن الوثنية لم يعد لديها سوى مقاومة هزيلة غير منسقة أمام هجمات الكنيسة وأمام حماس بعض الأساقفة، ولكنها لم تتلاش دفعة واحدة، إضافة إلى فقدان الوثنية التأييد والقيادة الموحدة وتشتت أنصارها فرقا بعبادة معينة، ومع ذلك فإن المسيحية كانت أبعد أن تحرز غلبة نهائية، فمازالت الوثنية محتفظة بمراكز قوية مثل الجيش ورجال الفكر المشهورين والعائلات الثرية[4].

دخول الكنيسة[5] في فترات الاضطهاد خاصة في عهد ديكيوس ودقلديانوس جعل الكنيسة ملزمة بالبحث في موضوع الجاحدين والمرتدين والراجعين، فالارتداد لم يكن وقتئذ خطيئة فردية بل جماعية، وهل في مثل هذه الظروف يفارق الروح من ضعف وأنكر الإيمان؟ هل تعاد معموديته ثانية ليولد

---

(1) ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص50؛ محمد إبراهيم كركور، المرجع السابق، ص227.

(2) رسل برتراند، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر زكي نجيب محمود، مج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص47.

(3) يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص106؛ مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص284.

(4) شارل جنيبير، المرجع السابق، ص ص173، 174؛ أندريه إيمار، المرجع السابق، ص565.

(5) كانت الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى قد استكملت تقريبا تنظيماتها المؤسسية، فهي تتشكل من "الخلية" فهي الكنيسة المحلية التي تتكون من أسقف المدينة ومعاونوه من كهنة وشمامسة مساعدين في نظام هرمي تنازلي، وكانت هناك بعد ذلك وظائف تحتسب أحيانا ضمن الإكليروس وأخرى خارجه مثل: البوّاب ثم حفار القبور والقارئ "الأناغنوستيس" ثم "المعرّم"، وهو المختص بإخراج الأرواح الشريرة من المتقدمين للمعمودية، ثم معلموا الموعظين وهناك أيضا جماعات الأرامل منذ عصر الكنيسة الأولى أيام الرسل، والعذارى المتبتلات المتفرغات للصلاة. أنظر: يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص107.

مرة أخرى ويحل الروح أيضا، مثل هذه التساؤلات ظلت عالقة في ذهن الكنيسة، فالقواعد التي أقرها البابا ديونيسيوس، وكذلك القوانين التي أقرها بطرس خاتم الشهداء لم تكن هي التقرير النهائي لهذا الموضوع، بل كانت بمثابة الجنين الذي ينمو في رحم الكنيسة حتى بلغ حد النضوج وخروجه للحياة في "سر التوبة"، الذي أسهب آباء الكنيسة منذ القرن الرابع الميلادي في تعريفه باختصار أنه ولادة ثانية، وهكذا دخلت كنيسة الكنيسة ما بعد عصر الاضطهاد ومعها هذا التراث[1].

تضاعف عدد الكنائس، وصار شكل الكنيسة ضخما بعد أن كانت في البيوت والسراديب، ودخلت بعض المراسيم التي صارت طقوسا كنسية مثل: جلوس البطريرك أو الأسقف شرق الكنيسة، إذا أن هذا النظام يشبه إلى حد ما النظام المتبع في الدولة، حيث يجلس الحاكم أو رئيس الهيئة الحاكمة وحوله مستشاروه للنظر في أمور وقضايا الدولة[2]، كما أن كنيسة الإسكندرية كانت لها مكانة وسلطان على الكنائس، حيث نجد أن أسقف الإسكندرية السابق ديونيسيوس قد اتخذ لنفسه اللقب المسكوني "البابا"[3] بعد أن وسع سيادة كنيسته ورفع عدد الأسقفيات المحلية التابعة لها إلى عشرين أسقفية، وخلفه أضاف إلى سلطان كنيسة الإسكندرية المدن الخمس الغربية (Pentapolis)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد تحولت الإسكندرية إلى أكبر قلاع للمسيحية من فكر وثقافة إلى جانب أنطاكية، فقد عرفت بمدرسة الموعظين وذاع صيتها باسم مدرسة المدافعين، وهي تعد دون أدنى شك أول معهد علمي ذا أهمية كبرى للدراسات اللاهوتية في عالم المسيحية[4].

ساهمت المواقف السياسية الرومانية اتجاه المسيحية في مصر وتلك الحوادث في ظهور مجتمع جديد بدأت ملامحه في التكوين منذ منتصف القرن الثالث الميلادي، مجتمع حقق طموحاته ذاتيا وداخليا بما

---

[1] يعقوب المقاري، المرجع السابق ، ص106.

[2] نفس المرجع.

[3] يذكر القلقشندي أن بطريرك الإسكندرية كان أول من حمل لقب بابا بين أساقفة الكراسي الرسولية قبل أن يشتهر به أسقف روما حيث يقول:"...**وأول ما وضع هذا اللقب عندهم على بطرك الإسكندرية الآتي ذكره فيما بعد، وذلك أن صاحب كل وظيفة من وظائفهم التي ذكرها كان يخاطب من فوقه منهم بالأب، فالتبس ذلك عليهم فاخترعوا لبطرك الإسكندرية البابا دفعا للاشتراك في اسم الباب وجعلوه أبا للكل، ثم رأوا أن بطرك رومية أحق بهذا اللقب لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح عليه السلام إلى رومية، وبطرك الإسكندرية صاحب كرسي مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره، فنقلوا اسم البابا إلى بطرك رومية وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية**". أنظر: الشيخ ابي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص472.

[4] رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص28.

يواكب خضوعه للحكومة الرومانية، وتشكلت أركان المجتمع المسيحي الذي تعرف على هويته السياسية والاجتماعية[1]، وبدأت الكنيسة ترتب أمورها في أن تصبح السلطة العليا في دولة مسيحية يدير فيها القيصر السلطة التنفيذية، وأصبح بعد أن كان في الوثنية الكاهن الأعظم أصبح في المسيحية الأسقف الأعلى، ولكن لا يعني أن صلاحيات الإمبراطور ضعفت أمام سلطة الكنيسة بل زادت بصورة واضحة، حيث وجد بعض الأباطرة في المسيحية ما يعينهم على تدعيم سلطانهم[2].

2. نشأة حركة الرهبنة:

أ. تعريف الرهبنة ودوافعها:

تعد مصر رائدة المسيحية في عالم الرهبانية[3]، فقد ساعدها ذلك طبيعتها الجغرافية بالصحراء المترامية على ضفتي نهر النيل، حيث وجد الفارون إبان فترات الاضطهاد سواء في العصر الوثني أو في المسيحي، في هذه البيد ملجأ وملاذا[4]، وكانت الرهبنة وسيلة من وسائل الاحتجاج أو الهرب أو النأي بالنفس عن مفاسد العالم، وقد تلمس المسيحيون بذور الرهبنة وحياة الزهد في أصول المسيحية الأولى، وفي تعاليم السيد المسيح[5] "21 **قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي**".

ومن العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الرهبنة هو الحماس الديني الذي صاحب انتشار

---

(1) حسين الشيخ، **المصريون والرومان**...، ص217.

(2) بينما كان لقب الكاهن الأعظم مجرد لقب شرفي تقليدي لا تمتد صلاحيات حامله إلى الممارسة العملية للأمور الطقسية، كان الإمبراطور في المسيحية يمارس سلطات تفوق بكل المعايير عمليا سلطة رئيس الأساقفة في القسطنطينية بل والبابا نفسه في روما حتى القرن 8 م، وبالتالي فقد أصبح الإمبراطور ذو مكانة وصلاحيات واسعة في الفترة المسيحية، ويؤكد بوضوح هذا المعنى قول قسطنطين: "**لقد كنت عدة الرب التي اختارها، وقدر صلاحها لإنفاذ مشيئته، وعليه فإنه ابتداء من المحيط البريطاني البعيد والأقاليم التي وفقا لقانون الطبيعة تستتر الشمس فيها بالأفق، وبمدد إلهي أقصيت تماما وأزلت كل صنوف الشر التي سادت** ". أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص43، 44؛ Eusebius, **Life of Constantine**, II, 28

(3) يجب أن نذكر أن الرهبانية ليست قاصرة على المسيحية بوجه عام أو أن المصريين الأسبق إلى ممارستها، بل لقد عرفها الانسان في تجربته الدينية في أمم مختلفة، ففي الهند ابتدأها بوذا منذ القرن 6 ق.م ووضع لها أسسا وقواعد، ومن البوذية انتشرت في الأديان الهندية الكبرى ثم انتقلت إلى بلاد أخرى مثل التبت والصين، وعرفتها جماعات من اليهود في فلسطين قبيل ظهور المسيحية مثل جماعات الإسبنيين (Essenes) والناصريين (Nazarites)، ومع ذلك فلم تعرف المسيحية نظام الرهبنة إلا في مصر أولا ومنها انتشرت إلى جميع الأرجاء، ومن دخولها أوروبا منذ بداية العصور الوسطى. أنظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص286.

(4) رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص23.

(5) إنجيل متى 19: 21.

المسيحية، وكذا الفوضى والاضطرابات التي سادت في تلك الفترة دفعت الكثير من معتنقي المسيحية إلى الهروب إلى الصحراء للتعبد[1]، حيث يذكر أنيك مارتن [2] (Annick Martin) أن الرهبنة واحدة من وسائل المسيحية الكبرى في الريف المصري، حيث تنسب أصول هذه الحركة إلى الاضطهاد، حيث فروا إلى الصحراء هربا واختار البعض البقاء في عزلة والعيش هناك.

فغيرت جذريا الطريقة التي كان بها الإنسان مرتبطا بمجتمعه وتراثه الكلاسيكي وحتى بجسده[3].

الرهبنة تعني الانسحاب من العالم والتواجد في الصحراء، والراهب يعرف بالناسك، وجاءت من المصطلحات اليونانية (Anchorite) و (Anchoretes)، وهي السائح المبتعد عن القرى و(Eremite) و (Monachos) الناسك الذي يعيش منعزلا وكذلك الراهب (Coenolrites)، والديرية نتيجة للرهبنة، فمصطلح الديرية (Monasticism) مشتق من الكلمة اليونانية (Mones) أي الوحيد (Alone)، وتعني الحياة الدينية والأفكار الفلسفية التي تؤدي إلى الحياة الطاهرة النقية بعيدا عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والتفرغ للصلاة وحياة الرهبان[4].

ولفظة راهب باللغة القبطية هي "موناخوس"، وقد نقلتها اللغات الأوروبية الحديثة كما هي عن القبطية، وكلمة الرهبنة في اللغة العربية قيل أن أصلها من الرهبة أو الخوف، وترهَّب الرجل أي صار راهبا يخشى الله، وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: "**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**".(سورة الحديد: الآية 27) [5].

وتكشف أوراق البردي من العصر البطلمي على وجود نظام الرهبنة في مصر، أي قبل ظهور المسيحية بقرون، وقد وجدت في معبد الإله سيرابيس، إذ أن هؤلاء الرهبان قد وهبوا حياتهم لخدمة الإله سيرابيس وانقطعوا عن الحياة في الخارج تماما، معتقدين أن هذا الإله ناداهم لأداء الفروض الدينية وخدمته، وفي بعض الأحيان كانت تؤدى للتكفير عن الخطايا، ولذلك فقد كان البعض من الرهبان يظل في المعبد مدى الحياة، والبعض الآخر كان يقضي فترة من الوقت ويخرج إلى الحياة[6]، وقد أطلق على

---

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، المرجع السابق، ص ص130، 131.

[2] Annick Martin, op.cit, pp42, 43.

[3] Christopher Haas, op.cit,p6.

[4] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص62.

[5] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص68.

[6] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص ص62، 63.

هؤلاء طائفة المنقطعين ب (Katachoi)، وقد استخدموا مصطلح الأب والأخ مثلما فعل الرهبان فيما بعد، كذلك مارس اليهود هذه العزلة وذلك الانقطاع، إذ وجد في ضواحي الإسكندرية جماعة من اليهود عرفوا باسم المتأملين في الإلهيات أو ما تسمى بحركة الثيرابيين أو الشافين (Therapentai)، وتركوا كل ما يملكون من متاع الدنيا، وكانوا يعيشون في شكل مستعمرة تنسكية بالقرب من الإسكندرية، ونظام حياتهم شديد الشبه بحركة الرهبانية الأولى، فكانوا رجال ونساء يهجرون المجتمع وما فيه من روابط اجتماعية ويمتنعون عن شرب الخمر وأكل اللحوم، وينقطعون للعبادة والتأمل والصلاة[1].

ومن الدوافع التي أدت إلى ظهور الرهبنة وبناء الأديرة في مناطق صحراوية نائية وبعيدة عن العمران، يرجع ذلك إلى سببين:

السبب الأول: وهو تعبدي، فهؤلاء الرهبان قصدوا في ذلك الزهد والتبتل والبعد عن ملذات الحياة رغبة في نيل الثواب في الآخرة والبعد عن الأمور الدنيوية، لأجل نقاء النفس أو الروح، والبحث عن الخلاص من خلال المعرفة والإيمان والانفراد في أماكن نائية [2]، وخاصة أن قانون الأخلاق المسيحي كان يحتوي على قائمة من المحرمات مثل الزنا وحفلات المسرح وعروض المصارعة وسباق الخيل وارتياد الحمامات، وكان من الصعب على الانسان العادي أن يعيش في المدينة، وكان ذلك سببا في لجوء بعض الناس إلى الصحراء لقمع الشهوات.

السبب الثاني: وهو سياسي ومرتبط أيضا بالدين، وهو الابتعاد عن أعين الجند الرومان الذين يبحثون عنهم ليردوهم إلى الوثنية أو يتخلصوا منهم في حالة تمسكهم بدينهم المسيحي، وكان هذا أثناء الاضطهادات التي وقعت بهؤلاء المسيحيين منذ القرن الثاني الميلادي حتى عهد دقلديانوس، ولذلك فروا بدينهم وأرواحهم إلى الصحراء[3].

وعلى أية حال فقد أدت ظروف الاضطهاد التي وقعت على المسيحيين في مصر وخاصة في عهد الإمبراطور ديكيوس سنة 250 م إلى فرار هؤلاء المسيحيين إلى الصحراء، والاختفاء بالجبال حفاظا على دينهم[4]، وقد أطلق عليهم اللفظ القديم ذاته (Anachorétes)، ويوجد نص قديم مشهور يبين انتشار

---

[1] جون لوريمر، **تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس**، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013، ص220؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص68، 69.

[2] جون لوريمر، المرجع السابق، ص198؛ حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص221.

[3] ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص69-71؛ صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص ص198، 199.

[4] نفس المرجع، ص63.

هذه الظاهرة بين المسيحيين الأولين، وهي رسالة ديونيسيوس أسقف الإسكندرية-السابقة الذكر- في وصف اضطهاد ديكيوس عام 250 م إذ يقول[1]:

"ماذا عن كثرة أولئك الذين هربوا إلى الصحراء والجبال وهلاكهم من الجوع والعطش والبرد والمرض، أو بفعل اللصوص والوحوش الشرسة؟ أولئك الذين نجوا هم الشهود على انتصارهم".

فهناك من عاد وروى ما حدث وما تحملوه من متاعب ومنهم لم يعد لأنه هلك وآثر حياة العزلة في الصحراء، والشائع أن أكثرهم كان يعود إلى موطنه بمجرد شعوره بالاطمئنان إلى انتهاء خطر الاضطهاد، ولكن تاريخ الكنيسة الأول يحتفظ بذكرى شخصية مصرية قديمة، يجعله نقطة البداية في نشأة الرهبنة المسيحية في مصر وهو **الأنبا بولا**[2] من طيبة بأعالي الصعيد، خرج أثناء اضطهاد ديكيوس إلى الصحراء الشرقية ولم يعد، فكانت حركة التنسك في بدايتها حركة فردية[3]، ثم ظهر أنطونيوس، الذي يعتبر مؤسس الديرية الفردية **وباخوم** 286- 366م من بانا بوليس أخميم، وهو مؤسس الديرية الجماعية وبنى ديرا في قنا والتف حوله العديد من الرهبان، ثم تطورت الديرية وانتشرت، ولقد أكسب هؤلاء الرهبان العقيدة المسيحية طابعا قوميا مصريا، وهي الفترة التي ظهرت فيها الكتابة القبطية[4] .

ويتصل بالاضطهاد أمر آخر كان من أسباب الرهبنة وهو أنه بعد انقطاع الاضطهاد تمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد كما يسمونه، نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه، فنبتت الرهبنة من رغبة المسيحي في أن يكون شهيدا، وقد عرفت بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التي حلت محل الشهادة الحمراء[5].

---

[1] Eusebius, **The Ecclesiastical**, VI, XLII, 2.

[2] **الأنبا بولا**: الأنبا تعني في القبطية الأب، وكلمة متوحد في القبطية "الكواريت" أي الشخص الذي يعتزل أمور الدنيا، ولد في عام 228 م، واختلفت الآراء حول مكان ميلاده، فذكر البعض أنه ولد في الإسكندرية، والبعض الآخر أنه ولد في طيبة، تثقف بثقافة عصره المزدوجة وهي الثقافة الإغريقية المصرية، ودرس أصول الدين المسيحي الذي تعلق به، وقد أراد زوج أخته التنكيل به وعزم على تسليمه للسلطات الرومانية في إحدى موجات الاضطهاد، وبينما كان يسير في الطريق إذ به يجد قوما يشيعون جنازة فسأل عن هوية المتوفي فعرف أنه كان من الأثرياء وأنه لم يأخذ معه شيئا وهو في طريقه للقبر، وعندها أدرك أن أموال العالم لا تفيد الإنسان بعد موته، ولذا قرر أن يترك متاع الدنيا وتوغل في صحراء مصر الشرقية. أنظر: ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص72، 73.

[3] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص289، 290.

[4] زبيدة محمد عطا، **إقليم المنيا في العصر البيزنطي في ضوء أوراق البردي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، 1982، ص ص85، 86.

[5] أحمد علي عجيبة، **الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص70.

1- الرهبانية الانفرادية:

يعتبر الراهب أنطونيوس مؤسس الرهبنة في مصر، وكان قد تلقى التعليمات من ناسك قديم، ثم اعتكف بعيدا عن قريته في قبر مهجور، وفي حوالي 285 م انسحب في بقعة نائية أكثر فأكثر في قلعة مهجورة عبر النهر أطلق عليها في سيرته اسم "بيسبير"، وهو مكان يحتفظ التراث المحلي بذكراه في "دير الميمون" بالإضافة إلى "دير مار أنطونيوس"، الذي لا يزال ديرا حتى اليوم. ويتمثل الميراث الذي تركه أنطونيوس في أنه أسس درجة من التنظيم الرسمي لحركة الرهبنة، وقد لقي في مهمته دعما وتأييدا من البطريرك أثناسيوس الذي طبع حركة الرهبنة التي كانت في الأساس حركة غير كهنوتية[1] بطابع رسمي وأعطاها موافقة واعترافا كنسيا، ومع ذلك لم تتم صياغة قواعد مكتوبة أو دستور للرهبنة، وتركت المسألة لتقدير كل راهب في اختيار طريقه للخلاص والنجاة[2].

على الرغم من أن تجربة الأنبا بولا هي الأقدم إلا أنها لم تحظى بشهرة مثل تجربة أنطونيوس، هذا الأخير لم ينقطع كليا عن الدنيا بل كان على علم تام بحقيقة القضية المسيحية، وقد ترك عزلته مرتين وعاد إلى مصر في موقفين عصيبين تعرضت له المسيحية لخطر شديد، منها حينما سلط الإمبراطور ماكسيمينيوس موجة اضطهاد قاسية عام 311 م فنزل يزور المسيحيين داخل وخارج السجون ويقوي عزائمهم حتى وصل إلى الإسكندرية، والثانية حين تعرضت الكنيسة المصرية للانقسام[3].

أما عن نظام الرهبان الذي وضعه أنطونيوس فقد خصص لكل واحد منهم "قلاية" أو بيت الراهب أو خلوة يعيش فيها بمفرده ليتعبد ويصلي، وهي من حجرتين داخلية (المحبسة) للعبادة وخارجية وبها مطبخ، وكل قلاية تبتعد عن الأخرى بما يتجاوز السمع والبصر، وكان الراهب يشترك مع الرهبان في إنتاج ما يلزمهم من طعام وملبس، ولا يجتمعون إلا يومي السبت والأحد لأداء صلاة القداس، وماعدا ذلك ينصرفون إلى العزلة التامة، فلا يزور أحدهم إلا في حالة المرض أو لدواعي روحية[4].

---

[1] يمثل أثناسيوس نقطة تحول في تاريخ الفكر اللاهوتي للكنيسة، ونجح في تحرير الفكر المسيحي من عبودية اللاهوت الفلسفي لأوريجين وكليمنت الإسكندري وتحويله إلى لاهوت منهجي وصوفي، حيث استغل إقامته المتعددة في الصحراء ومقابلاته المتعددة مع أنطونيوس على العمل على لاهوت يجسد شعارات الله والفكر اللاهوتي المتماسك، وأصبح اللاهوت المسيحي أخيرا على الأرض «Feet on Earth Theology». أنظر: Nagi Athanasios Henein,op.cit, p335

[2] محمد السيد محمد عبد الغني، **أضواء على المسيحية**...، ص ص89، 90.

[3] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص132.

[4] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص77.

وقد وصلت الرهبنة إلى شمال مصر عند وادي النطرون في وقت مبكر، وذلك له أهميته لمتاخمة هذه المنطقة لمدينة الإسكندرية، إذ كان معنى ذلك أن الرهبنة المسيحية التي نشأت مصرية تماما قد غزت البيئات ذات الصبغة الإغريقية منذ زمن مبكر، فقد وجد في أديرة وادي النطرون رهبان مصريين وإغريق على السواء (إلى جانب جنسيات أخرى)[1].

2- الرهبانية أو الديرانية الجماعية:

إذا كانت الرهبانية التي عاشها أنطونيوس وأتباعه رهبانية انفرادية و عاشها كل واحد بمفرده دون أن يضمهم دير واحد، فلم يلبث أن ظهرت الرهبانية الجماعية أو المنظمة داخل دير واحد، والتي يطلق عليها اسم "ديرانية جماعية"، وذلك لمواجهة الظروف القاسية والأخطار في الصحراء، إضافة إلى دافع الاضطهادات الدينية التي تعرض إليها المسيحيون على يد السلطات الرومانية وخاصة في عهد دقلديانوس، مما دفع الرهبان إلى توحيد صفوفهم واجتماعهم في مكان واحد[2].

ويعتبر أول من وضع نظاما محددا واضح المعالم لمجتمعات الرهبان وأسس الرهبنة المنظمة (Coenobium) هو باخوم (291-348 م)، الذي كان أول اتصال له بالمسيحيين عندما كان مجندا بالجيش الروماني، عندما استقبلت وحدته في طيبة في عهد قسطنطين وليكينيوس معاملة طيبة من المسيحيين، وبعد أن سرح من الخدمة في سن مبكر عُمِّد في قرية كينو بوسكيون (Kenoboskion) (في نجع حمادي حاليا)، وأقام مجتمعا للرهبان وشيد أول دير في **طابنا**[3] قرب أخميم.

وإذا كان الرهبان في عهد أنطونيوس يعيشون في صوامع صغيرة أو قلايات (Laura) تتمتع بالاستقلالية، وفي تجمعات من الصوامع لها مكان مشترك، فإن حياة الرهبان في ظل باخوم قد نظمت في أدق تفاصيلها، وكان ينزلون في منازل حسب الحرف التي يمتهنونها، ولكل منزل رئيسه، والمنضم لابد أن يقضي بعض الوقت كفترة اختبار في دار الضيافة ويتعلم القواعد ويحفظ عن ظهر قلب أدعية وصلوات معينة، وكان لابد من القيام بالعمل في زراعة الأرض لأنه لابد من توفير الاكتفاء الذاتي للدير،

---

[1] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص292، 293.

[2] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص83.

[3] **طابنا**: وهي دندرة حاليا شمال فاو الحالية بمحافظة قنا على بعد 80 كم جنوب أسيوط، وكلمة طابنا تعني باللغة المصرية القديمة " نخل إيزيس"، ويتكون الدير من مجموعة من المباني يحيط بها سور، وفي داخل هذا السور توجد القلايات التي يقيم فيها الرهبان، كما توجد كنيسة وقاعة للطعام ملحق بها مطبخ وقاعة للاجتماعات ومكتبة وورش العمل ودار الضيافة ومنزل لإقامة حراس الدير. أنظر: نفس المرجع، ص ص84-86.

وقد لاقى هذا النظام نجاحا فوريا، وأصبح هذا النظام هو القاعدة للرهبنة في مصر العليا والوسطى[1].

هذا فإن النظام الباخومي أقل صرامة في التنسك والتعبد وللأفراد حرية الأكل والصيام، حيث يذكر الكاتب بوتلار[2] (Butler) أن بعض الرهبان يصوم حتى وقت متأخر من المساء والبعض يأكل كل يوم والبعض الآخر في اليوم الثالث والبعض الآخر في اليوم الخامس، وهذا يعني امتناعهم الطوعي عن الطعام المشترك، وأنه إذا رغب أحد في تغيبه تماما عن المائدة المشتركة فسيكون حرا في فعل ذلك، إذ فضلوا توفير الخبز والماء والملح لهم في زنزاناتهم كل يوم، حيث تقول القاعدة "اسمح لهم إما أن يأكلوا أو يصوموا"، وهي سمة مهمة للنظام بأكمله والتي لا يتم ملاحظتها أو فهمها، هذا وإن كان المبدأ الذي ساد في الرهبنة المصرية هو أن روح الفردية كانت قوية، حيث كل واحد يعمل من أجل تقدمه الشخصي في الاستقامة وبذل قصارى جهده في أنواع التدريبات التقشفية من إطالة صيامه وصلواته وصمته.

وهنا نلمس حياة جماعية شديدة التنسك بالغة التنظيم، وجرى تقسيم اليوم لتأدية الطقوس والصلوات وتلاوة الإنجيل، وحينما مات باخوم كان لطائفته إحدى عشر ديرا، منها تسعة أديرة للرجال واثنان للنساء، وكلها تمتد من أخميم شمالا إلى لاتوبوليس (أسنا) جنوبا، كما قامت أديرة أخرى منها دير بكانوب قرب الإسكندرية، وفي منتصف القرن الرابع الميلادي انتشرت الرهبانية في سائر أنحاء مصر[3].

وقد انتشرت بيوت النساء العذارى في مصر خلال القرن الثالث الميلادي، ففضلن حياة العزلة وتكريس حياتهن للعبادة وخدمة الأرامل والأيتام والمرضى، ومن هؤلاء العذارى من تعرضن للاضطهاد والتعذيب ومن أمثلتهم القديسة دميانة وأربعين واحدة كن معها في عهد الإمبراطور دقلديانوس، ومن الأسباب التي دعت النساء على الرهبانية هو ترك الرجال الحياة واعتزالهم مما ترك النساء بدون زواج، ودفع ذلك رجال الكنيسة إلى تشجيع النساء على حياة التبتل وتأليف الكتب على كيفية ممارسة هذه الحياة، ومن أهم هذه الكتب "رسالة التبتل العذري" للقديس أثناسيوس[4].

وهناك أدلة من المصادر البردية والمخطوطات تعكس نمو الحياة الروحانية في المجتمع المصري، منها

---

[1] جان كمبي، **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994، ص109؛ محمد السيد محمد عبد الغني، **أضواء على المسيحية**...، ص ص91، 92؛ مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص296، 297؛

[2] Dom Cuthbert Bulter, **The Lausiac history of Palladius- a critical discussion to gether with notes on early egyptian monachism**, Vol VI, Cambridge, London, 1898, p237.

[3] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص ص36، 37.

[4] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص81، 82

التي عثر عليها في أحد نصوص أناجيل نجع حمادي، وتتضمن نصوصا من أقوال ونصائح مجموعة من رجال كنسيين هجروا حياة التقاليد الكنسية والعالم المادي واتجهوا نحو عالم روحاني بعيد، وهؤلاء كانوا يشعرون بحقيقة معرفتهم للحق، وكانوا مضطهدين لذلك ظلوا منعزلين في حياة رهبانية، ومن أقوالهم نجدهم يتحدثون عن جماعة رهبانية مبكرة في مصر الوسطى والعليا تقول[1]:

" **بعد أن خرجنا من ديارنا وهبطنا في هذا العالم كانوا يكرهوننا ويضطهدوننا ليس من الذين لا يعلمون ولكن أيضا الذين يعتقدون في التمجيد باسم المسيح، هؤلاء الذين يفتخرون بجهلهم ولا يعلمون من هم**".

وتعد الثقافة القائمة داخل التكوينات الديرية نموذجا للفكر الروحاني ورؤى مجردة من التفكير الواقعي، وهناك نصوص بردية عرفت بنصوص الإيحاء في العهدين القديم والجديد، وتعد كلمة إيحاء في الأصل تعبيرا جديدا مرتبطا بالمصطلح اليوناني " أبوليكاليوبسيس"، الذي يعني كشف الأسرار والغموض عن الشيء أو رفع الحجاب عنه، ولكن يمكن تفسير المصطلح بالطريقة المباشرة بأنه رؤية إلهية خاصة بالبشر تعبر بهم لاتصال إلهي–إنساني تفوق قدرة استيعابه القدرات البشرية المعتادة[2].

وهناك من النصوص الغنوصية التي عثر عليها في نجع حمادي، وهي تجسد مراحل تطور الفكر المسيحي في مصر على النمط الإيحائي برؤية تخيلية لمفهوم الخلق وعلاقة الخالق بالمخلوق، ويعد نص **مخطوط صوفيا يسوع المسيح**[3] (The Sophia of Jesus Christ) من أحد هذه النصوص، ولكن من أشهر الأدلة على تأثر المجتمع المصري بهذا المقوم الروحاني التصوفي ومفهوم الخلاص الذاتي للمواطن المصري نجد دور **الأيقونة**[4] في التعاليم الروحانية المسيحية [أنظر: **الصورة رقم 24**]، فهي تعد من

---

[1] The Second Treatise of The Great Seth.N.H.VII.2.59, 60: 36-61

نقلا عن: حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص293.

[2] نفس المرجع، ص294.

[3] مخطوط صوفيا السيد المسيح هو أحد النصوص الغنوصية التي تحمل سمة إيحائية متميزة، عثر عليه باللغة القبطية الصعيدية في المخطوط الثالث في الأناجيل الغنوصية، والنص كان معروفا من قبل في صورته اليونانية من خلال بردية (Oxy.1081) التي ترجع إلى القرن 4 م، ويبحث في العلاقة بين صوفيا والمسيح، وصوفيا تعني الروح البشرية والحكمة، ولكنها في السياق الغنوصي فهي مرتبطة روحانية بالمسيح المنقذ الذي جاء إلى الأرض لنقائها، وأنقذها من الأجساد البشرية الشريرة التي صنعها وأخضعها لسلطانه. أنظر: حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص ص296، 320.

[4] **الأيقونة:** هي ليست شكلا من أشكال الجمال الفني ولكنها تعبير عن فكر لاهوتي منذ فجر المسيحية، وهي من أهم أدوات العبادة الليتورجية، وهناك من رفضها من آباء الكنيسة ومن الكلمات الخاصة نجدها في اللغة القبطية بمعنى "يكتب" وباللغة الاغريقية

الأمور السرية، ويبدو دورها في المجتمع نابعا من دورها الأساسي في كنائس القديسين والشهداء الأوائل، وارتباط صورهم بمفهوم طقسي خاص جدا، ومن هنا ظهرت الأيقونات كلوحات تصويرية لها أداء طقسي ديني ليس على المستوى الكهنة والرهبان بل وصل إلى تبجيل كبير على المستوى الشعبي، والذين اتخذوا من الأيقونة سلاحا للحماية وهدفا للخلاص ووسيلة ذاتية خاصة للتضرع والالتجاء الأخير، والبحث عن الوسيط الإلهي أو البشري لكي يَصلُّون أمامه (الأيقونة أو قبر)، ويقومون بتقبيل هذا الشيء ولمسه أو إيقاد الشموع أو حرق البخور أمامه[1].

الصورة رقم 24: صور جنائزية لسيدتان مؤرخة بنهاية القرن 3 وبداية القرن 4 م، مع التعديل المنهجي في أسلوب التصوير بالخطوط الحادة وملامح الوجوه الممتلئة، وكأس الخمر المقدس والنبات الأرجواني وسائط الميت في العالم الآخر. حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص 295.

ب. ظهور الأديرة:

رأى المسيحيون في مثل هؤلاء الرهبان قديسين، وفي القرن الثالث الميلادي ظهرت أماكن للعيش المشترك، ودعيت تلك الأماكن في بادئ الأمر كينوبيا –السكن المشترك–، أما الأماكن التي كانت تتحدث اللاتينية فدعيت الأماكن فيها "مون ستيريوس" أي دير، وما لبثت الأديرة التي عبرت عن سعي كثير من المسيحيين إلى الابتعاد عن شؤون العالم ومآسيه أن ظهرت في أرجاء أخرى من الإمبراطورية[2].

كان قوام هذه الأديرة في معظمها ثلاثين بيتا يحتوي كل بيت على عدد معين من الأخوة يصل عددهم عادة إلى أربعين شخصا يمارسون جميعا نفس العمل، وهؤلاء كانوا يوزعون كل ثلاثة منهم في

تعني "يرسم"، وقد استخدمها العديد من آباء الكنيسة مثل القديس كيرلس الإسكندري في تفسير إنجيل يوحنا. أنظر: يوحنا نسيم يوسف، **الأيقونات القبطية في التاريخ والأدب والطقوس**، العدد 4، برنامج الدراسات القبطية، د.م، 2013، ص ص7، 8.

[1] حسين الشيخ، محمد عبد الفتاح السيد، المرجع السابق، ص ص295-297، 310.

[2] إ.س.سفينيسيسكايا، المرجع السابق، ص261.

صومعة، وتتألف من كل ثلاثة بيوت أو أربعة، وهيئة تتناوب الأعمال اليدوية في الأسبوع، وكانوا يجتمعون للصلاة عند الليل، ومجموع الصلاة اثنا عشر مزمورا يقوم كل واحد منهم بإنشادها وهو واقف، في حين يظل الباقون جالسين على مقاعد، وعند الانتهاء من كل مزمور يمكث الرهبان في صلاة ذهنية وهم واقفون ثم يجثون ركبهم برهة ويعودون إلى الجلوس، وقد أضيف إلى المزامير درسان أحدهما من العهد القديم والآخر من العهد الجديد، وكان الرهبان يتواصلون في صباح أيام السبت والأحد[1].

ويوجد داخل الدير قلالى الرهبان حيث يتخذ كل راهب لنفسه قلاية خاصة به، يوضع بداخلها كل متعلقات الراهب الشخصية، ويمارس بها قانونه الروحي كالصلاة والقراءة في الكتاب المقدس، وغير مسموح للزوار بالاقتراب من منطقة القلالى، وذلك لعدم إزعاج الرهبان في صلاتهم [أنظر :**الصور رقم 25، 26، 27**][2].

وهناك ثلاثة أنواع من الرهبان فهناك الرهبان النُسّاك في الأديرة (Coenubium) وهؤلاء يتحدثون لغة قومية متوارثة، ويمكن القول أنهم يعيشون في تجمعات (in Commune Viventes)، والرهبان المعتزلون (Anachoretae) الذين يعيشون بمفردهم في الأماكن الصحراوية المهجورة ويبتعدون عن الناس، أما النوع الثالث من الرهبان فيطلق عليهم (Remnouth)، وهم الذين يسكنون كل اثنين أو ثلاثة على الأكثر معا ويعيشون وسط الجموع[3]، ومن هذه الأديرة نذكر:

دير طرا: ويعرف بدير أبي جرج وهو على شاطئ النيل، وأبو جرج هذا هو جرجس، وكان ممن عذبه الإمبراطور دقلديانوس ليرجع عن المسيحية، وعوقب بالضرب والحريق بالنار فلم يرجع، و"**دير شهران**" والذي كان يعرف قديما بدير "مرقوريوس" الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة، ومرقوريوس كان جنديا وقتل خلال الاضطهاد الكبير في عهد دقلديانوس.

دير الجميزة: ويعرف بدير الجود، بني على اسم أنطونويس ويقال أنطونة، وكان من أهل قمن، فلما

---

(1) جون مارلو، المرجع السابق، ص288؛

Darlene L, Brooks Hedstrom, **The Archaeology of early monastic communities**, eds. David K. Pettegrew; William R.Caraher, and Thomas W. Davis in the oxford handbook of early christian archaeology, 2018, p157.

(2) كيرلس زكي، **دير الأنبا انطونيوس بالبحر الأحمر أكبر و أقدم دير فى العالم**، على الموقع:https://www.ngmisr.com

Blid, Jesper and others, **Excavations at the monastery of St Antony at the red sea**, Opuscula: annual of the swedish institutes at Athens and Rome, Vol 9, 2016, p154.

(3) محمد السيد عبد الغني، **أضواء على المسيحية**...، ص87.

انتهى حكم دقلديانوس وفاتته الشهادة أحب أن يعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريبة من ذلك فترهب، وكان أول من أحدث الرهبانية للمسيحيين عوضا عن الشهادة، وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا لا يتناول طعاما ولا شرابا مع قيام الليل.

دير بقطر: شرقي بنى، وهو دير كبير جدا، وله عيد يجتمع فيه المسيحيون من كافة البلاد شرقا وغربا ويحضره الأسقف، وبقطر هذا هو ابن رومانوس، الذي كان من وزراء دقلديانوس، وكان شجاعا له منزلة عند الملك، فلما أصبح مسيحيا دعاه ليرجع إلى الوثنية، فلم يفعل فقتله.

دير بربارة: بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات، وبربارة هذه كانت قديسة في عهد دقلديانوس، وقد عذبت لترجع عن المسيحية ولكنها ثبتت على دينها وصبرت على العذاب الشديد[1].

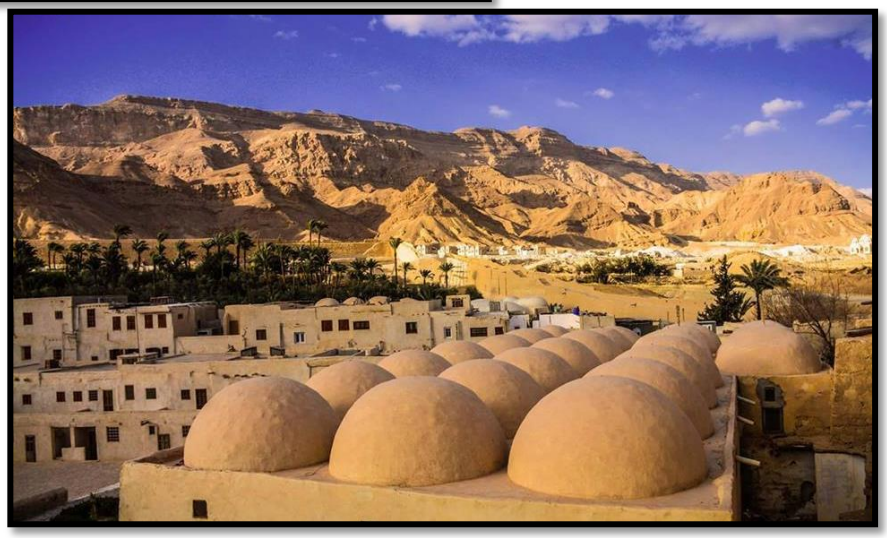

الصورة رقم 25: دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر وقلالى الرهبان. https://www.ngmisr.com

[1] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص ص182-196.

الصورة رقم 26:

كنيسة الصليب بدير الأنبا أنطونيوس :

https://www.ngmisr.com

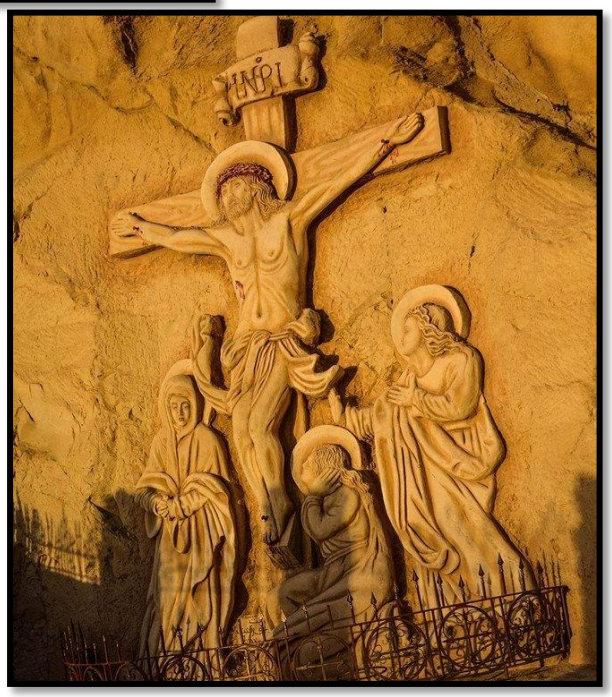

الصورة رقم 27:

لوحات جدارية من كنيسة الأنبا أنطونيوس.

https://www.ngmisr.com

ثانيا: قسطنطين الأول ونهاية الاضطهاد:

1. إصدار مرسوم ميلان 313 م:

أعقب تنازل دقلديانوس عن العرش عام 305 م نشوب حرب أهلية أدت إلى انهيار نظام وراثة العرش، والذي وضعه بهدف تجنب الإمبراطورية قيام الثورات والحروب الأهلية، وقد استمر الوضع مشتعلا حتى استطاع **قسطنطين**[1] [أنظر :**الصورة رقم 28**] الوصول إلى عرش الإمبراطورية بعد تغلبه على منافسيه، حيث كان هناك ثلاثة من القادة يتنازعون حول السلطة؛ كان هناك ليكينيوس (Licinius) في الشرق وماكسنتيوس في إيطاليا وقسطنطين الذي ارتكزت قوته على بريطانيا وغالة، إلى أن استطاع عام 324 م أن يوحد الإمبراطورية تحت سلطته[2].

خلال أشهر الشتاء من عام 313 م التقى قسطنطين في ميلان مع منافسه ليكينيوس لإعادة النظر في السياسات المتعلقة بالسكان المسيحيين، وسيُعرف اتفاقهم بمرسوم ميلان، وكانت النوايا الرئيسية وراء هذا المرسوم هو إلغاء ممارسات الاضطهاد وإطلاق التسامح التام في حرية اختيار الشخص لدينه، وإلغاء جميع الشروط التي كانت مجسدة في أوامر سابقة وموجهة إلى حكام المقاطعات الرومانية حول المسيحيين، وأن الأماكن التي كانوا يستخدمونها سابقا للتجميع ستتم استعادتها [3].

إذن يعتبر نهاية الاضطهاد الديني للمسيحيين ابتداء بإعلان "مرسوم ميلان" عام 313 م، حيث تشير الشروط المنصوص عليها في الرسالة إلى نهاية الاضطهاد الذي فرضته الدولة على المجتمع المسيحي

---

[1] **قسطنطين**: ولد في نيشيش بيوغسلافيا الحديثة(274- 337 م)، وهو قسطنطين الأول فلافيوس فالريوس أوريليوس قسطنطين Flavius Valerius Aurelius Constantinus الامبراطور الروماني، وهو ابن قسطنطين كلوريوس وهيلانة، في عام 293 م أصبح والده قيصرا خلفا للإمبراطور ماكسيميانوس، الذي كان حاكما تحت حكم دقلديانوس، كثيرا ما يطلق على قسطنطين بالعظيم بسبب نجاحاته كإداري عام ومشرع، وبسبب دعمه للكنيسة المسيحية وجهوده للحفاظ على الوحدة المسيحية. أنظر:

Jonathan McCracken, **Life of Constantine**, **christian history 1**, THE- 557- ON15- SU18, June 3, 2018,p1, https://www.academia.edu/38734976/Life_of_Constantine

[2] لما مات قسطنطيوس والد قسطنطين بمدينة يورك ببريطانيا، نادت حاميتها الرومانية بابنه قسطنطين امبراطورا سنة 306 م، ففي سنة 312 م زحف بقواته عبر جبال الألب إلى روما لمقابلة خصمه ماكسنتيوس الذي كان يتفوق عليه كثيرا في عدد الجنود، وفي معركة جسر ملفيان على مقربة من روما دارت معركة انتصر فيها قسطنطين على منافسه وقتله، وجعله ذلك سيدا على الغرب وتقاسم حكم الإمبراطورية مع ليكينيوس حاكم الشرق فيما بين 312 و324، إلى أن هزمه قسطنطين. أنظر: محمد محمود الحويري، **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص39؛

Rodger L. Cragun, Thomas Kessler, op.cit, p124.

[3] Chow, Christopher J, **The Edict of Milan and the early roots of christianity in the roman empire**, Young Historians Conference, Portland State University, 2017, p1.

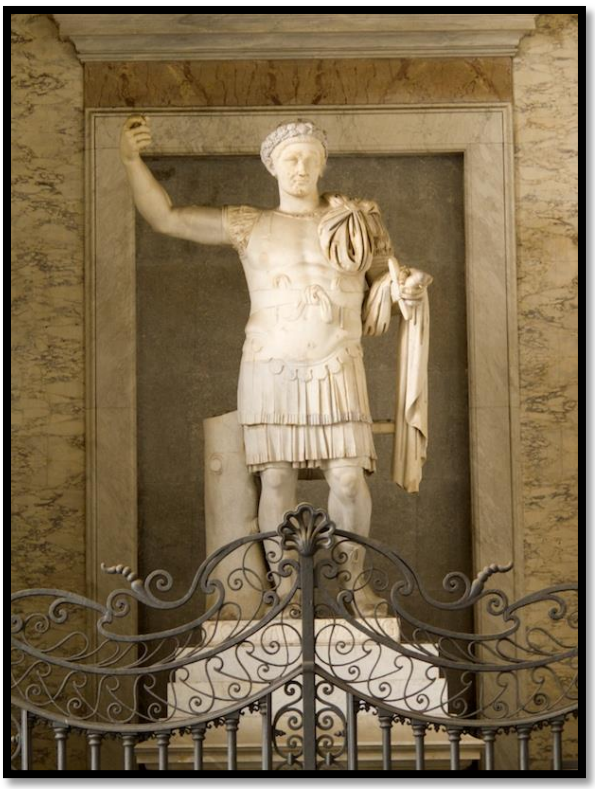

وتم إرسال نسخة منه إلى حاكم بيثينيا (Bithynia)، لمنح الحرية الدينية ولأجل ضمان استمرار الفوائد الإلهية للإمبراطورية، وأن الإله المسيحي أيضا يعتبر أيضا مسؤولا عن رفاهية الدولة الرومانية، وهذا المرسوم ليس أول وثيقة من نوعها فمرسوم جالينيوس في 260 م يعتبر أول مرسوم للتسامح الديني اتجاه المسيحيين[1].

هذا المرسوم أصدره الإمبراطور قسطنطين الأول وليكينيوس، وتذكر ليلى عبد الجواد [2] أن مرسوم ميلان تسمية غير صحيحة، وأنه عبارة عن رسالة بعث بها ليكينيوس إلى حاكم نيقوميديا يوضح له فيها

الصورة رقم 28: تمثال رخامي من القرن الرابع الميلادي للإمبراطور قسطنطين الأول.

Odahl, Charles Matson, **Constantine the great and christian imperial theocracy**, **connections**: European studies ,annua, review 3, 2007, p89.

سياسة الحكومة اتجاه المسيحيين في تلك الأنحاء، وهي عبارة عن تأكيد لسياسة التسامح، وأن هذا المرسوم لم يكن شيئا جديدا وإنما هو تجديد لمرسوم التسامح الذي أصدره جاليريوس عام 311 م.

ويذكر أحمد علي عجيبة[3] تأكيدا على ذلك أن قسطنطين وليكينيوس اجتمعا في مارس 313 م بميلان، وكان من بين الموضوعات التي تناولتها المحادثات مسألة معاملة الرعايا المسيحيين في الإمبراطورية، حيث تعهدا بمنح الحرية الدينية لكل السكان شريطة ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة، ولم تصلنا سجلات تلك الاجتماعات، ولكن أهم ما دار فيها حفظته لنا رسالة ليكينيوس إلى نائبه في نيقوميديا، ولهذا شاع بين المؤرخين تسمية هذه الرسالة بمرسوم ميلان.

لا شك أن مرسوم ميلان كان حلقة وصل بين مرحلتين في غاية الأهمية تتصل إحداهما بقسطنطين والإمبراطورية والأخرى تتصل بالمسيحية، ذلك أن المرحلة الأولى تمثل الفترة الأولى من حكم قسطنطين

---

[1] Nicola Rose Holm, BA Hons I, op.cit, p68.

[2] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص52؛ Nicola Rose Holm, BA Hons I, op.cit, p68

[3] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص222؛ Caius Cuțaru, op.cit, p78

قبل الاعتراف بالمسيحية، وهذه الفترة تعكس صورة واضحة عن عدم الاستقرار في الحكم ومدى الاضطرابات والصراعات الدموية، أما الفترة الثانية فهي تتسم بالاستقرار في أرجاء الإمبراطورية بعد توطيد الحكم تحت سلطته، ومُدعَّما بقوى عريضة من الشعب المسيحي[1].

ونستعرض فيما يلي ما ورد في مرسوم ميلان حول الاعتراف بالديانة المسيحية[2] :

"والآن دعونا نقدم المراسيم الإمبراطورية لقسطنطين وليكينيوس المترجمة من اللغة اللاتينية. لفترة طويلة رأينا أنه يجب عدم رفض الحرية الدينية، بل يجب أن يترك الإرادة لكل شخص ليستطيع ممارسة عقيدته الدينية وفقا لتفضيله، وقد أمرنا أيضا المسيحيين أن يحتفظوا بعقيدتهم ودينهم، ولكن نظرا لإضافة العديد من الشروط المختلفة الموضحة في هذا النص لم تمكن البعض من التمتع بالحرية الدينية كما يجب، ربما حدث أن البعض منهم سرعان ما تخلى عن مراعاتها.

إذن أنا قسطنطين أوغسطس وأنا ليكينيوس أوجستس أتينا لحسن الحظ إلى ميلان وبحثنا عن كل ما يهم الفائدة والمنفعة العامة، من بين أمور أخرى بدت لنا أنها مفيدة من نواح كثيرة للجميع قررنا أن نضع أولا في المقام الأول الاحترام وشرف الألوهية، أي إعطاء المسيحيين حرية الاختيار لاتباع الديانة التي يريدون، حتى يكون هناك ألوهية سماوية فيها خير لنا ولكل الذين يعيشون تحت سلطتنا. لذلك في هذا اليوم قررنا بغرض مفيد أن إرادتنا هي أن يُرفض مطلقا أي شخص أن يحرم من أن يختار الامتثال للدين المسيحي وأن يُمنح كل واحد الحق في أن يعلّق قلبه بالدين الذي يعتقد أنه مناسب له، حتى يمنحنا الإله رعايته وعطفه. وبالتالي كان من المنطقي أن نرسل هذا النص بإزالة تامة للشروط التي تم إرسالها في كتاباتنا السابقة بخصوص المسيحيين، وإلغاء ما بدا خطأً وغريبا لا يتفق مع لطفنا، وفي الوقت نفسه كما هو الآن بكل حرية وبساطة، فكل من يريد الحفاظ على ديانة المسيحيين يبقيه دون إزعاج.

لذا قررنا أن نوكل هذا كلية إلى رعايتكم، بحيث تعرفون أننا نمنح الحرية وبدون عوائق للمسيحيين لممارسة دينهم. ونظرا لأننا منحناكم هذا الحق باختيارنا، فإنه يفهم أيضا أن الآخرين يتم منحهم ممارسة تقاليدهم وعبادتهم، لأنه من الواضح أنه مناسب مع الهدوء في أيامنا، بحيث يكون لكل شخص الحق في الاختيار وممارسة ما يريد، تم هذا من قبلنا بحيث لا يبدو أننا نقيد على أي أحد في الدين. علاوة على ذلك نطلب من أجل الأماكن التي كان يتجمع فيها المسيحيون مسبقا، حيث

---

[1] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص31.

[2] Eusebius, X, V, 1-14 ;34-32 عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ص

سبق أن صدر أمر مخالف لهذا في رسالتنا الموجهة إليكم وتم تحديد قاعدة أخرى، إذا كان أحد قد اشتراها من خزانتنا أو غيرها وجب إعادتها إلى هؤلاء المسيحيين المذكورين دون ثمن أو مطالبة بالتعويض، وأن يتم ذلك دون إهمال ولبس؛ وإذا كان البعض قد استلم المباني المذكورة حاليا كهبة فإنهم يعيدونها في أقرب وقت ممكن إلى هؤلاء المسيحيين، نتيجة لذلك إذا طلب مشتروا هذه المباني أو أولئك الذين كانوا قد منحت لهم في الوقت الحالي شيئا من هباتنا، فاليذهبوا إلى قاضي المحكمة المحلية حيث يتم تزويدهم بكرمنا، ولتمنح كل هذا برعايتكم إلى جماعة المسيحيين وبدون إبطاء.

وبما أنه من المعروف أن هؤلاء المسيحيين لا يمتلكون فقط المباني التي اعتادوا على الاجتماع فيها، بل أماكن أخرى، لم تكن ملكا للأفراد بل للجماعة كمجموعة، أي لجماعة المسيحيين، فسوف نأمر بإعادة كل هذا وفقًا للقانون المذكور أعلاه لهؤلاء المسيحيين دون أي نوع من النقاش، أي لجماعتهم وهيئتهم، ويتم الالتزام بالشرط المذكور أعلاه دون أي تردد حتى يتمكن أولئك الذين سيردونها بدون ثمن كما قدمنا، ويصح أن يطالبوا بتعويض من كرمنا.

في كل هذا يجب أن تراعى مصلحة جماعة المسيحيين السابق ذكرهم، حتى يتم تنفيذ مرسومنا في أسرع وقت ممكن، بحيث يتم توفير هذا الشأن من خلال حسن نيتنا والهدوء المشترك، لأنه بهذا التصرف ستستمر رحمة الله بنا، الذي شهدناه بالفعل في العديد من الظروف وسيظل ذلك في جميع الأوقات، ولكن حتى يمكن لفت انتباه الجميع إلى محتوى القانون وكرمنا، فمن المنطقي أن يتم نشر ما كتبناه وعرضه في كل مكان ليعرفه الجميع لكي لا يجهل أحد قانوننا وكرمنا".

من خلال هذا النص يمكننا مقارنته بنص جاليريوس الذي صدر في سنة 311 م، ويتضح لنا الفارق الكبير بين المرسومين، ولا يخفى أنه يهاجم جاليريوس وينتقده بسبب الشروط القاسية التي وضعها عند سماحه للمسيحيين بممارسة شعائرهم، ولذلك كان إصرار قسطنطين في رسالته إلى حاكم نيقوميديا على إلغاء كل ما ورد في مرسوم جاليريوس من شروط مجحفة، مما ينم عما كان يخفيه قسطنطين من بعد نظر سياسي[1].

كما أن هذا المرسوم يلغي النهج المعادي للمسيحيين من أسلافه، ويستخدم خطابا مشابها كما هو موضح في مراسيم التسامح الأخرى، ومع ذلك فهو أعمق بكثير من سابقيه، ولقد أصبح واضحا أن المسيحيين أصبحوا يتمتعون بكل حرية وامتيازات حرموا منها من قبل، والاعتراف بالإله المسيحي[2].

---

[1] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص34.

[2] Nicola Rose Holm, BA Hons, op.cit, p69.

المقصود بالاعتراف بالمسيحية هو الاعتراف بها كدين داخل الإمبراطورية وليس دينا رسميا، والأمر الأخير تم في وقت لاحق[1]، وعلى الرغم من أن المرسوم يضمن الحرية لجميع الأديان إلا أن التركيز أكثر على المسيحيين، الذين لم يمنحوا هذا الامتياز من قبل، ولكن في نفس الوقت غير مسيء للوثنيين، الذين يشكلون الأغلبية في أنحاء الإمبراطورية، لتفادي إزعاجهم أو دفعهم إلى التمرد تحت راية الآلهة القديمة[2].

ويؤيد ذلك عمر كمال توفيق[3] الذي يذكر أنه تم منح المسيحية نفس الحقوق التي تمتعت بها الديانات الأخرى تحت حماية الحكومة ورعايتها، وكان هذا عملا بالغ الأهمية في تاريخ المسيحية، فبالنسبة لقسطنطين كان من الممكن التعايش بين المسيحية والوثنية، ولكن يجب ملاحظة أنه لا يوجد بها أي أساس لما أدعي بأن المسيحية متفوقة ووضعت في مرتبة أولى فوق سائر الديانات الأخرى، وعندما تثار مسألة تفوق دين من الأديان في هذا العهد فيمكن القول بأن الأديان كلها قد أصبحت على قدم المساواة بما فيها المسيحية، بعد أن كانت ذات وضع غير قانوني وغير معترف بها في الدولة.

على أية حال فإن قسطنطين لم ينفرد بإصدار هذا المرسوم بل شاركه في مسؤوليته شريكه في الحكم ليكينيوس، وأصبحت المسيحية بمقتضاه ديانة مرخص ومصرح بها داخل الإمبراطورية، ولم يعد أتباعها مهددين بالقتل أو التعذيب أو الحرق، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، فأعاد المرسوم السلام والهدوء إلى الكنيسة المسيحية، وقضى برد كل الحقوق الدينية إلى المسيحيين التي حرموا منها ظلما وعدوانا، ونص على أن تعاد لهم كل أماكن عبادتهم والأراضي العامة المصادرة دون إبطاء أو تكلفة، واقترن هذا الإنذار الصارم بوعد كريم يقضي بأن يدفع لمن اشتروا أملاك الكنيسة وتعويض من خزانة الإمبراطورية[4].

تجدر الإشارة أن ليكينيوس عاد إلى الاضطهاد بعد انهيار علاقته مع قسطنطين عام 321 م، حيث حظر تجمعات رجال الدين المسيحي وطرد أفرادا مسيحيين من بلاطه؛ وحظر الطقوس المسيحية

---

(1) في سنة 381 م أصدر الإمبراطور ثيودسيوس الأول مرسوما يعترف فيه بالمسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية، مما أدى إلى قيام ثورة ضد الوثنية واضطهاد أصحابها، ففي مصر قام الرهبان بمهاجمة المنشآت الوثنية والتعدي على الأهالي، وقام ماكريوس أسقف تكوا وجماعته باجتياح القرى وحرق المعابد وتحطيم التماثيل. أنظر: صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص41.

(2) Milton V. Anastos, **The Edict of Milan (313) : a defence of its traditional authorship and designation**, revue des études byzantines, Tome 25, 1967, p38.

أنظر أيضا: عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ص32-34.

(3) عمر كمال توفيق، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار المعارف، 1967، ص31.

(4) ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص52، 53؛ محمد سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص ص24-26.

داخل أسوار المدينة ومصادرة ممتلكات الكنيسة، وسمح بعدد قليل من عمليات الإعدام، لهذا السبب بعد ذلك اضطر قسطنطين لإعادة تنشيط برنامجه وإعادة ترميم الممتلكات التي بدأها مرسوم ميلان في الشرق، والتي تم عكسها من قبل ليكينيوس من 321 إلى 324 م، وهنا يذكر لانسكي نووال[1] (Noel Lenski)أن سياسة التسامح استمرت بطريقة مشوشة، خطوتان للأمام وخطوة واحدة إلى الوراء، وإصدار أوامر التسامح لم تحل المشاكل التي خلقتها عمليات الاضطهاد دفعة واحدة، ولم يتم تطبيق المراسيم الموالية للمسيحيين بطريقة حاسمة أو دائمة في كل مكان.

في الأخير نستنتج أن لهذا المرسوم نتيجتان بعيدتا الأثر والنطاق:
الأولى فتمثلت في وضع حد للاضطهاد الذي مس المسيحيين لفترة طويلة عبر كامل أرجاء الإمبراطورية، ولم يكتف قسطنطين بذلك بل أصدر مرسوما عام 319 م، والذي منح لرجال الدين نفس الحقوق والامتيازات التي منحت للكهنة والوثنيين، وأعفوا من الضرائب والواجبات الأخرى مثل العمل في المناصب الحكومية بهدف التفرغ لمزاولة نشاطهم الديني، أما النتيجة الثانية فتكمن في أن هذا المرسوم كرس لبداية تحالف بين السلطة الزمنية والكنيسة، واستثمار ذلك في إنشاء مجتمع جديد[2].

2. دوافع الاعتراف بالمسيحية :

أ. الدوافع الدينية:

يبدو أن الأوضاع والأحداث قد أملت على قسطنطين خطا ثابتا نحو المسيحية والارتكاز على سياسة دينية قوية، وأصبح بالنسبة للمسيحيين الحليف القوي، وكان لابد من تقديم المزيد من الطرفين للتقارب الأقوى، ولذلك أصدر قسطنطين أوامره إلى ماكسيميانوس دايا بوقف اضطهاد المسيحيين في الشرق، ثم أصدر أمرا عام 313 م بإصلاح الكنائس المهدمة[3].

يذكر أن قسطنطين قبل **سر المعمودية**[4] قبيل وفاته، وكان قد نشأ وتربى على عبادة إله الشمس،

---

[1] Noel Lenski, **The Significance of the edict of Milan, in edward siecienski, Constantine: religious faith and imperial policy**, https://www.academia.edu

[2] خديجة زموري، **القديس أغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه نظام ل.م.د، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2018/2017، ص ص123-125.

[3] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص30.

[4] **سر المعمودية**: السر ترجمة للكلمة اليونانية (Musterion) وهي تعني الطقوس السرية والتعاليم المختصة، وهو مقدس ومنحة إلهية به ينال المسيحي للنعمة والخلاص، وقد تأثر المسيحيون بالأديان الوثنية فالطقوس كانت معروفة عند الوثنيين باسم الأسرار، وكان

لكنه أدرك أن الكنيسة يمكن أن تقدم له عونا فعالا، خاصة إذا ما وضع حدا للخلافات الداخلية التي تعصف بها، وحسب الرواية أن والدته هيلانة[1] كانت مسيحية وقدمت عونا لهم، وفي عهد قسطنطين كان اليوم الأخير من الأيام مكرسا للشمس فأعلنه الإمبراطور يوم عطلة عامة في الإمبراطورية، أما بالنسبة للمسيحيين فقد كان هذا اليوم مكرسا للمسيح، ومنذ القرن الرابع الميلادي صار اليوم 25 من شهر كانون الأول عيد ميلاد المسيح بعد أن كان عيد ميلاد إله الشمس[2] .

اختلفت الآراء حول دوافع قسطنطين إلى إصدار مرسوم ميلان واعترافه بالمسيحية، ويتساءل سعيد عبد الفتاح عاشور[3] بسؤال وجيه: ما هو حافز قسطنطين إلى إصدار مرسوم ميلان والاعتراف بالمسيحية؟. توجد أدلة كثيرة تثبت إيمان قسطنطين بالمسيحية وأدلة أخرى توضح استمرار اعتقاده في الوثنية، كما أن عدد المسيحيين لم يكن كثيرا بالنسبة لسكان الإمبراطورية، الأمر الذي يؤيد الرأي بأنه اتخذ قراره عن شعور ديني لا بدافع المصلحة السياسية، على أننا إذا تأملنا الموقف قليلا وجدنا أن المسيحية كانت أوسع انتشارا وأشد تركيزا في الشرق منها في الغرب، بحيث أن آسيا الصغرى غدت من المراكز الرئيسية للمسيحية في القرن الرابع الميلادي.

ويذكر أحمد غانم حافظ أحمد[4] أن قسطنطين بإصداره مرسومه ميلان أظهر نفسه حاميا

التعميد في ذلك الحين من أهم الأسرار المقدسة ويزيل الخطايا الماضية، والمعمودية كلمة معربة من الكلمة السريانية "معموديتو" ومعناه " الغسل لأجل التطهير"، واللفظ "عماد" اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التي توضح على من أقر بإيمانه جهارا، والتعميد يتمتع بمعنيين: إنه يعني الاغتسال من الخطايا وتلقي الروح القدس، حيث يضع المرء يده على المرشح للتعميد ثم يمنحه زيتا مقدسا، ويمنحه الوسيط الذي يجعل تلقي الروح ممكنا، ويذكر أن هذا السر بدأ منذ يوحنا المعمدان الذي يقال عنه أنه كان يعمد الناس حتى أنه عمد المسيح نفسه. أنظر: أحمد على عجيبة، المرجع السابق، ص ص595-597؛ بول تلش، **تاريخ الفكر المسيحي من جذورة الهيلينستية واليهودية حتى الوجودية**، تر وهبة طلعت أبو العلا، ج1، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، 2012، ص100.

[1] يذكر أن قسطنطين ربما تأثر بأمه هيلانة التي اعتنقت المسيحية وزارت بيت المقدس، ويقال أنها اكتشفت الصليب الذي صلب عليه المسيح وعادت به إلى بلادها، غير أن المعاصرين لم يذكروا شيئا عن دورها في مسألة العثور على خشبة الصليب، ولكن على أية حال كان لهذا الأمر تأثير كبير على المسيحيين، فرفعتها كنيسة الروم الأرثوذكس إلى مصاف القديسات. ويحتفل بعيد العثور على الصليب في 3 ماي. أنظر: ليلى عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص ص53، 54؛ جورج ساتورن، **العلم القديم والمدينة الحديثة**، تر عبد الحميد صبرة، تقديم أحمد فؤاد باشا، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص194.

[2] إ.س.سفينسيسكايا، **المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون**، تر حسان مخائيل اسحق، ط2، منشورات داء علاء الدين، سوريا، 2007، ص266.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص36، 37.

[4] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية**...، ص ص121، 122.

للكنيسة لكي يستفيد من تأييدها ومن تنظيماتها الدقيقة، وبالرغم من أن قسطنطين كان وثني العقيدة إلا أنه استمر بعد توليه الحكم في مساندة الكنيسة المسيحية.

يروى أن قسطنطين رأى رؤيا أثناء النزاع بينه وبين ماكسنتيوس، وقصها على مؤرخه وصديقه ومستشاره يوسيبيوس أسقف قيصرية، وطبقا للرواية فقد صار وضع قسطنطين حرجا وبدا له أن الأحداث أثبتت عجز الآلهة الوثنية عن مساندته، ومن ثم رأى قبل عبوره جبال الألب إلى إيطاليا فوق الشمس صليبا من النور مكتوبا عليه (in hoc signo vinces) أي "بفضل هذا تنتصر"، ويروي أن تلك الرؤيا في السماء قد أدهشت كل الجيش[1]، ويروي يوسيبيوس كيف ظهر له في المنام المسيح وأن عليه أن يصنع في حروبه علامة الصليب[2]:

"وقال إنه كان يتساءل داخله ما الذي قد تعنيه الرؤيا؛ ثم أثناء تأمل وتفكير طويل وشاق، ففي أثناء نومه في تلك الليلة ظهر له المسيح مع العلامة التي ظهرت في السماء وحثه أن يصنع مثالا لهذه العلامة التي رآها في السماء، وأن يستخدم هذا كحماية ضد هجمات العدو، فعندما استيقظ روى الأمر الغامض على أصدقائه، ثم استدعى صائغي المجوهرات وجلس بينهم وشرح له شكل العلامة، وأعطاهم تعليمات حول نسخها من الذهب والأحجار الكريمة، كان هذا شيئا رآه الامبراطور بنفسه وكانت لي فرصة أن أرى هذه العلامة بعد صنعها".

كتب يوسيبيوس ذلك قرابة 337 م وبعد موت قسطنطين الذي يفترض أنه رواها بنفسه له، في حين لا يذكر بكلمة عن هذه الرؤيا ولا العلامة السماوية في كتابه تاريخ الكنيسة، وأن الرؤيا غالبا ما كانت تروى بعد الأحداث المشار إليها[3]، ربما سبب هذا أن يوسيبيوس اعتمد على هذه الرؤيا من

---

[1] Eusebius, **Life of Constantine**, introduction, translation, and commentary by Averil Cameron, Stuart G. Hall, Clarendon Press, Oxford, United States, 1999, I, 28 ;
محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص66.

[2] Eusebius, **Life of Constantine**, I, 29, 30.

[3] يذكر أحمد علي عجيبة تعليقا مختلفا عن هذه الرواية ويتساءل: ألا يوجد نوع من التشابه الخفي في طريقة الادعاء بدخول كل من بولس وقسطنطين المسيحية؟. فلقد ادعى كل منهما أن المسيح ظهر له ووجّهه إلى الطريق الصحيح، فلقد ادعى بولس أنه ظهرت له علامة في السماء في نصف النهار، وذلك عن طريق أنه أبرق حوله نور من السماء، وعلى إثرها سقط بولس على الأرض فظهر له المسيح وعاتبه على اضطهاده للمسيحيين، وكذلك بالنسبة لقسطنطين أنه ظهرت له علامة في السماء، ثم ظهر له المسيح في نومه وأمره بأن يصنع مثالا من العلامة التي رآها في السماء وأن يستعملها كوقاية في الحرب، ولهذا يمكن القول أن الرؤى والأحلام كانت وسيلة لأي مدع أو دخيل على الديانة المسيحية لإظهار تعاطفه، ومن ثم دخوله في المسيحية حتى ولو كان من أعداء المسيحية، وهذا يعطي مؤشرا خطيرا وهو أن المسيحيين آمنوا بطريق مباشر وغير مباشر بالتهيؤات والتخيلات وخلطوا بينها وبين ما هو صحيح. أنظر:

قسطنطين نفسه وهو لم يلتق به إلا بعد أن كتب تاريخه، وهنا يذكر المؤرخ المسيحي يوحنا موسهيم[1] أن تنصر قسطنطين وإيمانه بأنه ظهرت له علامة الصليب في السماء لأمر مشكوك فيه، وإن كان في ذلك الوقت راضيا عن المسيحيين وعبادتهم ولكن لا يبرهن على أنه اعتقد أن المسيحية هي الديانة الوحيدة المنقذة، وأما علامة الصليب التي رآها في السماء ففيها من الالتباس حولها، وخاصة أنه لا أحد من كاتبي ذلك القرن يذكر رواية الصليب إلا يوسيبيوس.

وأما فيليب حتي[2] يرجح أن تكون قصة اعتناق قسطنطين المسيحية من باب الأساطير، ويضيف أنه سواء اعتنقه كان بدافع المصلحة أو الايمان بها فليس لذلك أهمية تاريخية.

لنناقش أولا رؤية قسطنطين: يذكر دراك هارولد[3] (Drake Harold) أن قسطنطين كان بحاجة إلى تكييف هذه الرؤية لتتوافق مع متطلباته للقيادة المسيحية، وليصبح قادرا على تأكيد حقه في الإشراف على المسيحية، كما أن أمر رؤية الصليب قبل انتصاره يحتاج إلى أن يقرأ من هذا السياق، فقصة الرؤية تعتبر حدثا أساسيا وضروريا في كيفية مساعدة هذه القصة لقسطنطين، حيث ادعى صفة ادعى بها متلقي رؤية مشهورة ومماثلة ادعاها القديس بولس، فكان قسطنطين مثله يهدف إلى أن يصبح "رجل الله الجديد"، وهو مصطلح يشير في الاستخدام المسيحي إلى أن شخصا منغمسا تماما مع الإرادة الإلهية ويعمل بها كأداة ووسيط للقوة الخارقة، ونتيجة لذلك كان يمكن أن يدعي مثل بولس أنه تلقى تعليمات بدون أيدي البشر، ولكن بدلا من ذلك تم تعليمه مباشرة من قبل الله، وأنه تماما كما ادعى بولس أنه "رسول للأمم" وأنه هو "رسول من هم خارج الكنيسة".

وثانيا النقاش حول الأسقف يوسيبيوس، الذي يعتبر المصدر الوحيد الأكثر أهمية لممارسات ونوايا الإمبراطور، ويصور قسطنطين كإمبراطور مسيحي مثالي، ويجب أن نتوقع العثور على أوجه التشابه بين قسطنطين وبولس في عمله، لقد كان يوسيبيوس موضوع دراسة مكثفة خاصة في العقود الأخيرة، وبرز

أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص ص233، 234؛ حبيب بدر وآخرون، المرجع السابق، ص90.

[1] يوحنا لورنس فان موسهيم، **تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة**، مطبعة الأمير كانية، بيروت، 1875، ص ص126، 127؛ أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص231.

[2] فيليب حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج1، تر جورج حداد، عبد الكريم رافق، مراجعة جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص387.

[3] Drake Harold, **The Emperor as a 'man of god': the impact of Constantine The Great's: conversion on roman ideas of kingship**, História (São Paulo), Vol 35, 2016, p5.

كمفكر أكثر دقة، ولكن بشكل عام أصبح أقل تأثيرا مما كان يعتقد في السابق، لدرجة أنه لقرون كانت كتاباته حول سياسات ونوايا قسطنطين موثوقة للغاية ومطابقة له، ولكن تغيرت الرؤية مع ادعاءاته وعلاقته المقربة منه، ونتيجة لذلك يجب توخي الحذر لتمييز القشرة التأويلية التي وضعها، إذ أنه لو أخبره أي شخص آخر لوجد أنه من الصعب تصديقه، ولكن كانت من الإمبراطور نفسه، ويمكن أنه كان غير مرتاح لادعاءات قسطنطين الصعبة وكان في حيرة حول ما قد تعنيه رؤيته، ولكنه دعم ادعاءه عند الحديث عن ذلك[1].

وتذكر ماري بيرد وآخرون[2] (Mary Beard and Others) أن تحول قسطنطين إلى المسيحية يعتبر من أكثر الأحداث الغير المتوقعة في التاريخ الروماني، ولا يزال مثار جدل كبير، ولكن حتى لو افترضنا أن ما حدث في المعركة وقبلها كان أمرا أساسيا لدعم قسطنطين للمسيحية، فهل كان صادقا في اعتناقه المسيحية؟ إلى أي مدى كان يخلط بين المسيحية وعناصر الطوائف التقليدية؟. من أي تاريخ تم دعم قسطنطين الثابت للمسيحية؟ ، الأسئلة غير قابلة للإجابة، ومع ذلك فإن رواية قسطنطين الخاصة بما قاله وفعله في ذلك الوقت تتلخص في معرفة كيفية رؤية الأمر بالضبط.

يذكر لاكتانتيوس[3] أن قسطنطين قد أتاه حلم أن يرسم الصليب على دروع جنوده وعلامة X[4] توضح اسم يسوع المسيح ويخوض القتال، وأنه بفضل تلك الرؤيا استطاع إحراز النصر في موقعة جسر ملفيان في أكتوبر 312 م بمقتل ماكسنتيوس وإعلان قسطنطين أغسطسا، حسب النظام الذي تركه

---

(1) Drake Harold, op.cit, pp6, 7.

(2) Mary Beard and others, **Religions of Rome,** vol 1, Cambridge University Press, 1996, p366.

(3) Lactance, XLIV.

(4) فيما يتعلق بطبيعة العلامة لربما أنها مؤلفة من حرفين من اللغة اليونانية X و P ، وهي رمز لكلمة المسيح خريستوس، ولكنها قد تعني أيضا علامة سحرية اكتشفها قسطنطين في بلاد الغال. أنظر: حبيب بدر وآخرون، المرجع السابق، ص110.

ويصف لنا يوسيبيوس لراية الصليب التي يدعوها الرومانيون الآن لابارم (Labarum) والتي تعني لواء قسطنطين الكبير، حيث صممت كالتالي: عُمل الصليب على حربة طويلة بالذهب مع قضيب يشكّل شكل الصليب، وفي قمة الكل تم تثبيت إكليل من الحجارة الكريمة والذهب، وفي وسط هذا ثبت رمز لاسم المخلص يشيران لأولى حروف اسم المسيح، فالحرف X حيث يتم تقاطعه في الوسط بالحرف P بهذه الكيفية ☧ أو ⸸ ، وفيما بعد كان الإمبراطور يضع هاذين الحرفين على خوذته.

أنظر: يوسابيوس القيصري، **حياة قسطنطين العظيم**، تعريب القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ت، ص25؛

Eusebius, **Life of Constantine**, I, 31.

دقلديانوس[1]، وأن قسطنطين انتصر بفضل تدخل المسيح إلى جانبه، لكنه بالرغم من ذلك استمر في احترام العقائد الوثنية وبنى قوس النصر لرب الشمس الذي لا يقهر، وظهرت صورة الآلهة على النقود التي سكها، وبالتالي فإن حكم قسطنطين يعتبر نقطة التقاء بين الوثنية والمسيحية الصاعدة، فقد كان هدفه حسب سيد أحمد علي الناصري[2] هو تجنيد كافة المذاهب والعقائد الدينية لتقف معه وتدعمه في مركزه.

إذن يعتبر حسب رواية لاكتانيوس ويوسيبيوس رؤية الصليب مبشرة بالنصر[3]، ولكن علينا تتبع الأحداث الحقيقية والعوامل المنطقية المساهمة في الاعتراف بالمسيحية من قبل قسطنطين، لأنه بهذا القرار كان له أثر كبير على تاريخ الكنيسة والمسيحية ككل.

يذكر روبرتو رودريقاز[4] (Roberto Rodriguez) أن هناك آراء متضاربة بشأن ما إذا كان تحول قسطنطين قد حدث على فراش موته أو إذا كان قد اعتنق الإيمان المسيحي قبل قيامه بذلك، فإذا كان قسطنطين صادقا حقا في معتقداته الدينية لكان قد تعمد في الكنيسة قبل ذلك بكثير وليس على فراش الموت، فلا يزال صدق تحوله موضوعا للنقاش والجدال، فقسطنطين استخدم الإيمان المسيحي فقط لأغراض سياسية دون أن يشعر بأي التزام اتجاه تعاليم الكنيسة، ولكن الكنيسة التي تعتمد في معظمها على مصادر دينية تؤكد أن قسطنطين كان لديه تحول ديني صادق، حتى الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر قسطنطين واحدا من أعظم قديسيها الرسول الثالث عشر، ويضيف أنه من المستحيل أن نعرف في الواقع ما كان في ذهن قسطنطين خلال حياته، لقد كان رجلا تأثرت أخلاقه بشدة بالأوقات التي عاش فيها، ربما كان يدرك أنه حتى فراش الموت سيضطر إلى الاستمرار في ارتكاب بعض الخطايا لتحقيق أهدافه، وأن تحوله سيكون حدثا كبيرا لم يكن بإمكانه التراجع عنه، فقد كانت هذه في الواقع فكرة شائعة في ذلك الوقت، فاعتناقه للمسيحية قد حدث تدريجيا طوال حياته بحيث لا يمكن للناس قبوله دفعة واحدة، وكان يسترشد بالسياسة في تغيير الإمبراطورية لتعكس معتقداته.

---

[1] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص66.

[2] سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ص433، 434.

[3] يذكر رأفت عبد الحميد أن رد فعل يوسيبيوس هذا جاء لما عاينه زمن الاضطهاد الأعظم، وقسطنطين جعله في الأعالي وأضاف به إلى قائمة الحواريين فأصبح قسطنطين الحواري 13 للمسيح، ويضع لقادم الأجيال قصة رجل أنقذ المسيحية ويضفي على أفعاله إرادة السماء لا رغبات البشر. أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص45، 46.

[4] Marcel Simon, André Benoit, **La « Conversion » de Constantin**, le judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998, pp312, 334: https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-308.htm

وتذكر ماري بيرد (Mary Beard) [1] أن قسطنطين اعتقد أن المعمودية المتأخرة ستبقيه وثنيا حتى هذا الوقت، وبالتالي فإن مسيحيته ستختزل في فترة قصيرة جدا، ومع ذلك ليس لدينا الحق في استخلاص هذه النتيجة من معموديته المتأخرة، في الواقع كانت عادة تأجيل المعمودية في وقت متأخر وأحيانا حتى وقت الوفاة عادة واسعة الانتشار إلى حد ما في القرن الرابع الميلادي. فقد اعتقدت الكنيسة أن المعمودية تمسح جميع الذنوب التي ارتكبت، وأعطى هذا التأخير الحرية للخطيئة، شريطة أن تعطى المعمودية قبل الموت، بطبيعة الحال حارب آباء الكنيسة هذا التشويه، ولكن في عهد قسطنطين كان هناك العديد من المؤمنين غير المعمدين وكان شائعا ذلك، وبالتالي فإنه سيكون من الطبيعي أن يتصرف قسطنطين مثل معاصريه، وقد أدت واجباته على البقاء في اتصال مع الوثنية، والتي كانت لا يمكن تحملها لشخص معمد، لذلك لا يمكن أن تعني هذه المعمودية المتأخرة أن قسطنطين ظل وثنيا حتى هذا الوقت بالنظر إلى عادات الوقت، وإن كان ذلك لا يتوافق مع قوانين الكنيسة، وتلخص الباحثة إلى أن قسطنطين كان من داخله مسيحيا وقبل عام 337 م، وتعميده هو تتويج لقناعاته وأن تحوله إلى المسيحية قبل ذلك بوقت طويل، ولكن يبقى السؤال: هل هو عمل إمبراطور مسيحي حقيقي؟ من الصعب أن نقرر ولكن تبقى السنوات من 312 إلى 324 م لقسطنطين الفترة الحاسمة التي اتضح فيها توجهه الديني .

ومن وجهة نظرنا تعقيبا على كل ما ذكر فإنه لا أحد يشك في أهمية العمل الذي قام به قسطنطين وهو الاعتراف بالمسيحية وإنهاء الاضطهاد ، ولكن وقع جدل بين المؤرخين حول وقت اعتناقه لها، ويمكن حسم الجدل أن ذلك حدث تدريجيا طوال حياته، وترك المعمودية التي تبين دخول الشخص رسميا في المسيحية إلى آخر حياته، ويمكن تفسير ذلك من خلال ثلاثة نقاط الأولى: باعتبار أن تأخير المعمودية كان شائعا خلال القرن الرابع الميلادي وكان من المعتاد أن ينتظر الناس القيام بها حتى فراش الموت. ثانيا: أنها تُمكّن الشخص من عدم الالتزام الكبير بالعقيدة وأنه مازال يرتكب الخطايا وتأخيرها تمكنه من التوبة من كل الذنوب. وثالثا: لا يمكن أن ننسى أن قسطنطين قد ترك للوثنية نصيب من المكانة إلى جانب المسيحية، ومازال تعامله معها والقيام بطقوسها واردا، وتحوله نهائيا إلى المسيحية لا يمكّنه من ذلك كما يمكن ألا يتقبل السكان الوثنيون ذلك .

والواقع أن هناك تدرج بطيء غير محسوس انتهى بإعلان قسطنطين نفسه حاميا للمسيحية، فلقد

---

[1] Mary Beard and others, op.cit, 1996, p366.

كان من الشاق عليه أن يمحو من ذهنه ما تلقنه من عادات ومعتقدات وثنية، وأن يؤمن بالديانة المسيحية ويعلن ذلك بين يوم وليلة، وأن يسير بخطى حذرة في تغيير الديانة الوطنية وهو تغيير له خطره وأهميته، والخلاصة كما يؤكد محمد سعيد عمران [1] أن تيار المسيحية تدفق طول حياته في حركة هادئة، فلقد وازن بين آمال رعاياه ومخاوفهم، ومن ذلك أنه كان يصدر مرسومين في وقت واحد الأول ينص على الاهتمام الشديد بيوم الأحد وفي ذلك نصرة للمسيحيين والثاني يحض على استشارة العرافين وفي ذلك نصرة للوثنية، ولا شك أن مثل هذه الأمور جعلت المواطنين من مسيحيين ووثنيين يرقبون سلوك الإمبراطور بنفس القدر من القلق وإن اختلفت مشاعر كل منهما، وهنا يؤكد سعيد عبد الفتاح عاشور[2] أنه حاول أن يمسك العصا من وسطها ليحقق نوعا من التوازن بين المسيحية والوثنية دون أن يغضب فئة أو مذهبا، وبالتالي اعترف بالمسيحية دون أن يتنكر لديانة الدولة أو يتخلى عن عبادة الإمبراطور التي كانت مصدرا أساسيا لقوة الأباطرة.

ب. الدوافع السياسية:

إذن ماهي الدوافع التي دفعت قسطنطين إلى الاعتراف بالمسيحية؟ يذكر محمد سعيد عمران[3] أن الآراء قد اختلفت حول الدوافع فالبعض يرى أن قسطنطين اعترف بالمسيحية عن اقتناع وعن إيمان وحجتهم تستند إلى تصرفاته اتجاه المسيحيين ببناء العديد من الكنائس، والرأي المضاد يعتمد على تصرفاته اتجاه الوثنية التي لا تقل سخاء عن ما قدمه للمسيحيين، ويرى فريق ثالث أن إيمان قسطنطين مرجعه للدوافع السياسية، وعلى رأس هذه المجموعة المؤرخ هنري جيرجوار (Henry Gregoire)، الذي قال أنه من كان يريد الشرق فعليه أن يكون مسيحيا أو صديقا للمسيحيين، ولم يكن قسطنطين يستطيع أن يسيطر على الشرق وهو الجزء الغني من الإمبراطورية برجاله وموارده إلا بمهادنه المسيحيين، خاصة في الوقت الذي بدأت فيه العناصر الجرمانية تتحرك صوب غرب الإمبراطورية.

حيث أدرك أن المسيحية أكثر انتشارا بالشرق أي في ولايات آسيا الصغرى ومصر والشام، وهذه المناطق هي عصب الحياة الاقتصادية في الإمبراطورية، كما أنه رأى من الضروري كسب ولاء سكان الولايات الشرقية حفاظا على وحدة الإمبراطورية، وخاصة أنه كان يسعى للخلاص من شريكه ليكينيوس و كان بحاجة ماسة إلى أنصار وأعوان يناصرونه، فوجد في المسيحيين قوة كبيرة ومؤثرة في ساحة الصراع،

---

[1] محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص27.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص38.

[3] محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص28.

وخاصة أنهم كانوا يتميزون بغيرتهم الشديدة على دينهم بدرجة تفوق الأديان الأخرى، ورأى قسطنطين أن هذه الغيرة هي التي ستربط الإمبراطورية برباط قوي ومتين حتى ولو كان هذا الرباط هو المسيحية، لذلك شرع في إصدار مرسوم ميلان والاعتراف بالمسيحية[1].

يذكر ول ديورانت[2] أنه قلما يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس، وكان يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون فكان يستدعيهم ويرأس مجالسهم، ولو كان مسيحيا حقا لكان مسيحيا أولا ثم حاكما سياسيا بعدئذ، فالمسيحية عنده وسيلة لا غاية، ويعود ذلك إلى أنه انطبع في نفسه انتصار المسيحية رغم كل الاضطهاد، وأعجب بجودة نظام المسيحيين وبطاعتهم لرؤسائهم الدينيين، وكان قسطنطين يأمل في أن يكون ملكا مطلق السلطات فبدى له أن النظام الكهنوتي وسلطان الكنيسة الدنيوي يقيمان نظاما روحيا يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام بما فيه من أساقفة وقساوسة يصبح أداة لتأييد حكمه وتوحيد الامبراطورية.

وبالتالي عمل قسطنطين على كسب ولاء المسيحيين لكي يحافظ على وحدة الإمبراطورية، ومن هذه الوجهة يتبين أن اتجاهه إلى المسيحية كان اتجاها لمصلحة سياسية، وهذا التعليل هو الأرجح في نظر الكثير[3]، حيث يقول عبد القادر أحمد اليوسف[4] أن قسما كبيرا من المؤرخين يعتقدون أن سياسة قسطنطين قد أملتها ضرورات سياسية، وأن سياسته الإيجابية مبعثها الخوف من الدعوة المسيحية، وخاصة أنها كانت مناهضة للسلطة الرومانية، وأصبحت المبادئ التي تدعو إليها تشكل خطرا عليها، فدعوتها إلى السلام تهديما للجهاز العسكري، أما نبذها للأوثان وعدم اعترافها بتأليه الامبراطور هي من الأمور المفككة للرابطة الرومانية، وقد كانت هذه المبادئ سببا في شن الاضطهادات المتكررة، ويضيف برتراند راسل[5] على ذلك أن جانبا كبيرا من الجيش كان يدين بالمسيحية، فكان ذلك أثر في قسطنطين.

ويتساءل بولديسور أدريان[6] (Boldişor Adrian) ما درجة انضمام قسطنطين إلى المسيحية؟ ويجيب أن تحوله إلى المسيحية كانت عملية متواصلة واستمرت حتى وفاته، فمن المستحيل اختراق أعماق

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص54، 55.

[2] ول ديورانت، المرجع السابق، ص ص387، 388.

[3] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص238.

[4] عبد القادر أحمد اليوسف، **الإمبراطورية البيزنطية**، دار المكتبة العصرية، بيروت، 1984، ص15.

[5] برتراند رسل، المرجع السابق، ص47.

[6] Boldişor Adrian, **The Relation between christianity and paganism in the reign of saint emperor Constantine The Great**, international scientific symposium 29-30 of may, Tismana

ضميره، فقد تعمّد[1] في نهاية حياته كما كانت العادة في ذلك الوقت، بدلا من ذلك فقد مارس سياسة الخير اتجاه المسيحيين وبدأ في تثبيط بعض ممارسات العبادة الوثنية، ثم بدأ يسعى للحصول على دعم إلهي لحكمه، وأتى في نهاية المطاف ليؤسس سلطته على اتصال خاص بالإله المسيحي.

أما كل من مارسيل سيمون (Marcel Simon) وأندري بينوى[2] (André Benoit) فيذكران أن كثيرا ما كان يعتقد أن تحوله إلى المسيحية كان لأسباب سياسية بحتة، فمن الممكن أن يكون قسطنطين ساند الكنيسة لحشد تعاطف الشعوب الشرقية التي أراد أن يغزوها، بينما ظل الإمبراطور ليكينيوس وثنيا، من الممكن جدا أن قسطنطين كان سياسيا ذكيا وفهم أن الموقف المؤيد للمسيحية يمكن أن يخدم مصالحه فقط، لكن مثل هذا التفسير الذي يجعله سياسيا نقيا لا يبدو أنه يأخذ في الاعتبار واقع تعاطفه واهتمامه الفعال بالكنيسة، بينما يعتقد البعض الآخر أن أساس هذا الموقف الجديد كانت دوافع توفيقية، فقد كان قسطنطين من أتباع العبادة الشمسية التي مثلت له أعلى شكل من أشكال التوحيد، وأن المسيحية ظهرت له كأحد أشكال الدين الشمسي الذي كان يتبعه ودمجها في تصوراته الدينية، هذه الأطروحة صحيحة من حيث أنها تحلل المسار الديني له جيدا وتفسر تطور فكره، لكن يبدو أن قسطنطين بعد ذلك أصبح أكثر ارتباطا بالمسيحية وأعطى أهمية أقل للعبادة الشمسية، وأن هذان التفسيران ليسا متناقضين ولكنهما يكملان بعضهما البعض، فمن المؤكد أن اعتناقه خدم مقاصده السياسية، وأدرك أن المسيحية لها المستقبل بالنسبة له، لذلك لعب ورقة المسيحية سياسيا وشخصيا.

وفي نهاية الأمر نستطيع القول أن قسطنطين كان رجلا على مستوى عال من الذكاء، فلم يكن يستطيع أن يعلن أنه مسيحي فيُغضب الوثنيين ولم يعلن أنه باق على وثنيته، وفي هذه الحالة يتطلب الأمر منه أن يتخذ موقفا من المسيحيين وهذا مالم يحدث، بل أنه عايش الاثنين معا وكان يميل إلى

Monastery, Romania, -**The christian paradigm of a Unitd Europe, the historical and religious dimension of the reign of Saint Constantine The great and his present reception**-, published with the blessing of his Eminence Dr.Irineu, 2014, p245.

[1] عُمّد قسطنطين على فراش موته في قصر أنسيرونا (Ancyrona) بالقرب من نيقوميديا من قبل الأسقف يوسيبيوس، وكان ذلك قبل أيام قليلة من عيد العنصرة في ماي 337 م، حيث توفي قسطنطين في 22 ماي ودفن في "كنيسة الرسل المقدسة" بالقسطنطينية التي أسسها بنفسه، وهي الكنيسة الوحيدة في العاصمة الجديدة التي اكتملت خلال حياته، ويحتفل في العالم الأرثوذكسي كل عام في 21 ماي مع والدته القديسة هيلانة، التي تسمى "مساوية للرسل". أنظر:

Boldișor Adrian, op.cit, p247.

[2] Marcel Simon, André Benoit, **Le Triomphe de l'église**, le judaïsme et le christianisme antique ,Presses Universitaires de France, 1998, pp194, 195:
https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-189.htm

المسيحية حتى اعتنقها في الأخير[1].

ويذكر محمد محمود الحويري[2] أنه مهما قيل عن انضمام قسطنطين إلى صفوف المسيحيين لأسباب سياسية أو دينية، فإن ذلك يعتبر حدثا بالغ الأهمية، إذ بفضل هذه الخطوة التي أقدم عليها كان من الواضح أن المسيحية في صراعها مع الوثنية سيكتب لها النصر في النهاية، لاسيما إذا اعتنق الامبراطور المسيحية، ولا يغيب عن البال أن أتباع المسيحية آنذاك كانوا يمثلون أقلية ضئيلة بالنسبة لأنصار العبادات الأخرى، ولكن بفضله أو بالأحرى مرسوم ميلان صارت المسيحية ديانة مرخصة أفقدت الديانات الأخرى نفوذها وقوتها، إلا أن اعتناق قسطنطين المسيحية جعل ميزان التسامح- من الناحية الواقعية- يميل ميلا أقرب إلى المسيحية دون المساس بالوثنية.

في الأخير يجب علينا أن نقف على أهمية الخطوة الجريئة اتجاه المسيحية، فإذا تذكرنا الإمبراطورية قامت على أساس الوثنية وفكرة تأليه الأباطرة، وإذا ما تذكرنا ما وقع بالمسيحية من تعذيب واضطهاد، وإذا ما أدركنا ما ترتب على اعتراف قسطنطين بالمسيحية من انتشار سريع لهذه الديانة وازدياد نفوذ رجالها والكنيسة أمكننا في النهاية أن نتحقق من أهمية هذه الخطوة، ومن هنا يبدو أن سياسة قسطنطين الدينية تمثل حلقة انتقال كما أنها تُعبّر عن تطور فكري أكثر منها تحول روحي، ذلك أنه تسامح مع المسيحيين في الوقت الذي لم يضطهد الوثنيين، وعن هذا الطريق حاول أن يمسك العصا من وسطها ليحقق نوعا من التوازن [3].

---

[1] محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص28.

[2] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص ص66، 67.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص36، 38؛ Oldișor Adrian, op.cit, p259

3. إجراءات العفو والتسامح:

يذكر يوسيبيوس أن ليكينيوس لم يكف عن شره اتجاه المسيحيين وأن قسطنطين وحده هو الذي طبق ما جاء في الرسالة من منح المسيحيين الحرية وأظهر لهم العطف والحرية، حيث يقول عن ذلك[1]:

"... في نفس الوقت الذي أعلن فيه الحرب على قسطنطين كان يعتزم بالفعل محاربة إله الكون...بدأ يهاجم المسيحيين من رعاياه الذين لم تتسبب تصرفاتهم أبدا بأي شيء غير مرغوب فيه على سلطته. لقد فعل ذلك أولا ببطء. دفعه خبثه إلى خطأ فادح. في بداية الأمر بدأ يُخرج كل مسيحي من منزله، وبذلك حرم التعيس نفسه من الصلاة التي كانوا يرفعونها إلى الله من أجله؛ حيث اعتادوا الصلاة من أجل الجميع حسب تعاليم أسلافهم، ثم أمر بطرد الجنود في كل مدينة من مناصبهم إذا رفضوا التضحية للشياطين، ومع ذلك هذا يعتبر قليلا مقارنة للأمور الأخطر التي تلتها. هل يجب أن نذكر بالتفصيل كل أعمال الرجل المبغض لله؟ كيف اخترع هذا الرجل الخارج عن القانون قوانين غير قانونية؟ فقد أصدر بأنه لا يجب إظهار الرحمة للذين يعانون في السجون ولا يقدم الطعام لأحد ولا للذين يتضورون جوعا في القيود، لا يجوز إظهار الشفقة لأي أحد حتى الذين ينجرون بطبيعتهم على التعاطف على من هو قريب منهم، من بين قوانينه كان هذا القانون شنيعا وقاسيا يتنافى مع كل عطف طبيعي وأمر بعقوبة أولئك الذين يشعرون بالشفقة وأنهم سيعانون من نفس الألم الذي عانوا منه، ووضع أولئك الذين فعلوا الخير معهم بوضعهم في السلاسل بالسجن ويتعرضون لنفس العقوبة التي فرضوها على أولئك الذين ساعدوهم في محنتهم....".

ثم تكلم يوسيبيوس أن شره وصل حتى للأساقفة [2]:

"وأخيرا وصل جنونه ضد الأساقفة لأنهم سيكونون أعداء له...على أساس أنهم خدام الله؛ لم يبدأ بمهاجمتهم علنا خوفا من الأمير الأعلى ولكن سرا وبطريقة غادرة،...وقد كانت طريقة قتلهم غريبة لم نسمع بها من قبل...لأن ضميره السيء أوحى إليه بأن الصلوات لا تقدم من أجله واقتنع بأننا نفعل ذلك من أجل الإمبراطور صديق الدين وأننا نتضرع لله من أجله، لهذا السبب بدأ يصب غضبه ضدنا..ونتيجة لذلك هرب رجال الدين وغصت الأرياف والصحاري والجبال بخدام المسيح، بما أنه كان متفقا مع طريقة رؤية الأشرار، فإن الأخير كان حريصا على إثارة الاضطهاد العام".

وقد أبدى قسطنطين تعاطفه مع المظالم التي لاقاها المسيحيون وثناؤه على ثباتهم، وأن الله حباه

---

[1] Eusebius, **The Ecclesiastical**, X, VIII, 9-11.

[2] Idem, X, VIII, 14, 16, 18.

بهذه النعمة أن اختاره ليكون مساندهم حيث يقول يوسيبيوس[1]:

"لم أستطع أبدا أن أعترف بالامتنان الذي أدين به، في اعتقادي أن هذا هو أفضل المهام، هذه الهدية التي منحت لي، الآن يصل تقدمي إلى الأراضي الشرقية المضطهدة بمصائب كارثية، وكانت في حاجة منا إلى علاج أكبر...إنني مدرك تمام الإدراك أنه لن تكون هناك حاجة إلى تأييد إنساني من قبل أولئك الذين سعوا بحق إلى تحقيق الأمل السماوي وجعلوا اختيارهم المستقر في العالم الإلهي ؛ الشرف الذين يتمتعون به أكبر بكثير، فحرروا أنفسهم من الخوف ومن الخسائر الدنيوية، ومع ذلك أعتقد أنه من المناسب إزالة القيود التي فرضت عليهم قدر الإمكان من وقت لآخر، والتعذيب غير المستحق لأولئك الذين لم يقوموا بأي ذنب، سيكون من العبث للغاية أن يكون ثبات النفس الذي أظهره هؤلاء وصمودهم واضحا أثناء حكم أولئك كان هدفا لاضطهادهم بسبب عبادتهم للإله...".

كما قرر قسطنطين عودة المسيحيين الذين نفتهم السلطات قبلا إلى جزر نائية أو مناطق جبلية، [2]:

"لذلك كل هؤلاء الذين أبعدوا من أرضهم ونفوا لأنهم لم يتخلوا عن إيمانهم بالله وكرسوا أنفسهم وكل أرواحهم له، وتعرضوا لأحكام قاسية من القضاة، وكذلك الذين سجلت أسماؤهم في سجلات المحاكم القاسية فاليقدموا الشكر لله محرر الجميع لإعادتهم لأرض أجدادهم، والذين تم نهب بضائعهم والذين تعرضوا لفقدان ثروتهم الحالية، حتى الآن كانوا يعيشون في ظروف عصيبة، فاليعودوا إلى منازلهم القديمة وترد إليهم ممتلكاتهم...".

وأطلق سراح أولئك الذين حكم عليهم بالعمل في المناجم أو سُخِّروا في الأعمال العامة[3]:

"أولئك الذين حكم عليهم إما بالعمل تحت ظروف قاسية في المناجم أو لأداء المهام الوضيعة في الأشغال العامة، دعهم يتبادلون الكدح المتواصل في قضاء وقت الفراغ الجميل، ويعيشون الآن حياة أسهل من الحرية، والتخفيف من المصاعب المستمرة في العمل بالراحة، ولكن إذا تم حرمان أي منهم من حريتهم المدنية أو حلت بهم أية إهانة وجب أن يعادوا إلى وطنهم الأصلي ليستأنفوا بفرح مراكزهم السابقة، بالنظر إلى أنهم حرموا منها بإقامتهم في المنفى لفترة طويلة".

---

[1] Eusebius, **Life of Constantine**, II, 29.

[2] Idem, II, 30.

[3] Idem, II, 32.

وسمح للجنود الذين حرموا من رتبهم العسكرية إما بالعودة إلى مناصبهم مرة أخرى وإما الحياة الهادئة بعد إخلاء سبيلهم[1]:

"علاوة على ذلك، الذين تم تعيينهم في وقت من الأوقات في الرتب العسكرية، وتم إبعادهم عنها على أساس قاس، لأنهم فضلوا الاعتراف بولائهم بالله على الاحتفاظ بمراكزهم التي شغلوها؛ يسمح لهم بالاختيار إذا كانوا يريدون الخدمة العسكرية والبقاء في الوضعية التي كانوا فيها من قبل، أو السماح بإخلائهم والتقاعد، لأنه سيكون صحيحا ومناسبا أن يتمتع الشخص الذي أظهر مثل هذا الشجاعة والقرار في مواجهة الأخطار بالتقاعد، إذا رغب في ذلك ووفقا لاختياره".

كما حرر هؤلاء الذين كانوا ينتمون إلى المجتمع الراقي ثم أنزلوا مرتبة العبودية وأجبروا على الخدمة في المنازل والمصانع[2]:

"علاوة على ذلك فقد حرم أولئك قسرا من رتبتهم النبيلة وتعرضوا لعقوبة قضائية من هذا النوع، حيث أرسلوا إلى الأماكن المخصصة للنساء أو المصانع الكتانية، وتحملوا العمل الشاق والخزي، أو حكم عليهم بالعبودية من أجل مصلحة الخزانة العامة...يجب على هؤلاء أن يبتهجوا بالامتيازات التي تمتعوا بها سابقا وبالحرية؛ يجب عليهم المطالبة بمراكزهم والعيش من الآن فصاعدا في سعادة تامة، أما الرجل الحر الذي انتقل من الحرية إلى العبودية بسبب المظالم والجنون الانساني، وكثيرا ما استنكر مهامه في الخدمة الغير راغبة فيها، ووجد نفسه فجأة عبدا بدلا من رجل حر؛ فاليعد لحريته السابقة وفقا لمرسومنا، ويعود إلى أقربائه ومهنته فهو رجل حر، ويمحو من ذاكرته تلك المهام الوضيعة التي لم تكن مناسبة له".

كما اعتبر الكنيسة وارثة للشهداء للذين لم يتركوا أحدا ليرث ممتلكاتهم[3]:

"لكن إذا لم يكن هناك أقارب ليرثوا أملاك أي من المذكورين أعلاه، سواء الشهداء أو من المعترفين أو الذين عاشوا في الخارج بعد الانتقال لسبب من هذا القبيل، السماح للكنيسة على وجه خاص أن ينتقل إليها الميراث. بالتأكيد لن يكون هناك ظلم لأولئك الذين رحلوا بعيدا أن ترثهم الكنيسة التي تحملوا من أجلها الآلام، علاوة على ذلك من الضروري إضافة هذا أيضا، أنه

---

(1) Eusebius, **Life of Constantine**, II, 33.

(2) Idem, II, 34.

(3) Idem, II, 36; Nicola Rose Holm, BA Hons I, op.cit, p69.

إذا قام أي أحد من الأشخاص السابق ذكرهم أعلاه بتقديم أي وصية لممتلكاتهم للأشخاص الذين يختارون، فالمعقول أن تظل ملكيتهم سارية".

كما أمر أن تنقل مقابر الموتى إلى ملكية الكنيسة، وتعاد إليهم وتصبح تحت تصرفهم[1]:

" فإن الأماكن التي تشرفت بجثث الشهداء أنفسهم وتقف كآثار موتهم المجيد، من يستطيع أن يشك في أنها ملك للكنائس أو أن يكون قرار عن ذلك؟ بما أنه لا يمكن أن يكون هناك سخاء أفضل أو مجهود أنفع من استخدام الإرادة الإلهية على اتخاذ خطوات فعالة بشأن هذه الأمور، وأن ما اتخذ من ذرائع شريرة من طرف رجال فاسدين، يجب أن تعادل حق الكنائس المقدسة وحفظها".

هذا إلى جانب أنه فتح أمام المسيحيين باب الوظائف الحكومية والترقي فيها، ومنح المحاكم الأسقفية امتيازات كبيرة، وأرسل إلى عماله في مختلف الأقاليم يوجههم للمساعدة في إقامة الكنائس وألا يبخلوا بشيء في سبيل ذلك حتى من الخزانة الامبراطورية نفسها، وأرسل قسطنطين رسائل شخصية ومعها بعض الامتيازات والهدايا المالية، وهكذا يتبين أن قسطنطين لم يقف عند حد التسامح معهم بل كان يقدم لهم العون المادي والمعنوي، وهذا ما له أثره الكبير على المسيحيين[2].

ويقول يوسيبيوس عن تنفيذ أوامر قسطنطين[3]:

"هكذا كانت الأوامر التي وجهها الإمبراطور إلينا، تم تنفيذ الأمور المشار إليها في القانون على الفور، كان ذلك انقلاب كامل على سياسة العنف التي ارتكبها الطغاة بقسوة قبل فترة وجيزة، وأولئك الذين تنطبق عليهم تلك الوصايا فقد تمتعوا بخيرات الإمبراطورية".

وهكذا أدرك المسيحيون أن هذا العصر عصر جديد لهم، تنفسوا فيه الصعداء وأحسوا بالأمان الذي افتقدوه في العصور الأولى، فأقاموا عبادتهم دون خوف وشيدوا كنائسهم واحتفلوا بأعيادهم وطقوسهم من غير خوف، ويرجع الفضل في هذا الأمان وتوابعه إلى قسطنطين، ولكن الحقيقة أن هذا العصر وإن كانوا قد شعروا فيه بذلك إلا أنه فتح عليهم بابا من الجدل والمناقشات والاختلافات حول العقائد والنظم اللاهوتية والكنيسة لم تنته إلى الآن[4].

---

[1] Eusebius, **Life of Constantine**, II, 46.

[2] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص225.

[3] Eusebius, **Life of Constantine**, II, 43.

[4] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص226.

ثالثا: مصير الكنيسة بعد الاعتراف بالمسيحية:

1. الدولة وسلطة الكنيسة:

يورد لنا يوسيبيوس رسالة قسطنطين إليه وإلى أساقفة آخرين بخصوص بناء الكنائس وعمليات الترميم وتشييد أخرى جديدة أوسع بمساعدة حكام المقاطعات حيث يقول[1]:

"**من فيكتور قسطنطينوس ماكسيموس أوغسطس إلى يوسيبيوس.**

أخي الحبيب، نظرا لأن سياسة الطغاة قد اضطهدوا خدام مخلصنا حتى الوقت الحاضر، فإنني ومن خلال الملاحظة الدقيقة أصبحت مقتنعا أن جميع مباني الكنيسة إما أصبحت مهجورة بسبب الإهمال، أو بسبب الخوف من الظلم السائد...ولكن الآن مع استعادة الحرية وطرد هذا الشرير (يقصد ليكينيوس) من الإدارة العامة بفضل العناية الإلهية العليا وخدمتنا، فأعتقد أن القوة الإلهية قد أوضحت للجميع أن أولئك الذين بسبب الخوف أو عدم الإيمان سقطوا في الخطايا، فسوف يدركون الحقيقة ويسلكون الطريق الصحيح والحقيقي في الحياة، فالكنائس التي أنت مسؤولا عنها أو تعرف أساقفة الكنائس الأخرى وقساوستها أو الشمامسة ليكونوا مسؤولين محليا عنهم، فذكرهم بالحضور إلى مباني الكنيسة سواء عن طريق ترميم الحالية أو توسيعها أو عند الضرورة بناء كنائس جديدة، ستطلب أنت والآخرين الإمدادات اللازمة من حكام الأقاليم أو الحاكم، فقد وجهت تعليمات للتعاون مع ما تقترحه قداستك. حفظك الله يا أخي العزيز. وقد أرسلت ذلك إلى كل مسؤول عن الكنائس في كل مقاطعة. وتم إرسالها إلى حكام المقاطعات للتصرف وفقا لذلك، وتم تنفيذ الأوامر بسرعة كبيرة".

ساهم مرسوم ميلان في نمو الكنيسة السريع وإضفاء الطابع المؤسسي عليها، مع حرية الدين وحضور التجمعات ورد ممتلكاتها، وأصبحت مؤسسة قوية بمواردها يدعمها الإمبراطور، وأصبحت مسؤولة أكثر فأكثر حين أصبحت في وضع يسمح لها بمساعدة الناس في احتياجاتهم اليومية وتوفير الحماية في أوقات المحنة والتدخل نيابة عنهم في المسائل القانونية[2].

تطورت حكومة الكنيسة تطورا بطيئا خلال القرون الثلاث الأولى، ثم سارت في تطورها بعد ذلك بخطوات سريعة، ففي الواقع أن الاعتراف بالمسيحية كان له نتائج بعيدة الأثر عليها، حيث أخذت الكنيسة تحصل بصفتها راعية المسيحية على امتيازات خاصة من الحكومة الرومانية، ومن هذه الامتيازات

---

[1] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص225.

[2] Dreyer, Wim, **The Amazing growth of the early church**, Theological Studies, Vol 68, 2012, pp5, 6.

حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب، ولم يلبث أن ازداد نفوذ الأساقفة[1] تدريجيا في أقاليمهم بفضل مكانتهم الدينية، وازدادت ثروة الكنيسة واتسعت الفجوة بين رجالها وجمهور المسيحيين، مما أدى إلى اختفاء روح الأخوة والبساطة والمساواة وهي الروح التي ميزت الكنيسة في عصرها الأول[2].

كما أقر قسطنطين تشريعات الكنيسة كقانون إجباري، حيث اعترف عام 318 م بشرعية الأحكام التي تصدرها محاكم الأساقفة في وراثة ممتلكات الشهداء، بشرط ألا يكونوا قد كتبوا وصاياهم لغير الكنيسة، وأعلن يوم الأحد هو يوم الرب، كما اختار شعارا لدولته الصليب الجديد (Labarum) الذي يحمل حرفي كلمة المسيح خريستوس (Christus)، وكان لذلك أثره الإيجابي في توطيد أركان المسيحية[3].

بدأت الكنيسة تأخذ وضعا متميزا في الدولة[4]، وكان ذلك يقتضي التعاون والتفاهم المطلق بين المؤسسة الإمبراطورية والمؤسسة الكنسية، وأن يكون الاتفاق كاملا بين بنود الإيمان التي يعتنقها الإمبراطور وبين إيمان الكنيسة، والملاحظ أن الامتيازات القضائية قد زادت من سلطة الأساقفة ولكنها في نفس الوقت أضافت أعباء ثقيلة لمسؤولياتهم، وأدخلت حياتهم الكثير من المصالح الدنيوية التي شغلتهم عن أعمالهم الأساسية وهي الأعمال الروحانية[5].

---

[1] أصبح للأسقف مكانة اجتماعية مهمة في مدينة الإسكندرية،حيث أصبح يتولى بشكل متزايد الدور الاقتصادي الذي كان يقوم به فيما سبق وجهاء القوم، عندما كانوا يأخذون جزء من ميراثهم حتى يتمكنوا مثلا من تقديم الطعام والتبرعات المالية في أعياد ميلادهم إلى شعب الإسكندرية، وأصبح حق تقديم العطايا من طرف الكنيسة. أنظر:مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص ص284، 285.

[2] رسل برتراند، المرجع السابق، ص 43؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ص46، 47؛

Oldișor Adrian, op.cit, p248.

[3] عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ص34، 35؛ Marcel Simon, André Benoit, **La Conversion...**, p334

[4] حول العلاقة بين الكنيسة والدولة يرى آدم تيبات (Adam Tippett) أنه تم تخفيف الانقسام بين الكنيسة والدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين، وكان هذا التحول واعدا في أن المسيحية قد فازت لصالح الإمبراطور الروماني، ولكن لسوء الحظ ستسبب الآريوسية الفوضى في الكنيسة الأرثوذكسية لمدة ستين عاما، عندما أدانت أخيرا كهرطقة في مجمع القسطنطينية عام 381 م، ولم تكن هي الهرطقة الوحيدة داخل الإمبراطورية فكانت أخطر منها الدوناتية.

كان قسطنطين ممثلا للدولة الرومانية قد اعتبر نفسه مؤهلا قانونيا للتدخل في الشؤون الدينية، علاوة على ذلك اعتقد أن واجبه هو قيادة الرجال إلى الله ومن ثم حضوره الى مجلس نيقية في عام 325 م، وعلى الرغم من أنه أصيب بخيبة أمل من نتيجته إلا أن إنجازه كان هذا المجلس لأن الكنيسة والدولة قد تم تقريبهما أكثر من أي وقت مضى. أنظر:Adam Tippett, op.cit, p9

[5] يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص ص160، 109؛ عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص32؛

Oldișor Adrian, op.cit, p255.

2. الانشقاق الديني والعقائدي:

أ. بوادر الانقسام والمسألة الآريوسية:

بزوال الاضطهاد وحلول السلام بدأت الكنيسة تشهد صراعا عقائديا كاد أن يهدد وجودها بل وأحدث انقساما شاسعا بين معتنقيها قضى على فكرة الكنيسة الواحدة لكل المسيحيين، وكانت أولى المشكلات هو الجدل الذي نشب بين رجال كنيسة الإسكندرية حول "خلق السيد المسيح"[1]، كما أحدث الاضطهاد خللا واضحا في صفوف المسيحيين، فالذين ارتدوا عن عقيدتهم خوفا من العقاب هؤلاء سوف يعودون للمسيحية مرة أخرى عقب انتهاء الاضطهاد، وهذا سوف يكون له تأثير قوي في الخلافات، والتي ستساهم بدورها في توسيع النزاع وإحداث الانشقاق الديني [2].

ترجع جذور الانشقاق إلى مخلفات عصر اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين- كما أسلفنا ذكره سابقا-[3]، فقد أعلن ميليتيوس أسقف أسيوط اعتراضه على التسامح الذي قام به القديس بطرس أسقف الإسكندرية نحو المسيحيين الذين كفروا إبان الاضطهاد ثم عادوا إلى التوبة، وانشق ميليتوس مكونا جماعة له كان أحد أعضائها[4] **آريوس**[5].

والواقع أن الانشقاق الديني الذي وقع داخل الكنيسة المصرية لم يكن الأول في تاريخ المسيحية، ولكن في عصر الخوف والترقب لم يجرؤ المسيحيون على إظهار خلافهم وانقسامهم في الرأي، لأنهم في ذلك الوقت كانوا في أشد الحاجة إلى تماسكهم، ولم يكن معنى ذلك أنه لم توجد بين المسيحيين خلافات

---

[1] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص 42؛ السيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية...**، ص437.

[2] حسين الشيخ، **المصريون والرومان...**، ص215.

[3] أنظر الفصل الرابع: الارتداد والانقسام الميليتي ص277.

[4] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية...**، ص439.

[5] **آريوس**: من أصل ليبي ولد سنة 256 م، تعلم في أنطاكية على يد معلمه لوقيانوس الذي كان كاهنا في كنيسة أنطاكية ولعب دورا كبيرا في تقدم اللاهوت في المدرسة بها، إذ أن آريوس بعد أن حصل على العلوم العقلية في الإسكندرية لم يجد ما يشبع رغبته لذلك توجه إلى أنطاكية لميله إلى التفسير النصي والبراهين، ثم أصبح أحد رجال الكنيسة في الإسكندرية حيث عين شماسا عام 310 م ثم رقي عام 313 م إلى مرتبة قسيس، ويبدو أنه كان على جانب كبير من الطموح وقوة الشخصية وحدة العقل، ونظرا لتعلمه في مدرسة أنطاكية المسيحية، والتي كانت تسود فيها فلسفة أوريجين الدينية ومتشبعة بالفلسفة الأفلاطونية، فقد بقي محافظا على تعاليم هذه المدرسة وأخذ يطبقها ويمارسها في الإسكندرية بصورة متطرفة، وسرعان ما صاغ آراء مستقلة في العقيدة المسيحية تختلف عن العقائد السائدة. أنظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية...**، ص248؛ عبد الباقي السيد عبد الهادى، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2016، ص17.

في الرأي قبل قسطنطين، فهناك الخلاف الذي حدث بين أوريجين وأسقف الإسكندرية ديمتريوس، إذ حاول الأول أن يوفق بين المسيحية والفلسفة الإغريقية القديمة، فقام بتفسير سفر التكوين على أساس فلسفة أفلاطون القائمة على ثنائية العقل والمادة فاعتبروه متطرفا، وكذا انقسام الكنيسة بشأن المرتدين في عصر الاضطهاد، ولكن المسيحيين في ذلك الوقت كانوا يبقون هذه الانقسامات في نطاق ضيق دون أن تتحول إلى خلافات جماعية[1].

فكانت مشكلة تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الأب من المشاكل الكبرى التي قسمت المسيحيين والكنيسة وبالتالي العالم الروماني إلى معسكرين[2] ، فحدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد هذه العلاقة هما آريوس وأثناسيوس، وترتب عن ذلك انقسام أتباعهما إلى مجموعتين الأولى وهي التي تناصر آريوس وأطلق عليها "الآريوسية" والمجموعة الأخرى وهي التي تناصر أثناسيوس وأطلق عليها "الأثناسيوسية"[3].

يذكر ولتر[4] أن الآريوسية تعد من بين كل الانشقاقات التي هددت حتى فترة الإصلاح الديني ووحدة العالم المسيحي، ففي المقام الأول من حيث قوتها واتساعها، فقد كانت أكثر من بدعة فكانت كنيسة مستقلة كبرى مع أساقفة ولاهوتيين ومجامع خاصة، ويضيف أنها خطيرة بوجه خاص بفعل توفيقها الفلسفي- الديني الحاذق وحماس أنصارها.

أما إيريني أرتمي[5] (Eirini Artemi) فتذكر أن الآريوسية ظهرت كعدو للدين المسيحي، وكانت

---

[1] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص104؛ مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص248.

[2] لقد ثارت هذه المسألة قبل ذلك، حيث اشتغل اللاهوتيون بالمسألة المتصلة بجوهر يسوع والثالوث: العلاقة بين الأب والابن والروح القدس، ورأى المفكر المسيحي الإسكندري أوريجين أن يسوع هو ابن إله وهو نفسه إله وأن الإله الأب قد خلق الروح القدس عبر المسيح، ثم دعا أوريجين بكلمة دخلت بعد ذلك العقيدة وهي "أقانيم"، وكان ترتليان أول من أدخل مفهوم الثالوث إلى اللغة اللاتينية (Trinitas)، ويعني هذا المفهوم وحدة الأقانيم الثلاث: الأب والابن والروح القدس المنبثق من الأب عبر المسيح، وقد أعلن الأرثوذكسيين وحدة الإله في ثلاثة وجوه، ولكن الجدال حول جوهر المسيح وعلاقته اتجاه الأب تواصل على امتداد القرن 3 م، وحسب يوسيبيوس أن بولس السميسطائي من سوريا لم يقر إلا بالطبيعة البشرية ليسوع، ولم تندثر أفكاره، ففي القرن 4 م أعلن آريوس عن تعاليمه التي تقول: "**إن الإله واحد أحد خلق كل شيء وأن المسيح نفسه مخلوق**"، فشاعت أفكاره وتعاليمه فيما بعد ومنها مثلا في أوساط عدد من القبائل الجرمانية. أنظر: إ.س.سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص258.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص39؛ محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص78.

[4] ج. ويلتر، **الهرطقة في المسيحية–تاريخ البدع الدينية المسيحية–**، تر جمال سالم،دار التنوير، بيروت، 2007، ص ص76، 80.

[5] Eirini Artemi, Emperor **Constantine and the theology of christianity from his autocracy**

أعظم البدع داخل الكنيسة الأولى التي طورت أتباعا مهمين، فكان على قسطنطين أن يجد حلا لهذه المشكلة الكنسية التي تمثل خطرا على وحدة الإمبراطورية وتهدد الاستقرار الاجتماعي، ورأى أنه من واجبه ضمان أن يعبد الله بشكل صحيح في إمبراطوريته، وأن العبادة الصحيحة ستحددها الكنيسة، من وجهة نظر آريوس كان من المستحيل عدم وجود إله إلا الأب، الأب وحده هو الله، كان الابن أول وأكبر ما خلقه الله وكان أقرب إلى الله من الآخرين، وبقية الخلق مرتبطة بالله من خلال الابن، من خلال ذلك اعتقد آريوس أنه يدافع عن الحقيقة الأساسية المتمثلة في أن هناك إله واحد فقط – التوحيد-.

ب. الجدل حول طبيعة المسيح:

بمجرد توقف الخلافات مع الوثنيين نجد مسيحيي مصر والإسكندرية مقسمين إلى حزبين حول مسألة ما إذا كان الابن من نفس المادة أو فقط من مادة مماثلة[1]، فجر آريوس هذا الخلاف في عام 318 م، حيث أنكر الإيمان بالثالوث موضحا أن الابن والروح القدس من خلق الأب فكيف يوجدان مع وجوده ويتساويان معه؟ وعرفت بالنظرية الآريوسية (Ariusism)، وفي الحال رد عليه أثناسيوس شماس الإسكندرية الذي تمسك بالثالوث كرب واحد، وأن للمسيح طبيعة واحدة هي ربانية، ورفض آريوس بأن للمسيح طبيعتين واحدة بشرية وهي "الناسوت" وأخرى ربانية وهي "اللاهوت"، في حين تمسك أنصار أثناسيوس بوحدانية طبيعة المسيح ولذا عرفوا باسم[2] المونوفيسيون (Monophysite)[3] .

إذن الخلاف يدور حول ما أنكره آريوس حول ألوهية المسيح، وأنه مادام ابن الله فلابد وأن يكون أقل منه شأنا وأدنى منزلة، وإذا كان الخلود هو صفة الله الذي لا أول له ولا آخر فإن المسيح لا يعد خالدا لأنه له بداية ولهذا فليس المسيح إلها، في حين قال أثناسيوس بأن الابن مساو تماما للإله الأب في المكانة والمنزلة والقدرة بحكم أنهما من عنصر واحد، وأن فكرة الثالوث المقدس: الأب والابن والروح تدعو إلى اعتبار المسيح إلها لا يقل شأنا عن الإله الأب[4]، وكان يقصد آريوس من ذلك تأييد وحدانية

---

autocracy to the second ecumenical council, International conference commemorating the 1700th Anniversary of the Edict Milan, 31/5/2013- 2/6/2013, Nis of Serbia, 2013, p3.

[1] Samuel Sharpe, op.cit, p142.

[2] أحمد غانم حافظ أحمد، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص122؛ Jonathan McCracken, op.cit, p4.

[3] أتباع الطبيعة الواحدة للسيد المسيح يدعون ب" المونوفستيين" والمشتقة من لفظة (Mono) بمعنى واحد و (Physics) بمعنى طبيعة، وأتباع الطبيعة المزدوجة للسيد المسيح يطلق عليهم "الديوفوستيين" والمشتقة من لفظ (Dyo) بمعنى ثنائي أو مزدوج وكلمة (Physics) بمعنى طبيعة. أنظر: مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص282.

[4] محمد محمد مرسى الشيخ، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص ص20، 21.

الله وأن ألوهية المسيح ثانوية، وبذلك تم تجريد المسيح من صفاته بأنه منقذ العالم ومحى بذلك فكرة الخلاص (Redemption) التي اعتبرتها المسيحية فكرة أساسية في العقيدة[1].

انطلق آريوس من موقف أفلاطوني وهو أن الإله وجود دائم ولا يمكن إدراكه، ثم استنتج من ذلك نتيجة منطقية في أن الابن لا يمكن أن يكون إلها بنفس المعنى، ولذلك يلزم منطقيا أن وجوده كان لاحقا لوجوده، وأن "الأب" لا يقبل الانقسام فلابد أن الابن خلق من العدم، مثل هذه الآراء صدمت رجال الكنيسة في الإسكندرية الذين كانوا يعتقدون أن الابن مثل الأب قديم ودائم وأنهما من طبيعة واحدة[2].

ويمكن تلخيص ذلك في التقسيم التالي:

1 أطروحة أثناسيوس حول طبيعة المسيح

قال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم أن يكون الإبن مساويا للإله الأب تماما وفي كل شيء، وذلك يحتم أنهما من عنصر واحد بعينه وإن كانا شخصين متميزين.

اعتمد على مكانة المسيح وأدرك أن أي اتجاه نحو التقليل من مركزه يؤدي لإضعاف الدعوة المسيحية، وهكذا كان أنصار مذهب آريوس من الموحدين أصحاب الطبيعة الواحدة.

لاقت دعوته استجابة في الشطر الغربي من الإمبراطورية وتمثله كنيسة روما.

2 أطروحة آريوس حول طبيعة المسيح

قال أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح مخلوق للإله الأب، فهو إذن يميزه ولا يمكن أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة.

يصبح المسيح مخلوق لا إله، وبالتالي يكون المسيحيون متهمون بعدم التوحيد وعبادة إلهين.

لاقت دعوته استجابة في الشطر الشرقي من الإمبراطورية وتمثله كنيسة القسطنطينية .

من الواضح أن المذهب الآريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من

---

[1] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص ص42، 43.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص249.

البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم، فضلا أن معظم المفكرين والفلاسفة والمثقفين عامة كانوا آريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين[1]

ولاقت عقيدة آريوس على النحو الذي رأيناه رواجا كبيرا في الدوائر الكنسية في فلسطين وسوريا وآسيا، وزاد من قوة آريوس انضمام أساقفة من ذوي الشهرة والمكانة إلى صفه مثل يوسيبيوس النيقوميدي وباولينوس أسقف صور ويوسيبيوس أسقف قيصرية وغيرهم، لذلك أحست كنيسة الإسكندرية بالخطر فأخذت تحاربها وتحاول القضاء عليها، واشتد الجدل والمناقشة بين آريوس وأتباعه وبين المؤيدين لكنيسة الإسكندرية حتى انتشر الجدل بين المسيحيين [2].

يعتبر ما حدث بين آريوس وأثناسيوس من أشهر الانقسامات، فآريوس كانت نظرته إلى الدين نظرة فلسفية وخرج بنظريته الثورية، بناء على ألوهية الأب وإنسانية الابن، وقد كانت له كتابات ورسائل في إثبات وجهات نظره والدعوة لها، ولكن نظرا لانهزام مذهبه أمام كنيسة الإسكندرية وغيرها بزعامة القديس أثناسيوس فقد هلكت كتاباته واعتبر مذهبه **هرطقة**[3] وإلحادا[4]، وأصلا الآريوسية عرفت أساسا في تاريخ الفرق المسيحية عن طريق أعدائها الذين حاربوها بعنف واعتبروها هرطقة وبدعة دينية، فإن هذا يكفي لاعتبارها من جملة الفرق الموحدة رغم ما علق بتوحيدها من مآخذ وأخطاء[5] .

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص40؛ حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص45.

[2] أحمد علي عجيبة، المرجع سابق، ص272.

[3] **الهرطقة**: هو لقب تطلقه الكنائس المسيحية المختلفة عن كل من خالفها في المعتقد من الفرق والمذاهب المسيحية. أنظر: منقذ محمود السقار، **هل التثليث عقيدة المسيح أم عقيدة المجامع– مناظرة مع القس رأفت مشرقي راعي الكنيسة العربية في فيينا–**، دار الإسلام ، د.م، 2013، ص8.

[4] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص302.

[5] أحمد عبد الوهاب، **طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون**، ط1، مكتبة وهبة، د.م، 1980، ص ص11، 16.

ج. إقامة المجامع:

1- مجمع الإسكندرية 319-320 م:

انتشرت الآريوسية بسرعة فائقة مما أدى إلى الانشقاق في كنيسة الإسكندرية فأصبح جزء من الشعب يساند أسقف المدينة ألكسندر والجزء الآخر مع آريوس، ثم انتشر هذا الانشقاق في أغلب الكنائس، أراد ألكسندر حل المسألة وديا في بادئ الأمر، فحاول إقناع آريوس باستقامة تعاليم الكنيسة، وشرح وفصّل له دور الابن وعلاقته بالأب ولكن آريوس يرفض ويتهمه بخطأ عقيدته وتفكيره، فدعى ألكسندر أساقفة مصر وليبيا إلى مجمع الإسكندرية[1].

عقد هذا المجمع عام 319-320 م وشهده قساوسة مصر وليبيا، وكان برئاسة إسكندر ومستشاره أثناسيوس وذلك لمناقشة آراء آريوس، فكان الهجوم الأول للأغلبية من مسيحيي الإسكندرية ضد آريوس وجرت أول اشتباكات في المدينة، وفي النهاية تمت إدانته وقرروا حرمانه من الكنيسة بل وطردوه من مصر، كما تقرر حرمان جميع القساوسة الذين أيدوا أفكاره، ولم ييأس آريوس واتجه نحو فلسطين ومنها إلى نيقوميديا حيث يوجد صديقه يوسيبيوس،[2] الذي كان يحتل مركزا مرموقا في القصر الامبراطوري وشكى له ما وقع به وبرفاقه من اضطهاد على يد إسكندر بطريرك الإسكندرية، ثم عاد آريوس ثانية وعم السخط والاضطراب، وعقد أنصار الفريقين العديد من الاجتماعات للإصلاح ولكن أسفرت في النهاية عن تعميق هوة الخلاف والنزاع [3]، لاسيما أن آريوس واصل نشر مذهبه واجتهد وأتباعه لاجتذاب العامة إلى جانبه، وقد أصدر لهذا رسائل وألف أناشيد وأغاني يشرح فيها معالم مذهبه، وانتشرت بين الجماهير وعمال الميناء والبحارة، فوقعت المشاجرات بين الناس في الإسكندرية التي

---

[1] ميشال الأبرص، أنطوان عرب، **المجمع المسكوني الأول 325 م**، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، 1997، ص ص117، 120، 130.

[2] كان آريوس زميلا ليوسيبيوس أسقف نيقوميديا الذي تولى زعامة الفريق الآريوسي بعد وفاة آريوس سنة 336 م، وكان من البديهي أن تنتشر دعوة آريوس القائلة بخلق المسيح وتلاقي رواجا كبيرا في الأوساط السورية ومنطقة آسيا الصغرى، التي برز فيها تأثير المدرسة الأنطاكية العقلانية دون أن تحظى دعوته بمثل هذا الرواج في الإسكندرية التي ينتمي إليها، وكان يوسيبيوس تأثير كبير على ليكينيوس وزوجته ثم فيما بعد على قسطنطين وابنه، وسيلعب دورا مهما في مجمع نيقية. أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص57؛ ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص131.

[3] Charles Hefele, **History of the councils of the church- to the close of the council of Nicaea 325 A.D-**, Vol. 1, books for the ages software, USA, 1997, pp214, 215 ;

مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص280؛ ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص57، 59.

اشتهرت بشدة تأثرها وكثرة اضطراباتها[1].

وهذا خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا ضد الآريوسيين من طرف أثناسيوس يقول فيه[2]:

" لن نجني فائدة حينما نفعل الصواب من ناحية ونحن نفعل الخطأ من ناحية أخرى، إن كانوا يفعلون هذا عن جهل فيجب أن يتهموا بالتهور، لأنهم يدافعون عن أمور لا يعرفونها، وإن كانوا يدعون المعرفة فإدانتهم أعظم... هم يدافعون عن أولئك الذين أتهموا بالهرطقة، ويقدمون شواهد من الكتاب المقدس.

إن هذا يعد الآن اختلاسا جليا وطابعا مليئا بالإثم، ولهذا فإني لعلى يقين أن تقواكم لسوف تكون على دراية سريعة بهذا الأمر وذلك من خلال الشروحات الآتية. لا يوجد أحد متهم بالزنى يدافع عن نفسه بأنه بريء من الاختلاس، أو إنسان رفعت عليه دعوى بتهمة القتل يدافع عن نفسه قائلا: إني لم أشهد بالزور، ولكني احتفظت بالوديعة التي ائتمنت عليها. هذه الردود أشبه ما يقوله الأطفال أثناء اللعب، فعوضا عن دحض التهمة وإقرار الحق نراهم يتحدثون عن أمور لا علاقة لها بموضوعنا، لأنه ما علاقة القاتل بالوديعة والزاني بالاختلاس؟ حقا إن الجرائم لها علاقة مع بعضها البعض، من حيث أنها صادرة عن القلب الشرير ذاته؛ بيد أنه عند دحض أحد الجرائم بمفردها تنقطع صلتها بباقي الجرائم...ولكن إن كان يجب أن يتم كل شيء حسب القانون والعدالة، فيجب على الإنسان أن يدافع عن نفسه في التهم الموجهة ضده، وعليه إما أن يفندها أو أن يعترف بها، واعدا أنه سيكف عن فعل هذا مرة أخرى، ولكن إن كان مذنبا بارتكاب جريمة لم يعترف ولكن يخفي الحقيقة، يتحدث عن نقاط أخرى بدلا من التهمة الرئيسية، ويبين بوضوح أنه قد تصرف بطريقة خاطئة بل بالأحرى أنه كان غير واعيا بجرمه.

فما الحاجة الآن للكلام طالما أن هؤلاء هم أنفسهم المدانون بهرطقة آريوس؟ حيث إنه ليس من الجرأة ليتكلموا علانية، إذ يتعمدون إخفاء تعبيراتهم المجدفة لأنهم يدركون كل الإدراك بأن هذه الهرطقة هي منفصلة وغريبة عن الحقيقة، ولهذا ما داموا يكتمون هذا الأمر، ويخافون أن يتكلموا، فقد وضعت علي الضرورة أن أنزع الستار عن عدم تقواهم وأن أفضح هرطقتهم هذه للرأي العام، مع علمي بإقرار الإيمان الذي كتبه من قبل أتباع آريوس، وكيف طردوا من الكنيسة

---

[1] السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص45.

[2] ريمون يوسف رزق، **خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا ضد الآريوسيين للقديس أثناسيوس الرسولي**، مجلة مدرسة الإسكندرية، العدد 3، السنة الرابعة، 2012، ص ص11، 12.

خارجا وجردوا من الإكليروس. ولكن ينبغي علي هنا أن أطلب الصفح عن كلماتي التي على وشك أن أنطق بها حين أستخدمها، ليس لأن اعتقادي هو هكذا بل من أجل إدانة الهراطقة".

كما هب ألكسندر للدفاع عن موقفه وعن الإيمان وكتب رسائل إلى عدد من الأساقفة خارج مصر معلنا وحدة الكنيسة، ويخبرهم عن آريوس ورأيه بخصوص آرائه الخاطئة وإدانتها، وطالبا دعمهم في الموضوع، كما يحذرهم إذا ما دخل أتباعه إلى أراضيهم، فكتب رسالة إلى ألكسندر أسقف تسالونيكي أو ألكسندر أسقف بيزنطة يستعرض فيها تعاليم آريوس ويستخلص نتائجها فيما يخص التجسد [1]:

"يقول(الآريوسيون) إن الله خلق كل الأشياء من العدم، ويضمون إليها أيضا ابن الله لأنهم يعتبرونه بمثابة مخلوق مثل سائر الكائنات المخلوقة العقلية وغيرها؛ وبالتالي فهم يقولون أن طبيعته متحولة قادرة على اكتساب الفضائل كما على ارتكاب النقائص، وبهذا الطرح أي أنه مخلوق من العدم، فإنهم يرفضون الكتب الإلهية التي تؤكد كيان اللوغوس دائم الوجود وأنه غير متحول ونؤكد ألوهية حكمة اللوغوس أي ألوهية المسيح، ويقول أولئك الكفرة إننا نحن أيضا نستطيع أن نصبح أبناء الله مثله لأنه مكتوب "ولدت أبناء وربيتهم" (إشعياء 2:1)، ولكن إذا ما قابلوها بالكلمات التي تتبع مباشرة لمنهم ازدروني"، وهذا مستحيل بالنسبة للمخلص الذي هو بطبيعته غير متحول؛ كما أنهم يؤكدون بكل خفة أن الله إنما اختاره من بين الجميع، لأنه عارف بفعل معرفته المسبقة أن الابن لن يزدريه ولم يختره لأن في طبيعته شيئا ساميا مختلفا عن الآخرين، بل إنهم يعتبرونه بالأحرى ذا طبيعة متغيرة، ولكن بفضل عيشته الصالحة –وهي قابلة للتحول– وبفضل نسكه لم يتحول إلى الشر، لهذا اختاره الله".

فلما اشتد الجدل وتفاقم النزاع بين الطرفين خشي الإمبراطور قسطنطين أن يؤثر ذلك على وحدة الإمبراطورية، فحاول أن يوفق بين المذهبين وأرسل مبعوثا وصديقا قديما له هو الأسقف من إسبانيا هوسيوس (Hosius) إلى الإسكندرية لهذا الغرض ومعه رسالة إلى كل منهما للوصول إلى حل مرضي[2]، داعيا إياهم لتسوية ما بينهما من خلافات يرى الإمبراطور أنها خلافات لا أهمية لها وتهدد بتقسيم العالم المسيحي كله، إن هذا الخطاب الذي أرسله تعددت الآراء حوله، بحيث يعتبره البعض مثالا لإدراكه والبعض الآخر يعتبره برهانا على الجهل المطلق[3]، هذا الخطاب جدير بأن نقتبس بعض فقراته من

---

[1] ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص117، 118، 131.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص40؛ ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص59؛ ج.م. هسى، **العالم البيزنطي**، تقديم وترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد، ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.م، 1997، ص76.

[3] جون مارلو، **العصر الذهبي للإسكندرية**، تر نسيم مجلى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص273.

المسيحي سقراط[1] حيث يقول[2]:

" ...لم يكن من الضروري من البداية إثارة هذا السؤال أو الإجابة عليه، لأن هذه الأسئلة لا تستند إلى قانون وولدت من وقت الفراغ، فيجب أن تبقى سرية ولا تقترح أبدا على الناس، كم من الناس قادرون على فهم هذا الموضوع الصعب أو شرحه بجدارة؟ وعندما يمكن أحدهم أن يفهم ذلك أو يشرحه، فهل يأمل أن يسمعها الناس وألا يتعرض لخطر الوقوع في الخطأ بمحاولة تجاوز هذه الصعوبات الغامضة؟، لذلك يجب على المرء أن يبق صامتا بشأن هذه الأسئلة خشية الوقوع في ثرثرة.. ولا يكفي ذلك لفهم المستمعين، فأنتم لم تحددوا سببا للخلاف يستند على أي قاعدة هامة من القانون ولم تقدموا أي مبادئ جديدة تخص عبادة الله، أنتما لديكما نفس الأفكار ومن السهل لكما العودة إلى نفس المجموعة، ليس من العدل ولا الصدق أن تتنافسا بعناد على مسألة جد قليلة الأهمية، أنتما تسيئان استخدام السلطة التي تملكانها على الناس لإشراكهم في خلافاتكما. إذا اسمحا لي أن أضرب مثالا صغيرا لإشعاركما بواجبكم، فأنتما تعلمان أنه على الرغم من أن الفلاسفة معروفون جميعا بالبحث عن الحقيقة فإنهم لا يتفقون مع بعضهم البعض ويتطرقون إلى عدة نقاط إلا أن الاختلافات التي لديهم لا تمنعهم من الاتحاد في السعي لتحقيق نفس الهدف. أليس من الصح أنتم كهنة الله أن تظلوا متحدين في مهنة لنفس الدين؟. دعونا نتفحص وأدعوكم لمزيد من الاهتمام الخاص بما قلته، هل من الصواب أن يقف الإخوة ضد الإخوة في معركة عقيمة للكلمات التي شاركتم فيها؟ وندعو إلى اجتماع مقدس للمؤمنين لخلافات غير هامة؟..."

هذا التوبيخ لم يكن له تأثير على أي من الطرفين لأجل تسوية هذه المسألة التي كانت تثير الغضب في جميع أنحاء الإمبراطورية الشرقية آنذاك[3]، وجهود الإمبراطور لم تكلل بالنجاح، واكتشف أسقفه هوسيوس أن الموضوع أهم وأعمق مما تصوره الإمبراطور، فالمسألة جد خطيرة وتتعلق بجوهر العقيدة المسيحية، كما أنه لم يدرك أهمية النزاع العقائدي وصلته بألوهية المسيح، ولا شك في ذلك فإن معظم أساقفة الغرب كانوا لايزالون بعيدين عن تفهم هذه الأمور لقلة تضلعهم في الفلسفة واللاهوت، ولذلك جاء بنفسه إلى الإسكندرية، ولما عاد إلى نيقوميديا شرح الوضع للإمبراطور وأظهر له أبعاد

---

[1] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية**...، ص441.

[2] Socrates**, History of the church**, from the accession of Constantine A.D 305 to The 38 The year of the Theodosius II, including a period of 140 years, Jhon Childs and Son, Bungay, London, 1853, I, VII.

[3] جون مارلو، المرجع السابق، ص273؛ Nicola Rose Holm, BA Hons I, op.cit, p72

القضية، لذلك دعا قسطنطين إلى عقد مجمع ديني لحسم الخلاف في نيقية سنة 325 م[1].

2- مجمع نيقية 325 م:

1.2. مجريات المجمع:

اضطر قسطنطين إلى عقد مجمع[2] **نيقية**[3]، الذي يعتبر أول وأهم المجامع الكنسية[4]، وهذه المجامع هي التي كونت الديانة المسيحية ووضعت أهم أسسها، وهي التي حاربت التوحيد عن طريق قراراتها، وترجع أهمية هذه المجامع أنها تبرز العوامل التي ساهمت في بناء العقيدة ونشرها، وكيف انفصلت جغرافية الكنيسة إلى شرقية وغربية وكيف انفصلت عقائديا إلى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية[5].

اعتبر قسطنطين نفسه مسؤولا عن الكنيسة ووحدتها، فقد جعل الوحدة شعارا وهدفا، واعتبر تفرق الكنيسة لا يفيد الدولة إن لم يضر بها، فنصب نفسه رئيسا فخريا في المجمع وفيصلا في المنازعات الدينية، والواقع أنه كان شديد الاقتناع بأنه من السهل أن يؤدي الشقاق الديني إلى اضطراب داخلي، بل ربما يؤدي إلى وقوع الحرب ذاتها، ولهذا دعا قسطنطين إلى عقد مجمع ديني لينظر في هذه المشكلة[6].

وتعتبر مسألة اتفاق الأب والابن في المادة لا مجرد تشابهما في نظر الكنيسة مسألة حيوية من الوجهتين الدينية والسياسية، وكانت ترى إن لم يكن المسيح إلها فإن كيان العقيدة المسيحية كلها سيتصدع، وإذا

---

(1) أسد رستم، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى 34-634 م**، ج1، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1988، ص197؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص40؛ ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ، ص144.

(2) جاريث ب.ماثيوز، **أوغسطين**، تر جاريث ب. ماثيوز، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص8.

(3) **نيقية**: تعتبر نيقية ثاني المدن في بثينيا بعد نيقوميديا مقر الإمبراطور، وتدعى اليوم إيزنيك (Isnik)، وهي قرية في تركيا في الطرف الشرقي لبحيرة اسكانيوس، تأسست في نهاية القرن 4 ق.م على يد أنتيغون ابن فيليبس وسماها على اسمه أنتيغونيا، وعندما احتلها ملك مقدونيا ليزيماك أراد إعطاءها أهمية أكبر وأسكن فيها عددا كبيرا من الشعب وأهداها لزوجته وسماها باسمها نيقية، وقد كانت مدينة تجارية سهلة الوصول إليها. أنظر: ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص146.

(4) لقد توالت انعقاد المجامع المسكونية لفض الخلافات الدينية التي دارت بين الطوائف المسيحية حول طبيعة المسيح وما قد ينشأ من مشكلات أخرى، وكان أهم هذه المجامع هو مجمع القسطنطينية عام 381 م ومجمع أفسوس الأول سنة 431 م ومجمع خلقيدونية سنة 451 م، ولقد كان مجمع أفسوس الأول وخلقيدونية أهم هذه المجامع في تفسير الأحداث الدينية في تلك الفترة، وانتهى المجمع الأول إلى تقرير فكرة مؤداها أن المسيح من طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأن العذراء ولدت إلها، أما المجمع الثاني وهو مجمع خلقيدونية فقد اتخذ المجتمعون قرارا يقول بالطبيعتين والمشيئتين، وقد ظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية. أنظر: حربي عباس عطيتو، المرجع السابق، ص ص45، 46.

(5) محمد إبراهيم كركور، المرجع السابق، ص239.

(6) محمد محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص21.

سمح بالاختلاف حول هذا الموضوع فإن فوضى العقائد قد تقضي على وحدة الكنيسة وسلطانها[1].

دعا الإمبراطور قسطنطين في صيف 325 م إلى عقد مجمع **مسكوني**[2] للكنيسة بمدينة نيقية[3] في بيثينيا على الساحل الآسيوي لبحر مرمرة، كان هذا أول مجمع عام تعقده الكنيسة المسيحية وقد حضره الإمبراطور وحوالي 318 أسقفا [أنظر: **الصورة رقم 29**]، كانوا أساسا من الأقاليم الشرقية وبرفقتهم عدد كبير من الشمامسة، ولم يحضر الاجتماع سلفستر أسقف روما، وأرسل اثنين من المندوبين، وكان وفد مصر وقورينا واحدا من أقوى الوفود، كان يتكون من 20 أسقفا يقودهم البطريرك إسكندر، ويرافقه عدد كبير من الشمامسة منهم أثناسيوس الذي كان موضع ثقته ومعاونه الرئيسي في المجمع[4].

وكان من بين الحضور قديسون حملوا سمات الاضطهاد الأخير من تعذيب في أجسادهم أمثال بولس أسقف قيصرية، وكان مشلول اليدين حيث أحرق بالحديد الساخن في عهد ليكينيوس، وبافنوس الراهب المصري تلميذ الأنبا أنطونويس أسقف طيبة العليا الذي فقئت إحدى عينيه وبوتامون أسقف هيراكليا، وكان من آباء المجمع أشخاص عرفوا بحكمتهم وثقافتهم نذكر منهم إضافة إلى ألكسندر أفستاسيوس أسقف أنطاكية ومكاريوس أسقف أورشليم ومركلوس أسقف أنقرة ونيقولاوس أسقف ميرا في ليكيا وسبيريدونيس أسقف قبرص ولاونديوس أسقف قيصرية الذي كانت لديه موهبة النبوءة[5].

---

(1) ول ديورانت، المرجع السابق، ص394.

(2) **مسكونية المجامع**: فإذا أخذنا التحديد الحالي المذكور في القانون الغربي القديم 1917 م وجدنا مفهومها ما يلي: "يدعو البابا إلى مجمع مسكوني ويترأس جلساته، يجمع أساقفة وسلطات أخرى تمثل الكنيسة الكاثوليكية العالمية"، أما مجامع الكنيسة القديمة لم يدع إليها البابا بل فرضها الأباطرة، وبذلك يبقى مفهوم المسكونية مفهوم ملتبس وليس هناك معيار ثابت ولا تحديد معين للمسكونية، وقد ظهرت كلمة مسكوني لأول مرة على ما يبدو في رسالة مجمع القسطنطينية 382 م، وفيها يصف الآباء المجمع بأنه مسكوني، ولكن ابتداء من القرن 11 م تستعمل النصوص كلمة "مجمع عالمي"، ويمكن أن نختصر معيار المسكونية بالشروط التالية: أن تكون الدعوة عامة إلى المجمع، أن يكون التمثيل عالميا، أن تكون تعاليم هذا المجمع مطابقة للكتاب المقدس وأن تنال القبول والموافقة من قبل الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية، وإن حصل أن وجد بعض المعارضين أو المنشقين فذلك لا يعني عدم مسكونيته. أنظر: ميشال أبرص، أنطوان عرب، **مدخل إلى المجامع المسكونية**، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، 1996، ص 67-70.

(3) حددت أنقرة أولا كمكان لعقد المجمع، ولكنها ما لبثت أن عدلت إلى نيقية لأن مناخها ألطف من أنقرة، كما أنها أقرب إلى نيقوميديا مقر حكم الإمبراطور، وكذلك حتى يتمكن أساقفة إيطاليا وباقي كنائس أوروبا من حضور المجمع. أنظر: ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص59؛ أسد رستم، المرجع السابق، ص199.

(4) جون مارلو، المرجع السابق، ص274؛ صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص44؛ Charles Hefele, op.cit, p228

(5) ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص152.

1. ألكسندر أسقف الإسكندرية
2. نيقولاوس أسقف ميرا
3. سبيريدونيس أسقف قبرص
4. الإمبراطور قسطنطين الأول
5. الاسم غير واضح
6. أفستاسيوس أسقف أنطاكية
7. هوسيوس أسقف إسبانيا
8. الشماس أثناسيوس

الصورة رقم 29: بعض أساقفة مجمع نيقية ويتوسطهم الإمبراطور قسطنطين الأول.

ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص199.

ويقول يوسيبيوس في وصفه لجو المجمع والمجتمعين[1]: [أنظر **الصورة رقم 30**] .

"في اليوم الذي عقد فيه المجمع، والذي كان عليه التوصل إلى حل للقضايا محل النزاع، كان كل واحد حاضرا للقيام بذلك في قاعة القصر العميقة، والتي بدت أنها تتجاوز الباقي في الحجم، تم وضع العديد من مقاعد الجلوس على جانبي القاعة،...وعندما احتل الجميع مقاعدهم المناسبة ساد الصمت عليهم جميعا، حيث كانوا ينتظرون وصول الإمبراطور، جاءت إحدى جماعات الإمبراطور ثم الثانية ثم الثالثة. بينما قاد آخرون الطريق،ليس بعض الجنود والحراس المعتادين ولكن من أصدقائه المخلصين، وقف الجميع عند الإشارة المعلنة لدخول الإمبراطور؛ تقدم هو أخيرا وسط الاجتماع مثل ملاك سماوي من الله، يلبس عباءة تلمع كأنها تشع منها أشعة النور مع إشراقة من رداء أرجواني ومزخرف ببراعة من الذهب والأحجار الكريمة، كان هذا مظهره الخارجي، أما بالنسبة لداخله فقد كان مزينا بشكل واضح بالوقار والخوف من الله...عندما وصل إلى الطرف العلوي من

[1] Eusebius, **Life of Constantine**, III, X, 1-5.

صفوف المقاعد وقف في المنتصف، ثم وضع له كرسي صغير من الذهب، حتى يشير إليه الأساقفة وبعد ذلك جلس وبعده جلس كل المجتمعين".

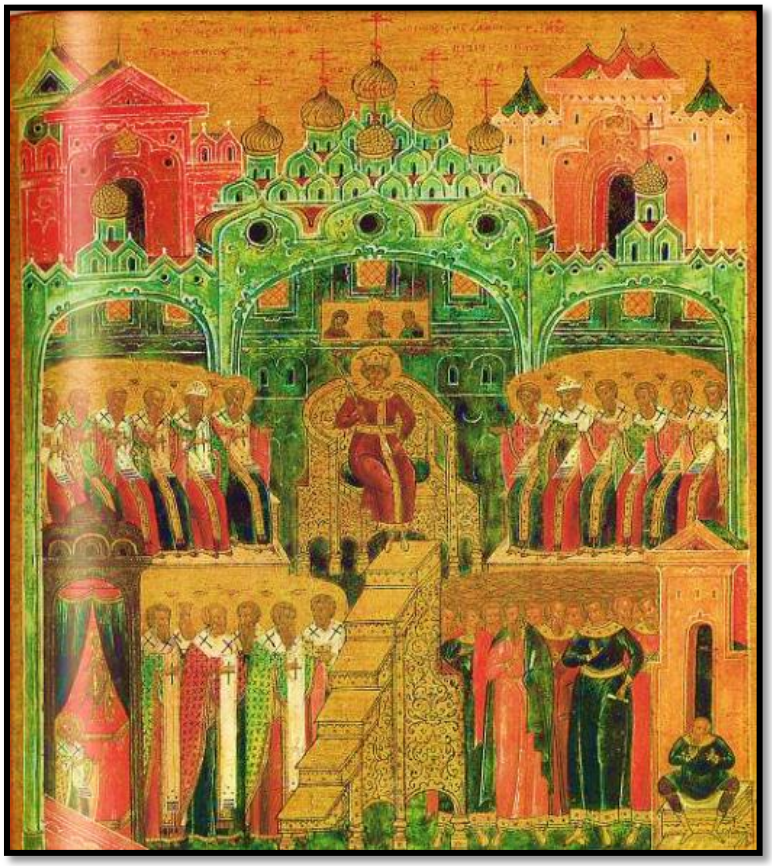

الصورة رقم 30: أيقونة روسية من القرن 17 م لمجمع نيقية.

ثم افتتح[1] قسطنطين المجمع بدعوة موجزة للأساقفة يطلب أن يعيدوا للكنيسة وحدتها[2]:

"لقد كان هدف صلواتي يا أصدقائي أن أشارككم في اجتماعكم، والآن بعد أن تلقيت هذا أعرف أنني يجب أن أعرب عن امتناني لملك الجميع، لأنه بالإضافة إلى كل شيء آخر سمح لي برؤية هذا أفضل من أي شيء جيد آخر؛ أعني أن أستقبلكم جميعا مجتمعين معا متحدين في الرأي يشاركه الجميع، وأن لا ندع أي عدو غيور يفسد نجاحنا...بالنسبة لي يعتبر الانقسام الداخلي في كنيسة الله أخطر من أي حرب...عندما علمت بانقسامكم الذي لم أتوقع أن أسمعه، لم أكن لأرجئ الانتباه إلى ذلك، ودعوت لإيجاد حل من خلالي، وأرسلت على الفور إليكم جميعا، أفرح برؤيتكم وحضور اجتماعكم، وأنا أمنيتي ستتحقق عندما أراكم متحدين وفي وئام واحد مشترك يسود بينكم جميعا.. كأشخاص مكرسين لخدمة

---

[1] لا ينبغي أن ننسى قبل كل شيء أن اللاتينية تظل اللغة الرسمية للإمبراطورية وأنها هي القاعدة لاستخدامها في جميع الظروف الرسمية حتى في مجلس نيقية، وفي حضور الأساقفة الناطقين باليونانية فقط ألقى قسطنطين الكلمة الافتتاحية باللغة اللاتينية، ويترجم هذا الخطاب وفقا للقاعدة إلى اليونانية بواسطة مترجم، بعد هذا الحفل فقط اقترب الإمبراطور من الأساقفة وتوجه إلى الآباء بكلمات رقيقة باللغة اليونانية، حتى لا يبدو أنه يتجاهل هذه اللغة، في تجمع جاء جميع الأعضاء تقريبا من الجزء الشرقي من الإمبراطورية. أنظر:
Gustave Bardy, **l'Occident et les documents de la controverse Arienne**, revue des sciences religieuses, Tome 20, 1940, pp34, 37.

[2] Eusebius, **Life of Constantine**, III, XII, 1-5.

الله المخلصين، ابدأوا من الآن في نبذ أسباب الانقسام بينكم وتخفيف النزاع باعتناق قوانين السلام، وهكذا ستحققون ما يبعث على الرضا من الله وسيكون امتنانا كبيرا لي أنا زميلكم في الخدمة".

بدأت جلسات المجمع يوم 20 ماي بعد أن حضر جميع الأساقفة، وتم اختيار هوسيوس أسقف إسبانيا وأكبر الأساقفة سنا ليرأس المجمع وجلس على يمين الإمبراطور، الذي شهد الكثير من الجلسات وأشرف على إدارة المناقشات، وكان الخلاف بشأن الآريوسية هو المشكلة الأساسية التي واجهوها، وانشغلوا بأمر الوصول إلى صياغة للعقيدة المسيحية يمكن أن يقبلها المسيحيون من الفرق المختلفة[1].

دار النقاش في هذا المجمع حول نقطتي الخلاف بين الفريقين أولهما: مساواة الابن بالأب في الجوهر والأزلية، فبينما رأى أتباع آريوس أن الابن غير مشابه في الجوهر وليس مساويا له في الأزلية تمسك مناهضو الآريوسية بمساواة الأب بالابن في الجوهر والأزلية معا، وثانيهما: القول بالخلق أو الولادة، ولم يفرق أتباع آريوس بين كلمتي مولود أو مخلوق وهم يستخدمون اللفظين للتعبير عن معنى واحد، أما مناهضو الآريوسية فرأوا استخدام كلمة مولود بدلا من مخلوق، وعلى هذا فهو ليس بمخلوق ولكنه من جوهر أعلى من كافة الخلائق، وقد شرح أثناسيوس معنى الإيمان وفند آراء آريوس ببراعة وإقناع، ويوافق على ذلك ول ديورانت[2] الذي يذكر أن أثناسيوس كان بليغا مشاكسا جاء به ألكسندر ليقطع به لسان معارضيه ووافقه الأساقفة على وجهة نظره.

وعرض آريوس العقائد التي يدعو إليها دون تقديم أي تراض أو حل وسط، وأعلن أمام الجميع أن ابن الله كان مخلوقا من العدم وأنه قادر على القداسة وقادر على ارتكاب الإثم[3]، لكنه اختار بمحض إرادته الحرة طريق القداسة وأنه مخلوق من الله وأنه من عمل الأب، لكن غالبية الأساقفة بما فيهم يوسيبيوس أسقف نيقوميديا كانوا يتطلعون إلى حل وسط يحفظ وحدة الكنيسة ووجدوا مبدأ الوحدة في

---

[1] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص60؛ مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص250؛
Caius Cuţaru, op.cit, p83.

[2] ليلى عبد الجواد اسماعيل، المرجع السابق، ص ص60، 61؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ص395.

[3] قد يغرينا النظرة الآريوسية التي تنفي ألوهية المسيح أنها تتفق مع النظرة القرآنية إلى السيد المسيح، فهي إن كانت تنفي أن يكون يسوع ابن الله أو أن يكون الله أبا ليسوع لا تنفي أن يكون الله قد تبناه أو اتخذه ولدا على حد التعبير القرآني، فهذه النظرة أيضا يرفضها التعبير القرآني رفضا قاطعا في عدد من الآيات (سورة يونس الآية 68؛ سورة الإسراء الآية: 111؛ سورة الكهف الآية 4؛ سورة مريم الآية 88-95)، مصنفا إياها في جملة العقائد المنحرفة عن الدين القويم. أنظر: نهاد خياطة، **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، دار الأوائل، د.م، د.ت، ص ص85، 86.

شعار "هوموؤسيوس" (Homoousios)[1] ومعناها واحد مع الأب في الجوهر (Consubtantial)[2].

وللاتفاق على مبدأ معين عرض الآباء بعض قوانين الإيمان التي كانت تستخدم في كنائسهم، إلا أن أغلبها لم يف بالغرض، وكذلك عرض يوسيبيوس القيصري- وكان من بين أكثر الآباء علما- قانون إيمان كنيسته، وقد نال رضى الأكثرية واعتبر خاليا من أي خطأ لاهوتي، وأنه يعبر عن ألوهية المسيح وأزليته، كما رضي به آريوس وأتباعه، ولكن أثناسيوس وأسقفه لاحظوا أن آريوس قد قبل به لأنه يفسر تعبير "مولود" بمعنى "مخلوق"، هنا طُرح على الآباء إجراء تعديل عليه بإدخال كلمة "هوموسيوس" أي المساوي في الجوهر، وبعد أخذ ورد بين الأطراف المتنازعة تقرر إضافة الكلمة لمنع أي التباس أو تفسير خاطئ أمام آريوس وأتباعه، فاحتج هؤلاء أن لهذه الكلمة رفض سابق في الكنيسة، وعاد الجدال من جديد لنقاشات حادة وشكاوى متبادلة واتهامات بالهرطقة[3].

2.2. قرارات ونتائج المجمع:

انفض اجتماع المجمع الذي استمرت جلساته شهرين[4]، ويقول يوسيبيوس عن ذلك[5]:

"وهكذا تم الإجماع على الإيمان، وتم الاتفاق على نفس التوقيت بعيد القيامة للاحتفال بمخلصنا في جميع الجهات، وتم أيضا تدوين القرارات العامة كتابيا من خلال التوقيعات الفردي، وعندما تم الانتهاء من هذا، قال الإمبراطور أن هذا هو الفوز الثاني الذي فاز به على عدو الكنيسة، وأقام

---

(1) تم اكتشاف صيغة لاهوتية تستطيع أن تحل الصراع، غير أن المصطلحات اللاهوتية لم تستطع أن تقهر الاختلاف الديني، فنجد "الأنوميين" والتي تعني أن الابن ليس مثل الأب في سائر الأشياء ونجد "الهوميوسيانوى" (Homoiousianoi) وذلك أنهم قبلوا (Homoiousios) أي تماثل الماهيتين، أي نجد أن الأب والابن متساويان من كل اعتبار غير أنهما لا يتمتعان بجوهر مطابق، وليس الوحدة بين ماهيتين (Homoousios)، وهي مشتقة من (Homoious) التي تعني تماثل، وهذا يعني أن الابن مماثل في الماهية للأب، ومن ثم نجد الصراع بين القائلين بوحدة الماهيتين وبين القائلين بتماثل الماهيتين، وكان الوثنيون الإسكندريون قد أطلقوا النكات على هذا الصراع الذي كان في الشوارع والمتاجر وصالونات الحلاقة، حيث كان يتجادل المسيحيون حول حرف "اليوتا" (حرف أل في اللغة الانجليزية)، والذي يفرق بالقائلين بالتماثل (Homoiousios) وبين القائلين بالوحدة (Homoousios)، غير أن هذا الصراع كان أكثر من كونه مجرد صراع على حرف اليوتا، فهناك اختلاف في التقوى والتدين العملي، وكانت صيغة مجمع نيقية تقول بوحدة الماهيتين وتم قبولها، وهي صيغة مستمدة من أوريجين. أنظر: بول تلش، المرجع السابق، ص ص130، 131.

(2) جون مارلو، المرجع السابق، ص ص274، 275.

(3) نفس المرجع، ص ص159، 338؛ للمزيد أكثر حول مجمع نيقية أنظر:

A.H.M.Jones, **Constantine and the conversion of Europe**, Hodder and Stoughton limited, London, pp152-171.

(4) تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بذكرى مجمع نيقية يوم 9 هاتور أي 18 نوفمبر أنظر:جون لوريمر، المرجع السابق، ص254.

(5) Eusebius, **Life of Constantine**, III, XIV.

احتفالا بالنصر لله". ثم يورد رسالة قسطنطين للكنائس عن مجمع نيقية[1]:

"...لقد اكتشفت عظمة نعمة القوة الإلهية التي رأيتها في ازدهار شعبنا، لقد حكمت أنه من المناسب لي أن هدفي قبل كل شيء آخر يجب أن يكون للجماعة المباركة للكنيسة العالمية، إيمان واحد وإخلاص المحبة والإجماع حول عبادة عن الله سبحانه وتعالى، وهذا لم يكن ممكن السبيل إليه تماما ما لم يجتمع كل أو معظم الأساقفة في نفس المكان، وتم اتخاذ قرار بشأن كل نقطة من نقاط ديانتنا المقدسة، لهذا السبب تم اجتماع معظمكم، وأنا نفسي كنت واحد منكم من بين الحاضرين ... كانت جميع المواضيع خاضعة للنقاش حتى تم الوصول إلى النقطة التي تم فيها تسليط الضوء على عقيدة ترضي الجميع حول الإله الشامل كأساس لاتفاق بالإجماع، بحيث لم يبق أي شيء يسبب مزيدا من الاختلاف في الرأي أو الخلاف حول الإيمان".

وقد تم اتخاذ القرارات التالية:

1. رسالة من المجمع إلى المصريين حول هرطقة آريوس تقول[2]:

"...ففي البدء تم قبل كل شيء فحص ما يتعلق بكفر آريوس وأتباعهم وإثمهم... فحسن بالإجماع أن ينزل الحُرم[3] برأيه الأثيم، وبالتجديف الذي تنطوي عليه الأقوال والتعابير التي كان يستعملها للتجديف على ابن الله بقوله "أنه يأتي من العدم" وأنه " قبل أن يولد لم يكن" وأنه "كان وقت لم يكن فيه" وبقوله أن ابن الله بما له من حرية يستطيع إتيان الشر والفضيلة، وبتسميته كائنا مخلوقا ومصنوعا، ذلك كله أنزل به المجمع المقدس الحرم غير محتمل سماع هذا الرأي الشديد الكفر،

---

[1] Eusebius, **Life of Constantine**, III, XVII, ,2.

[2] دنتسنغر، هونرمان، **الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها**، تر المطران يوحنا منصور، الأب حنا الفاخوري، ط1،ج1، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 2001، ص46؛ ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص319، 320.

[3] عرفت الكنيسة عدة أنواع من العقاب: القطع من الشركة (Exommunication)، الإبسال أو الحرم (Anathéme) والخلع أو العزل من الوظيفة (Dépositio) ، فكان يطبق العقاب الخلع من الرتبة أو العزل عن كرسي الأسقفية أو الوظيفة خصوصا على كل أعضاء الإكليروس (أسقف أو كاهن أو شماس)، فيتوقف المذنب عن كل مهامه الطقوسية المتعلقة بالرتبة التي كان يقوم بها كممارسة الأسرار وتوزيعها والتعليم بالوعظ، واعتادت الكنيسة أن تلجأ إلى القطع أو الحرم أو الإبسال ضد المؤمنين المجرمين أو الهراطقة في القرون الأولى، فيكون الحُرم نوعا من الإدانة النهائية المميتة روحيا للشخص المحكوم عليه فهو يمنعه: **1**. من ممارسة الأسرار **2**. من المشاركة في كافة الطقوس الليتورجية من صلوات ورتب وبركات **3**. من رتبة الجناز والنياحة في حالة الوفاة **4**. يحرم من المشاركة في الانتخابات ومن كل صوت فاعلي وانفعالي **5**. من الدخل المادي والمساعدات والمعاش والنفقات الأخرى بالنسبة إلى الإكليرروس **5**. يحرم حتى مدنيا توقيع أي عقد أو سواه بصفته الدينية. علما في الأخير أن فكرة التوبة موجودة في صيغة الحرم والعودة إلى حضن الكنيسة. أنظر: ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص168، 169.

وهذه الحماقة وكلمات التجديف هذه.

... أنتم تعلمون أو ستعلمون ما قرر ضده، حتى لا يظن أننا شتمنا أو حاولنا اضطهاد شخص من دون خطيئة، وقد نال في الواقع العقاب الملائم لإثمه، فقد انتشر كفره واستشرى ضلاله، حتى أن ثيوناس أسقف مرمريك وسيكوندروس أسقف بطوليمايس ذهبا معه في تعاليمه، فإنهما استحقا المصير عينه...، لا يبقى لنا سوى إبلاغكم أيها الأخوة الأحباء ما قرر في شأن تهور ميليتيوس ... بما أننا اخترنا الرأفة والإنسانية اتجاههم– بالرغم من أنهم لا يستحقون أي رفق– قرر المجمع المقدس أن باستطاعته أن يظل في مدينته لكن دون سلطة ترشيح ولا سيامة أساقفة ولا الذهاب إلى الريف والمدن تحت لقبه وشرفه الأسقفي...مع الحفاظ على رتبهم الإكليركية وممارسة الخدمة في درجة أدنى...وإذا توفي أحد أصحاب المناصب في الكنيسة، واختير مكانه شخص حديث الإيمان شرط أن يكون مستحقا ويريده الشعب، فيثَبته أسقف كنيسة الإسكندرية الجامعة الرسولية، هذا مسموح للجميع إلا لميليتيوس بسبب عصيانه وسلوكه العنيف والطائش، لهذا لم يعط أي سلطان أو سلطة، لأنه إنسان مستبد قادر حتى الآن على إثارة الفتن والفوضى.

هذه هي القرارات التي تخص مصر وكنيسة الإسكندرية المقدسة، وسيخبركم أخونا العزيز ألكسندروس الذي اشترك بالمناقشات وساهم فيها بالقرارات الأخرى المتخذة...استقبلوا أخانا وأسقفكم بالحفاوة والتكريم...، وقد تحمل أتعابا كثيرة بالرغم من تقدمه في السن، مملوئين بالفرح والبهجة للنهاية السعيدة للأحداث، ولبلوغ السلام والوفاق العام وإزالة الهرطقة وإعادة السلام فيما بيننا، صلوا لأجلنا جميعا حتى يبقى ثابتا ما بدا لنا صحيحا، بالله القادر على كل شيء وربنا يسوع المسيح مع الروح القدس، له المجد إلى دهر الداهرين، آمين".

تقرر إذن نفي وإدانة آريوس[1]، وأن يستمر ميليتيوس في حمل لقب أسقف دون أن يباشر واجبات وظيفته، يجدر الذكر أن الطائفة المنتمية إلى الأسقف ميليتيوس قد تأثرت بالآريوسية بمرور الوقت، وأصبح الميليتيون عداؤهم لجماعة الأثناسيوسيين، وبذلك استمر الانشقاق داخل الكنيسة المصرية[2] .

---

[1] وتم أيضا القضاء على العمل الذي وضعه آريوس والمسمى ثاليا (Thalia)، والذي بتضمن فكره والمبادئ الأصلية، وأصبح المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في معرفة حقائق المعتقد الآريوسي هي كتابات أساقفة نيقية، وهي بطبيعتها تدين آريوس وآراؤه، ومن ثم كان لابد من تناولها بشيء من الحذر، إلا أننا نستطيع أن نقف على بعض ما جاء في ثاليا من كتابات أثناسيوس ألد أعدائه وكذلك شذرات متفرقة خلفها مؤرخوا الكنيسة المعاصرون. أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص62.

[2] محمد السيد عبد الغني، **أضواء على المسيحية**...، ص ص68-72؛ David M. Gwynn,op.cit, p23.

وبالتالي فإنه بالرغم من الإجماع والسياسة الموحدة في مجمع نيقية، فإنه لم يضع الحل النهائي لتلك المشاكل، فالآريوسية[1] لم تمت بنفي زعيمها والانقسام الميليتي لم ينتهي[2]، حيث يذكر القس حنا جرجس الخضري[3] "...**أن الآريوسية بنت عشها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة، وهكذا بدأت غيوم الانشقاق تصعد من جديد في جو الكنيسة**".

ويذكر يوسيبيوس أنه كتب رسالة إلى المصريين يحثهم على حفظ السلام[4]:

"**ولكن عندما كان الجميع في سلام، بقي النزاع متبادلا بين المصريين وحدهم بحيث اضطرب الإمبراطور مرة أخرى دون أن يثير غضبه، لذا وجه كل الاحترام إليهم بوصفهم "آباء" أو بالأحرى "أنبياء الله"، واستدعاهم مرة ثانية وتوسط بينهم بتسامح وأكرمهم بالهدايا، كما أعلن تحكيمه من خلال خطاب...وحثهم على التمسك بالسلام ، وعدم تمزيق الكنيسة وتقسيمها...**".

2. وافق المجمع على اعتبار يوم الأحد أول أيام الأسبوع وعيد الكنيسة، ومن بين القرارات التي تحددت فيها قوة وسلطة كنيسة الإسكندرية أن يقوم أسقفها بتحديد يوم عيد القيامة كل عام على أساس قاعدة فلكية[5] وإرسال ذلك إلى روما وجميع الكنائس، وكما تقرر طبقا للتقليد الثابت أن يمارس أسقف الإسكندرية سيادته على مصر وليبيا والمدن الخمس شأن أسقف روما في الأقاليم التابعة له وأسقف أنطاكية في المناطق الخاضعة لسيادته[6].

ويعتبر هذا القرار هو القانون السادس ضمن القوانين الصادرة في المجمع، حيث أصدر المجمع عشرين

---

[1] وقد انقسم الآريوسيون على أنفسهم إلى عدة فرق من جراء الاختلاف حول التشابه والمماثلة بين الأب والابن: فأصبح هناك الآريوسيون الأصليون الذين يقولون بخلق المسيح وعدم مساواته مع الأب في الجوهر، وهناك أنصاف الآريوسيين (Semi-Arisns) الذين يقولون بالهوموسية أي التشابه بين الأب والابن في الجوهر، والأنوميين (Anamoeans) الذين ينكرون أي شبه بين الأب والابن والهوموين (Homeans) الذي يقولون بالشبه فقط دون تحديد. أنظر: صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص46.

[2] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص251.

[3] حنا جرجس الخضري، **تاريخ الفكر المسيحي– يسوع المسيح عبر الأجيال**–، مج 1، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ص643.

[4] Eusebius, **Life of Constantine**, III, XXIII.

[5] أسند لأسقف الإسكندرية مهمة تحديد الاعتدال الربيعي بدلا من اقتباسه من اليهود، وكذلك حساب الأشهر القمرية، وهو النظام المعروف في الكنيسة القبطية والمنسوب للبابا ديمتريوس البطريرك 12، وهو الحساب الفلكي الذي قام به عالم الفلك المصري بطليموس، ولذلك كان على الأسقف الإسكندري بعد عيد الإبيفانيا (عيد الغطاس) أن يرسل إلى بطاركة وأساقفة العالم تحديد موعد عيد الفصح في رسائل. أنظر: يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص121.

[6] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص44؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ص396.

قانونا كنسيا من أجل إعادة تنظيم الكنيسة، وفي نظر الأب ميشال الأبرص والأب أنطوان عرب [1] أنه أهم قانون وضع في المجمع لأنه أثبت المساواة بين المقاطعة والسلطة بين أسقف روما وبطريركتي الإسكندرية وأنطاكية، وأنه وضع خصيصا لكنيسة الإسكندرية بسبب ما أثارته من اضطرابات وتصرفات، ومن أهم القرارات وما يخدم موضوعنا أكثر هو القانون 11، 12 من المجمع، حيث يقول القانون 11[2]:

" **يقضي المجمع المقدس هذا: إن الذين سقطوا وضعفوا دون إكراه وبدون حجز أملاكهم أو سلب أموالهم، وبدون أن يتعرضوا لأي خطر أو ضيق أثناء اضطهاد ليكينيوس أنه يجب معاملتهم بلطف وتفهم، على الرغم من أنهم لا يستحقون الشفقة، فالذين تابوا ممن كانوا من المؤمنين سابقا توبة صادقة يفرض عليهم ثلاث سنوات من السامعين وست سنوات من الراكعين، ويستطيعون في السنتين التاليتين الاشتراك في الصلوات والقداس مع الشعب دون أن يحق لهم المشاركة في القربان المقدس**".

هذا القانون يقصد اضطهاد ليكينيوس الذي كان قاسيا جدا، مما اضطر الكثير على الارتداد، فما إن هدأت الحالة حتى رغب أغلبهم العودة إلى الكنيسة، لأن إتباعهم الوثنية كان إما قهرا أو خوفا، فشدد المجمع على إعطاء جميع الخاطئين الغفران دون تمييز ومعاملتهم بشكل حسن، ويميز القانون بعدة فئات من التائبين، وقد عرفتها الكنيسة منذ القديم ولم يرفضها المجمع بل ثبتها بتحديد الفئة التي يجب على التائب الانتماء إليها منهم "**السامعون**[3]" و"**الراكعون**"[4] و"**المشتركون في الصلاة**"[5].

---

[1] ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص 178، 183، 184.

[2] نفس المرجع، ص192؛

Henry R. Percival, M.A, D.D, **A Select library nicene and post-nicene fathers the christian church -the seven ecumenical councils of the undivided church**, Vol 14, Oxford: James Parker and company, New York, 1900, pp24, 25.

[3] **السامعون**: هم الذين يقفون في النارثكس أي الفسحة التي تفصل بين مدخل الكنيسة الخارجي والمدخل الداخلي لها، وفي هذه الفسحة يقف المبتدعون والمنشقون والموعظون وقت الصلاة، ويخرج السامعون خارج الكنيسة بعد العظة الليتورجية الإلهية مع الموعظين. أنظر: ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص192.

[4] **الراكعون**: وهم يقفون إجمالا في صحن الكنيسة قبل المنبر وقرب الباب الملوكي، ويسمح لهم بالبقاء والاشتراك في بعض الصلوات التي وضعت من أجلهم، وقد سموا كذلك لأنهم كانوا يركعون قبل خروجهم وينكبون وجوههم معفرينها على الأرض. أنظر: نفس المرجع، ص192.

[5] **المشتركون في الصلاة**: وهم يقفون مع المؤمنين في صحن الكنيسة حتى خروج الموعظين والصفوف الأخرى من التائبين، ولكن لا يحق لهم المشاركة في الأسرار. أنظر: نفس المرجع، ص ص192، 193.

أما القانون 12 فيقول[1]:

" إن الذين دعتهم النعمة وأظهروا حماسة بادئ الأمر فنبذوا الخدمة العسكرية ولكن ما لبثوا أن رجعوا كالكلاب إلى قيئهم، حتى إن البعض منهم سعوا إلى استرجاع وظائفهم العسكرية بالأموال والهدايا، فأمثال هؤلاء يجب أن يبقوا ثلاث سنوات مع السامعين وعشر سنوات مع الراكعين، ثم يدقق في امتحان إرادتهم وعزمهم ونوع ندامتهم، فالذين يبرهنون عن صدق ارتدادهم بما يرافقه من أدلة: خشية ودموع وصبر ومواظبة على الأعمال الصالحة يجوز السماح لهم بعد انقضاء الوقت المحدد لهم كسامعين الاشتراك في صلوات المؤمنين، بعد ذلك يستطيع الأسقف اتخاذ أي قرار أوفر لينة ورأفة، أما الذي يظهر عدم مبالاة ويظن أن هذه التوبة تكفي للتكفير عن خطاياه فيجب أن يتم مدة القصاص المعينة بكاملها".

يقصد القانون بعض المسيحيين في الجيش الذي ساندوا ليكينيوس ضد المسيحية والبعض الآخر دفع أموالا للعودة إلى الجيش بعد أن كان قد صرف من الخدمة، حيث طلب منهم ارتدادا صريحا والاشتراك في ذبائح الأوثان، فقانون المجمع هذا يستهدف الجنود أو الضباط الذين رفضوا أولا تقديم الذبائح فطردوا ثم ندموا على ذلك فجحدوا إيمانهم ليعودوا إلى الخدمة[2].

3. قانون الإيمان [أنظر: الصورة رقم 31] :

أمكن بعد مناقشات الوصول إلى صياغة عقيدة تتضمن المبادئ المسيحية الأساسية التي يقبلها الجميع، وحسب رغبة أو أمر قسطنطين تم إجبار المشاركين على صيغة لم تلق قبولا تقريبا، وورد فيها عبارة " نفس الجوهر " (Homoousios)، ولم تكن هذه الصيغة متداولة لأن هذا التطابق في الجوهر لم يكن له تفسير دقيق، وربما كانت صيغة تطابق الجوهر اصطلاحا يقصد به تحديد رؤية علاقته بالمسيح، وقد ظل علماء الفقه في الحقبة التالية ولأكثر من مئة عام يتصارعون من أجل فهم هذه المعضلة، وتعتبر إضافة هذا اللفظ مجاملة كبرى من الإمبراطور للأكثرية التي رفضت عقيدة آريوس، لأنه كان يحرص في الواقع على كسب ولاء الأكثرية قبل التفكير في مناصرة مذهبهم، فقبله أكثر الحاضرين[3].

---

[1] ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص193؛ Henry R. Percival, M.A., D.D,op.cit, 27, 28

[2] ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص192، 193.

[3] مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية**...، ص250؛ مانفريد كلاوس، المرجع السابق، ص281.

الصورة رقم 31: أيقونة تجمع آباء مجمع نيقية، ويرى في الوسط الإمبراطور قسطنطين وفي أقصى اليسار البابا ألكسندر بابا الإسكندرية وهو يمسكون بمخطوطة قانون الإيمان.

يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص109.

وتمت صياغة قانون الإيمان على النحو الآتي [1]:

" نؤمن بإله[2] واحد ، آب ضابط الكل ،

---

[1] صبرى أبو الخير سليم، المرجع السابق، ص45؛ الإمام القرطبي، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد حجازى السقا، ج1، دار التراث العربي، د.ت، ص25؛ ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص335، 336؛ Jonathan McCracken, op.cit, p7.

[2] يذكر ول ديورانت أن فكرة المسيح الإله قد هضمها وامتصها العقل الهيلينستي الديني والفلسفي، ومن ثم كان في وسع العالم الوثني أن يحتضنها ويرضى عنها، إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل الإغريقي المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة ممثلا في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة الإغريقية أداة الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس الإغريقية إلى طقوس القداس الخفية، وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب وأبدية الثواب والعقاب، ومنها جاءت عبادة الأم والاتصال الصوفي بالله، ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام

خالق لما يُرى وما لا يرى؛

وبرب و احد يسوع المسيح ،

ابن الله الوحيد ،

المولود من الآب ، أي من جوهر الآب ،

إله من إله ، نور من نور ،

إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ،

مساو للآب في الجوهر ،

الذي به كان كل شيء ، مما في السماء وعلى الأرض ؛

الذي من أجلنا نحن البشر ،

ومن أجل خلاصنا ،

نزل من السماء ، وتجسد وتأنس ، وتألم ،

وقام في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ،

وسيأتي ليدين الأحياء والأموات .

وبالروح القدس . وكل من يقول :

إنه كان ثمة وقت لم يكن فيه ،

أو إنه لم يكن قبل أن يولد ،

أو إنه خُلق من العدم ،

أو إنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب أو عن طبيعته ،

أو إن ابن الله مخلوق ،

أو إنه عرضة للتغير أو للتبدل ،

فالكنيسة الرسولية الجامعة ، تبسل أصحاب هذه الأقوال" .

إذن من المناقشات تبلورت الكنيسة الكاثوليكية وحددت نظريتها في قانون الإيمان المسيحي[1]

وثنائية الشيطان والظلمة والنور. أنظر: ول ديورانت، المرجع السابق، ص ص275، 276.

[1] وصيغة قانون الإيمان الذي وضحناه أعلاه يختلف نصه مع النص الذي تردده الكنيسة الأرثوذكسية سواء في بعض الألفاظ أو نقصانها أو زيادتها، ولكن تبقى عقيدة نيقية هي العقيدة الرسمية للكنيسة، وكل مجمع جاء بعده مهما كانت عظمته كان سوى شرح لقانون إيمان نيقية وليس إضافة له، واليوم لا يزال يتلى على كافة الكنائس بمختلف أرجاء العالم كالإقرار النهائي للإيمان المسيحي. أما محمد أحمد الحاج فيرى أن نص قانون الإيمان الذي يعرف عند المسيحيين اليوم لم يكن كله في مجمع نيقية، فقد تتابعت مجامع أخرى

لأنها شملت أبعد من الصراع الآريوسي، ووضحت في هذا المجمع العقيدة المسيحية التي يؤمن بها المسيحيون إلى يومنا هذا، وتعتبر كنيسة الإسكندرية زعيمة التثليث[1] وأن الإله له ثلاثة **أقانيم**[2].

يلاحظ من نص قانون الإيمان أنه النص الذي قدمه أسقف الإسكندرية القائل بألوهية المسيح، ونجد كلمة "الابن من نفس جوهر الأب"، وهي التي كان يدور حولها الخلاف الكبير، وأن هذه الإضافة التي ركز عليها المجمع حسب جستنية[3] نقلت المسيح من بشر مخلوق إلى إله خالق، فورثت المسيحية كل الانحرافات التي حدثت بعد ذلك والجدل الطويل في المجامع حول المسيح وطبيعته.

ويقيّم يوسف المقاري[4] كلمة "هوموؤسيوس" (Homoousios) مساو للأب في الجوهر أنها أثارت الكثير من الانتقاد حتى بين اللاهوتيين الكاثوليك المعاصرين، وبلهجة مخففة أن إدخال هذا المصطلح يعني اعترافا كنسيا جماعيا بالمنطق العقلاني، لأن هذه الكلمة لم ترد في الكتاب المقدس بل هي استنتاج العقل الإنساني من أجل تحديد وتعريف العلاقة بين الأب والابن، فكان كثير من أساقفة الشرق قد قبلوا هذا المصطلح بنوع من التردد والتحفظ، أما في مصر فكان هذا المصطلح شائعا قبلا[5].

وأضافت له نصوصا، والتثليث لم يكتمل بشكله الحالي إلا في مجمع القسطنطينية سنة 381 م، ففي مجمع نيقية أُلّه الأب والابن وأما روح القدس فقد أله في مجمع القسطنطينية . أنظر: جوناثان هيل، **تاريخ الفكر المسيحي**، تر سليم إسكندر، ايكل رأفت، مراجعة حسن غنيم، ط1، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، 2012، ص ص64، 65؛ محمد أحمد الحاج، المرجع السابق، ص179.

[1] كان معظم المسيحيين في ذلك العصر من الموحدين لأن التوحيد هو الأصل، وفكرة التثليث وألوهية المسيح حديثة العهد بهم، تبنتها ودافعت عنها كنيسة الإسكندرية المتأثرة بالمدرسة الأفلوطونية ونظرية التثليث الفلسفية، والتي كانت أفكارها تسيطر على الإسكندرية في ذلك الوقت. أنظر: محمد أحمد الحاج، المرجع السابق، ص181.

[2] **أقانيم**: جمع أقنوم بضم الهمزة، وهو تعريب لكلمة (Hypostates) من اليونانية (Hypo,stasis) بمعنى الأصل المركب، وهي الأب والابن والروح القدس، واتفقوا في أوائل كتبهم من الأناجيل وغيرها قول" باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد"، وهذه الثلاثة الأقانيم هي ظواهر لحقيقية واحدة أي واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد: فالله هو الأب وهو الخالق، والمسيح هو الابن المخلص والفادي جمع بين اللاهوت والناسوت، والروح القدس وهو الرب المحيي، لاهوت محض، والرابطة التي تربط بين هذه الأصول تسمى لوغوس. أنظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص70؛ نجم الدين الطوفي، **التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة**، دراسة وتحقيق وتعليق موسى بن محمد آل هجاد الزهراني، ط1، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، قطر، 2016، ص ص62، 63.

[3] بسمة أحمد جستنية، المرجع السابق، ص319.

[4] يعقوب المقاري، المرجع السابق، ص ص121، 123.

[5] كان هذا المصطلح اليوناني متجذرا في الإسكندرية، حيث استعمل الغنوصيون هذه اللفظة "هوموؤسيوس" ليعبروا عن كائنات متنوعة مشابهة في الكيان أو انتمائها إلى الكيان بنفس الدرجة أو الطريقة، وهي تعني الانتماء المشترك إلى جوهر أساسي واحد، وما =

أما الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب[1] فيذكران أنه حتى يومنا هذا مازال هذا القانون يدعونه قانون نيقية ويتلونه، ولا نزال نعترف بأنه هو الإيمان الحقيقي الصحيح، وهو نتيجة العصور السابقة ومرتكزا في أساسه على قانون إيمان قيصرية كما ذكرنا، فقبل مجمع نيقية لم يكن للكنيسة قانون إيمان مشترك وإنما كان لكل كنيسة قانون خاص بها، فكان هذا أول تحديد عقائدي موحد وإيمان واحد، ولكن صياغة هذا القانون كانت متسرعة، فبعد أن رفض أغلب الآباء القانون الذي قدمه آريوس رفضا قاطعا واستعرضوا غيره من قانون إيمان قيصرية، فلم يعارضه أغلب الآباء، وحتى الآريوسيين فكانوا على استعداد لقبوله لأنهم يستطيعون تفسيره على طريقتهم، إلا أن أثناسيوس اقترح تعديله كي لا يتسنى لأي كان أن يفسره على هواه، فتم إضافة كلمة "هوموؤسيوس" ، فهي السهم الذي أصاب عصب الآريوسية وعلامة التناقض التي استمر النقاش حولها أكثر من نصف قرن بعد المجمع، لكنها كانت كافية لتعارض خطأ آريوس وتؤكد ألوهية ابن الله، وأبعد هذا القانون أي فكرة دونية للابن أمام الأب مؤكدا وجوده مع الأب منذ الأزل، أي أنه غير مخلوق لكنه مولود ومساويا للأب في الطبيعة.

يلاحظ في هذا المجمع أن قسطنطين استخدم نفوذه وسلطته للوصول بالمجمع ما وصل إليه من قرارات وقوانين، وأعطى للأساقفة حق تقرير المسيحية وما يرونه من عقائد، وأن كنيسة الإسكندرية تزعمت المعارضة لعقيدة آريوس، أما لماذا تفوقت عقيدة كنيسة الإسكندرية[2]، فالواقع أن ذلك يرجع إلى مساندة الإمبراطور واختياره، حيث يذكر أحمد علي عجيبة[3] أن الحزب الآريوسي كان قويا منذ

يثير الدهشة أن ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (247-264 م) استعمل هذه الكلمة ورفضها إكليروسه واشتكاه إلى البابا، وكتب إليه يلومه أن تعابيره غامضة، فصححها ووعد بعدم استعمالها لأنها غير موجودة في الكتاب المقدس.

ونجد هذه اللفظة لدى آريوس في كتابه "المأدبة" وفي رسالته إلى ألكسندر فهول يقول: "**لا يملك الابن أي صفة إلهية في كيانه الفردي، لأنه غير مساو لله في الجوهر**"، لقد أراد آريوس أن يتجنب كل فكرة خاطئة عن الله خاصة فكرة جسدية الله كما لو كان الابن فيض أو قسم منفصل عن الله، وهذا بالطبع ما كان مجمع نيقية يسعى إلى تثبيته ورفض أي انقسام في الجوهر. أنظر: ميشال الأبرص، أنطوان عرب، المرجع السابق، ص ص165، 174، 175

[1] نفس المرجع، ص ص165، 166، 167، 174.

[2] بعد مجلس نيقية تشكلت المسيحية المصرية، والتي ذهبت خصوصياتها بسبب الخلافات والانشقاقات داخل الكنيسة، هذه الفترة هي أيضا الأكثر التي لمعت فيها بطريركية الإسكندرية، وظهرت بشكل واضح الشخصيات المهيمنة في الصف الأول منهم القديس أثناسيوس، الذي عرف كيف يحقق التوازن الذي لم تجده مسيحية مصر. أنظر:

Edward Rochie Hardy, **Christian Egypt : church and people. christianity and nationalism in the patriarchate of Alexandria**, revue de l'histoire des religions, Tome 145, N°2, 1954, p257.

[3] أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص276.

البداية لا يمكن أن تسحقه كنيسة الإسكندرية دون مساعدة الإمبراطور.

ويذكر أفريل كامرون[1] (Averil Cameron) أن المجمع يعتبر نقطة تحول حقيقية، وللمرة الأولى جرت محاولة جمع الأساقفة معا، وكان دور قسطنطين غامضا: فقد حضر جميع الجلسات ومظهره الإمبراطوري أثار إعجاب معظم الأساقفة، لكنه كان حريصا على الإذعان لحكمهم على الرغم من أنه أوضح الصيغة التي يفضلها، فمجلس نيقية الذي حاول حل ما قد يراه اختلافات طفيفة فتح عمليا لمشاكل لا حصر لها في محاولة تعريف المعتقد الصحيح، وأدى إلى انشغال الكنيسة والدولة لقرون حول ذلك، فمن الواضح أنه كان يريد التوصل إلى قرار نهائي بالأغلبية والإجماع وهذا ما لم يتحقق تماما، حيث كانت النتيجة حكم إمبراطوري بدلا من حكم كنسي، ونحن ندين بالكثير إلى يوسيبيوس القيصري، الذي كان حريصا للغاية على الترويج لفكرة العلاقات بين الإمبراطور والكنيسة، ووضع الأساس لنظرية سياسية مسيحية، بحيث كان الإمبراطور المسيحي ممثل الله على الأرض، والمملكة الأرضية صورة مصغرة من السماء، فكانت آراؤه مؤثرة وشكلت أساس النظرية السياسية طوال الفترة البيزنطية.

ويتساءل صابر طعيمة[2] عن سبب تدخل الامبراطور شخصيا لإصدار قرارات مجمع نيقية على الصورة التي صدر عليها؟ . فلم يكن قد دخل المسيحية وقت انعقاد المجمع، وصار مسيحيا عندما عمد على فراش الموت، لأن التعميد هو أهم شروط الكنيسة لقبول الداخلين إليها، لذلك فإنه أيد الرأي بألوهية المسيح حتى يقرب المسيحية من وثنيته دون أي حجة له في ذلك.

إن هذا العدد الكبير من الأساقفة الذين اشتركوا فيه كان يرجع جزئيا إلى الجو العام، حيث كان من الواضح أن الرفض يحمل تهديدا وعقابا من الامبراطور، الذي رغب في الوئام وأن يتم تقديم تفسيرات حول العقيدة من أجل إزالة معظم الشكوك الرئيسية، ويخبرنا يوسيبيوس أن الإمبراطور شخصيا قدم تأكيدا على كلمة هوموؤسيوس الرئيسية ولكن لم يقل ما الذي تعنيه، وهكذا بقي بعض الغموض حول هذه الكلمة الأساسية[3].

---

[1] Averil Cameron, **The Later roman empire, 284-430 AD,** Harvard University Press, The United States of America, 1993, pp68, 69.

[2] صابر طعيمة، **قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل**، ط1، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، 2006، ص ص427، 428.

[3] Graham Keith, **The Formulation of creeds in the early church**, Themelios, Vol 24, 1998, p24.

ويذكر سيد أحمد علي الناصري[1] أن مجمع نيقية يمثل بداية إحلال المسيحية تدريجيا محل الوثنية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، وأن ذلك يمثل نقطة التحول، أما ول ديورانت[2] فيرى أن الإجماع أذاع عقيدة الكثرة العظمى من رجال الدين، ومن ثم بدأت حضارة جديدة مؤسسة على دين جديد، يقوم على أنقاض ثقافة مضعضعة وعقيدة محتضرة.

مما سبق ذكره من آراء ونقاشات حول نتائج مجمع نيقية، يتبين في الأخير أن هذا المجمع يعتبر من أولى وأهم المجامع المسيحية التي أرخت للنقاش حول الخلافات العقائدية، والتي انطلقت أساسا بعد انتهاء الاضطهاد من كنيسة الاسكندرية، التي كانت من بين أقوى الكنائس وتزعمت النقاش والجدل بأكبر أساقفتها وشماسيها، ولكن فيما يبدو أن هذا المجمع لم يحل المسألة المطروحة بل هي بداية لفتح معركة جديدة من الخلافات، ويعتبر إصدار قانون الايمان من أهم نتائج المجمع، وهو الذي أصبح القانون المسيحي المعمول به لجميع المسيحيين، وتعتبر كلمة "مساوي للابن في الجوهر" هي مرمى السهم الذي أكسب مذهب أثناسيوس الانتصار لآرائه على حساب المذهب الآريوسي.

ويتبين كذلك من المجمع مدى التقارب والتعاون لأول مرة بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية أي بين الكنيسة والدولة، ولم تعد القضية خلافا حول العقيدة فقط بل أضحت مسألة خطيرة تهدد أمن الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة، وكان هذا الصراع موضع اهتمام الإمبراطور قسطنطين، ولكن يتضح أنه لم تكن تهمه عمق الاختلافات وفهمها بقدر ما كان يهمه بالدرجة الأولى هو الوصول لحل يرضي جميع الأطراف لأجل وحدة الإمبراطورية واستقرارها.

---

[1] سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية**...، ص445؛ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2003، ص462.

[2] ول ديورانت، المرجع السابق، ص396.

الخاتمة:

كانت الأوضاع في مصر خلال الحكم الروماني قد اتسمت بالتنوع من حيث مظاهرها وتأثيراتها مست جوانب عدة، وقد كانت الإسكندرية من أهم المدن وعاصمة مصر تتميز بوضع سياسي واجتماعي وديني خاص، وهو ما لاحظناه من خلال دراستنا للاضطرابات الاجتماعية والاضطهاد الديني في مصر الرومانية، وقد خرجنا من دراستنا لهذا الموضوع بجملة من النتائج نذكر من أهمها:

- ✓ كانت مصر ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية لدى الرومان، ووضعت فيها تنظيمات وضوابط بما يخدم مصالح الدولة الرومانية بالدرجة الأولى، حيث منع أعضاء مجلس الشيوخ الروماني والقادة العسكريين من زيارتها إلا بإذن شخصي من الإمبراطور، ووضعت فيها قوات عسكرية كبيرة مقارنة بالولايات الأخرى حتى لا تكون عرضة للتهديد والسيطرة عليها، وإن كان ذلك في نظرنا يعود لأسباب استراتيجية ودفاعية وأخرى مرتبطة مباشرة بأمن المدينة من الناحية السياسية، باعتبارها كانت تتميز بعدم الاستقرار والاضطرابات الاجتماعية.
- ✓ نجد أن السلطة الرومانية قد وضعت فوارق واضحة بين السكان في مدينة الاسكندرية، وكانت حريصة على تقسيم المجتمع المصري إلى طبقات ووضع حدود اجتماعية وقانونية بينه، فاهتموا بأن يكون للمواطن الروماني كامل الحقوق والامتيازات، ومنح الإسكندريون حقوقا خاصة تميزهم عن المدن الأخرى، فلم يستطيع أي أحد أن يصبح مواطنا رومانيا إلا إذا كان يمتلك المواطنة الإسكندرية (أي أن يكون من طبقة المواطنين الإسكندريين)، والتي لن يمتلكها الفرد إلا إذا كان كلا الوالدين من أصل إغريقي، أما اليهود والمصريين فقد كانت مكانتهم أقل؛ مما كان له أثر سلبي على التفاوت بينهم في الحصول على امتيازات اجتماعية وإعفاءات من الضرائب.
- ✓ كان المجتمع المصري وخاصة مجتمع الإسكندرية نموذجاً لمجتمع متنوع ثقافيا، ووسط حضري صاخب يتكون من تكتلات عرقية ودينية في المدينة من مصريين وإغريق ورومان ويهود أو من الوثنيين ثم المسيحيين لاحقا، وسعي هذه المجموعات المتنوعة من أجل الهيمنة الاجتماعية والثقافية أدى إلى صدام وصراع اجتماعي وأحياناً ديني.
- ✓ سُمِح لليهود بتكوين جاليات كانت أبرزها جالية الإسكندرية وكانت تتميز بقدر من الاستقلال الذاتي، فكانت لهم حرية العبادة الدينية ورابطة خاصة بهم تسمى بوليتيوما ومجلس شيوخ، لكنهم لم يعتبروا من مواطني المدينة، في حين منع الإغريق من حق تكوين مجلس شورى، والذي يعتبر ركنا مهما من نظام المدينة الإغريقية، وذلك تأكيدا لتبعيتهم للدولة الرومانية، لكي لا يشكّلوا كيانا مستقلا قد يكون خطرا على الحكم الروماني فيما بعد.

✓ كان اليهود يشعرون بأنهم في أدنى درجات السلم الاجتماعي مثل المصريين وأنهم لم يكونوا مواطنين مثل الإغريق والرومان، وأنهم يدفعون ضريبة الرأس سببا رئيسيا في الخلاف بينهم وبين الإغريق، فحاولوا السعي بكل السبل من أجل الحصول على مواطنة مدينة الإسكندرية، مما ترتب عنه اصطدامهم بالإغريق ثم بالحكومة الرومانية بعدها.

✓ لم تهدأ الاضطرابات الاجتماعية في الإسكندرية، وتم اعتبارها مدينة غير مستقرة سياسيا، وذلك بسبب أعمال الشغب والقلاقل الاجتماعية بين الإغريق واليهود، وهذا فإن صراعهم يعد قديما وحقدا دفينا تعود جذوره إلى العهد البطلمي ولكنه اشتعل في العهد الروماني، مما استدعى تدخل السلطة الرومانية في هذا الصراع، وقد تصاعدت الاضطرابات بحدة بين اليهود والإغريق خاصة في عهد كاليجولا ونيرون وتراجانوس، وتطورت إلى قتال واشتباكات عنيفة.

✓ يمكننا القول أن الدين كان عامل فصل لا وصل، وهو الذي فصل اليهود عن الاندماج كليا في المجتمع الإغريقي، وخاصة أن المواطنة والدخول في معاهد الجمنازيوم تستوجب عبادة الآلهة الوثنية، وهو ما ساهم في عدم حدوث تقارب بينهما، كما أن إغريق الإسكندرية كانوا يعتبرونهم غرباء عنهم مختلفين عنهم في الثقافة والدين ويرفضونهم في مجتمعهم.

✓ لا نستبعد أن رغبة اليهود الشديدة في الوصول إلى مكانة الإغريق مردها إلى ذهنية اليهود والفكرة الراسخة لديهم أنهم شعب الله المختار وأنهم أرفع منزلة من باقي الشعوب، وهو ما زاد من مقتهم لوضعيتهم المتدنية وعدم تقبلها والعمل على تغييرها بشتى الطرق.

✓ تعتبر ثورة اليهود التي اندلعت في عهد تراجانوس عام 115م، من أهم حلقات الصراع بين السكان والسلطة الرومانية، وقد تحولت من مجرد اضطرابات بين اليهود والاغريق إلى صدام مسلح ومعارك، وخلفت خسائر تركت آثارا مدمرة، وتبين كذلك أن ذهنية اليهودي تتميز بعدم الرضوخ وأنهم فوق الشعوب الأخرى وفكرة الخلاص كانت تسيطر على عقولهم، كما تبرز السخط الشعبي من السلطة الرومانية.

✓ اختلفت أسباب ثورات المصريين عن ثورات اليهود وصراعاتهم مع الإغريق، فكانوا يريدون تحسين حالتهم الاقتصادية والاجتماعية المتردية نتيجة السياسة الرومانية المنتهجة وثقل الضرائب التي كانوا يدفعونها، فقامت ثورة الرعاة نتيجة لذلك عام 172 م.

✓ لم يجذب المسيحيون في البداية اهتمام السلطة الرومانية ولم يتعرضوا للاضطهاد، وتم التسامح معهم باعتبارهم من الطوائف الدينية اليهودية، وقد عرف الرومان بتسامحهم الديني اتجاه الشعوب، غير أنهم غيّروا نظرتهم اتجاه المسيحيين وباتوا يشكلون خطرا على النظام وأمن الدولة، خاصة بعد رفضهم

القيام بالطقوس الوثنية والتضحية للآلهة، وهو ما سبّب موجة الاضطهاد للمسيحية ومقاومة من السلطة الرومانية، مما يدفعنا لاعتبار أن أسباب الاضطهاد ليست دينية بحتة بل سياسية أيضا للحفاظ على كيان الإمبراطورية.

✓ تميزت الفترة الممتدة من ظهور المسيحية حتى عهد الإمبراطور قسطنطين الأول بالعنف والاضطهادات الدينية، وقد مر اضطهاد المسيحيين بثلاث فترات متميزة تغطي القرون الثلاثة الأولى، حيث بدأ الاضطهاد من عهد الإمبراطور نيرون ثم تراجانوس بعد أربعين سنة، ولكن أول اضطهاد منظم ضد المسيحيين في مصر حدث عام 202 م في عهد سبتيموس سيفيروس، ومرة أخرى في منتصف القرن الثالث الميلادي في عهد ديكيوس وفاليريانوس، ثم عاد الاضطهاد في بداية القرن الرابع الميلادي أثناء حكمي دقلديانوس وجاليريوس.

✓ ارتكبت أبشع الجرائم واخترع الرومان كل أنواع التعذيب ضد المسيحيين، وأصبح الاضطهاد والكراهية سمة السلطة الرومانية في التعامل معهم، وبدا واضحاً تصميمها على إبادة جماعة دينية وعرقية، مما أدى إلى توتر العلاقة بين المسيحيين والدولة، ولكن هذا لا يعني أن هذه الفترات كانت مليئة بالاضطهاد بل وجدت فترات تسامح نسبي وسلام خاصة خلال القرن الثاني الميلادي، مما أدى إلى بناء الكنائس وازدياد قوة المسيحية وانتشارها.

✓ ويشير تداخل الاضطهاد وفترات السلام إلى اختلاف سياسة وطرق حكم الأباطرة ونظرتهم للمسيحيين، وعموماً فموقفهم اتجاه الكنيسة كان واضحاً ومحدّداً، إما اضطهدوها علنا أو تسامحوا معها ولم يتجاهلوها بأي حال من الأحوال.

✓ في منتصف القرن الثالث الميلادي ظهر المسيحيون كقوة يحسب لها حساب في الحياة العامة، في حين أن الإمبراطورية كانت تمر باضطرابات وأزمات سياسية واقتصادية، ولهذا قرر الإمبراطور ديكيوس القضاء على المسيحية، حيث استيقظت فيه الروح الرومانية القديمة وأصدر مرسوما عام 250 م عاما شاملا، حيث تميزت قراراته بأشد العقوبات من نفي وتعذيب وتهديدات من جميع الأنواع لإجبار المسيحيين على الارتداد.

✓ وكان لابد من استخراج وثيقة أو ما تسمى بالبراءات تثبت أن المسيحي ضحّى للآلهة؛ ويدل استخدام هذه الطريقة على قساوة الإجراءات وأساليب الاضطهاد التي استخدمها ديكيوس لمواجهة المسيحية، وتراوحت مواقف المسيحيين بين الصمود أو الارتداد أو الحصول على شهادة مزورة تدعى ليبيلاتيكي (Libellatici)، وما يميز اضطهاده أنه كان أول اضطهاد شامل ساد الامبراطورية بعد أن كان الاضطهاد محليا.

✓ كانت الإجراءات التي اتخذها فالريانوس من 257-258 م الأكثر عدائية للمسيحية من التي اتخذها ديكيوس، حيث كانت موجهة بالدرجة الأولى للطبقات العليا من رجال الكنيسة وأعضاء مجلس الشيوخ الروماني؛ ويعتبر مرسومه الأكثر شهرة ومكننا من فهم الآلية القانونية الرسمية للاضطهاد.

✓ قام من بعده الإمبراطور جالينوس على خطوة جريئة لم يسبقه إليها أحد، بإصدار مرسوم التسامح الأول عام 261 م، وسبق فيما صدر بعده من مراسيم التسامح لعام 311 م و 313 م؛ ويعد اضطهاد دقلديانوس شديدا على المسيحيين بإصدار مراسيم قاسية، فعانى مسيحيو مصر معاناة كبيرة، حتى أن الكنيسة القبطية في مصر جعلت بدء تقويمها من عام 284 م، سنة توليه العرش ويسمى بتقويم الشهداء، وقد أثرت إجراءاته بشكل حاسم في مهاجمة المسيحيين ومقدساتهم وإجبارهم على الخضوع للدولة، وهذا يدل على ما وصلت إليه المسيحية من قوة وشأن، لاسيما أنه ازداد نفوذها بين رجال الجيش وهو ما اعتبر تهديدا لسلامة الامبراطورية وأمنها.

✓ فشل الاضطهاد في القضاء على المسيحية، وفي الحقيقة كان لهذا الاضطهاد نتائج عكسية، إذ يمكننا اعتبار الاضطهاد نفسه عاملا من عوامل انتشار المسيحية، ولم يزد المسيحيين إلا رغبة في الصمود، حيث لم ينته القرن الثالث الميلادي حتى صارت مصر إقليما مسيحيا.

✓ مع مطلع القرن الرابع الميلادي نلاحظ أن موقف السلطة الرومانية قد بدأ يتغير من الديانة المسيحية، حيث اضطر الرومان التعامل مع المشكلة المسيحية بأسلوب إيجابي، والعمل على كسب ود هذه القوة المتنامية بدل معاداتها. حيث أصدر الامبراطور قسطنطين الأول مع ليكينيوس المرسوم الشهير للتسامح الديني والمعروف باسم "مرسوم ميلان" سنة 313 م، الذي اعترف فيه بالمسيحية بشكل قانوني وأصبح لها كامل الحرية دون ضغوط أو قيود.

ويعتبر هذا المرسوم آخر المراسيم التي وضعت حدّاً للاضطهاد، وهو نقطة تحول في تاريخ المسيحية.

✓ بالرغم من أن قسطنطين لم يكن أول الأباطرة الذين اتبعوا سياسة التسامح الديني مع المسيحيين، إلا أنه تابع بشكل جدي تنفيذ إرجاع حقوق الكنيسة ورد المظالم عن المسيحيين.

وقد اختلف الباحثون اختلافا كبيرا حول الدوافع التي جعلت قسطنطين ينهي الاضطهاد ويتخذ هذا القرار المصيري، وحول ما إذا كان بدافع ديني أم بدافع سياسي، وإن كان تسامحه ناتجا عن إيمانه بالمسيحية أم لمصلحة سياسية ، وإن كان تبين لنا من خلال الدراسة أنه كان سياسيا محنكا وأن سياسته الدينية كان لضرورة الحفاظ على قوة السلطة الرسمية في الإمبراطورية بالدرجة الأولى، فدافع عن المسيحيين وساند الكنيسة التي ازداد نفوذها كقوة زمنية كي يستفيد من تأييدها.

✓ تبين لنا من الدراسة مدى قوة الكنيسة المصرية وتفوقها فكريا وعقائديا وبهيبة آبائها على سائر كنائس الامبراطورية، واحتلت مكانة كبرى ضمن الكنائس الكبرى، هذا فضلا عن دورها الرائد في انتشار الرهبانية وفي التعليم والدفاع عن الإيمان ضد الاضطهاد من ناحية ومواجهة السلطة.

✓ يعتبر القرن الرابع الميلادي نقطة تحول في تاريخ الكنيسة، ولا يقتصر الأمر على نهاية عصر الاضطهاد فقط، بل أيضا على علاقات المسيحيين ببعضهم البعض، فعرفت هذه الفترة عددا من الانشقاقات والصراع المذهبي، بعد أن وصلت الكنيسة إلى امتلاك حريتها وأمان مواطنيها بدأت تظهر بين المسيحيين الجدالات والاختلافات، وظهر بعد الاضطهاد خطر التفكك والانقسام داخل الكنيسة، وظهرت الآريوسية كمشكلة دينية انطلقت من الإسكندرية لتعم الكنيسة الشرقية، مما اضطروا إلى عقد مجمع نيقية سنة 325 م، الذي دعا لانعقاده الامبراطور قسطنطين، ورغم أنه لم يكن على علم معمق بهذه الخلافات وبالجدل اللاهوتي القائم، إلا أنه كان يرغب بالقضاء على هذا الخلاف حفاظاً على وحدة الإمبراطورية وطمعاً منه في الزعامة الدينية بالموازاة مع سلطته السياسية.

قائمة الملاحق:

ملحـــــــق الصور	العنـــــوان
❖ الصورة رقم 1:	❖ منظر عام لفسيفساء النيل The Museo Nationale Prenestino, Palestrina, Italy.....(ص15)
❖ الصورة رقم 2:	❖ الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس .....(ص20)
❖ الصورة رقم 3:	❖ عملة فضية بها نقيشة تبين استيلاء أوكتافيوس على مصر....(ص22)
❖ الصورة رقم 4:	❖ لوحة جنائزية للجندي أوريليوس سابيوس (Aurelius Sabius) (Alexandria, Mus.inv.252) ..... (ص56)
❖ الصورة رقم 5:	❖ نموذج لرسالة من ورق البردي كتبت من طرف جندي في الجيش الروماني.....(ص65)
❖ الصورة رقم 6:	❖ صورة الإمبراطور كاراكلا (188-217 م).....(ص80)
❖ الصورة رقم 7:	❖ وثيقة بردية رقم 40 تمثل دستور كاراكلا.....(ص81)
❖ الصورة رقم 8:	❖ قوس النصر لتيتوس يؤرخ لانتصار الرومان على اليهود.....(ص130)
❖ الصورة رقم 9:	❖ صورة الإله سيرابيس.....(ص164)
❖ الصورة رقم 10:	❖ واجهة معبد قيصرون.....(ص171)
❖ الصورة رقم 11:	❖ قطع نقدية للعملة المصرية في العهد الروماني.....(ص174)
❖ الصورة رقم 12:	❖ كنيسة القديس بولس في روما، وهو يحمل في يده السيف رمز الاستشهاد الذي قتله به الحاكم الروماني، وفي اليد الأخرى الإنجيل الذي بُشّر به.....(ص181)
❖ الصورة رقم 13:	❖ قبّة من الفسيفساء داخل كنيسة القديس بولس تمثل المسيح محاطا بالرسل القديسين: لوقا وبولس وبطرس وأندراوس.....(ص182)
❖ الصورة رقم 14:	❖ مخطوطات نجع حمادي.....(ص200)
❖ الصورة رقم 15:	❖ بردية جون رايلاند لإنجيل يوحنا من الجهتين رقم 52.....(ص210)
❖ الصورة رقم 16:	❖ بردية Chester Beatty رقم 45 تمثل سفر لوقا الإصحاح 12، الأعداد 18-37.....(ص210)
❖ الصورة رقم 17:	❖ بردية Chester Beatty رقم 46 تمثل رسائل بولس.....(ص211)

❖ **الصورة رقم 18:** ❖ بردية بودمير والصفحة الأولى من البردية لسفر يوحنا 1: 1-13 والكلمات الافتتاحية.....**(ص212)**
❖ **الصورة رقم 19:** ❖ صورة توضح إيزيس وهي تقود نفرتاري إلى عالم الموتى، ثم تضع في فمها علامة عنخ لتستنشق روح الحياة.....**(ص218)**
❖ **الصورة رقم 20:** ❖ صورة توضح مخطوطة قبطية لسفر أعمال الرسل وشكل الصليب القبطي.....**(ص219)**
❖ **الصورة رقم 21:** ❖ نحت من القرن الرابع الميلادي يظهر القديس بولس وهو يقتاد لتنفيذ حكم الموت خارج أسوار روما..... **(ص231)**
❖ **الصورة رقم 22:** ❖ جلد قديس بالسوط في حضور الامبراطور دقلديانوس، وهي لوحة جدارية (Affresco) من سرداب كنيسة سانتا ماريا في فيالاتا روما (Crypta Balbi)، منتصف القرن الثامن الميلادي.....**(ص271)**
❖ **الصورة رقم 23:** ❖ بابا الإسكندرية بطرس.....**(ص279)**
❖ **الصورة رقم 24:** ❖ صور جنائزية لسيدتان مؤرخة بنهاية القرن 3 وبداية القرن 4 م، مع التعديل المنهجي في أسلوب التصوير بالخطوط الحادة وملامح الوجوه الممتلئة، وكأس الخمر المقدس والنبات الأرجواني وسائط الميت في العالم الآخر.....**(ص302)**
❖ **الصورة رقم 25:** ❖ دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر وقلالى الرهبان.....**(ص304)**
❖ **الصورة رقم 26:** ❖ كنيسة الصليب بدير الأنبا أنطونيوس.....**(ص305)**
❖ **الصورة رقم 27:** ❖ لوحات جدارية من كنيسة القديس أنطونيوس.....**(ص305)**
❖ **الصورة رقم 28:** ❖ تمثال رخامي من القرن الرابع الميلادي للإمبراطور قسطنطين الأول..... ..... **(ص307)**
❖ **الصورة رقم 29:** ❖ أساقفة مجمع نيقية ويتوسطهم الإمبراطور قسطنطين الأول..**(ص339)**
❖ **الصورة رقم 30:** ❖ أيقونة روسية من القرن 17 م لمجمع نيقية.....**(ص340)**
❖ **الصورة رقم 31:** ❖ أيقونة تجمع آباء مجمع نيقية المسكوني، ويرى في الوسط الإمبراطور قسطنطين وفي أقصى اليسار البابا ألكسندر بابا الإسكندرية وهم

يمسكون بمخطوطة قانون الإيمان.....(ص348)	
ملحق الخرائط	**العنـــــوان**
❖ **الخريطة رقم 1:**	❖ خريطة توضح أحياء مدينة الإسكندرية.....(ص62)
ملحق الجداول والمخططات	**العنـــــوان**
❖ **الجدول رقم 1:**	❖ الأباطرة الرومان وحكامهم في مصر.....(ص ص32-36)
❖ **الجدول رقم 2:**	❖ جدول يبين الجنود الرومان في مصر الذين من أصول إيطالية .....(ص54)
❖ **المخطط رقم 1:**	❖ تقسيمات المدن الإغريقية بمصر الرومانية.....(ص40)
❖ **المخطط رقم 2:**	❖ الجهاز الإداري في مصر الرومانية.....(ص41)
❖ **المخطط رقم 3:**	❖ مخطط يوضع تقسيم الطبقات في مصر من خلال المكانة والامتيازات .....(ص52)
❖ **المخطط رقم 4:**	❖ كرونولوجية الاضطرابات الاجتماعية في مصر.....(ص105)
❖ **المخطط رقم 5:**	❖ كرونولوجية الاضطهاد والتسامح الروماني اتجاه المسيحيين..(ص227)

قائمة البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر باللغة العربية:

1. **القرآن الكريم**.
2. **الكتاب المقدس** (العهد القديم؛ العهد الجديد).
3. الشهرستاني محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد، **الملل والنحل**، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968.
4. القلقشندي الشيخ أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى**، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.
5. يوسيبيوس القيصري، **حياة قسطنطين العظيم**، تعريب القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ت.

ثانيا: المصادر باللغة الأجنبية:

أ- الرسائل والمدونات القانونية:

1. Johnson, Coleman-Norton & Bourne, **Ancient roman statutes -edicts of Caracalla on citizenship, on amnesty and on expulsion from Alexandria (212-215 Ad**), N. 277, Austin, 1961.
2. Letter of Claudius to the alexandrians :**P. Lond. VI, 1912.**

ب- المصادر الأدبية:

1. C. Suetonius Tranquillus, **The Lives of the Twelve Caesars**, an english translation, publishing editor. J. Eugene Reed. Alexander Thomson, Gebbie & Co Philadelphia, 1889.
2. Clément d'Alexandrie, **Stromates**, traduction française M.De Genoude, IV, IV :http://remacle.org/bloodwolf/eglise/clementalexandrie/stromates41.htm
3. Diodore de Sicile, **Bibliothèque Historique**, trad par Ferd Hoefer, Tome III et IV, Adolphe Delhays Libraire, Paris, 1851.
4. Dion Cassius, **Histoire Romaine**, traduite en français par E. Gros, Tome Septième, Librairie De Fermin Didot Frères, Fils et C^{ie}, imprimeurs de l'institut, Paris, 1865.
5. Eusebius Pamphilus, **The Ecclesiastical History**, translated from the original by Rev. C, F.Cruse, A. M, an historical view the council of Nice translation of documents by the Rev, Isaac Boyle, D. D, eighth edition, Dayton & Saxton, New York, 1842.

6. Eusebius, **Life of Constantine**, introduction, translation, and commentary by Averil Cameron, Stuart G. Hall, Clarendon Press, Oxford, United States, 1999.

7. Flavius Joséphe, **Antiquites judaïques**, traduction de Julien Weill, sous la direction de Théodore Reinach, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1900.

8. Flavius Joséphe, **Contre Apion**, trad de René Harmand, révisée et annotée par Theodore Reinach, livre II, Ernest Leroux Éditeur, Paris, 1911.

9. Flavius Joséphe, **Guerre des juifs**, truduction de Bené Harmand, révisée et annotée par Théodore Reinach, Tome 5, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1912.

10. Justin, **Apologies**, Traduction française, introduction et index par Louis Pautigny, Alphonse Picard et Fils Aditeurs, Paris, 1904.

11. l'Origène, **Contre Celse ou défence de la religion chrétienne contre les accusations des païens**, traduit du grec par Elie Bouhéreau, chez Henry Desbordes, Amesterdam, 1700.

12. Lactance, **Histoire de la mort des persécuteurs de l'Eglise primitive**, écrite en latin par L. C. F. Lactance, traduite en françois par Jacques Basnage, sur la traduction angloise de M. le Dr Burnet, Autrecht, 1687.

13. Lucian of Samosata, **The Passing of Peregrinus**, 11, 13: http://www.tertullian.org/rpearse/lucian/peregrinus.htm

14. Philo d'Alexandrie, **Ecrits historiques influence luttes et persécutions des Juifs dans le monde romaine -contre Flaccus ou de la providence-**, par Ferdinand Delaunay, deuxiéme édition, libraire académique, Paris, 1870.

15. Pliny The Younger, **Letters**, translated by J.B.Firth, 1900, (http://www.attalus.org/old/pliny10a.html).

16. Plutarch, **Moralia**, with an english translation by Frank Cole Babbitt, Vol V, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 1936.

17. Plutarque, **Les Vies des hommes illustres : vie d'Antoine,** Tome quatrieme, trad Alexis Pierron, Charpentier, libraire éditeurs, paris, 1853.

18. Socrates, **History of The church**, **from the accession of Constantine a.d 305 to the 38 the year of the Theodosius II**, including a period of 140 years, Jhon Childs and Son, Bungay, London, 1853.

19. Strabon, **Geographie**, traduction nouvelle par Amédée Tardieu, Tome troisième, Librairie Hachette et C^ie^, Paris, 1880.

20. Suétone, **Vie des douze Césars Auguste**, Traduction française de M. Cabaret-Dupaty, Paris, 1893. (avec quelques adaptations de J. Poucet, Louvain, 2001)

21. Tacite, **Œuvres Complètes**, avec la traduction en française, publiée sous la direction DE.M.NISARD,Chez Firmin Didot Frères, fils et C^ie^libraires, Paris, 1869.

22. Tertullien, **Apologétique**, apologie du christianisme écrite en l'an 197 après J, traduction littérale Par J. P. Waltzing, Deuxième édition, revue et corrigée, Librairie Bloud et Gay, Paris, 1914.

23. Tite Live, **Oeuvres de Tite-Live Histoire Romaine**, Collection des auteurs latins sous la direction de M. Nisard, Tome II, Firmin Didot, Paris, 1869.

ثالثا:المراجع باللغة العربية:

1. الأب متى المسكين، **القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله**، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992.
2. أبرص ميشال، عرب أنطوان، **المجمع المسكوني الأول 325 م**، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، 1997.
3. أبرص ميشال، عرب أنطوان، **مدخل إلى المجامع المسكونية**، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، 1996.
4. أبو إسلام أحمد عبد الله، **أسطورة مخطوطات نجع حمادي وقمران**، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006.
5. أبو قحف محمد محمود، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الثقافي بين الفلسفة والدين"**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.
6. أحمد علي عبد اللطيف، **الإمبراطورية الرومانية**، كزيديه اخوان، بيروت، 1974.
7. أحمد علي عبد اللطيف، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.
8. أحمد علي عبد اللطيف، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**، دار النهضة

العربية، د.م، 1988.

9. أسد رستم، **آباء الكنيسة**، ط2، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1990.

10. الأعظمي محمد ضياء الرحمن، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2003.

11. أفندي عبد اللطيف، **البردي دراسة أثرية وتاريخية–طرق الترميم والصيانة–**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008.

12. الأنبا يؤانس، **الاستشهاد في المسيحية**، ط4، دار الكتب، مصر، د.ت.

13. إيمار أندريه، أبوايه جانين، **تاريخ الحضارات العام**، نقله إلى العربية فريدم داغر، فؤاد.ج. أبو ريحان، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986.

14. باترون فيلو، **سلسلة آباء الكنيسة–آباء الإسكندرية–**، ج1، ط1، دار فيلو باترون، القاهرة، 1992.

15. بالين كاميللو، **تاريخ الكنيسة من فجر المسيحية إلى نهاية القرن الخامس عشر**، ط1، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

16. برهييه إميل، **الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري**، ترجمة ومراجعة محمد يوسف موسى، عبد الحليم النجار، إدارة المعارف، د.م، 1904.

17. البساتنة أحمد شيخ، **رؤية في أصول المسيحية– وقائع المحاورة الإسلامية المسيحية إيطاليا 1981–**، ط1، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2006.

18. بل آيدرس، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي "دراسة في انتشار الحضارة الهيلينية واضمحلالها"**، نقلة إلى العربية وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.

19. بوكاي موريس، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، تر حسن خالد، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990.

20. بيرنيا حسن، **تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني**، تر محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.

21. تلش بول، **تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهيلينستية واليهودية حتى الوجودية**، تر وهبة طلعت أبو العلا، ج1، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، 2012.

22. جاريث ب.ماثيوز، **أوغسطين**، تر جاريث ب. ماثيوز، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.

23. جستنية بسمة أحمد، **تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه**، ط1، دار القلم، دمشق، 2000.

24. جنيبير شارل، **المسيحية نشأتها وتطورها**، تر عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

25. حاسون جاك، **تاريخ يهود النيل**، ترجمة يوسف درويش، ، دار الشروق، القاهرة، 2007.

26. حافظ أحمد أحمد غانم، **الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار**، تقديم حسين أحمد الشيخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.

27. حافظ أحمد أحمد غانم، **عن الإسكندرية القديمة التاريخ والحضارة**، قدم له محمد السيد عبد الغني، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، 2013.

28. حبيب بدر وآخرون، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، مراجعة وتدقيق نسيب عون، ط2، مجلس كنائس الشرق الأوسط، برنامج الدراسات والأبحاث، لبنان، 2002.

29. حتي فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج1، تر جورج حداد، عبد الكريم رافق، مراجعة جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

30. الحسين أحمد عبد الله، الإدارة والقانون في مصر الرومانية – دراسة لوظيفة الإبستراتيجيا-، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.

31. الحفني عبد المنعم، **موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية**، مكتبة مدبولي، مصر، 1994.

32. حلمي محروس اسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته بلا ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

33. الحويري محمود محمد، **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1995.

34. الخضري حنا جرجس، **تاريخ الفكر المسيحي- يسوع المسيح عبر الأجيال-**، مج 1، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

35. الخلف سعود عبد العزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1997.

36. دنتسنغر، هونرمان، **الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها**، تر المطران يوحنا منصور، الأب حنا الفاخوري، ط1، ج1، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 2001.

37. راغب نبيل، **عصر الإسكندرية الذهبي (رؤية مصرية علمية)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

38. رأفت عبد الحميد، **بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة**، ط1، عين للدراسات البحوث الإنسانية والاجتماعية، د.م، 1997.

39. رستوفتزف.م، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، ج1، ترجمة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

40. رسل برتراند، **تاريخ الفلسفة الغربية– الفلسفة الكاثوليكية-**، تر زكي نجيب محمود، مج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.

41. روبرتس س. هـ، **قصة البردي اليوناني في مصر (في العصرين اليوناني والروماني)**، ترجمة وتقديم محمود إبراهيم السعدني، ط2، المركز القومي للترجمة، 2009.

42. زايد أحمد، **مختصر الكلام فيما مر على مصر من عصور وحكام**، دار نشر يسطرون، مصر، 2017.

43. زكي علي، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان**، مطبعة دار المستقبل، د.ت.

44. زكي علي، **كليوباترة سيرتها وحكم التاريخ عليها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لجنة البيان العربي، مصر، د.ت.

45. زكي علي، **تاريخ مصر البطلمية بين المد في عهد الملوك الثلاثة الأولين والجزر في عهد كليوباترا السابعة**، د.د.ن، د.ت.

46. ساتورن جورج، **العلم القديم والمدينة الحديثة**، تر عبد الحميد صبرة، تقديم أحمد فؤاد باشا، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

47. سالم عبد العزيز، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982.

48. السعدني محمود ابراهيم، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت.

49. السعدي طارق خليل، **دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام**، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 2005.

50. سعفان كامل، **اليهود تاريخ وعقيدة**، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، 1981.

51. سفينسيسكايا .إ.س، **المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون**، تر حسان مخائيل إسحاق، ط2، منشورات داء علاء الدين، سوريا، 2007.

52. السقار منقذ محمود، **هل التثليث عقيدة المسيح أم عقيدة المجامع–مناظرة مع القس رأفت مشرقي راعي الكنيسة العربية في فيينا–**، دار الإسلام ، د.م، 2013.

53. سليم حسن، **الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر**، ج14، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.

54. السواح فراس، **الوجه الآخر للمسيح –موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد الجديد ومقدمة في المسيحية الغنوصية**، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2004.

55. الشيخ حسين، **العصر الهيلينستي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1993.

56. الشيخ حسين، **دراسات في تاريخ وحضارة مصر اليونانية والرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002.

57. الشيخ حسين، محمد عبد الفتاح السيد، **المصريون والرومان رؤية حضارية**، دار المعرفة الجامعية، د.م، 2007.

58. صبرى أبو الخير سليم، **تاريخ مصر في العصر البيزنطي**، ط2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001.

59. طاهر أحمد، **الأناجيل دراسة مقارنة**، دار المعارف، القاهرة، 1991.

60. طعيمة صابر، **قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل**، ط1، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، 2006.

61. الطوفي نجم الدين، **التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة**، دراسة وتحقيق وتعليق موسى بن محمد آل هجاد الزهراني، ط1، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، قطر، 2016.

62. عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

63. عاصم أحمد حسين، **المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1998.

64. العبادي سارة بنت حامد محمد، **التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة**، ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، 2003.

65. العبادي مصطفى، **الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

66. العبادي مصطفى، **مجتمع الإسكندرية في العصر البطلمي– مصريون وإغريق–**، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1975.

67. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2016.

68. عبد المنعم محمد، **الإسكندرية المكتبة والأكاديمية في العالم القديم**، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2000

69. عبد الوهاب أحمد، **طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون**، ط1، مكتبة وهبة، د.م، 1980.

70. عجيبة أحمد علي، **تأثر المسيحية بالأديان الوضعية**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006.

71. العريني السيد الباز، **مصر البيزنطية**، دار النهضة العربية، د.م، د.ت.

72. عطا زبيدة محمد، **إقليم المنيا في العصر البيزنطي في ضوء أوراق البردي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، 1982.

73. عطيتو حربي عباس، **ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة**، تقديم علي عبد المعطي، دار العلوم العربية، لبنان، 1992.

74. عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، **الشوفينية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجة، العراق، 2019.

75. عمر كمال توفيق، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار المعارف، د.م، 1967.

76. عمران محمد سعيد،**الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.

77. عنايات محمد أحمد، **تاريخ مصر في العصرين اليوناني والروماني**، مطبعة راكوتيس، د.م، د.ت.

78. عيد يوسف، **موسوعة الأديان السماوية والوضعية الديانة اليهودية**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1995.

79. العيدروس عمر عباس، **أضواء على مكتبة الإسكندرية القديمة من خلال إطلالة على التاريخ القديم**، مكتبة الإسكندرية، وزارة الإعلام والثقافة، أبو ظبي، 1995.

80. غربال محمد شفيق، **تكوين مصر عبر العصور**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، 1990.

81. فادية أبو بكر محمد، **دراسات في العصر الهيلينستي**، دار المعرفة الجامعية، د.م، 1998.

82. فرح أبو اليسر، **الشرق الأدنى في العصرين الهيلينستي والروماني**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ت.

83. فورستر، **الإسكندرية تاريخ ودليل**، ترجمة حسن بيومي، مقدمة لورانس داريل، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، 2000.

84. قادوس عزت زكي حامد، **آثار الإسكندرية القديمة**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

85. كامل محمد محمد عويضة، **أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.

86. كامل مراد، **حضارة مصر في العصر القبطي**، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، د.ت.

87. كركور محمد إبراهيم، **تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس**، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، 2006.

88. كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

89. الكلام يوسف، **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس**، المنهل، د.م، 2009.

90. كلاوس مانفريد، **الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم**، تر نادى أحمد، مراجعة صلاح الخولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.

91. كمال عبد العليم مصطفى، **اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان (مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعوني)**، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968.

92. كمال عبد العليم مصطفى، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966.

93. كمال عبد العليم مصطفى، **مصر الرومانية**، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، 1972.

94. لطفي عبد الوهاب يحي، **دراسات في العصر الهيلينستي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.

95. لوريمر جون، **عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس**، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013.

96. ليلى عبد الجواد اسماعيل، **تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية– القبطية–**، دار الثقافة العربية، د.م، 2007.

97. محمد السيد عبد الغني محمد، **جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني في ضوء الوثائق البردية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001.

98. محمد السيد محمد عبد الغني، **أضواء على المسيحية المبكرة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.

99. محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

100. محمد بيومي مهران، **بنو اسرائيل التاريخ منذ عصر ابراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

101. محمد مرسى الشيخ محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.

102. مختار جمال، **تاريخ إفريقيا العام –حضارات إفريقيا الشمالية–**، مج 2، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ شمال إفريقيا، اليونيسكو، 1985.

103. مدحت محمود، **مصر القبطية**، تقديم يونان لبيب رزق، مراجعة سليمان نسيم، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة، 1998.

104. م. روستوفتزف، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي**، ج1، ترجمة ومراجعة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، د.م

105. المقاري إبيفانوس، **الترجمة السبعينية للكتاب المقدس بالمقارنة مع النص العبري والترجمة القبطية– سفر التكوين–**، مراجعة وديد المقاري ، دار مجلة مرقس، القاهرة، 2012.

106. مكاوي فوزي، **الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999.

107. موسهيم يوحنا لورنس فان، **تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة**، مطبعة الأمير كانية، بيروت، 1875.

108. الناصري سيد أحمد علي، **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر**، ط2،دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.

109. الناصري سيد أحمد علي، **الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار 30 ق.م– 641م**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.

110. الناصري سيد أحمد علي، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.

111. الناصري سيد أحمد علي، **تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصرين الهيلينستي**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992.

112. نافتالي لويس، **الحياة في مصر في العصر الروماني 30 ق.م– 284 م**، ترجمة وتعليق آمال الروبي، مراجعة الدكتور محمد حمدي ابراهيم، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الهرم، 1997.

113. النشار مصطفى، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995.

114. نصحي ابراهيم، **تاريخ التربية والتعليم في مصر "عصر البطالمة"**، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

115. نصحي ابراهيم، **تاريخ الرومان (133–44 ق.م)**، ج2، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، القاهرة، 1973.

116. نصحي ابراهيم، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط2، ج2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976.

117. نصحي ابراهيم، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط4، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976.

118. نصحي ابراهيم، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**، مكتبة الأنجلو مصرية، د.م، 1959.

119. هسى.ج.م، **العالم البيزنطي**، تقديم وترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.م، 1997.

120. همو عبد المجيد، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، 2003.

121. ول ديورانت، **قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية**، تر محمد بدران، ج3، م3، د.د.ن، بيروت، تونس، د.ت.

122. يعقوب المقاري، **الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من القرن الأول إلى القرن الخامس**، ط1، ج1، دار مجلة مرقس، القاهرة، 2016.

123. يوحنا نسيم يوسف، **الأيقونات القبطية في التاريخ والأدب والطقوس**، العدد4، برنامج الدراسات القبطية، د.م، 2013.

124. اليوسف عبد القادر أحمد، **الإمبراطورية البيزنطية**، دار المكتبة العصرية، بيروت، 1984.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. A.H.M.Jones, **Constantine and the conversion of Europe**, hodder and stoughton limited, london.

2. Allard Paul, **Histoire des persécutions pendant les deux premiers siécles**, troisiéme édition, librairie Victor Lecoffere, Paris, 1903.

3. Alston Richard , **Soldier and society in roman Egypt: A social history**, Routledge, London, 2002.

4. Austen Michel, **The Hellenistic world from Alexandre to roman conquest**, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 2006.

5. Averil Cameron, **The later Roman empire, 284-430 AD**, Harvard University Press, The United States of America, 1993.

6. Bagnall RogerS., **Hellenistic and Roman Egypt :sources and approaches**, British Library Cataloguing in Publication Data, Great Britain, 2006.

7. Barclay John M.G., **Mediterranean diaspora from Alexandre to Trajan (323 BCE- 117 CE)**, University of California Press, Barclay and Los Angeles, California, 1996.

8. Bayme Steven , **Understanding Jewish history: texts and commentaries**, KTAV Publishing House, The United States of America, 1997.

9. Beard Mary and others, **Religions of Rome,** vol 1, Cambridge University Press, 1996.

10. Bettenson Henry, **Documents of the christian church**, The World Classics, Oxford Univesity Press, New York, 1947.

11. Books Weiser, **Ankh: Key of Life**, introduction by Lon Milo Duquette, Weiser Books, China, 2007.

12. Bowman Alane k, **Egypt after the pharaohs 332 BC 642 from Alexandre to the Arabe conquest**, Library of Congress Catalloguing in Publication Data, United States of America, 1989.

13. Breccia .E, **Alexandrea ad aegyptum guide de la ville ancienne et moderne et du musée gréco·romain**, Istituto Italliano d'Arti Grafiche, Bergamo,1914.

14. Bréhier Emile, **Les Idées philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie**, Librairie Alphonse Picars, Paris, 1908.

15. Bulter Dom Cuthbert, **The Lausiac history of Palladius- a critical discussion to gether with notes on early egyptian monachism**, Vol VI, Cambridge, London, 1898.

16. Capponi Livia, **Augustan Egypt: the creation of a roman province**, Routledge is an imprint of Taylor & Francis, London, 2005.

17. Capponi Livia, **Roman Egypt**, Bristol classical press an imprint of Bloomsbury, London, New York, 2011.

18. Clivaz .C., J. Zumstein, **Reading new testament papyri in context. lire les papyrus du nouveau testament dans leur contexte**, Bibliotheca Ephemeridum Theologicarum Lovaniensium, 242, Uitgeverij Peeters, Paris, 2011.

19. Cojocaru .V and others, **The Economic activities of roman Nicomedia and connectivity between the propontic and the pontic world, in interconnectivity in the mediterranean and pontic world during the hellenistic and roman periods**, Cluj-Napoca, 2014.

20. Collins De. David, Collins John Joseph, **Jewish wisdom in the hellenistic age**, A&C Black Edinburgh , The United States of America, 1998.

21. Collins John .J, **Between Athens and Jerusalem- jewish identity in the hellenistic diaspora-**, Second Edition, Wm.B,, Eerdmans Publishing Co, United States of America, 2000.

22. Cragun Rodger. L, Thomas Kessler , **Christianity: endangered or extinct: a people's history of christianity, the gathering storm**, Wipf and Stock Publishers, 2018.

23. D. M. Murdock, Acharya S, **Christ in Egypt: The Horus-Jesus connection**, Stellar House Publishing, The United States of America, 2008.

24. Darlene L, Brooks Hedstrom, **The Archaeology of early monastic communities**, eds. David K. Pettegrew; William R.Caraher, and Thomas W. Davis in the oxford handbook of early christian archaeology, 2018.

25. De J. Paul Getty Museum, **Alexandria and alexandrianism**, Getty Publications, California. 1996.

26. De Mary T. Boatwright, **Peoples of the Roman world**, Cambridge University Press, The United States of America, 2012.

27. De Sabine R, **Papyri and the Social world of the new testament**, Cambridge University Press, United Kingdom, 2019.

28. Duchesne L, **Histoire ancienne de l'eglise**, Tome I, troisième édition, E. De Boccard, éditeur, Paris, 1923.

29. Fr.B.M.Thomas, **Expansion of christianity outside the roman empire: persian christianity persecution under Saphor II, causes and effects**, federated faculty for research in religion and culture, kottayam, 2015.

30. Frederic G.Kenyon, **The Chester beatty biblical papyri descriptions and texts of twelve manuscripts on papyrus of the greek bible**, Emery Walker limited, London, 1933.

31. Fuhrmann Christopher. J, **Christopher fuhrmann, policing the roman empire: soldiers, administration, and public order**, Oxford University Press, USA, 2012.

32. Gambetti Sandra, **The Alexandrian riots of 38 C.E. and the persecution of the Jews: A Historical reconstruction**, BRILL, Leiden, Boston, 2009

33. Goodman Martin and others, **The Roman world, 44 BC-AD 180**, Psychology Press, London, New York, 1997.

34. Gunter Holble, **A History of the ptolemaic empire**, Doutledge Taylor and Francis Goupe, Library Cataloguing in Publication Data, London, Usa, Canada, 2001.

35. Gwynn David .M, **Athanasius of Alexandria: Bishop, Theologian, Ascetic, Father**, Oxford University press, New York, 2012.

36. **Haas** Christopher , **Alexandria in late antiquity: topography and social conflict**, JHU Press, London , 2006.

37. Hefele Charles, **History of the councils of the church- to the close of the council of Nicaea 325 A.D**-, Vol. 1, books for the ages software, USA, 1997.

38. Hekster Olivier, **Rome and its empire, ad 193–284**, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2008.

39. Humphries Mark, **Christianity and paganism in the roman empire 250-450 C.E**, a companion to religion in late antiquity, forth coming in Nicholas Baker-Brian and Josef Lössl (eds).

40. Hvalvik Reidar, Sandnes Karl Olav, **Early christian prayer and identity formation**, Mohr Siebeck, Tübingen, Germany, 2014.

41. James William Ermatinger, **Daily life of christians in ancient Rome**, Greenwood Publishing Group, The United States of America, 2007.

42. Jan Willem Van Henten, Pieter Willem Van Der Horst, **Studies in early jewish epigraphy**, E.J. Brill, Leiden, Nerthelands, New York, 1994.

43. John Sellars, **Stoicism**, Routledge, London, New York, 2014.

44. Jones .A. H. M , **The Cities of the eastern roman provinces**, Revised By Michael Avi-Yonah, George Bean Michael Gough, T. B. Mitford George Mihailov, Joyce Reynolds Henri Seyrig, J. David Thomas David Wilson, second edition, Oxford at The Clarendon Press, Great Britain , 1971.

45. Kasher Aryeh, **The Jews in hellenistic and roman Egypt**, J.C.B. Mohr Tubingen, Germany, 1985.

46. Katelijn Vandorpe, **The Oxford handbook of roman Egypt-identity in roman Egypt-**, Oxford University Press, Editors: C. Riggs, 2012.

47. Kelly Benjamin, **Petitions, litigation, and social control in roman Egypt**, OUP Oxford, New York, 2011.

48. Lembke Katja and others, **Tradition and Transformation : Egypt under roman rule**, proceedings of the international conference, Hildesheim, Roemer- and Pelizaeus-Museum, 3–6 July 2008, Brill, Leiden, Boston, 2010.

49. Lesquier Jean, **l'Armée romaine d'Égypte d'Auguste à Dioclétien**, le Caire imprimerie de l'institut français d'archéologie orientale, 1918.

50. Loisy Alfred, **La Naissance du christianisme**, Émile Nourry, Éditeur, Paris, 1933.

51. M.A, J.Grafton Milne , **A History of Egypt under roman rule**, second edition, Methuen and Co. Ltd, London, 1913.

52. Maravela Anastasia, **Christians praying in a graeco-egyptian context: intimations of christian identity in Greek papyrus prayers**, in early christian prayer and identity formation, Mohr Siebeck, Tübingen, Germany, 2014.

53. Menahem Mansoor, **Jewish history and thought: an introduction,** KTAV Publishing House, The United States of America., 1991.

54. Monson Andrew , **From the Ptolemies to the Romans: political and economic change in Egypt**, Cambridge University Press, New York, 2012.

55. Moreau Jacques, **La Persécution du christianisme dans l'empire romain**, Presses Universitaires de France, Paris, 1956.

56. Nock Arthur Darby, **Early gentile christianity and its hellenistic background**, Harper & Row, Publishers, New York, 1964.

57. Pagels Elaine, **The Gnostic Gosphels**, Vantage Books, New York, 1989.

58. Paul Allard, **Histoire des persécutions pendant les deux premiers siécle**, Librairie Victor Lecofere, paris, 1903.

59. Peachin Michael, **The Oxford handbook of social relations in the roman world**, Oxford University Press, New York, 2011.

60. Pearce Sarah, **The Land of the body: studies in Philo's representation of Egypt**, Mohr Siebeck, Germany, 2007.

61. Peder Borgen, **Early christianity and hellenistic judaism**, T&T Clack Edinburgh, Scotland, 1998.

62. Percival Henry.R, M.A., D.D, **A select library Nicene and post-nicene fathers the christian church -the seven ecumenical councils of the undivided church**, Vol 14, Oxford: James Parker and Company, New York, 1900.

63. Peter Lang, **Esclesia Alexandrina- evolution sociale et institutionnelle du christianisme alexandrin (II^{e} et III Siecle)**, Vol 1, information bibliographique publiée par Die Deutsche Bibliothek, Berne, 2004.

64. Phang Sara Elise, **The Marriage of roman soldiers (13 b.c.-a.d. 235): law and family in the imperial army,** Brill, The Netherlands, 2001.

65. Pierluigi Lanfranchi, Joseph Verheyden, **Jews and Christians in antiquity a regional perspective**, Peeters, Paris, 2018.

66. Reinach Sololmon, **l'Arc de Titus, conférence faite a la société des études Juives le 3 mai 1890**, librairie A.Durlacher, Paris, 1890.

67. Revd Dr David Ivan Rankin, **From Clement to Origen: the social and historical context of the church fathers**, Ashgate publishing, Great Britain, 2013.

68. Rhadhakrishnan .S, **Eastern religions and western thought**, second edition, Oxford University Press , London.

69. Riggs Christina, **The Oxford handbook of roman Egypt**, Oxford University Press, library of congress cataloging in publication data, Great Britain, 2012.

70. Roberto M. Rodriguez, **The Conversion of Constantine**, Lulu Press, 2011.

71. Ruffini Giovanni, **Ancient Alexandria between Egypt and Greece**, Contributors W. V. Harris, Brill place of publication: Leiden, Netherlands, 2004.

72. Runia David T, **Philo of Alexandria and the "Timaeus" of Plato**, E.J.BRILL, The Netherlands, 1986.

73. Runia David.T , **Philo of Alexandria: an annotated bibliography 1997 2006,** BRILL, The Netherlands, 2011.

74. Schaff Philip, **History of the christian church**, Vol 2, The ages digital library historical, USA,1997.

75. Schaff, Philip, **History of the christian church apostolic christianity 1-100 A.D**, Vol I, Publisher: Ccel, 1882.

76. Seland Torrey, **Reading Philo: A Handbook to Philo of Alexandria**, publié par Wm. B. Eerdmans Publishing, The United States of America, 2014.

77. Sharpe Samuel, **The History of Egypt under the romans**, Harvard College Library, London, 1842.

78. Shaw Ian, **The Oxford history of ancient Egypt**, OUP Oxford, New York, 2003.

79. Sherman Le Roy Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian**, Princeton University Press, 2015.

80. Sly Dorothy I. , **Philo's Alexandria**, Routledge, London, 2013.

81. Smallwood E. Mary , **The Jews under Roman rule: From Pompey to Diocletian**, Brill, The Netherlands, 1976.

82. Smallwood E.Mary, **Philonis Alexandrini legatio ad gaium de Philo (of Alexandria)**, second edition, Brill archive, The Netherlands, 1970.

83. Stuart Jones.H, **Claudius and the jewish question at Alexandria**, reprinted published of roman from the journal of roman studies by the society for the pro motion studies at the office of the society, 1926.

84. Vanoyeke Violane, **Les Ptolémées derniers pharaons d'Egypt: d'Alexandre à Cléopatre**, éd Tallandier, Paris, 1998.

85. Verhoogt Arthur, **Early christian texts in the University of Michigan papyrology collection**, Saint Nicholas Greek Orthodox Church, 2013.

86. Walker Williston and others, **History of the christian church**, fourth edition, Simon and Schuster, The United States of America,1985.

87. Wallace Sherman Leroy, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian**, Princeton University Press, London, 1938.

88. Westall Richard, **Rome and ptolemaic Egypt: initial contacts**, Aegyptiaca et coptica. studi in onore di sergio pernigotti, publishers of British archaeological reports, England, 2011.

خامسا: المجلات والدوريات:

أ- باللغة العربية:

1. حسن طوكان عبد الله، **موقف القادة والأباطرة الرومان من اليهود 66 ق.م-138 م**، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 13، العدد 3، 2018.

2. رفاعي كريمة رمضان، **وضع الأبناء في حالات الطلاق في مصر الرومانية في ضوء إقرارات**

الإحصاء المنزلي، المؤتمر الدولي الرابع بعنوان الفكر في مصر عبر العصور، مركز الدراسات البردية والنقوش، مج3، دار المنظومة، القاهرة، 2016.

3. ريمون يوسف رزق، **خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا ضد الآريوسيين للقديس أثناسيوس الرسولي**، مجلة مدرسة الإسكندرية، العدد 3، السنة الرابعة، 2012.

4. زكي ردوة، **بطوليميس المدينة الإغريقية المفقودة في مصر**، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد 8، 2010.

5. سباغ عبد الكريم، **قواعد التنظيم السياسي لمجلس السنهدريم اليهودي**، مجلة المعيار، عدد 42، 2017.

6. عاصم أحمد حسين، **العلاقات الرومانية المسيحية بين اللامبالاة والاضطهاد والاعتراف**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 38، مصر، 1995.

7. عاصم أحمد حسين، **الواحات المصرية في العهد الروماني**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الأول، 1951.

8. عاصم أحمد حسين، **نشأة المسألة المصرية في السياسة الرومانية 80–51 ق.م**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد الأول، 1951.

9. فهمي محمد، **تاريخ اليونان**، تقديم محمد زينهم محمد عزب، مكتبة ومطبعة الغد، د.م، 1999.

10. قبيسي محمد بهجت، **قانون كاراكلا ومذبحة الإسكندرية (خريف عام 215م) وتبرئة كاراكلا من أنه كان ضد الشعب المصري صاحب الأرض**، مجلة جمعية الأثاريين العرب، العدد الأول، القاهرة، 2000.

11. كتفي الشريف هاجر، **الجالية اليهودية بالإسكندرية في عهد البطالمة" ما بين التأثر بالإغريق والمحافظة على الدين"**، مجلة تاريخ المغرب العربي، المجلد 3، العدد 7، 2017.

12. كحيلة محمود محمد، **كليوباترا البطلمية في الثقافة العالمية**، دورية كان التاريخية، السنة الثانية، العدد 4، 2009.

13. لعموري شهيدة، **التأويل الرمزي في النص الديني فيلون الإسكندري أنموذجا**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد 11، 2019.

14. مصطفى النشار، **النزعة التوفيقية الدينية في مدرسة الإسكندرية الفلسفية القديمة أوريجين أنموذجا**، مجلة تفاهم، العدد 61، 2018.

15. مصطفى كمال عبد العليم، **بردية أوكسيرينخوس رقم 2435 ولقاء بين الإمبراطور أغسطس والإسكندريين وترحيب الإسكندرية بمقدم جرمانيكوس**، المجلة التاريخية المصرية، العدد العشرون، 1973.

16. نشنش حميدة، **الاضطهاد الديني المسيحي في بلدان المغرب القديم من نهاية القرن الثاني ميلادي إلى بداية القرن الرابع ميلادي**، مجلة الباحث، المجلد6، العدد 12، 2012.

ب- باللغة الأجنبية :

1. Anastos Milton. V, **The Edict of Milan (313) : a defence of its traditional authorship and designation**, revue des études byzantines, Tome 25, 1967.

2. Aneni, Monica, **Politics of the ptolemaic dynasty**, a new journal of african studies, VoL 12, 2016.

3. Annemarie Luijendijk, **Papyri from the great persecution: roman and christian perspectives**, journal of early christian studies, the Johns Hopkins University Press, Tome 16, N°3, 2008.

4. Annick Martin, **Aux origines de l'église copte :l'implantation et le développement du christianisme en Egypte (Ie - IVe siècles)**, revue des études anciennes, Tome 83, N°1-2, 1981.

5. Artemi Eirini, **Emperor Constantine and The theology of christianity from his autocracy to the second ecumenical council**, international conference commemorating the 1700th anniversary of the edict Milan, 31/5/2013- 2/6/2013, Nis of Serbia, 2013.

6. Blid, Jesper and others, **Excavations at the monastery of St Antony at the Red Sea**, Opuscula: annual of the swedish institutes at Athens and Rome, Vol 9, 2016.

7. Bardy Gustave **, l'Occident et les documents de la controverse Arienne**, Revue des sciences religieuses, Tome 20, 1940.

8. Boldișor Adrian, **The relation between christianity and paganism in the reign of saint emperor Constantine The Great**, International scientific symposium 29-30 of may, Tismana Monastery, Romania, **-The christian paradigm of a Unitd Europe, The Historical and religious dimension of the reign of saint Constantine the great and his present reception** published with the blessing of his Eminence Dr.Irineu, 2014.

9. Bruce F.F., **Christianity under Claudius**, bulletin of the John Rylands Library, Vol 44, 1962.

10. Beatrice Pier Franco, **Hellénisme et christianisme aux premiers siècles de notre ère Parcours méthodologiques et bibliographiques**, Kernos, Vol 10, 1997.

11. Bell H. I , **Anti-Semitism in Alexandria**, The journal of roman studies ,Vol 31, 1941.

12. Burkhalter Fabienne, **Le Gymnase d'Alexandrie : centre administratif de la province romaine d'Égypte**, Bulletin de correspondance hellénique, Vol 116, livraison 1, 1992.

13. Bell H. I, **P. Giss. 40 and the "Constitutio Antoniniana"**, The Journal of Egyptian archaeology, Vol 28, 1942.

14. Colin Frédéric, **Identités ethniques et interactions culturelles dans l'antiquité réflexions autour de l'ouvrage ethnicity in hellenistic Egypt**, l'antiquité classique, Vol 63, N° 63, 1994.

15. Chapo Victor, **Les Armées hellenistiques** [Marcel Launey, recherches sur les armées hellénistiques], Journal Des Savants, 1951.

16. Chow, Christopher J, **The Edict of Milan and the early roots of christianity in the roman empire**, young historians conference, Portland State University, 2017.

17. Cuţaru Caius, **Christianity and greco-roman polytheism in the fourth century. the role of emperor Constantine the great in the imposition of christianity**, Teologia, vol 3, 2013.

18. Carsten Hjort Lange, **The Battle of Actium: a reconsideration**, Classical Quarterly, 61/2, 2011.

19. Drake Harold**, The Emperor as a 'man of god': the impact of Constantine The Great's: conversion on roman ideas of kingship**, História (São Paulo), Vol 35, 2016.

20. Waebens Sofie, **The Representation of roman soldiers on third-century AD funerary monuments from Nikopolis (Egypt)**, Tome 1, VoL 1, revue internationale d'histoire militaire ancienne, 2014.

21. Westall Richard, **The Loan to Ptolemy XII, 59-48 BCE**, Ricerche di Egittologiae di Antichità Copte, Vol 12, 2010.

22. Honigman Sylvie, **Politeumata and Ethnicity in Ptolemaic and Roman Egypt**, Ancient Society, Vol 33, 2003.

23. Ritner robert k, **Egypt under Roman rule: the legacy of ancient Egypt**, Edited by Carl F. Petryn, Islamic Egypt , Vol 1, 640–1517, The Cambridge History of Egypt.

24. Hardy Edward Rochie**, christian egypt : church and people. christianity and nationalism in the patriarchate of Alexandria**, revue de l'histoire des religions, Tome 145, N°2, 1954.

25. Rathbone Dominic, **Egypt, Augustus and roman taxation**, in cahiers du centre Gustave Glotz, 4, 1993.

26. Straus Jeans A, Goudrian Koen, **Ethnicity in ptolemaic Egypt**, l'intiquité classique, Tome 60, 1991.

27. Piganiol André, **Le Statut Augustéen de l'Egypte et sa destruction**, Zeitschrift: Museum Helveticum, revue suisse pour l'étude de l'antiquité, Vol 10, 1953

28. Rostovtzeff.M, **Pax Augusta Claudiana**, The Journal of egyptian archaeology, Vol 12, Issue 1, 1926.

29. Polyviou Evanthia **,The civic status of the Alexandria jewish community in ptolemaic and early roman periods,** Anistoriton Journal, Vol 13, 2012 2013.

30. Couchoud Paul-Louis, **La plus ancienne bible chrétienne : les papyrus Chester Beatty**, revue de l'histoire des religions, Vol 109, 1934.

31. Boismard M.E., **Le Papyrus Bodmer II**, revue biblique, Vol 64, No. 3, 1957.

32. Michaelides, Pavlos E, **Plotinus' philosophical eros for the one: his unio mystica, ethos and legendary life**, international journal of multidisciplinary thought , 2018.

33. Jean-Chrysostome Kanyororo, **Laval théologique et philosophique les richesses intérieures de l'ame selon Plotin**, le néoplatonisme, Vol 59, N 2, 2003.

34. Tuccinardi Enrico, **Ben netser et un fragment de Tacite dans Sulpice Sévère** , cahier N. 260 du Cercle Ernest Renan, centre d'histoire des religions, de critique biblique et de recherche des origines du christianisme, 2012.

35. Rives .J. B, **The Decree of Decius and the Religion of Empire**, the journal of roman studies, Vol 89, 1999.

36. Marcel Simon, Benoit André, **Le Triomphe de l'église**, Le judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998 : https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-189.htm

37. Marcel Simon, Benoit André, **La « Conversion » de Constantin**, le judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998: https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-308.htm

38. Mimouni Simon Claude**, Étienne et la diffusion du message de jésus, parmi les « hellénistes » dans le monde judéen de la diaspora,** Presses Universitaires de France,2006 :

https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page 187.htm

39. Pierre Maraval, **l'Organisation des communautes**, le christianisme des origines à Constantin, Presses Universitaires de France, 2006,:

https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page-411.htm

40. Mimouni Simon Claude, **Les Mouvances « chrétiennes » vers la fin du I er siècle (communautés et interprétations)**, Presses Universitaires de France, 2006 :https://www.cairn.info/le-christianisme-des-origines-a-constantin---page-209.htm

41. Marcel Simon, Benoit André, **l'Expansion chrétienne**, le judaïsme et le christianisme antique, Presses Universitaires de France, 1998 : https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-106.htm

42. Marcel Simon et André Benoit, **Le Judaisme de l'insurrection macchabéenne a la victoire de l'église, le cadre historique**, le judaïsme et le christianisme antique ,Presses Universitaires de France, :1998 https://www.cairn.info/judaisme-et-le-christianisme-antique---page-47.htm

43. Legras Bernard, **Les romains en Égypte, de Ptolémée XII à Vespasien**, Pallas, 96, 2014. [En ligne], 96 | 2014, mis en ligne le 01 octobre 2014, consulté le 10 octobre 2017.

44. Odahl, Matson Charles, **Constantine the Great and christian imperial theocracy**, connections: european studies, annual review 3, 2007.

45. Dreyer, Wim, **The amazing growth of the early church**, Theological studies, Vol 68, 2012.

46. Graham Keith, **The Formulation of creeds in the early church**, Themelios 24.1, 1998.

47. Ronchey Silvia_, **Les Procès-verbaux des martyres chrétiens dans les acta martyrum et leur fortune**, mélanges de l'école française de Rome, Tome 112, N°2, 2000.

48. Saulnier Christiane, **La persécution des chrétiens et la théologie du pouvoir à Rome (Ier - IVe s.)**, revue des sciences religieuses, Tome 58, N° 4, 1984.

49. Hartog Paul, **The Maltreatment of early christians: refinement and response**, Southern Baptist Journal of Theology, Vol: SBJT 18:1, 2014.

50. Dorival Gilles , **Les Débuts du christianisme à Alexandrie,** actes du 9ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer les 2 & 3 octobre 1998, publications de l'académie des inscriptions et belles lettres, Tome 9, 1999.

51. Rathbone Dominic, **Egypt, Augustus and Roman Taxation**, in cahiers du centre Gustave Glotz, 4, 1993.

52. Néroutsos Tassos Demetrios , **Notice sur les deux obélisques qui étaient placés devant le césaréum à Alexandrie,** bulletin de correspondance hellénique, Vol 2, 1878, p177.

53. J. R. Knipfing, **The Edict of Galerius (311 A. D.) re-considered**, revue belge de philologie et d'histoire, Tome 1, Fasc. 4, 1922.

سادسا: القواميس والمعاجم والموسوعات:

أ – باللغة العربية:

1. أبو الوفا جمال السيد، **صورة كليوباترا في الأدب اللاتيني**، حوليات آداب عين شمس، العدد 4، المجلد 45، القاهرة، 2017.
2. أديب سمير، **موسوعة الحضارة المصرية القديمة**، دار العربي للنشر والتوزيع، 2002.
3. بطرس عبد الملك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، شركة Compubraill، د.ت.
4. جورج بوست، **قاموس الكتاب المقدس**، مج1 (من أ إلى ش)، نظارة المعارف العمومية الجليلة، بيروت، 1994.
5. السحماني أسعد وآخرون، **موسوعة الأديان الميسرة**، ط1، دار النفائس، 2001، لبنان، د.ت.
6. عبودي. هنري س. ، **معجم الحضارات السامية**، ط2، جروس برس، لبنان، 1991.

7. الفغالي جورج فيليب، **موسوعة الحضارة المسيحية– ولادة لمسيحية ونشأتها–**، ط1، مج 1، دار نوبيلس، بيروت، د.ت.

8. وجدي محمد فريد، **دائرة معارف القرن العشرون**، مج 2، دار الفكر، بيروت، د.ت.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Bard Kathryn A, Shubert Steven Blake, **Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt**, Routledge, London , New York, 1999.

2. Bouillet.M.N, **Dictionnaire universel d'histoire et de géographie**, 26 édition Paris, Librairie Hachette, 1878.

3. Knowles Elizabeth, **The Oxford dictionary of fhrase and fable**, 2 edition, Oxford University Press, 2005.

4. Louis Millin Aubin, **Dictionnaire des beaux-arts**, Tome II, de l'impremerie de crapelet, Paris, 1806.

5. Noeĭ Desverges, Léon Renier, Edouard Carteron, complément de **l'Encyclopédie moderne : dictionnaire abrégé des sciences, des lettres, des arts, de l'industrie, de l'agriculture et du commerce**, Tome 1, Firmin Didot Frères, Fils et Die, Paris, 1858.

سابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

أ- باللغة العربية:

1. الأبياري حسن أحمد حسن أحمد، **المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام 212 م "دراسة وثائقية"**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة عين شمس، 1993.

2. أحمد فيصل دلول اللهيبي، **الحكومة الثلاثية الأولى في بلاد الرومان دراسة تاريخية (59– 44 ق.م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير آداب في التاريخ القديم، جامعة بغداد، 2015.

3. بن صلاح محمد عبد القادر، **المواطنة الرومانية منذ بداية عصر الأباطرة الصالحين حتى نهاية العصر السيفيري" إقليم المدن الثلاث أنموذجا" (96 م–235 م)**، دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات الإجازة العالية الماجستير في التاريخ القديم، جامعة مصراتة، 2016.

4. خالد عصام الدين اسماعيل، **تصوير العناصر المصرية على عملة مصر تحت الحكم الروماني في الفترة من 30 ق.م وحتى 296 م**، رسالة لنيل درجة الماجستير من قسم الآثار، جامعة عين

شمس، 2013.

5. زموري خديجة، **القديس أغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه نظام ل.م.د، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2018/2017.

6. عمران عبد الحميد، **الديانة المسيحية في المغرب القديم– النشأة والتطور–**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2011/2010.

7. العمري عبد النور، **سياسة روما الاقتصادية في مصر مابين القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الرابع ميلادي (27 ق.م– 306م) والنتائج المترتبة عنها**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2009/ 2010.

8. عولمي الربيع، **المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ القديم، ج1، جامعة باتنة 1، 2016/2015.

9. فهمي عبد الملك هابيل، **الأعياد والاحتفالات في مصر في العصر اليوناني والروماني حتى انتشار المسيحية**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ اليوناني الروماني، جامعة القاهرة، د.ت.

10. قديم الطيب، **التغيرات الاقتصادية في مصر الرومانية من نهاية القرن الأول ق.م إلى القرن الرابع ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة الجزائر 2، 2010/ 2011.

11. كتفي الشريف هاجر، **مدينة الإسكندرية وحضارتها في عهد البطالمة "دراسة في الجانب الاجتماعي أنموذجا 331–30 ق.م"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2015/ 2016.

12. نعيمة إدريس، **أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Arksey Keaton, **Perceptions of the ancient jews as a nation in the Greek and Roman worlds**, in partial fulfilment of the requirements of the degree of master of arts, University of Manitoba, 2016.

2. Bovet Cristelle Fisher, **Army and society in ptolemaic Egypt**, in partial fulfillement of requirement for the degree of doctor of philosophie, Stanford University, 2008.

3. Cunningham Jeffrey Jay, **The Role of learning institutions in ptolemaic Alexandria**, accepted in partial completion of the requirements for the degree master of arts, the faculty of Western Washington University, 2010.

4. Davier Fabien, **les écrits catholiques de tertullien : formes et normes**, Thèse en vue de l'obtention du titre de docteur en histoire, Vol I, Université de franche-comté, école doctorale « langages, espaces, temps, sociétés », 2009.

5. Eid Nicholas**, The Roman imperial cult in Alexandria during the julio-claudian period,** M.A. thesis submitted to the department of classics, Universify of Adelaide, 1995**.**

6. Fogarty Margaret Elizabeth, **Egyptian christianity: an historical examination of the belief systems prevalent in Alexandria C.100 B.C.E. - 400 C.E and their role in the shaping of early christianity**, thesis submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of master of philosophy (ancient near eastern studies), University of Stellenbosch, 2004.

7. Harker Andrew John, **Loyalty and dissidence in Roman Egypt : the case of the acta alexandrinorum**, thesis submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of Phd in ancient history, University of London, 2000.

8. Henein Nagi Athanasios, **Le Monachisme Egyptien révélateur de l'Ame Copte**, sous la direction de : M. Jean-Pierre Levet, M. Ashraf Alexandre Sadek , Thèse pour obtenir le grade de docteur, Université de Limoges, 2008.

9. Holm Nicola Rose, BA Hons I, **Pagan emperors and religious policies: A.D. 249-363**, A Thesis submitted for the degree of master of philosophy, school of historical and philosophical enquiry, The University of Queensland, 2017.

10. Miguel M. Vargas, **Causes of the jewish diaspora revolt in Alexandria: regional uprisings from the margins of greco-roman society 115-117 CE**, thesis prepared for the degree of master of arts, University of North Texas, 2016.

11. Moreau Jérôme, **Abraham dans l'exégèse de Philon d'Alexandrie enjeux herméneutiques de la démarche allégorique**, thèse de doctorat de langues, histoire et civilisations des mondes anciens, Université Lyon 2, 2010.

12. Ott Justin, **The decline and fall of the western roman empire**, A thesis submitted to the graduate faculty in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of arts, Iowa State University, Ames, Iowa, 2009.

13. Poiron Perrine, **Les Formes du pouvoir à l'époque des premiers rois lagides-un métissage entre l'idiologie politique des basileis et pharaons ?**, Mémoire Présenté comme exigence partielle de la maitrise en histoire, Université du Québec À Montréal, 2012.

14. Sander Boek.J.A, **Taxation in the later roman empire a study on the character of the late antique economy**, MPhil Thesis ancient history, Leiden University.

15. Shichao Wang, **Les Relations entre les étrangers et les autochtones à l'époque hellénistique : les modèles d'intégration des étrangers dans l'Empire lagide**, Thèse de doctorat de l'Université de recherche Paris Sciences et Lettres, 2016.

16. Tippett Adam, **Christian persecution**, Submitted to Dr. John Doe, in partial fulfilment of the requirements for the completion of history of christianity I, Liberty University, 2017.

17. Toone John, **The Roman Empire: the Defender of Early First Century Christianity**, a senior thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for graduation in the honors program , Liberty University, 2011.

18. Van-Wijlick, Hendrikus, Antonius,Margar**, Rome and Near Eastern kingdoms and principalities, 44-31 bc: a study of political relations during civil war**, for the qualification of doctor of philosophy, Durham theses, Durham University, 2013.

ثامنا: المواقع الإلكترونية:

أ- باللغة العربية:

1. قاموس المعاني، الموقع: http://www.almaany.com

2. ريهام عماد على، **معبد القيصرون**، على الموقع: https://www.civgrds.com/caesarion.html

3. هاني حنا، **رحلة العائلة المقدسة في مصر**، مكتبة الإسكندرية، صفحة مصريات، على الموقع:

www.bibalex.org/archeology/attachments/ArcheologicalCulturalSeason.

4. ميلاد مايكل، **الثيرابيوتاي والحياة الليتورجية والنسكية المصرية**، على الموقع:

http://kings-reader.blogspot.com/2015/12/2.html

5. كيرلس زكي، **دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر أكبر و أقدم دير فى العالم**، على الموقع:

https://www.ngmisr.com

ب- باللغة الأجنبية:

1. Anthony Alcock , **Edict of Decius** : https://www.academia.edu/34848962/Edict_of_Decius
2. Cartwright Mark, **Temple of Solomon traesure, arch of Titus**,
3. https://www.ancient.eu
4. Howard Jodie Martyndale, **Augustus Caesar and god, varying images of the first Roman Emperor**, Fresh Perspectives on Graeco-Roman Visual culture, Proceedings of an International Conference at Humboldt-Universität, Berlin, 2nd–3rd September 2013 **:**http://edoc.hu-berlin.de/18452/2053. https://www.oxfordhandbooks.com
5. Le Bohec Yann, **La Constitution Antonine, ou edit de Caracalla**, https://francearchives.fr
6. Lenski Noel, **The significance of the edict of Milan, in Edward Siecienski, Constantine: Religious Faith and Imperial Policy**, https://www.academia.edu
7. McCracken Jonathan, **Life of Constantine**, Christian History 1, THE- 557- ON15-SU18, June 3, 2018, https://www.academia.edu/38734976/Life_of_Constantine
8. Matthew J Sharpe, **The Stoic art of living,** https://www.academia.edu;
9. Nile Mosaic of Palestrina, https://www.atlasobscura.com/places/nile-mosaic-of-palestrina
10. Pfeiffer Stefan, **The Ptolemies: hellenistic kingship in Egypt**, 2016,
11. Vagi David, **Crocodiles on Roman coins most familiar as the emblem of the province of Egypt**: https://www.coinworld.com.
12. https://www.universalis.fr/encyclopedie
13. http://www.bible-researcher.com/papyrus66.html
14. https://legacy.earlham.edu

الفهارس:

فهرس الأماكن:

﴿ أ ﴾

أبولونوبوليس هيبتاكوميا: ص140-142.
أثريبيس: ص142.
أثينا: ص69.
إثيوبيا: ص14-46-47.
أدفو: ص151.
إديسا: ص272.
أرسينوي: ص14-24-55-88-142.
أرمينيا: ص26.
إسبانيا: ص261-339-341.
الإسكندرية:ص11-12-13-14-16-17-19-21-23-30-31-37-38-40-43-44-46-47-48-50-51-52-57-58-59-60-61-62-63-65-66-67-68-69-70-73-74-75-76-77-82-84-85-86-87-88-93-94-95-96-97-98-99-100-101-104-105-106-107-108-109-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-124-125-127-128-131-132-134-135-136-137-138-140-145-146-147-149-150-151-153-154-155-156-158-159-160-170-171-172-173-180-181-184-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-196-197-198-200-202-203-204-205-206-207-208-214-217-218-236-242-244-245-246-252-255-256-262-263-269-272-277-278-281-284-290-292-296-297-298-300-328-329-330-332-333-335-336-339-344-345-346-348-350-351.
أسوان: ص44-47.
آسيا الصغرى: ص162-181-185-189-191-220-236-312-318.
أسيوط: ص328.
إفريقيا: ص220-245.
أكتيوم: ص18-21.
أنتينوبوليس: ص39-51-85-213.
أنطاكية:ص135-179-180-207-228-230-231-253-254-255-257-273-321-338-346.

أنقرة: ص338.
أهناسيا: ص217.
أورشليم:ص101-114-128-129-130-131-133-134-168-179-181-188-190-231-244-338.
أوكسيرينخوس-البهنسا-:ص68-88-141-142-143-144-145-150-152-153-206-213-250-261-276.
إيطاليا: ص21-28-53-83-172-306-313.

﴿ ب ﴾

بابليون: ص185.
بارثيا: ص156.
بانا بوليس أخميم: ص297.
البحر الأحمر: ص24-44-47-162-304.
البحر الأريتيري: ص24.
بحيرة مريوط: ص46.
براتيونيوم: ص39.
برانيستي: ص14.
برايتونيون: ص19-24.
بريطانيا: ص306.
بطلمية: ص39-51-66-85.
بلاد العرب: ص24.
البلقان: ص220.
بيت لحم: ص187.
بيثينيا: ص 237- 307-338.
بيزنطة: ص335.
بيلوزيون: ص24-142.

﴿ ت ﴾

تارنتم: ص11-12.
تدمر: ص157.
تراقيا: ص82.
تسالونيكي: ص335.

﴿ ج ﴾

جزيرة فيلة: ص146.
جنيف: ص212.
الجيزة: ص291.

﴿ ح ﴾

الحبشة: ص204.

﴿ د ﴾

دبلن: ص209.
دلماتيا: ص21.

﴿ ر ﴾

راكوتيس: ص37.
روما:ص11-12-13-15-16-17-19-23-24-27-29-37-38-42-43-44-45-46-47-83-101-104-106-107-112-113-119-120-126-129-135-145-148-154-158-168-181-184-191-206-226-228-237-345.

﴿ س ﴾

السامرة: ص179-198.
سقارة: ص37.
سوريا:ص12-82-108-114-124-148-176-181-188-189-191-232-287-332.
سويني: ص24.
سيبنوتس: ص150.
سيناء: ص291.

﴿ ص ﴾

صور: 135-332.
طابنا: ص299.
طرسوس: ص183.
طيبة: ص24-39-40-88-128-142-146-148-255-268-290-297-338.

﴿ غ ﴾

الغال: ص220-261.
غالة: ص306.

﴿ ف ﴾

فارس: 204.
فاروس: ص37.
فلسطين:ص60-87-108-113-118-122-128-129-132-133-138-140-176-179-180-186-187-188-189-190-203-232-240-245-246-272-287-332.
فيلادلفيا: ص55-119-255.
فينيقيا: ص26-179-180.
الفيوم: ص55-56-57-59-68-119-175-213-214-218-250-290.

﴿ ق ﴾

قبرص: ص16-26-138-139-150-179-338-339.
قرطاج: ص12-259.
القسطنطينية: ص291.
قنا: ص200-297.
قورينة: ص25-53-138-150-151-245-338.
قيصرية: ص338.

﴿ ك ﴾

كارانيس: ص65-151-214.
كانوب: ص272-300.
كريت: ص25-60.
كفرو: ص260.
كوبتوس: ص24.
كينو بوسكيون: ص299.
كينوبوليس: ص150.

﴿ ل ﴾

لاتوبوليس: ص300.
ليبيا: ص132-253-260-333-334-345.
ليكوبوليس: ص143-277.
ليونتوبوليس: ص167.

﴿ م ﴾

مربوط: ص215.
مصر:ص11-12-13-14-15-16-18-19-20-22-23-24-25-26-27-28-29-30-
31-37-38-39-40-41-42-43-44-45-47-48-50-51-52-53-55-57-58-59-
60-61-64-66-67-71-73-74-79-80-81-83-84-86-89-97-104-107-108-
109-112-118-122-124-126-128-138-142-144-146-147-148-149-150-
151-152-154-155-156-157-158-162-166-168-172-173-184-185-186-
187-188-189-190-191-200-206-207-208-209-213-217-218-220-232-
236-237-244-245-249-251-253-254-259-260-261-263-264-266-268-
276-277-281-286-287-290-292-296-297-298-299-300-301-318-330-
333-334-338-344-345-346.
مقدونيا: ص181.
منف: ص24-31-141-142-255.
موريطانيا: ص144.
ميرا: ص338-339.
ميلان: ص305-307-312-321.

﴿ ن ﴾

نجع حمادي: ص200-214-301.
نقراطيس: ص39-51-66-85.
النوبة: ص47-128.
نيقوميديا: ص265-307-333-341.
نيقية: ص337-339-345-348-351-353.
نيكوبوليس: ص23-38-55-111-128-132.

﴿ هـ ﴾

هرموبوليس: ص68-88-140-141-142-143-150.
الهلال الخصيب: ص162.
الهند: ص204.
الهند: ص46.
هوسيوس: ص335-336-339-341.
هيراكليوبوليس: ص68-142-143.

﴿ و ﴾

وادي النطرون: ص299.

﴿ ي ﴾

اليونان: ص181-189.

فهرس الشعوب:

﴿ أ ﴾

الإسكندريون:ص22-23-42-50-58-69-70-72-73-76-82-84-85-91-97-98-101-102-104-107-108-109-110-111-114-115-116-117-118-119-120-121-122-123-124-126-127-131-132-134-135-136-149-154-155-156-188-206.

الإغريق:ص38-39-40-51-52-58-59-60-63-70-74-75-77-82-83-84-91-93-94-98-99-100-101-102-104-106-107-108-111-113-117-118-121-127-131-132-133-134-136-137-139-140-141-142-144-148-149-150-152-153-158-159-162-191-207-213.

﴿ ب ﴾

بنو إسرائيل: ص177-178.

﴿ ر ﴾

الرومان:ص12-13-14-16-17-18-19-27-30-38-39-43-44-45-47-50-51-53-55-57-63-64-66-68-69-70-71-72-73-74-76-77-78-80-82-89-90-91-97-101-104-107-116-121-123-124-126-130-137-138-143-146-147-148-149-150-152-153-154-155-158-162-165-170-175-177-191-192-220-221-222-223-224-228-236-238-240-244-247-259-277-325.

﴿ ف ﴾

الفرس: ص261-264.

الفينيقيون: ص50.

﴿ ق ﴾

القرطاجيون: ص12.

﴿ ل ﴾

الليبيين: ص50.

﴿ م ﴾

المصريون:ص31-50-60-63-64-65-66-68-69-73-74-76-77-79-80-83-88-91-93-100-104-112-142-114-144-145-146-147-148-162-169-170-191-192-213-216-217-267-268-290-343-345.

المقدونيون: ص60-91.

﴿ هـ ﴾

الهيلينيين: ص51.

﴿ ي ﴾

اليهود:ص50-52-60-61-62-63-64-67-73-74-75-76-77-78-80-83-84-85-
86-87-88-95-97-98-99-100-101-102-104-105-106-107-108-109-
110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-123-124-
125-126-127-128-129-130-131-132-133-134-135-136-137-138-139-
140-141-142-143-144-146-149-150-151-152-153-154-155-166-167-
168-176-178-179-186-188-189-190-191-204-207-213-222-226-227-
228-230-231-236-237-242-244-296.

فهرس الأعلام:

﴿ أ ﴾

أبولونيوس: ص140-141-142-143.
أبولیناریوس: ص65.
أبيانوس: ص155.
أبيون: ص98.
أثناسيا: ص272.
أثناسيوس:ص206-298-300-329-330-331-332-333-334-338-339-334-341-342-353.
أجريبا: ص107-109-116-117-120.
أخيلاس روفوس: ص77.
أرسطو: ص169.
آريوس: ص328-329-330-331-332-333-334-341-342-347-351.
إزيدور: ص147-148.
الأسقف ألكسندر: ص333-334-338-339-341-348.
الإسكندر الأكبر: ص22-23-37.
إسكندر لوسيماخوس: ص63-77-100.
أغريباس الأول: ص179.
أفستاسيوس: ص338-339.
أفلاطون: ص196-197-199-329.
أفلوطين: ص192-194-195-196-197.
أفيديوس كاسيوس: ص148-158.
إليوس جالوس: ص31.
أمونيوس ساكاس: ص196.
أميليوس ليبدوس: ص12.
الأنبا بولا: ص297-298.
أنتينوس: ص39.
أندرياس: ص139.
أنطونويس: ص338.
أنطونيوس بيوس: ص91-154-237-238-

أنطونيوس روفوس: ص77.
أنطونيوس: ص297-298-299-304.
أنيانوس: ص185.
أوريجين: ص202-203-205-207-214-241-242-245-246-255-256-329.
أوريليانوس: ص157.
أوريليوس هوريون: ص152.
أوكتافيوس أغسطس:ص18-19-21-22-23-24-25-27-28-29-31-38-39-42-43-45-47-48-53-58-63-66-84-86-89-93-101-104-120-124-128-146-156-168-248.
أومنيوس: 229.
إيرائيس: ص246.

﴿ ب ﴾

باخوم: ص297-299.
باسيلديس: ص198-203.
بافنوس: ص338.
باولوس: ص135.
بروبوس: ص157.
بطرس: ص178-184-230-277-280-288-328.
بطليموس الثالث عشر: ص17.
بطليموس الثاني عشر: ص16.
بطليموس الثاني: ص11-13-17.
بطليموس الخامس: ص12.
بطليموس الرابع عشر: ص18.
بلوتارخ: ص246.
بلوتينا: ص135.
بلينوس الأصغر: ص232-234-235-236-238.
بوبيليوس جوفنتيوس روفوس: ص162.
بوتامون: ص338.
بوثينوس: ص17.
بوطامينا: ص246.

بول: ص256.
بولس: ص180-182-183-230-314.
بومبي: ص16.
بيروس: ص206.

﴿ ت ﴾

تايسون: ص65.
تراجانوس: ص134-135-138-146-151-232-234-235-240-243-262.
تيبريوس كلوديوس ديمتروبوس: ص73.
تيبريوس يوليوس الإسكندر: ص63-132.
تيبريوس: ص42-48-53-104-106-121-171-176.
تيتوس: ص129-130-168-230.

﴿ ج ﴾

جاليريوس: ص265-266-267-268-275-281-286-287-288-307-309.
جالينوس: ص260-262-307.
جايوس بترونيوس: ص31.
جايوس تورانيوس: ص75.
جايوس يوليوس ساتورنينو: ص73.
جرجس: ص303.
جورديان الثالث: ص247.
جيتا: ص156.

﴿ د ﴾

دقلديانوس:ص221-263-264-265-266-267-268-272-276-277-278-286-287-290-292-296-300-303-304-306-316.
دميانة: ص291-300.
دوميتيانوس: ص130-168.
ديكيوس:ص171-175-203-221-247-248-251-252-255-258-265-277-292-296-297.
ديمتريوس: ص202-329.
ديونيسيوس: ص252-254-257-259-260-262-290-292-296.

﴿ ر ﴾

راميوس مرتياليس: ص143-149.
روتيليوس لوبوس: ص136.

﴿ ز ﴾

زينوبيا: ص157.

﴿ س ﴾

سارابياس: ص276-277.
سان لأورينس: ص259.
سبتيموس سيفيروس: ص86-152-155-203-245-247-256.
سبيريجون: ص338.
سبيريدونيس: ص338-339.
سرنييوس جرانيوس: ص236.
سكيبيو إميليانوس: ص13.
سلفستر: ص338.
سومبرونيوس توديتانوس: ص12.
سيكستوس الثاني: ص259.
سيلسوس: ص241.

﴿ ش ﴾

شيشرون: ص16.

﴿ ص ﴾

صوفيا: ص291.

﴿ ع ﴾

عيسى عليه السلام: 176-178-179-183-185-198-199-215-216-217-220-228-242-278-280-284-294-312-315-327-328-330-331.

﴿ ف ﴾

فابيوس: ص253.
فالنتينوس: ص198-203.
فاليريانوس: ص258-259-261-262-265.
فسباسيانوس: ص29-77-133-138-168-172-173-230.
فلاكوس: ص104-106-109-110-116.

فوستينا: ص158.
فيثاغورس: ص198.
فيرموس: ص157.
فيلوموروس: ص269.
فيلون:ص61-87-99-100-104-107-108-109-110-111-112-113-114-116-124-171-189-192-194-195-196-215.
فيلياس: ص281-282-283-284-285.
فيليب العربي: ص247-251.
فيليب المقدوني: ص12.

﴿ ق ﴾

قسطنطين الأول: ص288-291-299-306-307-309-310-311-312-313-314-315-316-317-318-319-320-321-322-325-326-329-330-335-336-337-338-339-340-347-348-353.

﴿ ك ﴾

كاترين: ص291.
كاراكلا: ص65-79-80-81-82-83-152-156-158-159-165.
كاركوريوس توربو: ص142-144.
كاسيوس: ص158-
كاليجولا (جايوس): ص104-106-112-113-115-116-117-121-123-170.
كراسوس: ص16.
كلوديوس نيرون: ص12.
كلوديوس:ص70-100-117-118-119-120-121-122-123-124-126-127-128-188.
كليمنت: ص202-203-205-207.
كليوباترا السابعة: ص17-18-19-22-23-24-170.
كوبريس: ص276-277.
كورنيليوس جالوس: ص19-31.
كولكيانوس: ص281-282-283.
كومودوس: ص154-202-240.
كونستانتيوس: ص265.

كيرلس: ص206.
كيروس: ص272.
كيرينوس: ص246.

﴿ ل ﴾

لاونديوس: ص338.
لوبوس: ص167.
لوكواس: ص139-152.
لوكيان: ص240.
لوكيوس بيللينيوس جمللوس: ص57.
ليكينيوس: ص288-299-306-307-310-311-322-338-346-347.
ليونيدس: ص245.

﴿ م ﴾

مارجرجس: ص291.
ماركوس أنطونيوس: ص18.
ماركوس أوريليوس: ص78-147-151-158-163-239.
ماكسميليان: ص265.
ماكسنتيوس: ص273-306.
ماكسيمين دايا: ص273-275-287-311.
ماكسيمينوس: ص286-298.
مرسلينس: ص273.
مرقص: ص184-187-190-272.
مرقوريوس: ص303.
مرقيون: ص198.
مركلوس: ص338.
مكاريوس: ص338.
ميليتيوس: ص277-281-328-344.
نوفاستيون: ص257.
نيرون: ص38-128-134-184-185-227-229-230.
نيقولاوس: ص338-339.

﴿ هـ ﴾

هادريانوس: ص39-59-73-144-149-151-153-173-174-203-236-237-238.
هرقليس: ص206.
هرمايسكوس: ص135-136.
هيراكليدس: ص246.
هيرود: ص120-246.
هيرودوس الكبير: ص179-187.
هيلانة: ص312.
هيليوس بن تريفون: ص75.

﴿ ي ﴾

يهوذا الإسخريوطي: ص177.
يوحنا: ص272.
يوسف بارسابا: ص178.
يوليوس قيصر: ص17-18-19-128.

فهرس الآلهة:

﴿ أ ﴾

أبي الهول: ص172-173.

أوزوريس: ص213-216-217.

إيزيس: ص145-163-164-165-168-189-191-204-216-217.

﴿ ب ﴾

بان: ص162-163. بتاح: ص216.

بلوتو: ص165.

﴿ ج ﴾

جوبتير: ص165-168-175-191-264.

جونو: ص165.

﴿ ح ﴾

حورس: ص216-217.

﴿ د ﴾

ديمتير: ص163. ديونيسيوس: ص165.

﴿ ز ﴾

زيوس: ص165-191.

﴿ س ﴾

سيرابيس: ص135-159-164-165-172-173-174-186-236-237.

﴿ ع ﴾

العجل أبيس: ص23-168-216.

﴿ ك ﴾

كربيروس: ص174.

كيبلي: ص204.

﴿ م ﴾

منيرفا: ص165. ميترا: ص204.

مين: ص163.

﴿ هـ ﴾

هربوكراتيس: ص164.

هرميس: ص140.

فهرس المحتوى:

الموضوع. ص

مقدمة. أ

مدخل:
الاحتلال الروماني لمصر وضمها للإمبراطورية الرومانية

أولا: مصر ولاية رومانيـــــة:

1. الظروف والمقدمـــات.....11
2. احتلال الرومان لمصر.....19
3. مصر ولايـــة متميزة.....25

ثانيا: نظـــــام الحكم والإدارة:

1. السلطة المركزية.....30
2. الإسكندرية مقر الحكم.....37
3. الإدارة المحليـة...39

ثالثا: تنظيم ولايـــــة مصر:

1. في المجال الاقتصادي.....43
2. في المجال العسكــري....46

الفصل الأول:
الأوضاع الاجتماعية في مصر في ظل الاحتلال الروماني

أولا: التشكيلـــة البشريـــــة للمجتمع:

1. الرومـــان.....53
2. الإسكندريون، الإغريق.....58
3. اليهـــــود.....60
4. المصريــون.....64

ثانيا: تنظيـــم المجتمـــع وأوضاعـــــه:

1. فرض ضريبة الرأس.....66
2. اكتساب المواطنة الرومانية:.....69

أ. حق المواطنة الإسكندرية.....69
ب. حق المواطنة الرومانيــة.....72
ج. مرســوم كاراكلا 212 م.....79
3. تكوين المجالس والجاليات:.....84
أ. تكوين مجلس الشورى للإغريق.....84
ب. تكوين الجيروسيا والبوليتيوما لليهود.....86
ثالثا: مظاهر العلاقات بين عناصر المجتمع:
1. موجز عن الحياة الاجتماعية.....89
2. بوادر التوتر في العلاقات.....96

الفصل الثاني:
القلاقل الاجتماعية ورد فعل السلطات الرومانية

أولا: بداية القلاقــل الاجتماعية بين السكان:
1. اندلاع النزاع بين السكان 38 م.....104
2. إيفاد السفارات إلى روما.....113
ثانيا: الاضطرابات الاجتماعية في الإسكندرية:
1. الاضطرابات في عهد كلوديوس:.....117
أ. الصراع بين اليهود والإغريق 41 م.....117
ب. رسالة كلوديوس إلى الإسكندريين.....119
2. الاضطرابات في عهد نيرون: 128
أ. ثورة اليهود في أورشليم 66 م.....128
ب. تجدد الصراع في الإسكندرية.....131
3. الاضطرابات في عهد تراجانوس.....134
ثالثا: انـدلاع الثورات في مصـر ونتائجهـــا:
1. ثورة اليهود الكبرى 115-117م:.....138
أ. أسباب ثورة اليهود.....138

ب. الامتداد الجغرافي للثورة.....140
2. ثورة الرعاة المصريين 172 م.....145
3. نتـــــائج الثورات:.....149
أ. نتائج ثورة اليهـــــود.....149
ب. نتائج ثورة المصريين.....158

الفصل الثالث:
الأوضاع الدينية في مصر في ظل الاحتلال الروماني

أولا: الأوضاع الدينيـــــــــة في مصر:
1. تنوع العبادات الوثنيـة.....162
2. سياسة الأباطرة الدينية.....166
3. عبادة الإمبراطـــــور.....170
ظهور المسيحية وعوامل انتشارها:
1. بداية التبشير بالمسيحيـة.....176
2. دخول المسيحية إلى مصر.....184
3. عوامل انتشار المسيحيـة:.....190
أ. العوامل الجغرافية والاقتصادية والدينية.....190
ب. البيئة الفكرية في الإسكندرية.....192
ج. الحركة الغنوصية.....198
ثالثا: دلائل انتشـــار المسيحية في مصر:
1. المؤسسات الدينية والبرديات المكتشفة: 202
أ. إقامة الكنائس والمدرسة اللاهوتية.....202
ب. برديات العهد الجديد المكتشفة في مصر.....208
2. الجماعات المسيحية في مصر.....213
3. بداية الاضطهاد الديني وأسبابه.....220

الفصل الرابع:
حركة الاضطهاد الروماني للمسيحيين في مصر

أولا: الاضطهادات العامة الأولى للمسيحيـــة:

1. حريق روما وبداية الاضطهاد 64 م:..... 226
2. بين التسامح والاضطهاد المتقطع: 232
   أ. عهد أباطرة الأسرة الأنطونية..... 232
   ب. الصراع الفكري بين المسيحية والوثنية..... 240
3. أول اضطهاد رسمي في مصر202 م..... 244

ثانيا:الاضطهـادات الأعنف ومراسيم التسامح:

1. مرسوم ديكيوس 249 م:..... 248
   أ. تقديم البراءات Libelli..... 248
   ب. الاضطهاد بين الصمود والارتداد..... 252
2. اضطهاد رجال الكنيسة..... 258
3. مرسوم التسامح الأول 261 م..... 261
4. الاضطهاد الأكبر في عهد دقلديانوس:..... 263
   أ. مراسيم الاضطهاد..... 263
   ب. عصر الشهداء..... 269
   ج. الارتداد والانقسام الميليتي..... 277
5. مرسوم التسامح الثاني 311 م..... 286

الفصل الخامس:
آثار الاضطهاد الروماني والاعتراف بالمسيحية

أولا: نتائج الاضطهاد الروماني للمسيحيين:

1. قوة المسيحية وانتشارها..... 290
2. نشأة حركة الرهبنة:..... 294
   أ. تعريف الرهبنة ودوافعها..... 294

ب. ظهور الأديرة.....302

ثانيا: قسطنطين الأول ونهاية الاضطهـــاد:

1. إصدار مرسوم ميلان 313 م.....306
2. دوافع الاعتراف بالمسيحية:.....311
   أ. الدوافع الدينية.....311
   ب. الدوافع السياسية.....318
3. إجراءات العفو والتسامح الديني.....322

ثالثا: مصير الكنيسة بعد الاعتراف بالمسيحية:

1. الدولة وسلطة الكنيسة.....326
2. الانشقاق الديني والعقائدي:.....328

أ. بوادر الانقسام و المسألة الآريوسية.....328

ب. الجدل حول طبيعة المسيح.....330

ج. إقامة المجامع:.....333

1-مجمع الإسكندرية 319-320 م.....333

2-مجمع نيقية 325 م.....337

الخاتمة.....355

قائمة الملاحق.....361

قائمة البيبليوغرافيا.....365

الفهارس: 395

فهرس الأماكن.....398

فهرس الشعوب.....401

فهرس الأعلام.....403

فهرس الآلهة.....410

فهرس المحتوى.....412